الروضة الندية

شرح أربعين حديثاً في

فضائل الأمة المحمدية

www.saida-islam.weebly.com

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف إلاَّ من أراد طباعته وتوزيعه احتساباً لوجه الله

الكريم فله الإذن وجزاه الله خيراً .

الأردن - عمان - سحاب

ت/ ٠٠٩٦٢٧٨٨٤٤٣٩٢٣

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

الطبعة الثانية

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٣/١٠/٣٧٩١)

www.saida-islam.weebly.com

مَنْ أَرَادَ طِبَاعَةَ هَذَا الْكِتَابِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى لا يُرِيدُ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنيَا فَقَدْ أُذِنَ لَهُ، بِشَرْطِ أَنْ لا يُغَيِّرَ فِيهِ شَيْئاً، وجَزَاهُ اللَّهُ خَيراً .

الروضة الندية

شرح أربعين حديثاً في

فضائل الأمة المحمدية

جمع وتأليف

سليمان العايدي

www.saida-islam.weebly.com

www.saida-islam.weebly.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾، الْعَالِمِ بِمَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ وَمَا سَيَكُونُ، الَّذِي ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾، الَّذِي ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾، الَّذِي لا يُحْصِي الْعِبَادُ ثَنَاءً عَلَيْهِ، بَلْ هُوَ كَمَا أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ، لِمَا لَهُ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَهُوَ الْمَنْعُوتُ بِنُعُوتِ الْكَمَالِ وَصِفَاتِ الْجَلالِ الَّتِي لا يُمَاثِلُهُ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ، وَهُوَ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُتَنَزِّهُ أَنْ يُمَاثِلَهُ شَيْءٌ فِي نُعُوتِ الْكَمَالِ، أَوْ يَلْحَقَهُ شَيْءٌ مِنَ الآفَاتِ، فَسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا، الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا .

أَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ، وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا، مُبَشِّرِينَ لِمَنْ أَطَاعَهُمْ بِغَايَةِ الْمُرَادِ مِنْ كُلِّ مَا تُحِبُّهُ النُّفُوسُ وَتَرَاهُ نَعِيمًا؛ وَمُنْذِرِينَ لِمَنْ عَصَاهُمْ بِاللَّعْنِ وَالإِبْعَادِ، وَأَنْ يُعَذَّبُوا عَذَابًا أَلِيمًا؛ أَمَرَهُمْ بِدُعَاءِ الْخَلْقِ إِلى عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، كَمَا قَالَ ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾، وَجَعَلَ لِكُلٍّ مِنْهُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا لِيَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَلا يَبْغُوا عَنْهُ اعْوِجَاجًا؛ وَخَتَمَهُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ أَفْضَلِ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ، وَصَفْوَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الشَّاهِدِ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ، الْهَادِي السِّرَاجِ الْمُنِيرِ، الَّذِي أَخْرَجَ بِهِ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ، وَهَدَاهُمْ إِلى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ .

www.saida-islam.weebly.com

بَعَثَهُ بِأَفْضَلِ الْمَنَاهِجِ والشِّرَعِ، وَأَحْبَطَ بِهِ أَصْنَافَ الْكُفْرِ وَالْبِدَعِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ أَفْضَلَ الْكُتُبِ وَالأَنْبَاءِ، وَجَعَلَهُ مُهَيْمِنًا عَلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ كُتُبِ السَّمَاءِ .

وَجَعَلَ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ؛ يُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، هُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ؛ هُوَ شَهِيدٌ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ شُهَدَاءُ عَلَى النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، بِمَا أَسْبَغَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعَمِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ؛ وَعَصَمَهُمْ أَنْ يَجْتَمِعُوا عَلَى ضَلالَةٍ، إِذْ لَمْ يَبْقَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ يُبَيِّنُ مَا بَدَّلَ مِنَ الرِّسَالَةِ، وَأَكْمَلَ لَهُمْ دِينَهُمْ، وَأَتَمَّ عَلَيْهِمْ نِعَمَهُ، وَرَضِيَ لَهُمُ الإِسْلامَ دِينًا، وَأَظْهَرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، إِظْهَارًا بِالنُّصْرَةِ وَالتَّمْكِينِ، وَإِظْهَارًا بِالْحُجَّةِ وَالتَّبْيِينِ، وَجَعَلَهُمْ وَرَثَةَ نَبِيِّهِمْ ﷺ، يَقُومُونَ مَقَامَهُ فِي تَبْلِيغِ مَا أُنْزِلَ إِلَيهِ مِنَ الْكِتَابِ، وَطَائِفَةً مَنْصُورَةً لا يَزَالُونَ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلا مَنْ خَذَلَهُمْ إِلى حِينِ الْحِسَابِ؛ وَحَفِظَ لَهُمُ الذِّكْرَ الَّذِي أَنْزَلَهُ مِنَ الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ، كَمَا قَالَ ﷻ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾، فَلا يَقَعُ فِي كِتَابِهِمْ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ كَمَا وَقَعَ مِنْ أَصْحَابِ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، وَخَصَّهُمْ بِالرِّوَايَةِ وَالإِسْنَادِ الَّذِي يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ الْجَهَابِذَةُ النُّقَّادُ، وَجَعَلَ هَذَا الْمِيرَاثَ يَحْمِلُهُ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالدِّينِ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، لِتَدُومَ بِهِمُ النِّعْمَةُ عَلَى الأُمَّةِ، وَيَظْهَرَ بِهِمُ النُّورُ مِنَ الظُّلْمَةِ، وَيَحْيَا بِهِمْ دِينُ اللهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ، وَبَيَّنَ اللهُ بِهِمْ لِلنَّاسِ سَبِيلَهُ، فَأَفْضَلُ الْخَلْقِ أَتْبَعُهُمْ لِهَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ، الْمَنْعُوتِ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَإِلَهُ الْمُرْسَلِينَ، وَمَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ إِلى النَّاسِ أَجْمَعِينَ، أَرْسَلَهُ وَالنَّاسُ مِنَ الْكُفْرِ وَالْجَهْلِ وَالضَّلالِ فِي أَقْبَحِ خَيْبَةٍ وَأَسْوَإِ حَالٍ؛ فَلَمْ يَزَلْ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي تَبْلِيغِ الدِّينِ وَهَدْيِ الْعَالَمِينَ وَجِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ حَتَّى طَلَعَتْ شَمْسُ الإِيْمَانِ، وَأَدْبَرَ لَيْلُ الْبُهْتَانِ، وَعَزَّ جُنْدُ الرَّحْمَنِ، وَذَلَّ حِزْبُ الشَّيْطَانِ، وَظَهَرَ نُورُ الْفُرْقَانِ، وَاشْتَهَرَتْ تِلاوَةُ الْقُرْآنِ،

www.saida-islam.weebly.com

وَأُعِلْنَ بِدَعْوَةِ الأَذَانِ، وَاسْتَنَارَ بِنُورِ اللَّهِ أَهْلُ الْبَوَادِي وَالْبُلْدَانِ، وَقَامَتْ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى الإِنْسِ وَالْجَانِّ، لَمَّا قَامَ الْمُسْتَجِيبُ مِنْ مَعْدِ بْنِ عَدْنَانَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، صَلاةً يَرْضَى بِهَا الْمَلِكُ الدَّيَّانُ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَقْرُونًا بِالرِّضْوَانِ(١).

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ اللَّهَ وَجَلَّ قَدْ أَكْرَمَ أُمَّةَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ بِكَرَامَاتٍ عَظِيمَةٍ، وفَضَّلَهَا عَلَى سَائِرِ الأُمَمِ السَّابِقَةِ، وجَعَلَهَا فِي مَقَامِ السِّيَادَةِ ومَنْصِبِ الْقِيَادَةِ ومَوْضِعِ الإِمَامَةِ لِسَائِرِ الأُمَمِ، كَمَا فَضَّلَ نَبِيَّهَا ﷺ عَلَى سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ والْمُرْسَلِينَ، وجَعَلَهُ سَيِّداً وقَائِداً وإِمَاماً لَهُمْ؛ وقَدَّمَهَا عَلَى غَيرِهَا فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وأَعْطَاهَا مِنَ الأُعْطِيَاتِ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ، وجَعَلَ لَهَا السَّبْقَ عَلَى غَيرِهَا فِي كُلِّ خَيرٍ يُرْتَجَى وفَضْلٍ يُبْتَغَى فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ؛ ومَا كَانَ لَهَا ذَلِكَ إِلاَّ لأَنَّهَا تَحْمِلُ حِمْلاً لَمْ تَحْمِلْهُ أُمَّةٌ قَبْلَهَا، وبُعِثَتْ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ بِرِسَالَةِ الرَّحْمَةِ الْعَالَمِيَّةِ، الَّتِيْ أُرْسِلَ بِهَا نَبِيُّهَا ﷺ، فَتَقُومُ هِيَ بِنِيَابَتِهِ فِي تَوْصِيلِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ، فَتُخْرِجُهُمْ بِهَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، ومِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، ومِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعَتِهَا، ومِنْ جَورِ الأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الإِسْلامِ، فَأَرْسَلَهُمُ اللَّهُ بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ، لِيَدْعُوهُم إِلَيهِ، وجَعَلَ نُصْرَتَهُ ومَعِيَّتَهُ وتَأْيِيْدَهُ مَعَهُمْ مَا دَامُوا قَائِمِينَ بِحَمْلِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ، يُضَحُّونَ فِي سَبِيلِهَا بِكُلِّ غَالٍ ونَفِيسٍ .

فَبِهَذِهِ الرِّسَالَةِ انْتَشَرُوا فِي الْعَالَمِ، وتَحَرَّكُوا بِهَا إِلَى الْمُلُوكِ والأُمَمِ والشُّعُوبِ، وفِي سَبِيلِ ذَلِكَ خَرَجُوا مِنْ أَحَبِّ الْبِلادِ إِلَى اللَّهِ وإِلَى رَسُولِهِ وإِلَيهِمْ، مُعْتَقِدِينَ أَنَّهُم مَبْعُوثُونَ مِنَ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، حَامِلِينَ لِوَاءَ الرَّحْمَةِ عَلَى الْعَالَمِينَ؛ فَسَافَرُوا فِي ذَلِكَ إِلَى الْبِلادِ، وَهَجَرُوا فِيهِ لَذِيذَ الرُّقَادِ، وَفَارَقُوا الأَمْوَالَ وَالأَوْلادَ، وَأَنْفَقُوا فِيهِ الطَّارِفَ وَالتِّلادَ، وَصَبَرُوا فِيهِ عَلَى النَّوَائِبِ، وَقَنَعُوا مِنَ الدُّنْيَا بِزَادِ الرَّاكِبِ، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكَايَاتِ الْمَشْهُورَةِ، وَالْقِصَصِ الْمَأْثُورَةِ، مَا هُوَ عِنْدَ أَهْلِهِ مَعْلُومٌ، وَلِمَنْ طَلَبَ مَعْرِفَتَهُ مَعْرُوفٌ

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية باختصار يسير (١/٥ – ٧) .

www.saida-islam.weebly.com

مَرْسُومٌ، بِتَوَسُّدِ أَحَدِهِمُ التُّرَابَ، وَتَرْكِهِمْ لَذِيذَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَتَرْكِ مُعَاشَرَةِ الأَهْلِ وَالأَصْحَابِ، وَالتَّصَبُّرِ عَلَى مَرَارَةِ الاِغْتِرَابِ، وَمُقَاسَاةِ الأَهْوَالِ الصِّعَابِ، أَمْرٌ حَبَّبَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ وَحَلاَّهُ، لِيَحْفَظَ بِذَلِكَ دِينَ اللَّهِ، كَمَا جَعَلَ الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا، يَقْصِدُونَهُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، وَيَتَحَمَّلُونَ فِيهِ أُمُورًا مُؤْلِمَةً تَحْصُلُ فِي الطَّرِيقِ، وَكَمَا حَبَّبَ إِلَيهِمُ الْجِهَادَ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ، حِكْمَةً مِنَ اللَّهِ يَحْفَظُ بِهَا الدِّينَ، لِيَهْدِيَ الْمُهْتَدِينَ، وَيُظْهِرَ بِهِ الْهُدَى وَدِينَ الْحَقِّ، الَّذِي بَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ .

لِذَلِكَ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ الأُمَّةَ أَنْ يُبَلِّغَ عَنْهُ مَنْ شَهِدَ لِمَنْ غَابَ، وَدَعَا لِلْمُبَلِّغِينَ بِالدُّعَاءِ الْمُسْتَجَابِ، فَقَالَ :" **بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**" (١). وَقَالَ ﷺ فِي خُطْبَتِهِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : "**أَلا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ** " (٢) .

وَقَالَ ﷺ :" **نَضَّرَ اللَّهُ امْرَءًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَبَلَّغَهُ إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرُ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ؛ ثَلاثٌ لا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ : إِخْلاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلاةِ الأَمْرِ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ** " (٣). وَفِي هَذَا دُعَاءٌ مِنْهُ ﷺ لِمَنْ بَلَّغَ حَدِيثَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَقِيهًا، وَدُعَاءٌ لِمَنْ بَلَّغَهُ وَإِنْ كَانَ الْمُسْتَمِعُ أَفْقَهَ مِنَ الْمُبَلِّغِ؛ لِمَا أُعْطِيَ الْمُبَلِّغُونَ مِنَ النَّضْرَةِ لِدَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ، لأَنَّهُمْ فِي مَقَامِ الصَّحَابَةِ فِي التَّبْلِيغِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (٤) .

فَامْتِثَالاً لِهَذَا الأَمْرِ الْعَظِيمِ مِنَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ، ورَجَاءَ تَحْصِيلِ دَعْوَتِهِ بِنَضَارَةِ الْوَجْهِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ لِمَنْ سَمِعَ مِنْهُ حَدِيثاً فَبَلَّغَهُ إِلى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهُ، ورَجَاءً فِي قِيَامِ

---

(١) رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو (٣٤٦١) .

(٢) رواه البخاري بنحوه عن أبي بكرة (٧٤٤٧،٥٥٥٠،١٠٥،٦٧) ومسلم (٤٤٧٧) .

(٣) رواه الترمذي في سننه عن ابن مسعود (٢٦٥٨) وقال: حديث حسن صحيح . وروي بعِدَّةِ ألفاظٍ عن عِدَّةٍ من الصحابة بأسانيد صحيحة . وانظر «إتحاف السادة المبلغين» ص (١٨٣) .

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية باختصار وتصرف يسيرين (١/١٠،١٢) .

www.saida-islam.weebly.com

الأُمَّةِ بِالْعَودَةِ إِلى مَا كَانَ عَلَيهِ سَلَفُهَا مِنْ حَمْلِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ، وَالانْطِلاقِ بِهَا إِلى الْبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ؛ فَقَدْ قُمْتُ بِعَونِ اللهِ وتَوفِيقِهِ بِجَمْعِ أَرْبَعِينَ حَدِيثاً فِي فَضَائِلِ هَذِهِ الأُمَّةِ الْمُبَارَكَةِ، ومَا خَصَّهَا اللهُ بِهِ مِنَ الْخَصَائِصِ، ومَا مَيَّزَهَا بِهِ مِنَ الْمَيِّزَاتِ الْجَلِيلَةِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، ثُمَّ قُمْتُ بِشَرْحِهَا مُعْتَمِداً فِي ذَلِكَ عَلَى شُرُوحَاتِ الأَئِمَّةِ الأَعْلامِ، مَعَ الاهْتِمَامِ بِذِكْرِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْحَدِيثِ مِنَ الأَحَادِيثِ الَّتِيْ تُبَيِّنُهُ، والآثَارِ الَّتِيْ تُفَسِّرُهُ، وأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ الَّتِيْ تَزِيدُهُ وُضُوحاً؛ كَمَا قُمْتُ بِتَخْرِيجِ الأَحَادِيثِ والآثَارِ الْوَارِدَةِ فِي الْكِتَابِ، وعَزَوْتُ الْكَلِمَاتِ إِلى أَصْحَابِهَا، والأَقْوَالَ إِلى أَرْبَابِهَا .

وَالصَّوَابُ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَحْدَهُ، وَهُوَ الْمَانُّ بِهِ، وَمَا كَانَ فِيْهِ مِنْ خَطَإٍ فَمِنْ نَفْسِيْ وَالشَّيْطَانِ، وَاللهُ بَرِيْءٌ مِنْهُ وَرَسُولُهُ، وَلَمْ آلُ جُهْدَ الإِصَابَةِ، وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يَنْفَرِدَ بِالْكَمَالِ، كَمَا قِيْلَ :

وَالنَّقْصُ فِيْ أَصْلِ الطَّبِيْعَةِ كَامِنٌ فَبَنُو الطَّبِيْعَةِ نَقْصُهُمْ لا يُجْحَدُ

وَكَيْفَ يُعْصَمُ مِنَ الْخَطَإِ مَنْ خُلِقَ ظَلُوماً جَهُولاً ؟! وَلَكِنْ مَنْ عُدَّتْ غَلَطَاتُهُ أَقْرَبُ إِلى الصَّوَابِ مِمَّنْ عُدَّتْ إِصَابَاتُهُ [1] .

واللهَ أَسْأَلُ أَنْ يُوْزِعَنَا شُكْرَ نِعْمَتِهِ، وَأَنْ يُوَفِّقَنَا لأَدَاءِ حَقِّهِ، وَأَنْ يُعِيْنَنَا عَلَى ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ وَإِلى دِيْنِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَ مَا قَصَدْنَا بِهِ فِيْ هَذَا الْكِتَابِ وَفِيْ غَيْرِهِ خَالِصاً لِوَجْهِهِ الْكَرِيْمِ، وَنَصِيحَةً لِعِبَادِهِ، وَأَنْ يُعِيْذَنَا مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، وَأَنْ يُوَفِّقَنَا لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، إِنَّهُ قَرِيْبٌ مُجِيْبٌ؛ وَعَلَى اللهِ اعْتِمَادِيْ، وَإِلَيْهِ تَفْوِيْضِيْ وَاسْتِنَادِيْ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَالنِّعْمَةُ، وَبِهِ التَّوْفِيْقُ وَالْعِصْمَةُ .

*****

(١) «مدارج السالكين» (٣/٤١٠) .

www.saida-islam.weebly.com

www.saida-islam.weebly.com

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ الأَوَّلُ

خَيرِيَّةُ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى بَاقِي الأُمَمِ بِقِيَامِهَا بِالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهيِ عَنِ الْمنكَرِ

عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] قَالَ: " إِنَّكُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ ﷻ " [١].

قَولُهُ ﷻ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قَالَ أَبُو هُرَيرَةَ ﷺ: " **خَيرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ، تَأْتُونَ بِهِم فِي السَّلاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِم حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإِسْلامِ**" [٢]. فَبَيَّنَ ﷻ أَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ خَيْرُ الأُمَمِ لِلنَّاسِ: فَهُمْ أَنْفَعُهُمْ لَهُمْ، وَأَعْظَمُهُمْ إِحْسَانًا إِلَيْهِمْ؛ لأَنَّهُمْ كَمَّلُوا أَمْرَ النَّاسِ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ جِهَةِ الصِّفَةِ وَالْقَدْرِ، حَيْثُ أَمَرُوا بِكُلِّ مَعْرُوفٍ، وَنَهَوْا عَنْ كُلِّ مُنْكَرٍ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَأَقَامُوا ذَلِكَ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَهَذَا كَمَالُ النَّفْعِ لِلْخَلْقِ [٣].

وقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: " **لَوْ شَاءَ اللَّهُ ﷻ تَعَالى لَقَالَ: أَنْتُمْ، فَكُنَّا كُلُّنَا، ولَكِنْ قَالَ: ﴿ كُنتُمْ ﴾، فِي خَاصَّةِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، ومَنْ صَنَعَ صَنِيعَهُمْ؛ كَانُوا خَيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** " [٤]. وقَرَأَ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] ثُمَّ قَالَ: " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تِلْكَ الأُمَّةِ، فَلْيُؤَدِّ شَرْطَ**

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٣٠٠١) وقال : حديث حسن . والحاكم في المستدرك (٦٩٨٧) وقال : حديث صحيح ووافقه الذهبي . ورواه أحمد بمعناه عن أبي سعيد الخدري (١١٥٨٧) .

(٢) رواه البخاري (٤٥٥٧) .

(٣) «مجموع الفتاوي لابن تيمية» (١٢٣/٢٨) .

(٤) «تفسير ابن أبي حاتم» (٤٠٢٠) .

www.saida-islam.weebly.com

اللَّهُ مِنْهَا" [١]. أَيْ شَرْطَ اللَّهُ الَّذِي طَلَبَهُ فِيهَا . وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الآيَةِ :" لَمْ تَكُنْ أُمَّةٌ أَكْثَرَ اسْتِجَابَةً فِي الإِسْلامِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، فَمِنْ ثَمَّ قَالَ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [٢]. وقَالَ عِكْرِمَةُ رحمه الله في هَذِهِ الآيَةِ :" لَمْ تَكُنْ أُمَّةٌ دَخَلَ فِيهَا مِنْ أَصْنَافِ النَّاسِ غَيرَ هَذِهِ الأُمَّةِ " [٣]. وعَنْ عَطِيَّةَ الْعُوفِيِّ رحمه الله قَالَ :﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ قَالَ :" خَيرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ، شَهِدْتُمْ لِلنَّبِيِّينَ الَّذِينَ كَفَرَ بِهِمْ قَومُهُم بِالْبَلاغِ " [٤]. وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَولِهِ ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ يَقُولُ : "تَأْمُرُونَهُم أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، والإِقْرَارِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، ويُقَاتِلُونَ عَلَيهِ، ولا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ أَعْظَمُ الْمَعْرُوفِ" [٥]. وقَالَ رضي الله عنهما فِي قَولِهِ ﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ "الْمُنْكَرُ : هُوَ التَّكْذِيبُ، وهُوَ أَنْكَرُ الْمُنْكَرِ " [٦] .

وأَصْلُ الْمَعْرُوفِ : كُلُّ مَا كَانَ مَعْرُوفاً فِعْلُهُ، جَمِيلاً مُسْتَحْسَناً، غَيرَ مُسْتَقْبَحٍ فِي أَهْلِ الإِيْمَانِ بِاللهِ. وإِنَّمَا سُمِّيَتْ طَاعَةُ اللَّهُ مَعْرُوفاً، لأَنَّهُ مِمَّا يَعْرِفُهُ أَهْلُ الإِيْمَانِ ولا يَسْتَنْكِرُونَ فِعْلَهُ .

وأَصْلُ الْمُنكَرِ : مَا أَنْكَرَهُ اللَّهُ، ورَآهُ قَبِيحاً فِعْلُهُ، ولِذَلِكَ سُمِّيَتْ مَعْصِيَةُ اللَّهُ مُنْكَراً، لأَنَّ أَهْلَ الإِيْمَانِ بِاللهِ يَسْتَنْكِرُونَ فِعْلَهَا، ويَسْتَعْظِمُونَ رُكُوبَهَا [٧] .

قَولُهُ سبحانه وتعالى : ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ إِنْ قِيلَ: لِمَ قَدَّمَ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى الإِيْمَانِ بِاللهِ سبحانه وتعالى فِي الذِّكْرِ، مَعَ أَنَّ

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره عن قتادة (٧٦١٢) .

(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (٤٠٢٣) .

(٣) المصدر السابق (٤٠٢٦) .

(٤) المصدر السابق (٤٠٢٥) .

(٥) المصدر السابق (٤٠٢٧) .

(٦) المصدر السابق (٤٠٢٨) و«تفسير الطبري» (٧٦٢٤) .

(٧) «تفسير الطبري» (٤/٦٠) .

www.saida-islam.weebly.com

الإِيْمَانَ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مُقَدَّماً عَلَى كُلِّ الطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ ؟ قُلْتُ : الإِيْمَانُ بِاللهِ أَمْرٌ يَشْتَرِكُ فِيهِ جَمِيعُ الأُمَمِ الْمُؤْمِنَةِ، وإِنَّمَا فُضِّلَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ الإِسْلامِيَّةُ بِالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى سَائِرِ الأُمَمِ، وإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، كَانَ الْمُؤَثِّرُ فِي هَذِهِ الْخَيْرِيَّةِ هُوَ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وأَمَّا الإِيْمَانُ بِاللهِ فَهُوَ شَرْطٌ فِي هَذَا الْحُكْمِ، لأَنَّهُ مَا لَمْ يُوجَدِ الإِيْمَانُ، لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنَ الطَّاعَاتِ مَقْبُولاً؛ فَثَبَتَ أَنَّ الْمُوجِبَ لِهَذِهِ الْخَيْرِيَّةِ لِهَذِهِ الأُمَّةِ هُوَ كَوْنُهُم آمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ، نَاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلِهَذَا السَّبَبِ حَسُنَ تَقْدِيْمُ ذِكْرِ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى ذِكْرِ الإِيْمَانِ [١]. وهَذَا الْعَمَلُ مِنْ مَزَايَا هَذِهِ الأُمَّةِ، ويَظْهَرُ مِنْ وُجُوبِ الاهْتِمَامِ بِهِ، وبَذْلِ الْعِنَايَةِ الْخَاصَّةِ بِهِ؛ فَلَيسَ الْقِيَامُ بِالتَّبْلِيغِ بِصُورَةٍ سَطْحِيَّةٍ عَاجِلَةٍ مُفِيداً وكَافِياً، لأَنَّهُ بِهَذَا الْمُسْتَوَى كَانَ مَوْجُوداً فِي الأُمَمِ السَّابِقَةِ أَيْضاً، كَمَا يَظْهَرُ مِنْ آيَةِ : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ [الأعراف:١٦٥]، ومِنْ غَيرِهَا مِنَ الآيَاتِ، فَمَيِّزَةُ الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ مُرْتَبِطَةٌ بِعِنَايَتِهَا الْخَاصَّةِ بِهَذَا الْعَمَلِ، وهُوَ أَنْ يُتَّخَذَ عَمَلاً دَائِماً، ويُشْتَغَلَ فِيهِ كَمَا يُشْتَغَلُ فِي غَيرِهِ مِنَ الأَعْمَالِ الدِّيْنِيَّةِ الأُخْرَى[٢]؛ بَلْ ويُقَدِّمُهُ عَلَى غَيرِهِ مِنَ الأَعْمَالِ .

قوله: (إِنَّكُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً) أَيْ يَتِمُّ الْعَدَدُ بِكُمْ سَبْعِينَ، ويَحْتَمِلُ أَنَّهُ لِلتَّكْثِيرِ [٣] .

قوله: (أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ) يَظْهَرُ هَذَا الإِكْرَامُ فِي أَعْمَالِهِم، وأَخْلاقِهِم، وتَوحِيدِهِم، ومَنَازِلِهِم فِي الْجَنَّةِ، ومَقَامِهِم فِي الْمَوْقِفِ، ووُقُوفِهِم عَلَى تَلٍّ، يُشْرِفُونَ عَلَيهِمْ إِلَى غَيرِ ذَلِكَ؛ ومِمَّا فُضِّلُوا بِهِ الذَّكَاءُ وقُوَّةُ الْفَهْمِ، ودِقَّةُ النَّظَرِ، وحُسْنُ الاسْتِنْبَاطِ؛ فَإِنَّهُم أُوْتُوا مِنْ ذَلِكَ مَا لَمْ يَنَلْهُ أَحَدٌ مِمَّنْ قَبْلَهُم؛ أَلاَ تَرَى إِلَى بَنِيْ إِسْرَائِيلَ، عَايَنُوا الآيَاتِ الْمُلْجِئَةَ إِلَى الْعِلْمِ بِوُجُودِ الصَّانِعِ الْحَكِيمِ، وتَصْدِيقِ الْكَلِيمِ، كَانْفِجَارِ الْبَحْرِ، ونَتْقِ الْجَبَلِ وغَيرِ ذَلِكَ، ثُمَّ اتَّخَذُوا بَعْدَهُ الْعِجْلَ، وقَالُوا : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ

(١) «تفسير الخازن» (١/٤٠٣) وانظر «تفسير الرازي» (٨/١٥٧) .

(٢) «فضائل الدعوة إلى اللهﷻ» للعلاَّمة محمد زكريا الكاندهلوي . ص (٥٥) .

(٣) «التيسير بشرح الجامع الصغير» للمناوي (١/٧٢١) .

www.saida-islam.weebly.com

جَهْـرَةً ﴾، ومَا تَوَاتَرَ مِنْ مُعْجِزَاتِ الْمُصْطَفَى ﷺ أُمُورٌ نَظَرِيَّةٌ، كَالْقُرْآنِ، وَالتَّحَدِّيْ بِهِ، وَالْفَضَائِلِ الْمُجْتَمِعَةِ فِيهِ، الشَّاهِدَةِ بِنُبُوَّتِهِ دَقِيقَةٌ، يُدْرِكُهَا الأَذْكِيَاءُ [١] .

مَعْنَى الْحَدِيْثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ خَيْرِيَّةَ هَذِهِ الأُمَّةِ وأَفْضَلِيَّتَهَا عَلَى بَاقِيْ الأُمَمِ، وأَنَّهَا أَكْرَمُ الأُمَمِ عَلَى اللهِ ﷻ، كَمَا أَفَادَتِ الآيَةُ الْكَرِيْمَةُ أَنَّهَا إِنَّمَا حَازَتْ هَذِهِ الْخَيْرِيَّةَ لِقِيَامِهَا بِوَظِيفَةِ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، والدَّعْوَةِ إِلى اللهِ ﷻ، بِخِلافِ الْمُنَافِقِينَ، الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، ويَدْعُونَ إِلى غَيرِهِ؛ قَالَ ﷻ : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة:٦٧]، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة :٧١]؛ قَالَ الْقُرطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ : فَجَعَلَ اللهُ ﷻ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَرْقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ أَخَصَّ أَوْصَافِ الْمُؤْمِنِينَ الأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، ورَأْسُهَا الدُّعَاءُ إِلى الإِسْلامِ [٢] .

كَمَا أَنَّ اللهَ ﷻ وَصَفَ الأُمَّةَ الإِسْلامِيَّةَ بِمَا وَصَفَ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ ﷻ : ﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف:٥٧]؛ كَمَا أَنَّهُ ﷻ أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّداً ﷺ إِلى النَّاسِ جَمِيعاً، كَمَا قَالَ : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ورِسَالَتُهُ ﷺ بَاقِيَةٌ إِلى يَومِ الدِّينِ، ومَقْصَدُهَا هِدَايَةُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ،

---

(١) «فيض القدير» (٢/٥٥٣) .

(٢) «تفسير القرطبي» (٤ / ٤٤) .

www.saida-islam.weebly.com

لِيَفُوزُوا بالسَّعَادَةِ في الدَّارَين، ولِهَذَا كَانَتْ رِسَالَتُهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وقَدْ بَلَّغَ ﷺ رِسَالَةَ رَبِّهِ، ومَضَى إلى جِوَارِ رَبِّهِ الْكَرِيْمِ رَاضِياً مَرْضِيّاً، فَكَانَ لا بُدَّ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ النُّهُوضِ بَعْدَهُ وتَبْلِيغِ دَعْوَةِ الإِسْلامِ إلى أَهْلِ الأَرْضِ، لِيَهْدُوهُم، ويُخْرِجُوهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ، فَهُمْ شُهَدَاءُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، ونُوَّابُ نَبِيِّهِ ﷺ في تَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ إِلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِهِ [١] .

فَعِمَادُ حَيَاةِ الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ وَالْقُطْبُ الأَعْظَمُ الَّذِي يَدُورُ حَوْلَ نَشَاطِهَا وَحَيَاتِهَا وَجِدِّهَا وَكِفَاحِهَا هُوَ الدَّعْوَةُ إلى اللهِ، وَتَبْلِيْغُ أَحْكَامِهِ وَرِسَالاتِهِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَكَانَ هَذَا الْعَمَلُ بَيْنَ أَعْمَالِ الأُمَّةِ وَأَخْلاقِهَا وَسِمَاتِهَا- وَهِيَ كَثِيْرَةٌ ومُهِمَّةٌ - هُوَ الْمَكَانَ الرَّئِيْسِيَّ وَالأَسَاسِيَّ، فَهِيَ الْغَايَةُ الَّتِي خُلِقَتْ لأَجْلِهَا، وَبُعِثَتْ لِمَصْلَحَتِهَا، وَقَدْ قَالَ اللهُ سبحانه وتعالى : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠]، وَقَدْ فَتَحَتْ هَذِهِ الآيَةُ الْكَرِيْمَةُ نَافِذَةً عَظِيْمَةً مُنِيْرَةً، كَانَتْ مُسْدُودَةً فِي مَعْرِفَةِ طَبَائِعِ الأُمَمِ، وَالاطِّلاعِ عَلَى مَزِيَّةِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَيْنِ شُعُوبِ الْعَالَمِ، وَأَثَارَتْ عِلْماً دَفِيْناً، وَكَنْزاً مَطْمُوراً، وَأَحْدَثَتِ انْقِلاباً فِي النَّظْرَةِ إلى هَذِهِ الأُمَّةِ وَمَرْكَزِهَا وَقِيْمَتِهَا، وَهُوَ أَنَّ ظُهُورَ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى مِنَصَّةِ الْعَالَمِ وَمَسْرَحِ التَّارِيْخِ وَالأُمَمِ، لَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ ظُهُورِ مَجْمُوعَةٍ بَشَرِيَّةٍ أَوْ كُتْلَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ، وَلَمْ تَكُنْ مَوْجَةً مِنْ مَوْجَاتِ الْبَشَرِيَّةِ الْكَثِيْرَةِ، إِنَّهُ لَيْسَ خُرُوجاً كَخُرُوجِ سَائِرِ الأُمَمِ، إِنَّمَا هُوَ إِخْرَاجٌ تُسَيْطِرُ عَلَيْهِ الْحِكْمَةُ الإِلَهِيَّةُ، وَثَمَرَةُ إِرَادَةِ اللهِ الْقَاهِرِ، إِنَّمَا هُوَ تَغْيِيرٌ لَمْ يُسْتَخْدَمْ إِلاَّ فِي قَضَايَا الأَنْبِيَاءِ الْمُكْرَمِيْنَ وَعِبَادِ اللهِ الْمُرْسَلِيْنَ، وَإِنْ كَانَ يُفَسَّرُ بِشَيْءٍ فَإِنَّهُ يُفَسَّرُ بِلَفْظِ الإِرْسَالِ وَالْبِعْثَةِ، وَقَدْ جَاءَ الْحَدِيْثُ الصَّحِيْحُ يُفَسِّرُهُ، فَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ مُخَاطِباً أَصْحَابَهُ :" **إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِيْنَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِيْنَ** " [٢] .

---

(١) «أصول الدعوة» للدكتور عبد الكريم زيدان بتصرف يسير . ص (٣٠٧-٣١٨) .

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة برقم (٢٢٠)، (٦١٢٨) .

www.saida-islam.weebly.com

فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ هِيَ مَقْصُودَةٌ مُهَيَّأَةٌ، مَأْمُورَةٌ مُبْتَعَثَةٌ، كَمَا قَالَ رِبْعِيُّ بْنُ عَامِرٍ رضي الله عنه فِي مَجْلِسِ مَلِكِ الْفُرْسِ مُبَيِّناً مَقْصُودَ خُرُوجِهِمْ :" **اللهُ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ العِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَمِنْ ضِيْقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعَةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمِنْ جَوْرِ الأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الإِسْلامِ** " (١) .

وذَلِكَ كُلُّهُ لأَنَّ اللهَ عزوجل قَلَّدَ هَذِهِ الأُمَّةَ نِيَابَةَ نَبِيِّهَا الْخَاتَمِ فِي تَبْلِيغِ آخِرِ الأَدْيَانِ، وخَاتِمَةِ الرِّسَالاتِ، وشَرَعَ لَهَا مَا شَرَعَ لأُوْلِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، مِنْ إِقَامَةِ الدِّيْنِ الَّذِي ارْتَضَاهُ عزوجل لِلْعِبَادِ، والدَّعْوَةِ إِلَيهِ، فَقَالَ سبحانه وتعالى : ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ** ﴾ [الشورى:١٣] .

فَبَقَاءُ الإِنْسَانِيَّةِ بِبَقَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَبَقَاءُ هَذِهِ الأُمَّةِ بِبَقَاءِ هَذِهِ الصِّفَةِ الدَّعَوِيَّةِ وَالْمَرْكَزِ الإِبْلاغِيِّ، وَبِمُحَافَظَتِهَا عَلَى فَرِيْضَتِهَا الأَسَاسِيَّةِ وَنَشَاطِهَا فِي مَجَالِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ، وَتَبْلِيغِ رِسَالاتِهِ الَّتِي حَمَلَتْهَا عَنْ نَبِيِّهَا ﷺ، فَإِذَا فَقَدَتْ هَذِهِ الصِّفَةَ، وَأَصْبَحَتْ مَغْمُورَةً مَطْمُورَةً، ضَاعَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ وَتَحَلَّلَتْ، وَأَشْرَفَتِ الدُّنْيَا كُلُّهَا عَلَى خَطَرٍ، وَتَعَرَّضَتِ الإِنْسَانِيَّةُ لِلتَّلَفِ، وَصَارَتِ الْمَدَنِيَّةُ كُلُّهَا جِسْماً بِلا رُوْحٍ وَلَفْظاً بِلا مَعْنَى .

وَقَدِ اسْتَقَامَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ وَسَارَتْ سَيْرَهَا الطَّبِيْعِيَّ، وَاسْتَقَامَتِ الأُمُورُ، وَسَلِمَتِ الْبَشَرِيَّةُ مَا دَامَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ مُحَافِظَةً عَلَى غَايَتِهَا وَرِسَالَتِهَا، قَوِيَّةً نَشِيْطَةً فِي أَمْرِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ، وَالْحِسْبَةِ عَلَى النَّاسِ وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، تَبْذُلُ فِي سَبِيْلِ ذَلِكَ أَمْوَالَهَا وَتُضَحِّي بِكُلِّ غَالٍ وَنَفِيْسٍ لإِعْلاءِ كَلِمَةِ اللهِ، وَكَانَ إِخْلالُهَا بِهَذَا الْوَاجِبِ وَتَقْوِيْضُهَا لِهَذَا الرُّكْنِ الرَّكِيْنِ ثَوْرَةً عَلَى طَبِيْعَتِهَا، وَانْحِرَافاً عَنْ جَادَّتِهَا، وَجِنَايَةً عَلَى الْبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ، تَبِعَتُهَا أَمْرَاضٌ وَعِلَلٌ وَاخْتِلالٌ وَاضْطِرَابَاتٌ يُشَاهِدُهَا الإِنْسَانُ، يَذُوقُ

(١) «تاريخ الطبري» (٥١٨/٣) و«البداية والنهاية» لابن كثير (٣٩/٧) .

www.saida-islam.weebly.com

سُمُومَهَا فِي كُلِّ مَجَالٍ مِنْ مَجَالاتِ الْحَيَاةِ، وفِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ، وَلا سَبِيْلَ إِلى إِعَادَةِ الأُمُورِ إِلى نِصَابِهَا، وَدُخُولِ الْبُيُوتِ مِنْ أَبْوَابِهَا، إِلاَّ بِعَوْدَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلى أَدَاءِ وَاجِبِهَا، وَإِلى سِيْرَتِهَا الأُوْلَى مِنْ أَمْرِ الدَّعْوَةِ إِلى اللهِ، وَتَبْلِيْغِ رِسَالاتِ اللهِ، وَالْقِيَامِ بِالْقِسْطِ وَالشَّهَادَةِ للهِ، والحِسْبَةِ عَلَى الأَخْلاقِ وَالأَعْمَالِ، وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَالتَّوَاصِي بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ [١] .

وقَالَ الإِمَامُ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللهُ :" إِنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ هُوَ الْقُطْبُ الأَعْظَمُ فِي الدِّينِ، وهُوَ الْمُهِمُّ الَّذِي ابْتَعَثَ اللهُ لَهُ النَّبِيِّيْنَ أَجْمَعِيْنَ، وَلَوْ طُوِيَ بِسَاطُهُ وأُهْمِلَ عِلْمُهُ وعَمَلُهُ لَتَعَطَّلَتِ النُّبُوَّةُ، وَاضْمَحَلَّتِ الدِّيَانَةُ، وعَمَّتِ الْفَتْرَةُ، وفَشَتِ الضَّلالَةُ، وشَاعَتِ الْجَهَالَةُ، وَاسْتَشْرَى الْفَسَادُ، واتَّسَعَ الْخَرْقُ، وخَرِبَتِ الْبلادُ، وهَلَكَ الْعِبَادُ، ولَمْ يَشْعُرُوا بِالْهَلاكِ إِلاَّ يَوْمَ التَّنَادِ، وقَدْ كَانَ الَّذِي خِفْنَا أَنْ يَكُونَ، فَإِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، إِذْ قَدِ انْدَرَسَ مِنْ هَذَا الْقُطْبِ عَمَلُهُ وعِلْمُهُ، وَانْمَحَقَ بِالْكُلِّيَّةِ حَقِيقَتُهُ ورَسْمُهُ، فَاسْتَوْلَتْ عَلَى الْقُلُوبِ مُدَاهَنَةُ الخَلْقِ، وَانْمَحَقَتْ عَنهَا مُرَاقَبَةُ الخَالِقِ، وَاسْتَرْسَلَ النَّاسُ فِي اتِّبَاعِ الْهَوَى والشَّهَوَاتِ اسْتِرْسَالَ الْبَهَائِمِ، وعَزَّ عَلَى بِسَاطِ الأَرْضِ مُؤْمِنٌ صَادِقٌ لا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةُ لائِمٍ؛ فَمَنْ سَعَى فِي تَلافِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ، وسَدِّ هَذِهِ الثُّلْمَةِ، إِمَّا مُتَكَفِّلاً بِعَمَلِهَا، أَوْ مُتَقَلِّداً لِتَنْفِيْذِهَا مُجَدِّداً لِهَذِهِ السُّنَّةِ الدَّائِرَةِ، نَاهِضاً بِأَعْبَائِهَا، وَمُتَشَمِّراً فِي إِحْيَائِهَا، كَانَ مُسْتَأْثِراً مِنْ بَيْنِ الْخَلْقِ بِإِحْيَاءِ سُنَّةٍ أَفْضَى الزَّمَانُ إِلى إِمَاتَتِهَا، ومُسْتَبِدّاً بِقُرْبَةٍ تَتَضَاءَلُ دَرَجَاتُ الْقُرْبِ دُوْنَ ذِرْوَتِهَا " [٢] .

*****

(١) «فضائل الدعوة إلى الله » للكاندهلوي . ص (٨ – ٩) .

(٢) «إحياء علوم الدين» (٢/٤٣٢) .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ الثَّانِيْ

وَعْدُ اللهِ لِهَذِهِ الأُمَّةِ بِالتَّمكِينِ وَالاِسْتِخْلافِ فِي الأَرْضِ وحِفْظُهُ لَهَا مِنَ الْهَلاكِ الْعَامِّ

عَنْ ثَوبَان رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَإِنِّي أُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لا يَهْلِكُوا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَلا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُفْنِي بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا " [١] .

قوله: (إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ ...الحديث) أَيْ جَمَعَهَا لأَجْلِيْ، يُرِيدُ بِهِ تَقْرِيبَ الْبَعِيدِ مِنْهَا، حَتَّى اطَّلَعَ عَلَيهِ اطِّلاعَهُ عَلَى الْقَرِيبِ مِنْهَا؛ ثُمَّ هِيَ تُفْتَحُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ جُزْءاً فَجُزْءاً، حَتَّى يَصِلَ مُلْكُهَا إِلى كُلِّ أَجْزَائِهَا [٢]. وهَذَا الحَدِيثُ عَلَمٌ مِنْ أَعْلامِ نُبُوءَتِهِ ﷺ لِظُهُورِهِ كَمَا قَالَ، فَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِهِ اتَّسَعَ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ كَمَا أَخْبَرَ، مِنْ أَقْصَى بَحْرِ طَنْجَةَ ومُنْتَهَى عِمَارَةِ الْمَغْرِبِ، إِلى أَقْصَى الْمَشْرِقِ مِمَّا وَرَاءَ خُرَاسَانَ والنَّهْرِ، وكَثِيرٍ مِنْ بِلادِ الْهِنْدِ وَالسِّنْدِ وَالصَّغْدِ، ولَمْ يَتَّسِعْ ذَلِكَ الاِتِّسَاعَ مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ والشَّمَالِ الَّذِيْ لَمْ يَذْكُرْ ﷺ أَنَّهُ أُرِيَهُ، وأَنَّ مُلْكَ أُمَّتِهِ سَيَبْلُغُهُ [٣] .

قوله: (وَإِنِّي أُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ) ظَاهِرُهُ الذَّهَبُ والْفِضَّةُ، والأَشْبَهُ أَنَّهُ أَرَادَ كَنْزَ كِسْرَى وقَيْصَرَ وقُصُورَهُمَا وبِلادَهُمَا؛ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَولُهُ فِي الحَدِيثِ الآخَرِ

---

(١) رواه مسلم (٦٧١٤) .

(٢) «مرقاة المفاتيح» لِمُلاَّ علي القاري (٤٢٩/١٠) .

(٣) «إكمال المعلم شرح صحيح مسلم» للقاضي عياض (٢١٣/٨) .

www.saida-islam.weebly.com

عَنْهُمَا :" **ولَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ** " [١]. وقَولُهُ فِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ : "**لَتَفْتَحَنَّ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَنْزَ آلِ كِسْرَى الَّذِيْ بِالأَبْيَضِ** " [٢]. فَقَدْ بَانَ أَنَّ الْكَنْزَ الأَبْيَضَ هُوَ كَنْزُ كِسْرَى، ويَكُونُ الأَحْمَرُ كَنْزَ قَيْصَرَ . ويَدُلُّ عَلَيهِ مَا جَاءَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ فِي ذِكْرِ الشَّامِ :" **إِنِّيْ لأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ** " [٣]. وقَولُهُ :" **إِنِّيْ لأُبْصِرُ قَصْرَ الْمَدَائِنِ الأَبْيَضِ** " [٤] [٥]. فَالأَحْمَرُ مُلْكُ الشَّامِ، والأَبْيَضُ مُلْكُ فَارِسَ، وإِنَّمَا قَالَ لِفَارِسَ الأَبْيَضَ لِبَيَاضِ أَلْوَانِهِم، ولأَنَّ الْغَالِبَ عَلَى أَمْوَالِهِمُ الْفِضَّةُ، كَمَا أَنَّ الْغَالِبَ عَلَى أَلْوَانِ أَهْلِ الشَّامِ الْحُمْرَةُ، وعَلَى أَمْوَالِهِمُ الذَّهَبُ [٦] .

قوله: (**لا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ**) السَّنَةُ هِيَ الْقَحْطُ والْجَدْبُ، وإِنَّمَا جَرَتِ الدَّعْوَةُ بِأَنْ لا تَعُمَّهُمُ السَّنَةُ كَافَّةً، فَيَهْلِكُوا عَنْ آخِرِهِم، فَأَمَّا أَنْ يُجْدِبَ قَومٌ ويُخْصِبَ قَومٌ آخَرُونَ، فَإِنَّهُ خَارِجٌ عَمَّا جَرَتْ بِهِ الدَّعْوَةُ، وقَدْ رَأَيْنَا الْجَدْبَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبُلْدَانِ، وكَانَ عَامُ الرَّمَادَةِ فِي زَمَانِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه، ووَقَعَ الْغَلاءُ بِالْبَصْرَةِ أَيَّامَ زِيَادٍ، وَوَقَعَ بِبَغْدَادَ الْغَلاءُ، فَهَلَكَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الجُوعِ، إِلاَّ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ عَلَى سَبِيلِ الْعُمُومِ وَالاسْتِيعَابِ لِكَافَّةِ الأُمَّةِ، فَلَمْ يَكُنْ فِي شَيْءٍ مِنْهَا خُلْفُ الْخَبَرِ [٧] .

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة (٣١٢٠)، (٣٦١٨) ومسلم (٧٥١١) ورواه البخاري عن جابر بن سمرة (٣١٢١)، (٦٦٢٩) ومسلم (٧٥١٤) .

(٢) رواه مسلم عن جابر بن سمرة (٧٥١٥) .

(٣) رواه أحمد في مسنده عن البراء بن عازب (١٨٦٩٤) وأبو يعلى في مسنده (١٦٨٥) وقال الهيثمي في المجمع : فيه ميمون أبو عبد الله وثَّقَهُ ابن حبان وضَعَّفَهُ جماعة، وبقيَّة رجاله ثقات . وأخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٨٨٥٨) وحَسَّنَهُ الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٤٩٦/٧) .

(٤) المصدر السابق .

(٥) «إكمال المعلم» للقاضي عياض (٢١٣/٨) .

(٦) «النهاية لابن الأثير» (٤٥١/١) .

(٧) «معالم السنن» للخطابي (١٧٣/٣) .

www.saida-islam.weebly.com

قوله: (فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ) أَيْ مُجْتَمَعَهُم ومَوْضِعَ سُلْطَانِهم ومُسْتَقَرَّ دَعْوَتِهم، أَيْ يَجْعَلَهُم لَهُ مُبَاحاً، لا تَبِعَةَ عَلَيهِ فِيهِم، ويَسْبِيهِم ويَنْهَبُهُم؛ وبَيْضَةُ الدَّارِ: وَسَطُهَا ومُعْظَمُهَا؛ أَرَادَ عَدُوّاً يَسْتَأْصِلُهُم ويُهْلِكُهُم جَمِيعَهُمْ (١) .

قوله: (وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا) أَيْ لَو اجْتَمَعَ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ أَعْدَاؤُهَا مِنْ جَمِيعِ بِلادِ الأَرْضِ .

مَعْنَى الْحَدِيثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ اللَّهَ وَجَلَّ جَمَعَ مَشَارِقَ الأَرْضِ ومَغَارِبَهَا، وأَطْلَعَهُ عَلَيهَا، وبَيَّنَ لَهُ أَنَّ مُلْكَ أُمَّتِهِ سَيَبْلُغُ مَا أُرِيَهُ مِنْهَا، كَمَا أَنَّ اللَّهَ وَجَلَّ سَيُمَكِّنُ لَهُ ولأُمَّتِهِ فِي الأَرْضِ، ويُجْعَلُهُمُ الْخُلَفَاءَ الْوَارِثِينَ، ويُظْهِرُهُم عَلَى غَيرِهِم مِنَ الْمَمَالِكِ، وذَلِكَ بِسَبَبِ قِيَامِهِم بِنُصْرَةِ دِينِهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور : ٥٥] . قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : هَذَا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِرَسُولِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، بِأَنَّهُ سَيَجْعَلُ أُمَّتَهُ خُلَفَاءَ الأَرْضِ، أَيْ أَئِمَّةَ النَّاسِ، والْوُلاةَ عَلَيهِم، وبِهِم تَصْلُحُ الْبِلادُ، وتَخْضَعُ لَهُمُ الْعِبَادُ، ولَيُبَدِّلَنَّهُم مِنْ بَعدِ خَوفِهِم مِنَ النَّاسِ أَمْناً وحُكْماً فِيهِم، وقَدْ فَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، فَإِنَّهُ ﷺ لَمْ يَمُتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيهِ مَكَّةَ وخَيبَرَ والْبَحْرَينِ، وسَائِرَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وأَرْضَ الْيَمَنِ بِكَامِلِهَا، وأَخَذَ الجِزْيَةَ مِنْ مَجُوسِ هَجَرَ، ومِنْ بَعْضِ أَطْرَافِ الشَّامِ، وهَادَاهُ هِرَقْلُ مَلِكُ الرُّومِ، وصَاحِبُ مِصْرَ والإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وهُوَ الْمُقَوْقِسُ، ومُلُوكُ عُمَانَ، والنَّجَاشِيُّ مَلِكُ الحَبَشَةِ الَّذِي تَمَلَّكَ بَعْدَ أَصْحَمَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاخْتَارَ اللَّهُ لَهُ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ، قَامَ بِالأَمْرِ بَعْدَهُ خَلِيفَتُهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّ شَعْثَ مَا وَهِيَ بَعْدَ مَوْتِهِ ﷺ، وأَطَّدَ جَزِيرَةَ

(١) «مرقاة المفاتيح» (١٠/٤٢٩) .

www.saida-islam.weebly.com

الْعَرَبِ ومَهَّدَهَا، وبَعَثَ جُيُوشَ الإِسْلامِ إِلى بِلادِ فَارِسَ، صُحْبَةَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ﷺ، فَفَتَحُوا طَرَفاً مِنْهَا، وقَتَلُوا خَلْقاً مِنْ أَهْلِهَا، وجَيْشاً آخَرَ صُحْبَةَ أَبِي عُبَيْدَةَ ﷺ ومَنِ اتَّبَعَهُ مِنَ الأُمَرَاءِ إِلى أَرْضِ الشَّامِ، وثَالِثاً صُحْبَةَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ إِلى بِلادِ مِصْرَ، فَفَتَحَ اللَّهُ لِلْجَيْشِ الشَّامِيِّ في أَيَّامِهِ بُصْرَى ودِمَشْقَ ومَخَالِيفَهُمَا مِنْ بِلادِ حَوْرَانَ ومَا وَالاهَا، وتَوَفَّاهُ اللَّهُ ﷻ، واخْتَارَ لَهُ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ .

ومَنَّ عَلَى أَهْلِ الإِسْلامِ بِأَنْ أَلْهَمَ الصِّدِّيقَ أَنْ يَسْتَخْلِفَ عُمَرَ الْفَارُوقَ ﷺ، فَقَامَ بِالأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ قِيَاماً تَامّاً، لَمْ تَدُرِ الْفُلْكُ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ عَلَى مِثْلِهِ في قُوَّةِ سِيرَتِهِ وكَمَالِ عَدْلِهِ، وتَمَّ في أَيَّامِهِ فَتْحُ الْبِلادِ الشَّامِيَّةِ بِكَامِلِهَا، ودِيَارِ مِصْرَ إِلى آخِرِهَا، وأَكْثَرِ إِقْلِيمِ فَارِسَ، وكَسَّرَ كِسْرَى وأَهَانَهُ غَايَةَ الْهَوَانِ، وتَقَهْقَرَ إِلى أَقْصَى مَمْلَكَتِهِ، وقَصَّرَ قَيْصَرَ، وَانْتَزَعَ يَدَهُ عَنْ بِلادِ الشَّامِ، وَانْحَدَرَ إِلى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وأَنْفَقَ أَمْوَالَهُمَا في سَبِيلِ اللَّهِ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ ووَعَدَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيهِ مِنْ رَبِّهِ أَتَمُّ سَلامٍ، وأَزْكَى صَلاةٍ .

ثُمَّ لَمَّا كَانَتِ الدَّوْلَةُ الْعُثْمَانِيَّةُ امْتَدَّتِ الْمَمَالِكُ الإِسْلامِيَّةُ إِلى أَقْصَى مَشَارِقِ الأَرْضِ ومَغَارِبِهَا، فَفُتِحَتْ بِلادُ الْمَغْرِبِ إِلى أَقْصَى مَا هُنَالِكَ : الأَنْدَلُسُ وقُبْرُصُ وبِلادُ الْقَيْرَوَانِ، وبِلادُ سَبْتَةَ مِمَّا يَلِيْ الْبَحْرَ الْمُحِيطَ، ومِنْ نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ إِلى أَقْصَى بِلادِ الصِّيْنِ، وقُتِلَ كِسْرَى وبَادَ مُلْكُهُ بِالْكُلِّيَّةِ، وفُتِحَتْ مَدَائِنُ الْعِرَاقِ وخُرَاسَانَ وَالأَهْوَازِ، وقَتَلَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ التُّرْكِ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً جِدّاً، وخَذَلَ اللَّهُ مَلِكَهُمُ الأَعْظَمَ خَاقَانَ، وجُبِيَ الْخَرَاجُ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِلى حَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ، وذَلِكَ بِبَرَكَةِ تِلاوَتِهِ ودِرَاسَتِهِ وجَمْعِهِ الأُمَّةَ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ، ولِهَذَا ثَبَتَ في الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" **إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا** " .

فَالصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ لَمَّا كَانُوا أَقْوَمَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِأَوَامِرِ اللَّهِ ﷻ، وأَطْوَعَهُمْ للهِ، كَانَ نَصْرُهُم بِحَسَبِهِم، وأَظْهَرُوا كَلِمَةَ اللَّهِ في الْمَشَارِقِ والْمَغَارِبِ،

www.saida-islam.weebly.com

وأَيَّدَهُمْ تَأْيِيْداً عَظِيماً، وحَكَمُوا في سَائِرِ الْعِبَادِ وَالْبِلادِ، ولَمَّا قَصَّرَ النَّاسُ بَعْدَهُم في بَعْضِ الأَوَامِرِ نَقَصَ ظُهُورُهُمْ بِحَسَبِهِمْ، ولَكِنْ قَدْ ثَبَتَ في الصَّحِيحَينِ مِنْ غَيرِ وَجْهٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :" **لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ** ". وفي رِوَايَةٍ :" **حَتَّى يُقَاتِلُوا الدَّجَّالَ** ". وفي رِوَايَةٍ :" **حَتَّى يَنْزِلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وهُمْ ظَاهِرُونَ** " [١]. وكُلُّ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ صَحِيحَةٌ، ولا تَعَارُضَ بَينَهَا " [٢] .

كَمَا بَيَّنَ ﷺ أَنَّهُ دَعَا اللَّهَ وَجَلَّ لأُمَّتِهِ أَنْ لا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ وقَحْطٍ شَامِلٍ، فَتَهْلِكَ عَنْ آخِرِهَا، فَأَجَابَهُ اللَّهُ إلى ذَلِكَ، وضَمِنَ لَهُ ذَلِكَ، كَمَا دَعَا اللَّهَ لأُمَّتِهِ أَنْ لا يسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، ويَسْبِيَهُم ويَنْهَبَهُم، ويَسْتَأْصِلَهُم، ويُهْلِكَهُم جَمِيعَهُمْ، فَأَجَابَهُ اللَّهُ إلى ذَلِكَ، حَتَّى لَو اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الأَرْضِ جَمِيعاً؛ كَمَا دَعَا اللَّهَ لأُمَّتِهِ أَنْ لا يَجْعَلَ بَأْسَهُم بَيْنَهُم، فَكَانَ قَضَاءُ اللَّهِ قَدْ سَبَقَ في ذَلِكَ، فَمُنِعَهَا ﷺ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُفْنِي بَعْضًا، ويَسْبِيْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، كَمَا جَاءَ في رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ ﷺ قَالَ :" **سَأَلْتُ رَبِّي ثَلاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ، وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ، فَمَنَعَنِيهَا** " [٣] .

*****

(١) رواه البخاري عن معاوية (٧١)، (٣٦٤١) ومسلم من (٥٠٥٩) إلى (٥٠٦٧) عن معاوية وثوبان والمغيرة ابن شعبة وجابر بن سمرة وجابر بن عبد اللَّه وعقبة بن عامر .

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣٠٤/٣٠ - ٣٠٦) .

(٣) رواه مسلم عن سعد بن أبي وقاص برقم (٧٤٤٢) .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ الثَّالِثُ

هَذِهِ الأُمَّةُ مَبْعُوثَةٌ بِالتَّيْسِيرِ كَبِعْثَةِ نَبِيِّهَا ﷺ

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ : **قَامَ أَعْرَابِيٌّ، فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ** :" **دَعُوهُ، وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ** " (١) .

قوله: (**قَامَ أَعْرَابِيٌّ**) زَادَ ابْنُ عُيَيْنَةَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ وغَيرِهِ فِي أَوَّلِهِ : أَنَّهُ صَلَّى رَكْعَتَينِ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي ومُحَمَّداً، ولا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَداً، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ :" **لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعاً**". فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَالَ فِي الْمَسْجِدِ . وقَدْ رُوِيَ أَنَّ هَذَا الأَعْرَابِيَّ هُوَ ذُوْ الْخُوَيْصِرَةِ الْيَمَانِيُّ، وكَانَ رَجُلاً جَافِياً؛ وقِيلَ : إِنَّهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ؛ وقِيلَ : إِنَّهُ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ (٢) .

قوله: (**فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ**) أَيْ بِأَلْسِنَتِهِم، وفِي رِوَايَةٍ :" **فَثَارَ إِلَيهِ النَّاسُ** ". وفِي أُخْرَى : "**فَقَامُوا إِلَيهِ** "، وفِي أُخْرَى :" **فَزَجَرَهُ النَّاسُ** "، وفِي أُخْرَى :" **فَصَاحَ النَّاسُ بِهِ** ". وفِي أُخْرَى :" **فَقَالَ الصَّحَابَةُ : مَهْ! مَهْ!**". فَظَهَرَ أَنَّ تَنَاوُلَهُ كَانَ بِالأَلْسِنَةِ لا بِالأَيْدِيْ (٣) .

قوله: (**دَعُوهُ**) أَيِ اتْرُكُوهُ، فَإِنَّهُ مَعْذُورٌ، لأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ عَدَمَ جَوَازِ التَّبَوُّلِ فِي الْمَسْجِدِ، لِقُرْبِ عَهْدِهِ بِالإِسْلامِ، وبُعْدِهِ عَنْهُ ﷺ، ولِئَلاَّ يُؤَدِّيَ قَطْعُ الْبَولِ إِلى ضَرَرٍ كَبِيرٍ يَحْصُلُ لَهُ، وقَدْ يَغْلِبُهُ قَبلَ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَيُؤَدِّي إِلى انْتِشَارِ النَّجَاسَةِ فِيهِ، وتَنْجِيسُ مَكَانٍ

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٢٠) و(٦١٢٨) ومسلم عن أنس (٦٨٥ – ٦٨٧) .

(٢) «فتح الباري» (١/٣٢٣) .

(٣) المصدر السابق .

www.saida-islam.weebly.com

وَاحِدٍ أَخَفُّ مِنْ تَنْجِيسِ أَمَاكِنَ، وأَيْضاً قَدْ يَغْلِبُهُ، فَيَخْرُجُ فِي ثِيَابِهِ، فَيُؤَدِّي إِلى تَنْجِيسِهَا وتَنْجِيسِ بَدَنِهِ (١) .

وجَاءَ عِنْدَ مُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ أنه ﷺ قَالَ :" **لاَ تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ** ". فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ **اللهِ** ﷺ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ :" **إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلاَ الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ** ﷻ، **وَالصَّلاَةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ** ". قَالَ فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَشَنَّهُ عَلَيْهِ (٢) .

قوله: (**وَهَرِيقُوا**) وفي نُسْخَةٍ :" **أَهْرِيقُوا** ". وأَصْلُهَا أَرِيقُوا، فَأُبْدِلَتِ الْهَمْزَةُ هَاءً، ثُمَّ جُعِلَ عِوَضاً عَنْ ذَهَابِ حَرَكَةِ الْعَينِ، فَصَارَتْ كَأَنَّهَا مِنْ نَفْسِ الْكَلِمَةِ، ثُمَّ أُدْخِلَ عَلَيهَا الْهَمْزَةُ، أَيْ صُبُّوا عَلَى بَولِهِ (٣) .

قوله: (**سَجْلاً مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ**) السَّجْلُ : هُوَ الدَّلْوُ مَلأَى، وَلا يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ وَهِيَ فَارِغَةٌ . قَالَهُ أَبُو حَاتِمٍ السِّجِسْتَانِي . وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : السَّجْلُ دَلْوٌ وَاسِعَةٌ . وَفِي الصِّحَاحِ: الدَّلْوُ الضَّخْمَةُ . والذَّنُوبُ : الدَّلْوُ مَلأَى مَاءً، قَالَهُ الْخَلِيلُ، وَقَالَ ابْنُ فَارِسٍ : الدَّلْوُ الْعَظِيمَةُ . وَقَالَ ابْنُ السِّكِّيت : فِيهَا مَاءٌ قَرِيبٌ مِنَ الْمِلْءِ، وَلا يُقَالُ لَهَا وَهِيَ فَارِغَةٌ ذَنُوب . والأَظْهَرُ أَنَّهُ شَكٌّ مِنَ الرَّاوِيْ، لأَنَّ رِوَايَةَ أَنَسٍ لَمْ تَخْتَلِفْ فِي أَنَّهَا ذَنُوبٌ (٤) .

قوله: (**فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ**) إِسْنَادُ الْبَعْثِ إِلَيهِمْ عَلَى طَرِيقِ الْمَجَازِ، لأَنَّهُ هُوَ الْمَبْعُوثُ ﷺ بِمَا ذَكَرَ مِنَ التَّيْسِيرِ، لَكِنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا فِي مَقَامِ التَّبْلِيغِ عَنْهُ، فِي حُضُورِهِ وَغَيْبَتِهِ، أَطْلَقَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، إِذْ هُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ قِبَلِهِ بِذَلِكَ، أَيْ مَأْمُورُونَ . وَكَانَ ذَلِكَ شَأْنُهُ ﷺ فِي حَقِّ كُلِّ

---

(١) «مرقاة المفاتيح» بتصرف (١٧٩/٢) .

(٢) رواه مسلم برقم (٦٨٧) .

(٣) «مرقاة المفاتيح» (١٧٩/٢) .

(٤) «فتح الباري» باختصار يسير (٣٢٤/١) .

www.saida-islam.weebly.com

مَنْ بَعَثَهُ إلى جهَةٍ مِنَ الْجهَاتِ، يَقُولُ : " **يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا** " [١]. وفي هَذَا إِشَارَةٌ إلى قَولِهِ ﷻ : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [آل عمران : ١١٠]، فَيَكُونُ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْبَعْثِ، ويَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ هَذَا هُوَ وَجْهُ مَا قِيلَ : عُلَمَاءُ هَذِهِ الأُمَّةِ كَالأَنْبِيَاءِ . و**اللَّهُ** ﷻ أَعْلَمُ [٢] .

قوله: (**مُيَسِّرِين**) الْيُسْرُ ضِدُّ الْعُسْرِ، كَمَا قَالَ ﷺ :" **إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ** " [٣]. أَرَادَ أَنَّهُ سَهْلٌ سَمْحٌ، قَلِيلُ التَّشْدِيدِ، ومِنْهُ الْحَدِيثُ :" **يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا**" [٤][٥]. ولَمَّا بَعَثَ ﷺ أَبَا مُوسَى ومُعَاذاً إلى الْيَمَنِ رضي الله عنهما، قَالَ لَهُمَا :" **يَسِّرَا ولا تُعَسِّرَا، وبَشِّرَا ولا تُنَفِّرَا، وتَطَاوَعَا ولا تَخْتَلِفَا** " [٦]. قَالَ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : ومَعْنَى قَولِهِ: "**يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا**". فِيمَا كَانَ مِنْ نَوَافِلِ الْخَيرِ، دُونَ مَا كَانَ فَرْضاً مِنَ **اللَّهِ**، وفِيمَا خَفَّفَ **اللَّهُ** عَمَلَهُ مِنْ فَرَائِضَ في حَالِ الْعُذْرِ، كَالصَّلاةِ قَاعِداً حَالَ الْعَجْزِ عَنِ الْقِيَامِ، وكَالإِفْطَارِ في رَمَضَانَ في السَّفَرِ والْمَرَضِ، وشِبْهِ ذَلِكَ . وفي أَمْرِهِ ﷺ بالتَّيْسِيرِ مَعَانٍ :

أَحَدُهَا : الأَمَانُ مِنَ الْمَلالِ .

وَالثَّانِي : الأَمَانُ مِنْ مُخَالَطَةِ الْعُجْبِ قَلْبَ صَاحِبِهِ، حَتَّى يَرَى كَأَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ قَصَّرَ عَنْ مِثْلِ فِعْلِهِ، فَيَهْلِكَ، ولِهَذَا قَالَ ﷺ :" **هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ** ". وبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّ قَومًا أَرَادُوا أَنْ يَخْتَصُوا، وحَرَّمُوا الطَّيِّبَاتِ واللَّحْمَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، وأَوْعَدَ

---

(١) المصدر السابق .

(٢) «حاشية السندي على النسائي» (٤٩/١) .

(٣) رواه البخاري عن أبي هريرة (٣٩) .

(٤) رواه البخاري عن أنس (٦٩)، (٦١٢٥) ومسلم (٤٦٢٦) .

(٥) «النهاية لابن الأثير» (٧٠٣/٥) .

(٦) رواه البخاري عن أبي موسى (٣٠٣٨)، (٤٣٤١) ومسلم (٤٦٢٣) .

www.saida-islam.weebly.com

في ذَلِكَ أَشَدَّ الْوَعِيدِ، وقَالَ :" **لَمْ أُبْعَثْ بِالرَّهْبَانِيَّةِ، وإِنَّ خَيرَ الدِّينِ عِنْدَ اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ، وإِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ هَلَكُوا بِالتَّشْدِيدِ، شَدُّوا فَشُدِّدَ عَلَيْهِمْ** " [(١)] .

وبذَلِكَ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَقَالَ ﷻ: ﴿ **وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا** ﴾ [الفرقان:٦٧]، فَحَمِدَ فِي نَفَقَاتِهِم تَرْكَ الإِسْرَافِ والإِقْتَارِ [(٢)] .

مَعْنَى الْحَدِيثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

هَذَا الْحَدِيثُ الْعَظِيمُ يُبَيِّنُ سَعَةَ رَحْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ، ورَفِيعَ أَخْلاقِهِ، وحُسْنَ تَعْلِيمِهِ، فَهُوَ الرَّحْمَةُ الْمُهْدَاةُ لِلنَّاسِ مِنَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ ﷻ، فَقَدْ كَانَ ﷺ حَرِيصاً عَلَى هِدَايَةِ النَّاسِ وتَعْلِيمِهِمْ، وإِخْرَاجِهِم مِنْ ظُلُمَاتِ الشِّرْكِ وَالْجَهْلِ وَالْغَفْلَةِ، إِلى نُورِ التَّوحِيدِ والْعِلْمِ والذِّكْرِ، بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، كَمَا وَجَّهَهُ رَبُّهُ ﷻ قَائِلاً : ﴿ **ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ** ﴾ [النحل: ١٢٥] .

فَحِينَمَا قِيلَ لَهُ : ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، قَالَ ﷺ : "**إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً** "[(٣)]. ولَمَّا حَاصَرَ ﷺ أَهْلَ الطَّائِفِ، جَاءَهُ أَصْحَابُهُ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَحْرَقَتْنَا نبَالُ ثَقِيفٍ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيهِمْ، فَقَالَ ﷺ :" **اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا** " [(٤)]، فَمَا لَبِثُوا إِلاَّ يَسِيراً، حَتَّى هَدَاهُمُ اللَّهُ، وجَاؤُوا يُبَايِعُونَهُ عَلَى الإِسْلامِ . ولَمَّا جَاءَهُ الطُّفَيلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ رضي الله عنه، فَقَالَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ دَوْساً عَصَتْ وأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيهَا، فَقِيلَ : هَلَكَتْ دَوسٌ، قَالَ :" **اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا، وَائْتِ بِهَا** " [(٥)] .

---

(١) رواه الدارمي في سننه بمعناه عن سعد بن أبي وقاص (٢١٦٩) وإسناده صحيح . والطبراني في الكبير عن أبي أمامة (٧٧١٥) وبَوَّبَ البخاري في صحيحه قول النبي ﷺ :" **أَحَبُّ الدِّينِ إِلى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ** ".

(٢) «شرح صحيح البخاري لابن بطال» (٩/٣٠١-٣٠٣) .

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة برقم (٢٥٩٩) .

(٤) رواه أحمد في مسنده عن جابر بن عبد اللَّهِ (١٤٧٠٢)والترمذي في سننه (٣٩٤٢) وقال: حديث حسن صحيح.

(٥) رواه البخاري عن أبي هريرة (٢٩٣٧)، (٤٣٩٢)، (٦٣٩٧) ومسلم (٦٦١١) .

www.saida-islam.weebly.com

فَكَانَ ﷺ أَرْحَمَ الْخَلْقِ بِالْخَلْقِ، وأَنْفَعَهُمْ لَهُمْ، وأَحْرَصَهُمْ عَلَى هِدَايَتِهِمْ، كَمَا وَصَفَهُ ﷻ بِذَلِكَ، فَقَالَ : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] .

وكَانَ ﷺ يَبْكِي بَينَ يَدَي اللَّهِ ﷻ خَوْفاً عَلَى أُمَّتِهِ، وحِرْصاً عَلَى نَجَاتِهِمْ، حَتَّى كَانَ يُسْمَعُ لِصَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ؛ وكَانَ ﷺ يَغْضَبُ إِذَا تَصَرَّفَ أَحَدُ أَصْحَابِهِ تَصَرُّفاً يُؤَدِّي إِلى التَّنْفِيرِ عَنْ هَذَا الدِّينِ، كَمَا غَضِبَ حِينَمَا شَكَا لَهُ رَجُلٌ أَنَّهُ يَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاةِ الْغَدَاةِ عَامِداً مِنْ أَجْلِ فُلانٍ، لأَنَّهُ يُطِيلُ بِهِمُ الصَّلاةَ، فَقَالَ أَبُو مَسْعُودٍ رضي الله عنه : فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَباً مِنْهُ يَومَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ :" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُوجِزْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ** " (١) .

وحِينَمَا اسْتَأْذَنَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فِي قَتْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، قَالَ ﷺ: "**لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ** " (٢). فَيَكُونُ هَذَا تَنْفِيراً لَهُمْ عَنْ دُخُولِ الإِسْلامِ .

وكَانَ ﷺ رَحِيماً شَفِيقاً بِالأُمَّةِ، يَدْعُو لَهُمْ فِي كُلِّ صَلاةٍ (٣)، ويَحُثُّ عَلَى الرَّحْمَةِ بِأُمَّتِهِ، فَقَالَ :" **لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ رَحِيمٌ** "، قَالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُلُّنَا رَحِيمٌ، قَالَ ﷺ:

---

(١) رواه البخاري عن أبي مسعود (٧٠٢)، (٧٠٤) ومسلم (١٠٧٢) .

(٢) رواه البخاري عن جابر (٣٥١٨)، (٤٩٠٧) ومسلم (٦٧٤٨) .

(٣) أخرج ابن حبان في صحيحه (٧١١١) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لَمَّا رَأَيْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ طِيبَ النَّفْسِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ لِي. قَالَ: "**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَائِشَةَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهَا وَمَا تَأَخَّرَ، وَمَا أَسَرَّتْ وَمَا أَعْلَنَتْ** ". ضَحِكَتْ عَائِشَةُ حَتَّى سَقَطَ رَأْسُهَا فِي حِجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الضَّحِكِ، فَقَالَ: "**أَيَسُرُّكِ دُعَائِي؟**" فَقَالَتْ: وَمَا لِي لا يَسُرُّنِي دُعَاؤُكَ؟ فَقَالَ: "**وَاللَّهِ إِنَّهَا لَدَعْوَتِي لأُمَّتِي فِي كُلِّ صَلاة** ". قال الهيثمي في المجمع : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن منصور الرمادي وهو ثقة .

www.saida-islam.weebly.com

"لَيْسَتِ الرَّحْمَةُ أَنْ يَرْحَمَ أَحَدُكُمْ خَاصَّتَهُ، حَتَّى يَرْحَمَ الْعَامَّةَ، وَيَتَوَجَّعَ لِلْعَامَّةِ "[١].
وقَالَ ﷺ :" لا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لا يَرْحَمُ النَّاسَ " [٢] .

وقَالَ ﷺ :" الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ" [٣]. وقَالَ ﷺ :" لا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلاَّ مِنْ شَقِيٍّ " [٤]. وقَالَ ﷺ :" خَابَ عَبْدٌ وخَسِرَ، لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَلْبِهِ رَحْمَةً لِلْبَشَرِ " [٥] .

وكَانَ ﷺ يَدْعُو، ويَقُولُ :" اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ " [٦] .

كَمَا أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ فِيهِ بَيَانٌ لِعُلُوِّ مَرْتَبَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ، ورِفْعَةِ مَكَانَتِهَا بَينَ الأُمَمِ، حَيثُ وَصَفَهُم ﷺ بِلَفْظِ الْبِعْثَةِ، ولَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَعْرَفَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِخَطَرِ هَذَا التَّعْبِيرِ وقِيْمَتِهِ، وَاخْتِصَاصِهِ بِالأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ عِنْدَ الإِطْلاقِ، وقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ فِي شَأْنِ الأَنْبِيَاءِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ؛ وفِي هَذَا بُشْرَى عَظِيمَةٌ لِهَذِهِ الأُمَّةِ، وإِيْذَاناً لَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ ﷻ مَعَهُمْ بِقُدْرَتِهِ ونُصْرَتِهِ وحِفَاظَتِهِ، كَمَا كَانَ مَعَ الأَنْبِيَاءِ، لأَنَّ الْمَبْعُوثَ قُوَّتُهُ مِنْ قُوَّةِ الْبَاعِثِ، ونُصْرَتُهُ ودَفْعُ الاِعْتِدَاءِ عَنْهُ تَكُونُ مِنَ الْبَاعِثِ مَا دَامَ الْمَبْعُوثُ قَائِماً بِتَكَالِيفِ الْبِعْثَةِ .

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك عن أبي موسى الأشعري (٧٣١٠) وقال : حديث صحيح ووافقه الذهبي . وعبد بن حميد في مسنده واللفظ له (١٤٥٤) . وقال ابن حجر في الفتح : رجاله ثقات .

(٢) رواه البخاري عن جرير بن عبد الله (٧٣٧٦) ومسلم (٦١٧٢) .

(٣) رواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص (٦٤٩٤) والترمذي في سننه (١٩٤٤) وقال : حديث حسن صحيح .

(٤) رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة (٨٠٠١)، (٩٧٠٢) وأبو داوود في سننه (٤٩٤٤) والترمذي في سننه (١٩٢٣) وقال: حديث حسن . ورواه الحاكم في المستدرك (٧٦٣٢) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

(٥) أخرجه الدولابي في «الكنى والأسماء» عن عمرو بن حبيب (٧٠٥) وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥١٢٥) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٤/٢١) .

(٦) رواه مسلم عن عائشة برقم (٤٨٢٦) .

www.saida-islam.weebly.com

وهَكَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ ﷺ يَفْهَمُونَ أَنَّهُم مَبْعُوثُونَ إِلى النَّاسِ كَافَّةً بالرَّحْمَةِ، لِذَلِكَ قَالَ رِبْعِيُّ بْنُ عَامِرٍ ﷺ مُبيِّناً مَقْصَدَ خُرُوجِ الصَّحَابَةِ في سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ: " **اللَّهُ ﷻ ابْتَعَثَنَا، لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ العِبَادِ إِلى عِبَادَةِ اللَّهِ ﷻ وَحْدَهُ، وَمِنْ ضِيْقِ الدُّنْيَا إِلى سَعَةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمِنْ جَوْرِ الأَدْيَانِ إِلى عَدْلِ الإِسْلامِ** " [(١)].

فَمَنْ كَانَ بِهَذَا الْمَقَامِ، فَلا شَكَّ أَنَّ اللَّهَ ﷻ يُدَافِعُ عَنْهُ، وَيَنْصُرُهُ عَلَى عَدُوِّهِ مَهْمَا كَانَ، ولا شَكَّ أَنَّ اللَّهَ ﷻ يُسَخِّرُ لَهُ جُنُودَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ في خِدْمَتِهِ، لأَنَّهُ يَقُومُ بِتَعْرِيفِ الْخَلْقِ عَلَى الْخَالِقِ ودَلالَتِهِم عَلَيهِ، لِيَتَّصِلُوا بِهِ، فَيَسْتَفِيدُوا مِنْ هَذِهِ الصِّلَةِ في كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ، فَأَيُّ رَحْمَةٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ ؟! فَيُجَازِيْ اللَّهُ ﷻ هَؤُلاءِ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِم، فَالرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، وَالرَّحْمَةُ الْعُظْمَى الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ بِهَا الْكُتُبَ، وأَرْسَلَ لَهَا الرُّسُلَ، هِيَ إِخْرَاجُ النَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ، كَمَا قَالَ ﷻ : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١] .

كَمَا أَنَّ مَنْ سَخَّرَ نَفْسَهُ لِهَذِهِ الرَّحْمَةِ، وسَعَى في إِيْصَالِهَا إِلى النَّاسِ، كَيْ لا يَقَعُوا في التَّهْلُكَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يَرْحَمُهُ ويُصَلِّي عَلَيهِ بِنَفْسِهِ، ويُسَخِّرُ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَيهِ، كَمَا قَالَ ﷻ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴾ [الأحزاب:٤٣]. وقَالَ ﷻ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [غافر:٧].

ولا شَكَّ أَنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِهَذِهِ الصَّلاةِ مِنَ اللَّهِ ﷻ وحَمَلَةِ عَرْشِهِ وسَائِرِ مَلائِكَتِهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ في تَوْبَةِ الْعِبَادِ إِلى اللَّهِ ﷻ، ويَدْعُونَهُمْ إِلى اتِّبَاعِ سَبِيلِهِ الْقَوِيْمِ، ويَبْذُلُونَ كُلَّ مَا لَدَيْهِم لإِخْرَاجِ النَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ؛ فَهَؤُلاءِ يُسَخِّرُ اللَّهُ ﷻ

(١) «تاريخ الطبري» (٥١٨/٣) و«البداية والنهاية» لابن كثير (٣٩/٧) .

www.saida-islam.weebly.com

مَخْلُوقَاتِهِ لِلصَّلاةِ عَلَيهِمْ، كما قَالَ ﷺ :" **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلَ الأَرْضِ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، والْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الْخَيْرَ** "(١) .

فَالصَّلاةُ مِنَ اللَّهِ ﷻ رَحْمَةٌ لَهُمْ، ومِنَ الْعِبَادِ دُعَاءٌ لَهُمْ وَاسْتِغْفَارٌ، كَيْ لا يَقَعُوا فِي هَلَكَةِ الذُّنُوبِ، لأَنَّهُ لَمَّا كَانَ خُرُوجُهُم لِلنَّاسِ لإِخْرَاجِهِم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ، وتَعْلِيمُهُمُ الْخَيرَ سَبَباً لِنَجَاتِهِم وسَعَادَتِهِم وزَكَاةِ نُفُوسِهِمْ، جَازَاهُمُ اللَّهُ ﷻ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِم، بِأَنْ جَعَلَ عَلَيهِمْ مِنْ صَلاتِهِ وصَلاةِ مَلائِكَتِهِ وأَهْلِ الأَرْضِ، مَا يَكُونُ سَبَباً لِنَجَاتِهِم وسَعَادَتِهِم وفَلاحِهِمْ؛ كَمَا أَنَّهُم لَمَّا كَانُوا مُظْهِرِينَ لِدِينِ الرَّبِّ ﷻ وأَحْكَامِهِ، ومُعَرِّفِينَ بِأَسْمَائِهِ وصِفَاتِهِ، جَعَلَ اللَّهُ مِنْ صَلاتِهِ وصَلاةِ أَهْلِ سَمَاوَاتِهِ وأَرْضِهِ عَلَيهِمْ مَا يَكُونُ تَنْوِيهاً بِهِمْ، وتَشْرِيفاً لَهُمْ، وإِظْهَاراً لِلثَّنَاءِ عَلَيهِمْ بَينَ أَهْلِ السَّمَاءِ والأَرْضِ (٢) .

فَهَذِهِ الأُمَّةُ تَنُوبُ عَنْ نَبِيِّهَا ﷺ فِي إِيْصَالِ هَذِهِ الرَّحْمَةِ إِلى الْعِبَادِ، وعِزَّتُهَا وسُؤْدَدُهَا والتَّمْكِينُ لَهَا فِي الأَرْضِ مَرْبُوطٌ بِقِيَامِهَا بِهَذِهِ الْمَسْؤُولِيَّةِ، وإِذَا تَرَكَتْ هَذِهِ الْمَسْؤُولِيَّةَ، وأَخْلَدَتْ إِلى الأَرْضِ، ورَضِيَتْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا واطْمَأَنَّتْ بِهَا، وبَخِلَتْ بِأَمْوَالِهَا وأَنْفُسِهَا عَلَى دِينِ اللَّهِ، واسْتَبْدَلَتِ الَّذِي هُوَ أَدْنى بِالَّذِي هُوَ خَيرٌ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ تَوَعَّدَهُمْ بِالذِّلَّةِ وَالْعَذَابِ الأَلِيمِ، حَتَّى يَرْجِعُوا لِلْقِيَامِ بِهَذِهِ الْمَسْؤُولِيَّةِ، فَقَالَ ﷻ : ﴿ **إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [التوبة:٣٩] ، وقَالَ ﷻ : ﴿ **وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم** ﴾ [محمد:٣٨] .

ومَعْلُومٌ أَنَّ خُرُوجَ الصَّحَابَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ونَفِيرَهُمْ، إِنَّمَا كَانَ لِلرَّحْمَةِ عَلَى الْخَلْقِ، وإِخْرَاجِهِمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ، كَمَا قَالَ ﷺ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه حِينَ أَرْسَلَهُ إِلى خَيْبَرَ :" **انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلى الإِسْلامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ**

(١) رواه الترمذي في سننه عن أبي أمامة (٢٦٨٥) وقال النووي في «رياض الصالحين»: قال الترمذي: حديث حسن.
(٢) «مفتاح دار السعادة» (٨٢/١) بتصرف يسير .

www.saida-islam.weebly.com

مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ " (١) .

وكَانَ ﷺ إِذَا بَعَثَ بَعْثاً قَالَ :" **تَأَلَّفُوا النَّاسَ ولا تُغِيرُوا عَلَيهِمْ حَتَّى تَدْعُوهُمْ، فَمَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ أَهْلِ بَيتِ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ، إِلاَّ أَنْ تَأْتُونِي بِهِمْ مُسْلِمِينَ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَأْتُونِي بِنِسَائِهِمْ وأَوْلادِهِمْ، وتَقْتُلُوا رِجَالَهُمْ** " (٢) .

ولَمَّا دَخَلَ ﷺ مَكَّةَ، وتَمَكَّنَ مِنْ أَهْلِهَا، عَفَا عَنْهُمْ رَحْمَةً بِهِمْ، وتَرْغِيباً لَهُمْ فِي الدُّخُولِ فِي الإِسْلامِ، وقَالَ لَهُمْ :" **اذْهَبُوا، فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ** ". فَخَرَجُوا كَأَنَّمَا نُشِرُوا مِنَ الْقُبُورِ، فَدَخَلُوا الإِسْلامَ (٣). ونَظَائِرُ هَذَا كَثِيرَةٌ جِدّاً .

ولا سَبِيلَ إِلى عَوْدَةِ الأُمَّةِ إِلى مَا كَانَتْ عَلَيهِ مِنَ السِّيَادَةِ وَالْقِيَادَةِ وَالرِّيَادَةِ الْعَالَمِيَّةِ، إِلاَّ عَوْدَتُهَا إِلى هَذِهِ الْوَظِيفَةِ الَّتِي اخْتَارَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهَا .

نَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنى، وصِفَاتِهِ الْعُلَى أَنْ يَشْرَحَ صُدُورَنَا لِلْقِيَامِ بِهَذِهِ الْوَظِيفَةِ، ويُعِينَنَا عَلَى إِقَامَةِ الأُمَّةِ عَلَيهَا، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ .

*****

(١) رواه البخاري عن سهل بن سعد (٢٩٤٢)، (٣٠٠٩) ومسلم (٦٣٧٦) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» عن عبدالرحمن بن عائذ (٧٠٥٧)، (٧٠٥٨) .

(٣) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» عن أبي هريرة (١٨٠٥٤) .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الرَّابِعُ

إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلا نَسُوؤُكَ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم :٣٦]، وَقَالَ[١] عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٢][المائدة : ١١٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ :" اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي[٣]". وَبَكَى، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :" يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ – وَرَبُّكَ أَعْلَمُ – فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ ؟" فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :" اذْهَبْ يَا جِبْرِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ : إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلا نَسُوؤُكَ " [٤] .

---

(١) هو مصدر معطوف على قوله :" **وتلا قول اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ** ". والعرب تقول: قال يقول قولاً وقالاً وقيلاً، فكأنه قال : وتلا قول عيسى .

(٢) قال ابن كثير في تفسيره (١٤٩/٢) : هذا الكلام يتضمن رد المشيئة إلى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فإنه الفعال لما يشاء، الذي لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون، ويتضمن التبري من النصارى الذين كذبوا على اللَّهِ وعلى رسوله، وجعلوا لله نداً وصاحبة وولداً، تعالى اللَّهُ عما يقولون علواً كبيراً، وهذه الآية لها شأن عظيم، ونبأ عجيب، وقد ورد في الحديث: أن النبي ﷺ قام بها ليلة حتى الصباح يرددها. وروى أحمد في مسنده (٢١٣٢٨) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقَرَأَ بِآيَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ، يَرْكَعُ بِهَا وَيَسْجُدُ بِهَا : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ فَلَمَّا أَصْبَحَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا زِلْتَ تَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ حَتَّى أَصْبَحْتَ، تَرْكَعُ بِهَا وَتَسْجُدُ بِهَا؟ قَالَ :" **إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ الشَّفَاعَةَ لأُمَّتِي فَأَعْطَانِيهَا، وَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً** ". وإسناده حسن .

(٣) قوله :" **أُمَّتِي أُمَّتِي** ". متعلق بمحذوف، إما أن يقدَّر شَفِّعْني في أمَّتي، وأرضني فيها، أو أمتي ارحمهم، وأرضني بالشفاعة فيهم، والحذف لضيق المقام وشدة الاهتمام، والتكرير لمزيد التقرير، وأنه من مستحبَّات الدعاء، فإنَّ الإلحاح من العبد في المسألة لا ينافي الرضا بالقضاء، بل هو أدعى للقبول لِمَا فيه من بيان كمال الافتقار «مرقاة المفاتيح» بتصرف .

(٤) رواه مسلم برقم (٥٢٠) .

www.saida-islam.weebly.com

قوله ﷻ: (يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ - فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ ؟) الْحِكْمَةُ فِي إِرْسَالِ جِبْرِيلَ عليه السلام لِسُؤَالِهِ ﷺ إِظْهَارُ شَرَفِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّهُ بِالْمَحِلِّ الأَعْلَى، فَيُسْتَرْضَى وَيُكْرَمُ بِمَا يُرْضِيهِ [١]؛ وليَعْلَمَ جِبْرِيلُ عليه السلام تَمَكُّنَ نَبِيِّنَا ﷺ فِي مَقَامِ الْفُتُوَّةِ، وغَايَةِ اعْتِنَائِهِ بِأُمَّتِهِ [٢] ؛ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قوله ﷻ: (وَلا نَسُوؤُكَ) هُوَ تَأْكِيدٌ لِلْمَعْنَى، أَيْ: لا نُحزِنُكَ؛ لأَنَّ الإِرْضَاءَ قَدْ يَحْصُلُ فِي حَقِّ الْبَعْضِ بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ، وَيَدْخُلُ الْبَاقِي النَّارَ، فَقَالَ ﷻ : نُرْضِيكَ وَلا نُدْخِلُ عَلَيْكَ حُزْنًا، بَلْ نُنَجِّي الْجَمِيعَ؛ وَاللَّهُ أَعْلَمُ [٣] .

مَعْنَى الْحَدِيثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

فِي هَذَا الحَدِيثِ بَيَانٌ لِكَمَالِ رَحْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِأُمَّتِهِ، ووُفُورِ شَفَقَتِهِ بِهِم، فَإِنَّهُ ﷺ لَمَّا تَلا هَاتَين الآيَتَين، فَرَأَى أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وعِيسَى عليهما السلام لَمْ يَجْزِمَا فِي الدُّعَاءِ لِعُصَاةِ أُمَّتَيْهِمَا، ولَمْ يُجْهِدَا نَفْسَيهِمَا فِي ذَلِكَ، انْبَعَثَ بِحُكْمِ مَا يَجِدُهُ مِنْ شِدَّةِ شَفَقَتِهِ ورَأْفَتِهِ، وكَثْرَةِ حِرْصِهِ عَلَى نَجَاةِ أُمَّتِهِ، وبِحُكْمِ مَا وَهَبَهُ اللَّهُ ﷻ مِنْ رِفْعَةِ مَقَامِهِ عَلَى غَيرِهِ، جَازِماً فِي الدُّعَاءِ، مُجْتَهِداً فِيهِ، مُتَضَرِّعاً بَاكِياً مُلِحّاً، يَقُولُ :" **أُمَّتِي . أُمَّتِي** ". فِعْلَ الْمُحِبِّ الْمُسْتَهْتِرِ لِمَحْبُوبِهِ، الحَرِيصِ عَلَى مَا يُرْضِيهِ، الشَّفِيقِ عَلَيهِ، اللَّطِيفِ بِهِ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى أَجَابَهُ اللَّهُ ﷻ فِيهِمْ، وبَشَّرَهُ بِمَا يَسُرُّهُ مِنْ مَآلِ حَالِهِمْ، حَيثُ قَالَ ﷻ: "**إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ** ". وهُوَ مَعْنَى قَولِهِ ﷻ :﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** ﴾ **[الضحى: ٥]** . وقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ :" **واللَّهِ مَا يَرْضَى مُحَمَّدٌ ﷺ، وأَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ فِي النَّارِ** " [٤] .

---

(١) «شرح مسلم للنووي» (٣/٧٤) .

(٢) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (١/٤٠٢) .

(٣) «شرح مسلم للنووي» (٣/٧٤) .

(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» بنحوه عن ابن عباس (١٤٤٥) .

www.saida-islam.weebly.com

وهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ وَجَلَّ قَدْ خَصَّ نَبِيَّنَا ﷺ مِنْ كَرَمِ الْخُلُقِ، ومِنْ طِيبِ النَّفْسِ ومِنْ مَقَامِ الْفُتُوَّةِ بِمَا لَمْ يَخْتَصَّ بِهِ أَحَداً غَيرَهُ، وإِلَيهِ الإِشَارَةُ بِقَولِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم : ٥]، وبِقَولِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨]، فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ أَفْضَلَ مَا صَلَّى عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلِيقَتِهِ، وجَازَاهُ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَازَى نَبِيّاً عَنْ أُمَّتِهِ [١] .

وعَنْ قَتَادَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَولِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ قَالَ :" **حَرِيصٌ عَلَى ضَالِّهِمْ أَنْ يَهْدِيَهُ** " [٢] .

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ومَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ بِجَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ إِلاَّ وهُوَ يَذْكُرُ لَنَا مِنْهُ عِلْماً، قَالَ : وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، ويُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ إِلاَّ وقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ** " [٣] .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :" **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ مَلَكَانِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَالآخَرُ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيْهِ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِهِ: اضْرِبْ مَثَلَ هَذَا وَمَثَلَ أُمَّتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ مَثَلَهُ وَمَثَلَ أُمَّتِهِ كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ، انْتَهَوْا إِلَى رَأْسِ مَفَازَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ مِنَ الزَّادِ مَا يَقْطَعُونَ بِهِ الْمَفَازَةَ، وَلا مَا يَرْجِعُونَ بِهِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ أَتَاهُمْ رَجُلٌ فِي حُلَّةٍ حِبَرَةٍ، فَقَالَ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ وَرَدْتُ بِكُمْ رِيَاضًا مُعْشِبَةً وَحِيَاضًا رَوَاءً، أَتَتَّبِعُونِي؟ فَقَالُوا : نَعَمْ، قَالَ: فَانْطَلَقَ بِهِمْ، فَأَوْرَدَهُمْ رِيَاضًا مُعْشِبَةً وَحِيَاضًا رَوَاءً، فَأَكَلُوا، وَشَرِبُوا، وَسَمِنُوا، فَقَالَ لَهُمْ : أَلَمْ أَلْقَكُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَجَعَلْتُمْ لِي إِنْ وَرَدْتُ بِكُمْ رِيَاضًا مُعْشِبَةً، وَحِيَاضًا رَوَاءً أَنْ تَتَّبِعُونِي؟ فَقَالُوا: بَلَى، قَالَ:**

---

(١) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (١/٤٠١) .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧٥١٠) .

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١٦٤٧) وقال الهيثمي : رجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبد اللَّهِ بن يزيد المقرئ، وهو ثقة .

www.saida-islam.weebly.com

فَإِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ رِيَاضًا أَعْشَبَ مِنْ هَذِهِ، وَحِيَاضًا هِيَ أَرْوَى مِنْ هَذِهِ فَاتَّبِعُونِي، قَالَ : فَقَالَتْ طَائِفَةٌ : صَدَقَ وَاللَّهِ، لَنَتَّبِعَنَّهُ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : قَدْ رَضِينَا بِهَذَا نُقِيمُ عَلَيْهِ " (١) .

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا، فَقَالَ : يَا قَوْمِ، إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهْلِهِمْ، فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ، فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي، فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي، وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ " (٢) .

وعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :" إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ، جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا " (٣) .

كَمَا بَيَّنَ الْحَدِيثُ عَظِيمَ فَضْلِ هَذِهِ الأُمَّةِ عِنْدَ اللَّهِ وَجَلَّ وعِنْدَ رَسُولِهَا ﷺ، حيثُ وَعَدَ اللَّهُ وَجَلَّ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُعْطِيَهُ حَتَّى يُرْضِيَهُ، وفي عِلْمِ اللَّهِ الأَزَلِيِّ أَنَّهُ ﷺ لا يَرْضَى وواحِدٌ مِنْ أُمَّتِهِ في النَّارِ، كَمَا رُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "أَشْفَعُ لأُمَّتِي حَتَّى يُنَادِينِي رَبِّي تَبَارَكَ وتَعَالى، فَيَقُولُ : أَقَدْ رَضِيتَ يَا مُحَمَّدُ ؟ فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّي قَدْ رَضِيتُ " (٤) .

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٤٠٢) والطبراني في الكبير (١٢٩٤٠) وقال الهيثمي في المجمع : وإسناده حسن .

(٢) رواه البخاري برقم (٦٤٨٢)، (٧٢٨٣) ومسلم (٦٠٩٤) .

(٣) رواه البخاري عن أبي هريرة برقم (٦٤٨٣) .

(٤) رواه البزار برقم (٦٣٨) والطبراني في الأوسط (٢٠٦٢) وقال الهيثمي : فيه محمد بن أحمد بن زيد لم أعرفه، وبقية رجاله وُثِّقُوا على ضعف في بعضهم .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ الْخَامِسُ

هَذِهِ الأُمَّةُ هِيَ أَقَلُّ الأُمَمِ عَمَلاً وَأَكْثَرُهَا أَجْراً

عَنْ عَبدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَالْيَهُودَ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالاً، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ عَمِلَتِ النَّصَارَى عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَعْمَلُونَ مِنْ صَلاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلاً وَأَقَلُّ عَطَاءً! قَالَ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لا . فَقَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ " [١]. وفي رِوَايَةٍ :" مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودَ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلاً يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ عَلَى أَجْرٍ مَعْلُومٍ، فَعَمِلُوا لَهُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ، فَقَالُوا: لا حَاجَةَ لَنَا إِلَى أَجْرِكَ الَّذِي شَرَطْتَ لَنَا، وَمَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ، فَقَالَ لَهُمْ: لا تَفْعَلُوا، أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ وَخُذُوا أَجْرَكُمْ كَامِلاً، فَأَبَوْا وَتَرَكُوا، وَاسْتَأْجَرَ أَجِيرَيْنِ بَعْدَهُمْ، فَقَالَ لَهُمَا: أَكْمِلا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمَا هَذَا، وَلَكُمَا الَّذِي شَرَطْتُ لَهُمْ مِنَ الأَجْرِ، فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا كَانَ حِينُ صَلاةِ الْعَصْرِ قَالا: لَكَ مَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ، وَلَكَ الأَجْرُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فِيهِ، فَقَالَ لَهُمَا: أَكْمِلا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمَا، مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ شَيْءٌ يَسِيرٌ، فَأَبَيَا، وَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا أَنْ يَعْمَلُوا لَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ، فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا، فَذَلِكَ مَثَلُهُمْ وَمَثَلُ مَا قَبِلُوا مِنْ هَذَا النُّورِ " [٢] .

قوله: (إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَالْيَهُودَ وَالنَّصَارَى) ، أَيْ مَعَ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

---

(١) رواه البخاري برقم (٨٧٦)، (٨٩٦)، (٣٤٨٦) ومسلم من رقم (٢٠١٥) إلى (٢٠١٩) .

(٢) رواه البخاري عن أبي موسى الأشعري (٥٥٨)، (٢٢٧١) .

www.saida-islam.weebly.com

قوله: (**فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ**) وَجَاءَ فِي رِوَايَةٍ :" **حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا، فَأُعْطُوا قِيرَاطاً قِيرَاطاً** " [(١)]. وكَرَّرَ (**قِيرَاطٍ**) لِلدَّلالَةِ عَلَى أَنَّ الأَجْرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنهُم قِيرَاطٌ، لا أَنَّ مَجْمُوعَ الطَّائِفَةِ قِيرَاطٌ [(٢)] .

قوله: (**لا حَاجَةَ لَنَا إِلى أَجْرِكَ**) إِشَارَةٌ إِلى أَنَّهُم كَفَرُوا وتَوَلَّوا وَاسْتَغْنَى اللهُ عَنْهُمْ .

قوله: (**ومَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ**) إِشَارَةٌ إِلى إِحْبَاطِ عَمَلِهِمْ بِكُفْرِهِمْ بِعِيسَى عليه السلام، إِذْ لا يَنْفَعُهُمُ الإِيْمَانُ بِمُوسَى عليه السلام وَحْدَهُ بَعْدَ بِعْثَةِ عِيسَى عليه السلام، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي النَّصَارَى.

قوله: (**لا تَفْعَلُوا**) أَيْ إِبْطَالَ الْعَمَلِ وتَرْكَ الأَجْرِ الْمَشْرُوطِ .

قوله: (**فَذَلِكَ مَثَلُهُم ومَثَلُ مَا قَبِلُوا مِنْ هَذَا النُّورِ**) أَيْ فَذَلِكَ مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ قَبِلُوا هُدَى اللهِ ومَا جَاءَ بِهِ رَسُولُهُ، ومَثَلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ تَرَكُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ اللهُ .

وَالْمَقْصُودُ مِنَ التَّمْثِيلِ الأَوَّلِ هُوَ بَيَانُ أَنَّ أَعْمَالَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَكْثَرُ ثَوَاباً مِنْ أَعْمَالِ سَائِرِ الأُمَمِ؛ ومِنَ الثَّانِي أَنَّ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ أَعْمَالُهُمُ السَّالِفَةُ عَلَى دِينِهِم لا ثَوَابَ لَهَا [(٣)] .

مَعْنَى الْحَدِيثِ ومَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ فَضْلَ اللهِ سبحانه وتعالى عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ، ومُضَاعَفَتَهُ لَهَا الثَّوَابَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَهَا مِنَ الأُمَمِ، بَأَنْ جَعَلَهَا آخِرَ الأُمَمِ زَمَاناً، وأَقَلَّهُم أَعْمَاراً وأَعْمَالاً، وأَكْثَرَهُم ثَوَاباً، لأَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ صَدَّقُوا نَبِيَّهُم والأَنْبِيَاءَ السَّابِقِينَ، عَلَيهِمْ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ وأَتَمُّ التَّسْلِيمِ،

---

(١) رواه البخاري عن ابن عمر (٥٥٧) .

(٢) «مرقاة المفاتيح» (٤١٢/١١) .

(٣) «عمدة القاري» للحافظ بدر الدين العيني (١٨/ ٢٧٨ - ٢٧٩) .

www.saida-islam.weebly.com

وضَرَبَ مَثَلاً لِذَلِكَ بِرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالاً لِلْقِيَامِ بِعَمَلٍ مُعَيَّنٍ، لِوَقْتٍ مُعَيَّنٍ، بِأُجْرَةٍ مُعَيَّنَةٍ، فَالأُجْرَةُ إِلى آخِرِ النَّهَارِ قِيرَاطَانِ لِمَنْ أَتَمَّ عَمَلَهُ، فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ إِلى نِصْفِ النَّهَارِ ثُمَّ عَجَزُوا عَنْ إِتْمَامِ الْعَمَلِ، فَأُعْطُوا قِيرَاطاً قِيرَاطاً، ثُمَّ عَمِلَتِ النَّصَارَى إِلى وَقْتِ صَلاةِ الْعَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوا عَنْ إِتْمَامِ الْعَمَلِ، فَأُعْطُوا قِيرَاطاً قِيرَاطاً، ثُمَّ أُوْتِيَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ الْقُرْآنَ، فَعَمِلَتْ إِلى غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَأُعْطُوا قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، ثُمَّ إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ اعْتَرَضُوا وقَالُوا : رَبَّنَا إِنَّكَ أَعْطَيتَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ثَوَاباً كَثِيراً مَعَ قِلَّةِ أَعْمَالِهِمْ، وأَعْطَيتَنَا ثَوَاباً قَلِيلاً مَعَ كَثْرَةِ أَعْمَالِنَا، ولَعَلَّهُم يَقُولُونَ ذَلِكَ يَومَ الْقِيَامَةِ، أَوْ صَدَرَ عَنْهُم مِثْلُ ذَلِكَ لَمَّا اطَّلَعُوا عَلَى فَضَائِلِ هَذِهِ الأُمَّةِ فِي كُتُبِهِم، أَوْ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسِلِهِمْ .

وفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الثَّوَابَ لِلأَعْمَالِ لَيسَ عَلَى قَدْرِ التَّعَبِ، ولا عَلَى جِهَةِ الاِسْتِحْقَاقِ، لأَنَّ الْعَبْدَ لا يَسْتَحِقُّ عَلَى مَوْلاهُ لِخِدْمَتِهِ أُجْرَةً، بِلِ الْمَوْلَى يُعْطِيهِ مِنْ فَضْلِهِ، ولَهُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنَ الْعَبِيدِ عَلَى وَجْهِ الْمَزِيدِ، فَإِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ .

وقَالَ الطِّيْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَعَلَّ هَذَا تَصْوِيرٌ وتَخْيِيْلٌ لا أَنَّ ثَمَّةَ مُقَاوَلَةً ومُكَالَمَةً حَقِيقِيَّةً، اللَّهُمَّ إِلاَّ أَنْ يُحْمَلَ ذَلِكَ عَلَى حُصُولِهَا عِنْدَ خُرُوجِ الذَّرِّ، فَيَكُونُ حَقِيقَةً [١] .

وقَالَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : كُلُّ نَبِيٍّ مُعْجِزَاتُهُ أَظْهَرُ، فَثَوَابُ أُمَّتِهِ أَقَلُّ، إِلاَّ هَذِهِ الأُمَّةَ، فَإِنَّ مُعْجِزَاتِ نَبِيِّهَا أَظْهَرُ، وثَوَابَهَا أَكْثَرُ [٢] .

*****

(١) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤١٣/١١) .

(٢) «فيض القدير» للمناوي (٥٦٦/٢) .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ السَّادِسُ

هَذِهِ الأُمَّةُ لا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلالَةٍ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ :" **إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَجَارَ أُمَّتِي أَنْ تَجْتَمِعَ عَلَى ضَلالَةٍ** " (١). وفي رِوَايَةٍ قَالَ :" **إِنَّ اللَّهَ لا يَجْمَعُ أُمَّتِي** – **أَوْ قَالَ** : **أُمَّةَ مُحَمَّدٍ** ﷺ – **عَلَى ضَلالَةٍ، وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ** " (٢).

قوله: (**إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَجَارَ أُمَّتِي أَنْ تَجْتَمِعَ عَلَى ضَلالَةٍ**) أَيْ حَمَاهَا ومَنَعَهَا وأَنْقَذَهَا؛ وَالْمُرَادُ بِأُمَّتِهِ هُمْ أُمَّةُ الإِجَابَةِ، لا أُمَّةُ الدَّعْوَةِ، وهُمُ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِدَعْوَتِهِ ﷺ، وآمَنُوا بِهِ، وعُزَّرُوهُ، ونَصَرُوهُ، وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ؛ وَالْمُرَادُ بِالأُمَّةِ عُلَمَاؤُهَا، لأَنَّ الْعَامَّةَ تَأْخُذُ دِينَهَا مِنْ عُلَمَائِهَا، وَإِلَيهَا تَفْزَعُ عِنْدَ النَّوَازِلِ، فَاقْتَضَتِ الْحِكْمَةُ حِفْظَهَا؛ قَالَ الطِّيْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : وقَولُهُ:" **أُمَّةَ مُحَمَّدٍ** ". أَظْهَرُ فِي الدِّرَايَةِ، لأَنَّ التَّخْصِيصَ يَدُلُّ عَلَى امْتِيَازِ أُمَّتِهِ ﷺ

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» برقم (٨٣) ورواه عن كعب بن عاصم الأشعري مرفوعاً برقم (٨٢) وأخرجه الضياء في «المختارة» (٢٥٥٩) .

(٢) رواه الترمذي في سننه عن ابن عمر (٢١٦٧) ، وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه . ورواه الحاكم في المستدرك عنه من رقم (٣٩١) إلى (٣٩٧) ثم قال : وقد روي عنه – أي المعتمر بن سليمان – هذا الحديث بأسانيد يصح بمثلها الحديث، فلا بد من أن يكون له أصل بأحد هذه الأسانيد، ثم وجدنا للحديث شواهد من غير حديث المعتمر لا أدعي صحتها، ولا أحكم بتوهينها، بل يلزمني ذكرها لإجماع أهل السنة على هذه القاعدة من قواعد الإسلام، فممن روي عنه هذا الحديث من الصحابة عبد الله بن عباس (٣٩٨)، (٣٩٩) قال المناوي في «فيض القدير» نقلاً عن ابن حجر: رجاله رجال الصحيح إلا إبراهيم بن ميمون . وقال فيه الحاكم : قد عَدَّلَهُ عبدالرزاق وأثنى عليه، وعبدالرزاق إمام أهل اليمن وتعديله حجة. وقال الهيثمي في المجمع : رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات رجال الصحيح خلا مرزوق مولى آل طلحة وهو ثقة . وأخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي مسعود الأنصاري بمعناه موقوفاً (٨٥٤٥) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي . وصَحَّحَهُ الحافظ في «التلخيص الحبير» (٣٠١/٣) وقال: ومثله لا يقال من قبل الرأي. أي أنه مرفوع حكماً، والله أعلم.

www.saida-islam.weebly.com

عَنْ جَمِيعِ الأُمَمِ بِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ، فَيَلْزَمُ مِنْهُ امْتِيَازُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمُسَمَّاةِ بِأَهْلِ السُّنَّةِ والْجَمَاعَةِ مِنَ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ [١]. وفِيهِ أَنَّ إِجْمَاعَ أُمَّتِهِ حُجَّةٌ، وهُوَ مِنْ خَصَائِصِهَا [٢].

قوله: (وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ) قَالَ الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : مَعْنَى «عَلَى» كَمَعْنَى «فَوقَ » في قَولِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [٣]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تَفْسِيرِ الآيَةِ :" **يَدُ اللَّهِ بِالْوَفَاءِ بِمَا وَعَدَهُم مِنَ الْخَيرِ فَوقَ أَيْدِيهِم**" [٤].

وقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ :

أَحَدُهَا : يَدُ اللَّهِ فِي الْوَفَاءِ فَوقَ أَيْدِيهِم .

وَالثَّانِي : يَدُ اللَّهِ فِي الثَّوَابِ فَوقَ أَيْدِيهِم .

وَالثَّالِثُ : يَدُ اللَّهِ عَلَيهِم فِي الْمِنَّةِ بِالْهِدَايَةِ فَوقَ أَيْدِيهِم بِالطَّاعَةِ . ذَكَرَ هَذِهِ الأَقْوَالَ الزَّجَّاجُ .

وَالرَّابِعُ : قُوَّةُ اللَّهِ ونُصْرَتُهُ فَوقَ قُوَّتِهِم ونُصْرَتِهِم؛ ذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ كَيسَانَ [٥].

وعَلَى جَمِيعِ الأَقْوَالِ، فَإِنَّ وَعْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِهَذِهِ الأُمَّةِ بِالنُّصْرَةِ وَالْحِفَاظَةِ وَالتَّمْكِينِ فِي الأَرْضِ وَالاِسْتِخْلافِ فِيهَا، كُلُّ ذَلِكَ مَرْبُوطٌ بِاجْتِمَاعِيَّتِها وتَعَاوُنِهَا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وإِقَامَةِ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ ﴾ [الحج:٤٠] .

---

(١) «فيض القدير» (٢/٢٧١) .

(٢) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/٤٨٧) .

(٣) «فيض القدير» (٢/٢٧١) .

(٤) «تفسير البغوي» (٧/٣٠٠) .

(٥) «زاد المسير في علم التفسير» (٧/٤٢٧) .

www.saida-islam.weebly.com

وإِذَا تَنَازَعَتْ هُذِهِ الأُمَّةُ في أَمْرِهَا، وتَنكَّبَتْ طَرِيقَ نَبِيِّهَا ﷺ، فَإِنَّ اللهَ ﷻ تَوعَّدَهُم بِرَفْعِ النُّصْرَةِ والْحِفَاظَةِ عَنْهُم، كَمَا قَالَ ﷻ : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال:٤٦]، وقَالَ ﷻ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران :١٠٤– ١٠٥] . فَبَعْدَ أَنْ أَمَرَ اللهُ ﷻ بِأَنْ نَكُونَ أُمَّةً، أَوْ تَكُونَ مِنَّا أُمَّةٌ تَدْعُو إِلى الْخَيرِ، وتَأْمُرُ بالْمَعْرُوفِ وتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وبَيَّنَ أَنَّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ دُونَ سِوَاهُمْ، لأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِين يُقِيمُونَ الدِّينَ ويَحْفَظُونَ سِيَاجَهُ، وبِهِمْ تَتَحَقَّقُ الْوِحْدَةُ الْمَقْصُودَةُ مِنهُ، بَعْدَ هَذَا الأَمْرِ نَهَانَا عَنِ التَّفَرُّقِ والاِخْتِلافِ الَّذِي يَذْهَبُ بِتِلْكَ الْوِحْدَةِ، ويَتَعَذَّرُ مَعَهُ الْقِيَامُ بِتِلْكَ الدَّعْوَةِ الصَّالِحَةِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾، وهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، تَفَرَّقُوا فِي الدِّينِ وكَانُوا شِيَعاً، كُلُّ شِيعَةٍ تَذْهَبُ مَذْهَباً يُخَالِفُ مَذْهَبَ الأُخْرَى، وصَارَ كُلُّ يَنْصُرُ مَذْهَبَهُ، ويَدْعُو إِلَيْهِ، ويُخَطِّئُ مَا سِوَاهُ، حَتَّى تَعَادَوْا واقْتَتَلُوْا عَلَى ذَلِكَ، فَلَوْ كَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً، أَوْ كَانَ فِيهِم أُمَّةٌ تَدْعُو إِلى الخَيْرِ، وتَأْمُرُ بالْمَعْرُوفِ، وتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ مُعْتَصِمِينَ بِحَبْلٍ وَاحِدٍ، لَمَا تَفَرَّقُوا فِي الْمَقَاصِدِ، ولَوْ لَمْ يَتَفَرَّقُوا لَمَا اخْتَلَفُوا فِي الدِّينِ، ولَمَا تَعَدَّدَتْ فيهِمُ الْمَذَاهِبُ فِي أُصُولِهِ وفُرُوعِهِ، حَتَّى قَتَلَ بَعْضُهُم بَعْضاً، فَلا تَكُونُوا مِثْلَهُم، فَيَحِلَّ بِكُمْ مَا حَلَّ بِهِمْ، فَهَذِهِ الآيَةُ مُتَمِّمَةٌ لِقَولِهِ ﷻ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ ومَا بَعْدَهَا، فَالاِعْتِصَامُ بِحَبْلِ اللهِ هُوَ الأَصْلُ، وبِهِ يَكُونُ الاِجْتِمَاعُ وَالاِتِّحَادُ الَّذِي يَجْعَلُ الأُمَّةَ كَالشَّخْصِ الْوَاحِدِ، وَالدَّعوةُ إِلى الخَيْرِ هِيَ الَّتِي تَغْذُوا هَذِهِ الْوِحْدَةَ وتُمِدُّهَا وتُنَمِّيهَا، والأَمْرُ بالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ تَقُومُ بِهِ أُمَّةٌ قَوِيَّةٌ، هُوَ الَّذِي يَحْفَظُهَا ويُؤَيِّدُهَا ويَشُدُّ أَزْرَهَا [١] .

ولَمَّا هَاجَرَ ﷺ إِلى الْمَدِينَةِ كَانَ أَوَّلَ فِعْلٍ فَعَلَهُ هُوَ الْمُؤَاخَاةُ بَينَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، والَّتِي تُعَدُّ اللَّبِنَةَ الأَسَاسِيَّةَ فِي بِنَاءِ عِمَادِ الدَّوْلَةِ الإِسْلامِيَّةِ .

---

(١) «تفسير المنار» لمحمد رشيد رضا (٤/٣٨-٣٩) .

www.saida-islam.weebly.com

وقَدْ أَمَرَ ﷻ باتِّبَاعِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وهُوَ مَا اجْتَمَعَتْ عَلَيهِ الأُمَّةُ، وحَذَّرَ مِنْ مُخَالَفَتِهِ، فَقَالَ ﷻ : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] .

وقَدْ أَمَرَ ﷺ بكُلِّ مَا يُؤَدِّي إلى اجْتِمَاعِيَّةِ الأُمَّةِ، ورَغَّبَ فِيهِ، فَقَالَ ﷺ :" **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا** " (١). كَمَا نَهَى ﷺ عَنْ كُلِّ مَا يُؤَدِّي إلى افْتِرَاقِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَاخْتِلافِهِم، فَقَالَ :" **اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ، فَقُومُوا** " (٢). وقَالَ ﷺ : "**مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ** " (٣). ونَهَى ﷺ عَنِ الْجِدَالِ، لأَنَّهُ يُفَرِّقُ الْقُلُوبَ، فَقَالَ ﷺ :" **أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا** " (٤)، وَالْمِرَاءُ هُوَ الجِدَالُ . وَقَالَ ﷺ :" **مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ، إِلاَّ أُوتُوا الْجَدَلَ** " (٥) .

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخِدْرِيِّ ﷺ قَالَ : كُنَّا جُلُوساً عِندَ بَابِ رَسُولِ ﷲ ﷺ نَتَذَاكَرُ يَنْزِعُ هَذَا بِآيَةٍ، وَيَنْزِعُ هَذَا بِآيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَينَا رَسُولُ ﷲ ﷺ كَأَنَّمَا يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ، فَقَالَ :" **يَا هَؤُلاءِ بِهَذَا بُعِثْتُمْ ؟! أَمْ بِهَذَا أُمِرْتُمْ ؟! لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعضٍ** " (٦).

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة (٢٠٣)، (٢٠٤) .

(٢) رواه البخاري عن جندب بن عبد ﷲ (٥٠٦٠)، (٧٣٦٤)، (٧٣٦٥) ومسلم (٦٩٨٤)، (٦٩٨٥) .

(٣) رواه مسلم عن عرفجة (٤٩٠٤) .

(٤) رواه أبو دوواد في سننه عن أبي أمامة برقم (٤٨٠٢) وقال النووي في «رياض الصالحين»: حديث صحيح، رواه أبو داوود بإسناد صحيح .

(٥) رواه أحمد في مسنده برقم (٢٢٢١٨) والترمذي في سننه برقم (٣٢٥٣) وقال: حديث حسن صحيح .

(٦) رواه أحمد في مسنده عن عبد ﷲ بن عمر (٦٨٤٥) وابن ماجه بنحوه (٨٥) قال البوصيري في الزوائد: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وقال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار، وعن أنس مثله، رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات أثبات .

www.saida-islam.weebly.com

ورَغَّبَ الشَّارِعُ بالإِصْلاحِ بَينَ النَّاسِ، لِمَا فِيهِ مِنَ الأَثَرِ عَلَى اجْتِمَاعِيَّةِ الْكَلِمَةِ؛ فَقَالَ ﷻ : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات:٩]، وقَالَ : ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[النساء : ١١٤] .

ونَهَى ﷺ عَنِ الادِّعَاءِ بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ :" **مَنْ سَمِعْتُمُوهُ يَتَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعْضُوهُ بِهَنِ أَبِيهِ، ولا تُكَنُّوا** " (١) .

وكُلُّ مَا خَرَجَ عَنْ دَعْوَةِ الإِسْلامِ وَالْقُرْآنِ، مِنْ نَسَبٍ، أَوْ بَلَدٍ، أَوْ جِنْسٍ، أَوْ مَذْهَبٍ، أَوْ طَرِيقَةٍ، فَهُوَ مِنْ عَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ بَلْ لَمَّا اخْتَصَمَ رَجُلانِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ، فَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ : يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، وقَالَ الأَنْصَارِيُّ : يَا لَلأَنْصَارِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وأَنَا بَينَ أَظْهُرِكُمْ ؟!** " وغَضِبَ لِذَلِكَ غَضَباً شَدِيداً (٢).

كَمَا رَغَّبَ ﷺ فِي التَّحَابِّ فِي **اللَّهِ**، وبَيَّنَ أَنَّهُ أَوْثَقُ عُرَى الإِيْمَانِ؛ فَقَالَ :" **إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الإِيْمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وتُبْغِضَ فِي اللَّهِ** " (٣). وقَالَ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ ﷻ :" **الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ والشُّهَدَاءُ** " (٤) .

---

(١) رواه أحمد في مسنده عن أبي بن كعب (٢١٢٣٦) ، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٦٣) والنسائي في الكبرى (٨٨٦٥) والطبراني في الكبير (٥٣٢) وقال الهيثمي في المجمع : رجاله ثقات .

(٢) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٣٢٨/٢٨) والحديث متفق على صحته .

(٣) رواه أحمد في مسنده عن البراء بن عازب (١٨٧٢٦) وقال الهيثمي : وفيه ليث بن أبي سليم، وضعَّفه الأكثر . قلت : ولكن له طرق يتقوَّى بها الحديث ويرتقي إلى درجة الحسن ؛ **واللَّهُ** أعلم .

(٤) رواه أحمد في مسنده عن معاذ بن جبل (٢٢٠٨٠) والترمذي في سننه (٢٣٩٠) وقال: حديث حسن صحيح .

www.saida-islam.weebly.com

وقَالَ ﷺ :" **لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ أَقْوَاماً يومَ الْقِيَامَةِ، في وُجُوهِهِمُ النُّورُ، عَلَى مَنَابِرِ اللُّؤْلُؤِ، يَغْبِطُهُمُ النَّاسُ، لَيسُوا بِأَنْبِيَاءَ ولا شُهَدَاءَ** ". قَالَ : فَجَثَى أَعْرَابِيٌّ عَلَى رُكْبَتَيهِ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! صِفْهُمْ لَنَا نَعْرِفْهُم. قَالَ :" **هُمُ الْمُتَحَابُّونَ في اللَّهِ، مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى، وبِلادٍ شَتَّى، يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ يَذْكُرُونَهُ** " [١]. وفي رِوَايَةٍ :" **هُمْ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ، ونَوَازِعِ الْقَبَائِلِ، لَمْ تَصِلْ بَينَهُم أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ، تَحَابُّوا في اللَّهِ، وتَصَافَوْا، يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يومَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، فَيَجْلِسُونَ عَلَيهَا، فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُوراً، وثِيَابَهُم نُوراً، يَفْزَعُ النَّاسُ يومَ الْقِيَامَةِ، ولا يَفْزَعُونَ، وهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لا خَوفٌ عَلَيهِم ولا هُمْ يَحْزَنُونَ** " [٢].

مَعْنَى الْحَدِيثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ فَضِيلَةً عَظِيمَةً لِهَذِهِ الأُمَّةِ، لَمْ تَسْبِقْهَا إِلَيهَا أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ، وهِيَ عِصْمَتُهَا مِنَ الاِجْتِمَاعِ عَلَى الْخَطَإِ، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ في الْعَقِيدَةِ أَوْ في الشَّرِيعَةِ، فَهِيَ خَيرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وتُؤْمِنُ بِاللهِ، وإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، وَجَبَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الأُمَّةُ لا تَحْكُمُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، فَلِذَلِكَ كَانَ إِجْمَاعُهُم حُجَّةً، وهَذِهِ الْخُصُوصِيَّةُ لَمْ تَكُنْ لأُمَّةٍ قَبْلَهَا، بَلْ إِنَّ الأُمَمَ السَّابِقَةَ قَدِ اجْتَمَعَتْ عَلَى الضَّلالِ الأَكْبَرِ، فَقَدْ حَرَّفُوا كُتُبَهُم، وبَدَّلُوا، وكَتَمُوا، وتَوَاصَوْا، وكَتَبُوا مَا أَرَادُوا، وقَالُوا : هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، ثُمَّ اشْتَهَرَتْ تِلْكَ الْكُتُبُ، وتَنَاقَلَهَا خَلَفُهُم عَنْ سَلَفِهِمْ، فَصَارَتِ الْمُغَيَّرَةُ الْمُبَدَّلَةُ هِيَ الْمَشْهُورَةَ، وَالصَّحِيحَةُ بَينَهُم خَفِيَّةً جِدًّا؛ فَالْيَهُودُ السَّامِرَةُ غَيَّرُوا مَوَاضِعَ في التَّوْرَاةِ، ثُمَّ اشْتَهَرَتِ النُّسَخُ الْمُغَيَّرَةُ عِنْدَ جَمِيعِهِم، فَلا يَعْرِفُونَ سِوَاهَا، وهُجِرَتْ بَينَهُمُ النُّسَخُ الصَّحِيحَةُ بِالْكُلِّيَّةِ، كَذَلِكَ التَّوْرَاةُ الَّتِيْ بِأَيْدِيْ النَّصَارَى .

---

(١) قال المنذري في الترغيب : رواه الطبراني بإسناد حسن .

(٢) رواه أحمد في مسنده عن أبي مالك الأشعري (٢٢٩٠٦) وقال المنذري في الترغيب : بإسناد حسن . ورواه الحاكم في المستدرك عن ابن عمر بنحوه (٧٣١٨) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

www.saida-islam.weebly.com

وهَكَذَا تُبَدَّلُ الأَدْيَانُ وَالْكُتُبُ، ولَوْلاَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَوَلَّى حِفْظَ الْقُرْآنِ بِنَفْسِهِ، وضَمِنَ لِلأُمَّةِ أَنْ لا تَجْتَمِعَ عَلَى ضَلالَةٍ، لأَصَابَهُ مَا أَصَابَ الْكُتُبَ قَبْلَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر:٩] (١) .

كَمَا بَيَّنَ ﷺ أَنَّ مَعِيَّةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وقُوَّتَهُ ونُصْرَتَهُ وحِفَاظَتَهُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ، إِنَّمَا تَكُونُ بِاجْتِمَاعِيَّتِهَا عَلَى الْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَيهَا، وقِيَامِهَا بِهِ حَقَّ الْقِيَامِ، إِيْمَاناً، وعَمَلاً، ودَعْوَةً، وجِهَاداً، كَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، حَيثُ نَالُوا الْحَظَّ الأَكْبَرَ مِنْ مَعِيَّةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ونُصْرَتِهِ وتَأْيِيْدِهِ، ومَا كَانَ هَذَا لِيَتِمَّ لَهُمْ، إِلاَّ لأَخْذِهِمْ هَذَا الدِّيْنَ بِقُوَّةٍ، وقِيَامِهِمْ بِهِ حَقَّ الْقِيَامِ .

*****

(١) «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» لابن القيم ص (١١٧) .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ السَّابِعُ

تَجَاوُزُ اللهُ وَجَلَّ عَنْ هَذِهِ الأُمَّةِ الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيهِ وَمَا وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ :" **إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ** " (١). وفي رِوَايَةٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ** " (٢) .

قوله: (**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي**) أَيْ عَفَا عَنْهُم؛ وهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ جَازَهُ يَجُوزُهُ، إِذَا تَعَدَّاهُ إِلى غَيرِهِ (٣). والْمُرَادُ بِالأُمَّةِ هِيَ أُمَّةُ الإِجَابَةِ، وظَاهِرُ لَفْظِ الْحَدِيثِ فِي قَولِهِ: «**أُمَّتِي**» يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ .

قوله: (**الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ**) الْخَطَأُ : هُوَ أَنْ يَقْصِدَ بِفِعْلِهِ شَيْئاً، فَيُصَادِفَ فِعْلُهُ غَيرَ مَا قَصَدَ، مِثْلُ أَنْ يَقْصِدَ قَتْلَ كَافِرٍ، فَصَادَفَ قَتْلُهُ مُسْلِماً .

وَالنِّسْيَانُ : أَنْ يَكُونَ ذَاكِراً الشَّيْءَ، فَيَنْسَاهُ عِنْدَ الْفِعْلِ؛ وكِلاهُمَا مَعْفُوٌّ عَنْهُ، بِمَعْنَى أَنَّهُ لا إِثْمَ فِيهِ، ولَكِنَّ رَفْعَ الإِثْمِ لا يُنَافِي أَنْ يَتَرَتَّبَ عَلَى نِسْيَانِهِ حُكْمٌ، كَمَا أَنَّ مَنْ نَسِيَ الْوُضُوءَ وصَلَّى ظَانّاً أَنَّهُ مُتَطَهِّرٌ، فَلا إِثْمَ عَلَيهِ بِذَلِكَ، ثُمَّ إِنْ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ كَانَ قَدْ صَلَّى مُحْدِثاً، فَإِنَّ عَلَيهِ الإِعَادَةَ، ولَوْ تَرَكَ الصَّلاةَ نِسْيَاناً ثُمَّ ذَكَرَ، فَإِنَّ عَلَيهِ الْقَضَاءَ، كَمَا قَالَ

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه (٢٠٤٥) والبيهقي في سننه (١٤٨٧١) وابن حبان في صحيحه (٧٢١٩) والطبراني في الأوسط (٢١٣٧) والحاكم في المستدرك (٢٨٠١) وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي . وروي عن عدد من الصحابة بعدة ألفاظ، منهم ابن عمر وعقبة بن عامر وأبو ذر وثوبان؛ وحَسَّنَهُ النووي في «روضة الطالبين» و«الأربعين» وأَقَرَّهُ الحافظ في «التلخيص الحبير» كما حَسَّنَهُ ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» وقال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن مصفى، وَثَّقَهُ أبو حاتم وغيره، وفيه كلام لا يضر، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٢) رواه البخاري برقم (٢٥٢٨)، (٥٢٦٩)، (٦٦٦٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٣٤٦) و (٣٤٧) .

(٣) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٨٣٧/١) .

www.saida-islam.weebly.com

ﷺ :" **مَنْ نَامَ عَنْ صَلاةٍ أَوْ نَسِيَهَا، فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا، لا كَفَّارَةَ لَهَا إِلاَّ ذَلِكَ،** ثُمَّ تَلا : ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٰ﴾ [طه : ١٤] " [١]. ولَوْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً، فَإِنَّ عَلَيهِ الْكَفَّارَةَ وَالدِّيَةَ بِنَصِّ الْكِتَابِ، وكَذَا لَوْ أَتْلَفَ مَالَ غَيرِهِ خَطَأً، يَظُنُّ أَنَّهُ مَالُ نَفْسِهِ .

والأَظْهَرُ – واللهُ أَعْلَمُ – أَنَّ النَّاسِيَ وَالْمُخْطِئَ إِنَّمَا عُفِيَ عَنْهُمَا – بِمَعْنَى رُفِعَ الإِثْمُ عَنْهُمَا – لأَنَّ الإِثْمَ مُرَتَّبٌ عَلَى الْمَقَاصِدِ وَالنِّيَّاتِ، والنَّاسِي وَالْمُخْطِئُ لا قَصْدَ لَهُمَا، فَلا إِثْمَ عَلَيهِمَا، وأَمَّا رَفْعُ الأَحْكَامِ عَنْهُمَا فَلَيسَ مُرَاداً مِنْ هَذِهِ النُّصُوصِ، فَيُحْتَاجُ فِي ثُبُوتِهَا ونَفْيِهَا إِلى دَلِيلٍ آخَرَ [٢]. ومِنَ الْخَطَإِ الْمَعْفُوِّ عَنْهُ، مَا إِذَا تَلَفَّظَ الْمُسْلِمُ بِلَفْظٍ لَمْ يَقْصِدْ مَا أَدَّى إِلَيهِ مِنْ مَعَانٍ مُسْتَقْبَحَةٍ، تُكَفِّرُ صَاحِبَهَا لَوْ أَرَادَهَا وقَصَدَهَا، وفِي ذَلِكَ أَمْثِلَةٌ أَصَّلَتْ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ الشَّرْعِيَّةَ، مِنْهُ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" **اللهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلاةٍ**"[٣].

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رحمه الله : فِيهِ أَنَّ مَا قَالَهُ الإِنْسَانُ مِنْ مِثْلِ هَذَا فِي حَالِ دَهْشَتِهِ وذُهُولِهِ لا يُؤَاخَذُ بِهِ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ حِكَايَةُ النَّبِيِّ ﷺ ذَلِكَ، ولَوْ كَانَ مُنْكَراً مَا حَكَاهُ[٤].

وقَالَ ابْنُ حَجَرٍ رحمه الله فِي سِيَاقِ حَدِيثِهِ عَنِ الَّذِي أَمَرَ بِحَرْقِ جَسَدِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ : وَلَعَلَّ هَذَا الرَّجُلَ قَالَ ذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ جَزَعِهِ وَنَحْوِهِ، كَمَا غَلِطَ ذَلِكَ الآخَرُ، فَقَالَ: أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ . وَأَظْهَرُ الأَقْوَالِ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ فِي حَالِ دَهْشَتِهِ وَغَلَبَةِ الْخَوْفِ عَلَيْهِ، حَتَّى ذَهَبَ بِعَقْلِهِ لِمَا يَقُولُ، وَلَمْ يَقُلْهُ قَاصِدًا لِحَقِيقَةِ مَعْنَاهُ، بَلْ فِي حَالَةٍ كَانَ فِيهَا كَالْغَافِلِ وَالذَّاهِلِ وَالنَّاسِي الَّذِي لا يُؤَاخَذُ بِمَا يَصْدُرُ مِنْهُ [٥] .

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة برقم (١٥٩٢) .

(٢) «جامع العلوم والحكم» ص (٣٧٥) .

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة برقم (٧١٢٩ – ٧١٣٨) .

(٤) «إكمال المعلم (١٢٠/٨) وانظر «فتح الباري» (١٠٨/١١) .

(٥) «فتح الباري» (٥٢٣/٦) .

www.saida-islam.weebly.com

وكَذَلِكَ كَانَتِ الْيَهُودُ تُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِقَولِهِم لَهُ :" رَاعِنَا ". وقَدْ قَالَهَا أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَيرِ أَنْ يَقْصُدُوا مَقْصَدَ الْيَهُودِ، فَلَمْ يَكْفُرُوا، لِسَلامَةِ مَقْصَدِهِمْ، ونَادَاهُمُ الْقُرْآنُ باسْمِ الإِيْمَانِ، فَقَالَ ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ﴾ [البقرة :١٠٤] (١) .

قوله: (وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ) أَيْ حُمِلُوا عَلَيهِ قَهْراً؛ وشَرْطُهُ قُدْرَةُ الْمُكْرِهِ عَلَى تَحْقِيقِ مَا هَدَّدَ بِهِ، مِمَّا يُؤْثِرُ الْعَاقِلُ الإِقْدَامَ عَلَى الْمُكْرَهِ عَلَيهِ (٢) .

فَالإِكْرَاهُ مَانِعٌ مِنْ مَوَانِعِ مُؤَاخَذَةِ اللَّهِ ﷻ لِلْعَبْدِ، إِذْ قَدْ يُكْرَهُ الْمُسْلِمُ عَلَى أَمْرٍ هُوَ مِنَ الْكُفْرِ، ولا مَخْرَجَ مِنْهُ، فَهَذَا مِمَّا يَعْذُرُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ، فَإِنَّ التَّكَالِيفَ الشَّرْعِيَّةَ مَنُوطَةٌ بِالاسْتِطَاعَةِ، والإِكْرَاهُ أَمْرٌ خَارِجٌ عَنْهَا، لِذَا فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُكَلِّفْ بِهِ عِبَادَهُ رَحْمَةً مِنْهُ وفَضْلاً، ودَلِيلُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مُقَرَّرٌ فِي قَولِهِ ﷻ : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [النحل : ١٠٦]، كَمَا عَذَرَ اللَّهُ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْهِجْرَةِ الْمُسْتَضْعَفِينَ الْمُكْرَهِينَ عَلَى الْبَقَاءِ فِي مَكَّةَ، وَاسْتَثْنَاهُمْ مِنَ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ، حِينَ قَالَ مُتَوَعِّداً الْمُتَخَلِّفِينَ فِي مَكَّةَ : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ٩٨ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوّٗا غَفُورٗا ﴾ [النساء : ٩٧ – ٩٨] .

---

(١) قال الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ :" القول المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الدين، أنهم لا يُكَفِّرُونَ ولا يُفَسِّقُونَ ولا يُؤَثِّمُونَ أحداً من المجتهدين المخطئين، لا في مسألة عمليَّة [فقهية]، ولا علميَّة [اعتقادية] ". وقال: "فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ، فإن اللَّهَ يغفر له خطأه كائناً ما كان، سواء كان في المسائل النظرية أو العملية، هذا الذي عليه أصحاب النبي وجماهير أئمة الإسلام ". «مجموع الفتاوى» (١٩/٢٠٧). فالإعذار بالجهل أو التأويل أو الإكراه وغيرها هو رحمة من اللَّهَ يتفضل بها على عباده الذين ما قصدوا محادَّته، ولا تعمَّدوا مخالفة أمره، وهي فضلٌ يشمل قضايا المعتقد والفقه بلا تفريق، فإنَّ مَنْ أخطأ – مع استفراغ الوسع والجهد – في بابٍ من أبواب المعتقد كان كمن أخطأ في مسائل الفقه والأحكام، سواءً بسواء، فعفو اللَّهَ ورحمته تنال الجميع .

(٢) «فيض القدير» (٢/٢١٩) .

www.saida-islam.weebly.com

قوله: (مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ) الْمُرَادُ نَفْيُ الْحَرَجِ عَمَّا يَقَعُ فِي النَّفْسِ حَتَّى يَقَعَ الْعَمَلُ بِالْجَوَارِحِ، أَوِ الْقَوْلُ بِاللِّسَانِ عَلَى وِفْقِ ذَلِكَ . وَالْمُرَادُ بِالْوَسْوَسَةِ تَرَدُّدُ الشَّيْءِ فِي النَّفْسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ وَيَسْتَقِرَّ عِنْدَهُ، وَلِهَذَا فَرَّقَ الْعُلَمَاءُ بَيْنَ الْهَمِّ وَالْعَزْمِ [١] .

فَالْهَمُّ الَّذِي لا يُؤَاخَذُ الْعَبْدُ بِهِ هُوَ الْخَوَاطِرُ الَّتِي لا تُوَطِّنُ النَّفْسُ عَلَيهَا، ولا يَصْحَبُهَا عَقْدٌ ولا نِيَّةٌ ولا عَزْمٌ، وإِنَّمَا مَرَّ ذَلِكَ بِفِكْرِهِ مِنْ غَيرِ اسْتِقْرَارٍ [٢]. وعَلَى هَذَا يُحْمَلُ هَذَا الْحَدِيثُ، وحَدِيثُ :" **وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً** "[٣].

أَمَّا إِذَا عَزَمَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ بِقَلْبِهِ، وَوَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَيهَا، فَإِنَّهُ يَأْثَمُ لأَجْلِ عَزْمِهِ وإِصْرَارِهِ، وذَلِكَ لِلنُّصُوصِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمُؤَاخَذَةِ بِعَزْمِ الْقَلْبِ الْمُسْتَقِرِّ، ومِنْ ذَلِكَ قَولُهُ ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[النور: ١٩]، وقَولُهُ ﷻ : ﴿ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات : ١٢]، والآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ .

وقَدْ تَظَاهَرَتْ نُصُوصُ الشَّرْعِ وإِجْمَاعُ الْعُلَمَاءِ عَلَى تَحْرِيمِ الْحَسَدِ وَاحْتِقَارِ الْمُسْلِمِينَ، وإِرَادَةِ الْمَكْرُوهِ بِهِمْ، وغَيرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وعَزْمِهَا، كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَولِهِ :" **إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**". فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ :" **إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**"[٤].

---

(١) «فتح الباري» (١٦١/٥) .

(٢) «شرح مسلم للنووي» (٣٣٠/٢) .

(٣) رواه البخاري عن ابن عباس برقم (٦٤٩١) ومسلم برقم (٣٥٥) .

(٤) رواه البخاري عن أبي بكرة برقم (٣١)، (٦٨٧٥)، (٧٠٨٣) ومسلم برقم (٧٤٣٤)، (٧٤٣٥) .

www.saida-islam.weebly.com

وقَولِهِ ﷺ :" إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ ": فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وفِيهِ "وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالاً وَلاَ عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ " (١) .

مَعْنَى الْحَدِيثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

هَذَانِ الْحَدِيثَانِ فِيهِمَا بَيَانُ عَظِيمِ فَضْلِ اللَّهِ وَجَلَّ وَامْتِنَانِهِ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ، حَيثُ اخْتَصَّهَا بِمَزِيدِ فَضْلِهِ ورَحْمَتِهِ، وذَلِكَ بِتَخْفِيفِهِ عَنْهَا مِمَّا كَانَ عَلَى غَيرِهِمْ مِنَ الإِصْرِ وَالأَغْلاَلِ، فَقَدْ تَجَاوَزَ لَهَا عَمَّا صَدَرَ مِنْهَا عَلَى سَبِيلِ الْخَطَإِ وَالنِّسْيَانِ وَالإِكْرَاهِ، كَمَا تَجَاوَزَ لَهَا عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٤]، قَالَ : فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا : أَيْ رَسُولَ اللَّهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلاَةُ وَالصِّيَامُ وَالْجِهَادُ وَالصَّدَقَةُ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الآيَةُ، وَلاَ نُطِيقُهَا . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ، سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، بَلْ قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ". قَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ . فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ، ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ، نَسَخَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ وَجَلَّ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا

(١) رواه أحمد في مسنده عن أبي كبشة الأنماري (١٨٠٣١) والترمذي في سننه (٢٣٢٥) وقال : حديث حسن صحيح .

www.saida-islam.weebly.com

﴿ أَكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ ﴾ قَالَ : نَعَمْ . ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ ﴾ قَالَ : نَعَمْ . ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ ﴾ قَالَ : نَعَمْ . ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ قَالَ : نَعَمْ [(١)] .

كَمَا أَنَّ اللَّهَ وَجَلَّ مَنَّ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ بِأَنْ جَعَلَ هَمَّهَا بِالْحَسَنَةِ أَجْراً، وهَمَّهَا بِالسَّيِّئَةِ مَعْفُوّاً عَنْهُ، وجَعَلَ الْحَسَنَةَ مُضَاعَفَةً، وَالسَّيِّئَةَ بِمِثْلِهَا، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٦٠]، وقَالَ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ وَجَلَّ : " إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً " [(٢)]. وفي رِوَايَةٍ :" مَحَاهَا اللَّهُ وَجَلَّ، وَلا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ هَالِكٌ " [(٣)] .

وَمِمَّا يُسْتَأْنَسُ بِهِ فِي بَيَانِ أَنَّ هَذِهِ الْفَضَائِلَ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الأُمَّةِ، مَا رُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ﴾ قَالَ :" لَمَّا أَخَذَ مُوسَى الأَلْوَاحَ قَالَ : رَبِّ، إِنِّيْ أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً خَيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَونَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَاجْعَلْهُمْ أُمَّتِيْ! قَالَ : تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ! قَالَ : رَبِّ إِنِّيْ أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً هُمُ الآخِرُونَ - أَيْ آخِرُونَ فِي الْخَلْقِ - السَّابِقُونَ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، رَبِّ اجْعَلْهُمْ أُمَّتِيْ! قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ! قَالَ: رَبِّ إِنِّيْ أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً أَنَاجِيْلُهُم فِي صُدُورِهِمْ يَقْرَؤُونَهَا،- وكَانَ مَنْ قَبْلَهُمْ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ نَظَرًا، حَتَّى إِذَا رَفَعُوهَا لَمْ يَحْفَظُوا شَيْئًا،

---

(١) رواه مسلم برقم (٣٤٤) .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) رواه مسلم برقم (٣٥٦) .

www.saida-islam.weebly.com

ولَمْ يَعْرِفُوهُ. قَالَ قَتَادَةُ : وإنَّ اللَّهَ أَعْطَاكُمْ أَيَّتُهَا الأُمَّةُ مِنَ الْحِفْظِ شَيْئًا لَمْ يعْطِهِ أَحَدًا مِنَ الأُمَمِ – قَالَ : رَبِّ اجْعَلْهُم أُمَّتِيْ! قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ! قَالَ: رَبِّ إِنِّيْ أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ الأَوَّلِ وبِالْكِتَابِ الآخِرِ، ويُقَاتِلُونَ فُضُولَ الضَّلالَةِ، حَتَّى يُقَاتِلُوا الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، فَاجْعَلْهُم أُمَّتِيْ! قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ! قَالَ: رَبِّ إِنِّيْ أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً صَدَقَاتُهُم يَأْكُلُونَهَا فِي بُطُونِهِمْ، ثُمَّ يُؤْجَرُونَ عَلَيهَا – وكَانَ مَنْ قَبْلَهُم مِنَ الأُمَمِ إِذَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَقُبِلَتْ مِنْهُ، بَعَثَ اللَّهُ عَلَيهَا نَارًا فَأَكَلَتْهَا، وإِنْ رُدَّتْ عَلَيهِ تُرِكَتْ تَأْكُلُهَا الطَّيْرُ وَالسِّبَاعُ. قَالَ : وإنَّ اللَّهَ أَخَذَ صَدَقَاتِكُم مِنْ غَنِيِّكُمْ لِفَقِيرِكُمْ – قَالَ : رَبِّ اجْعَلْهُمْ أُمَّتِيْ! قَالَ : تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ! قَالَ : رَبِّ إِنِّيْ أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً إِذَا هَمَّ أَحَدُهُمْ بِحَسَنَةٍ ثُمَّ لَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرَ أَمْثَالِهَا إِلى سَبْعِمِائَةٍ، رَبِّ اجْعَلْهُمْ أُمَّتِيْ! قَالَ : تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ! قَالَ: رَبِّ إِنِّيْ أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً إِذَا هَمَّ أَحَدُهُمْ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تَكْتُبْ عَلَيهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا كُتِبَتْ عَلَيهِ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، فَاجْعَلْهُمْ أُمَّتِيْ! قَالَ : تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ! قَالَ : رَبِّ إِنِّيْ أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً هُمُ الْمُسْتَجِيبُونَ وَالْمُسْتَجَابُ لَهُمْ، فَاجْعَلْهُمْ أُمَّتِيْ! قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ، قَالَ: رَبِّ إِنِّيْ أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً هُمُ الْمُشَفَّعُونَ وَالْمَشْفُوعُ لَهُمْ، فَاجْعَلْهُمْ أُمَّتِيْ! قَالَ : تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ! قَالَ: وذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَى عليه السلام نَبَذَ الأَلْوَاحَ، وقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِيْ مِنْ أُمَّةِ أَحْمَدَ ! [(١)] .

ومِنْ فَضْلِ اللَّهِ سبحانه وتعالى ورَحْمَتِهِ بِهَذِهِ الأُمَّةِ، أَنَّهُ لَمْ يُكَلِّفْهُمْ بِمَا يَشُقُّ عَلَيهِمْ، فَاللهُ عز وجل مَا جَعَلَ عَلَيهَا فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ، قَالَ سبحانه وتعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥]، قَالَ سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج:٧٨]، وقَالَ ﷺ :" إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ " [(٢)]. عَلَى الْعَكْسِ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيهَا أُمُوراً شَاقَّةً؛ مِنْهَا :

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس موقوفاً (٩١٤٠) وابن جرير الطبري في تفسيره عن قتادة (١٥١٣٢) .

(٢) رواه أحمد في مسنده عن عائشة (٢٤٨٥٥)، (٢٥٩٦٢) وإسناده صحيح .

www.saida-islam.weebly.com

أَوَّلاً : **قَطْعُ مَوضِعِ النَّجَاسَةِ**؛ فَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ :" **إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا أَصَابَ أَحَدَهُمُ الْبَولُ قَرَضَهُ بِالْمِقْرَاضِ** " (١). أَمَّا هَذِهِ الأُمَّةُ، فَإِنَّهُ يَكْفِي فِي شَرْعِهَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ إِرَاقَةُ الْمَاءِ، وغَسْلُ الْمَحَلِّ فَقَطْ .

ثَانِياً : **عَدَمُ مُؤَاكَلَةِ الْحَائِضِ ومُخَالَطَتِهَا**؛ فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِم، لَمْ يُؤَاكِلُوهَا، ولَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ، فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللهُ سبحانه وتعالى : ﴿ **وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ** ﴾ [البقرة :٢٢٢]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :"**اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلاَّ النِّكَاحَ** ". فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ، فَقَالُوا : مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئاً إِلاَّ خَالَفَنَا فِيهِ (٢) .

ثَالِثاً : **تَعَيُّنُ الْقِصَاصِ فِي الْقَتْلِ**؛ فَقَدْ كَانَ مُتَحَتِّماً عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ الْقِصَاصُ، حَتَّى فِي الْخَطَإِ، ولَمْ تَكُنْ فِيهِمُ الدِّيَةُ فِي نَفْسٍ أَوْ جُرْحٍ، وهُوَ مَعْنَى قَولِهِ سبحانه وتعالى : ﴿ **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ** ﴾ [المائدة : ٤٥]، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ :" **كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى، ولَمْ يَكُنْ فِيهِمُ الدِّيَةُ، فَقَالَ اللهُ سبحانه وتعالى لِهَذِهِ الأُمَّةِ** : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ** ﴾ [البقرة: ١٧٨]، **فَالْعَفْوُ أَنْ يَقْبَلَ الدِّيَةَ فِي الْعَمْدِ، وذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ ورَحْمَةٌ مِمَّا كَتَبَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ** " (٣) .

---

(١) رواه البخاري عن أبي موسى الأشعري موقوفاً (٢٢٦) ومسلم (٦٤٨) ورواه أحمد في مسنده عنه مرفوعاً (١٩٥٣٧) وإسناده صحيح .

(٢) رواه مسلم برقم (٧٢٠) .

(٣) رواه البخاري برقم (٤٤٩٨) .

www.saida-islam.weebly.com

وقَالَ ﷺ :" **إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ تُجْعَلْ لَهُمْ دِيَةٌ فِيمَا كَتَبَ اللَّهُ لِمُوسَى فِي التَّوْرَاةِ مِنْ نَفْسٍ قُتِلَتْ، أَوْ جُرْحٍ، أَوْ سِنٍّ، أَوْ عَيْنٍ، أَوْ أَنْفٍ، إِنَّمَا هُوَ الْقِصَاصُ، أَوِ الْعَفْوُ** "[(١)].

وقَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ : ﴿ **ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ** ﴾ **رَحِمَ اللَّهُ هَذِهِ الأُمَّةَ وَأَطْعَمَهُمُ الدِّيَةَ، وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلَهُمْ، قَالَ: فَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ، إِنَّمَا بَيْنَهُمْ قِصَاصٌ أَوْ عَفْوٌ، لَيْسَ بَيْنَهُمْ أَرْشٌ، وَكَانَ أَهْلُ الإِنْجِيلِ، إِنَّمَا هُوَ عَفْوٌ أُمِرُوا بِهِ، وَجُعِلَ لِهَذِهِ الأُمَّةِ الْقِصَاصُ وَالْعَفْوُ وَالأَرْشُ**"، وَرُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَمُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ، وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ نَحْوُ ذَلِكَ[(٢)] .

رَابِعاً : قَتْلُ النَّفْسِ بِالتَّوْبَةِ؛ وذَلِكَ أَنَّهُم لَمَّا عَبَدُوا الْعِجْلَ، بَيَّنَ لَهُمْ مُوسَى عليه السلام طَرِيقَةَ التَّوبَةِ بَعْدَ الْعَزْمِ عَلَيهَا، وهُوَ أَنْ يَقْتُلَ الْبَرِيءُ مِنْهُمُ الْمُجْرِمَ؛ فَقَالَ سبحانه وتعالى عَلَى لِسَانِ مُوسَى : ﴿ **فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ** ﴾ **[البقرة : ٥٤]**[(٣)]، وذَلِكَ أَيْضاً هُوَ طَرِيقُ التَّوبَةِ فِي جُمْلَةِ الْمَعَاصِي، يَكُونُ بِقَطْعِ الأَعْضَاءِ الْخَاطِئَةِ كَاللِّسَانِ فِي الْكَذِبِ، والذَّكَرِ فِي الزِّنَا، وفَقْءِ الْعَينِ فِي النَّظَرِ لِلأَجْنَبِيَّةِ[(٤)] .

أَمَّا الأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ، فَإِنَّ اللَّهَ سبحانه وتعالى سَهَّلَ لَهَا طَرِيقَ التَّوْبَةِ، وأَخْبَرَ أَنَّهُ يَقْبَلُهَا، ويَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ، وأَنَّهُ يَفْرَحُ بِهَا فَرَحاً أَشَدَّ مِنْ فَرَحِ الرَّجُلِ الَّذِي وَجَدَ بَعِيرَهُ الَّذِي عَلَيهِ طَعَامُهُ وشَرَابُهُ، بَعْدَ أَنْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلاةٍ، ورَغَّبَ فِيهَا مَهْمَا كَانَ الذَّنْبُ، وبَيَّنَ أَنَّهُ يُبَدِّلُ السَّيِّئَاتِ إِلَى حَسَنَاتٍ، فَقَالَ سبحانه وتعالى : ﴿ **وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ** ﴾

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢٠٦٨) .

(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (١٦٠٠) و«تفسير الطبري» (٢٥٩٧) ورواه البيهقي في سننه (١٥٦٥٩) .

(٣) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٣٢)، (١٤٣٦٦) عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ :" **قَالُوا لِمُوسَى: مَا تَوْبَتُنَا ؟ قَالَ: يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، فَأَخَذُوا السَّكَاكِينَ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَقْتُلُ أَخَاهُ وَأَبَاهُ وَأُمَّهُ لا يُبَالِي مَنْ قَتَلَ، حَتَّى قُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى: مُرْهُمْ فَلْيَرْفَعُوا أَيْدِيَهُمْ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لِمَنْ قُتِلَ، وَتِيبَ عَلَى مَنْ بَقِيَ**".

(٤) «شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» (٣٨١/٥) .

www.saida-islam.weebly.com

﴿ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦٨-٦٩]، وقال ﷻ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣] .

كَمَا جَعَلَ ﷻ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ مُوجِبَاتٍ لِمَغْفِرَتِهِ، كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَالْجُمُعَةِ إِلى الْجُمُعَةِ، ورَمَضَانَ إِلى رَمَضَانَ، والْمُعَقِّبَاتِ أَدْبَارَ الصَّلَوَاتِ، والْمَشْيِ إِلى الْمَسَاجِدِ، وغَيرِهَا مِنَ الأَعْمَالِ والأَذْكَارِ وَالأَدْعِيَةِ الْكَثِيرَةِ .

خَامِساً : افْتِضَاحُ أَصْحَابِ الْمَعَاصِي مِنْهُمْ؛ فَقَدْ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِذَا أَذْنَبَ أَحَدُهُمْ ذَنْباً، أَوْ فَعَلَ مَعْصِيَةً، فَإِنَّهُ إِذَا أَصْبَحَ يَجِدُ مَكْتُوباً عَلَى بَابِ دَارِهِ : فُلانٌ فَعَلَ كَذَا وكَذَا، وكَفَّارَتُهُ كَذَا وكَذَا، ويَرَى ذَلِكَ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ [١]؛ فَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ :" **كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِذَا أَذْنَبَ أَحَدُهُمْ، أَصْبَحَ وَقَدْ كُتِبَ كَفَّارَةُ ذَنْبِهِ عَلَى أُسْكُفَّةِ بَابِه، وجُعِلَتْ كَفَّارَةُ ذُنُوبِكُم قَولاً تَقُولُونَهُ، وتَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ ﷻ فَيَغْفِرُ لَكُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ أَعْطَانَا اللَّهُ آيَةً، لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا ومَا فِيهَا: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران :١٣٥] "** [٢] .

وعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ! لَوْ كَانَتْ كَفَّارَتُنَا كَكَفَّارَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **اللَّهُمَّ لا نَبْغِيهَا – ثلاثاً –، مَا أَعْطَاكُمُ اللَّهُ ﷻ خَيرٌ مِمَّا أَعْطَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِذَا أَصَابَ أَحَدُهُمُ الْخَطِيئَةَ، وَجَدَهَا مَكْتُوبَةً عَلَى بَابِهِ وكَفَّارَتَهَا، فَإِنْ كَفَّرَهَا كَانَتْ لَهُ خِزْياً فِي الدُّنْيَا، وإِنْ لَمْ يُكَفِّرْهَا، كَانَتْ لَهُ خِزْياً فِي الآخِرَةِ، فَمَا أَعْطَاكُمُ اللَّهُ ﷻ خَيرٌ مِمَّا أَعْطَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**"، قَالَ ﷻ :

---

(١) «الخصائص الكبرى» للسيوطي (٣١٤/٢) .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره بمعناه (١٠٤٢٢) .

www.saida-islam.weebly.com

﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾، وقَالَ ﷺ :" الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، والْجُمُعَةُ إِلى الْجُمُعَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ ". وقَالَ :" مَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً وَاحِدَةً، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، وَلا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ هَالِكٌ " (١) .

أَمَّا هَذِهِ الأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ، فَقَدِ امْتَنَّ اللَّهُ عَلَيهَا بِالسَّتْرِ، فَسَتَرَ مَعَايِبَهَا عَنِ الأُمَمِ، وأَظْهَرَ مَحَاسِنَهَا لِلأُمَمِ قَبْلَهَا، وأَمَرَ بِالسَّتْرِ، ورَغَّبَ فِيهِ، فَقَالَ :" مَنْ سَتَرَ مُسْلِماً، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ " (٢) .

سَادِساً : تَحْرِيْمُ اشْتِغَالِهِم يَومَ عِيدِهِمْ؛ وهُوَ يَومُ السَّبْتِ، إِذْ أُخِذَ عَلَيهِمُ الْعَهْدُ والْمِيثَاقُ بِتَعْظِيمِ يَومِ السَّبْتِ، والْقِيَامِ بِأَمْرِهِ، وعَدَمِ اشْتِغَالِهِمْ وعَمَلِهِمْ فِيهِ، ولِذَلِكَ لَمَّا خَالَفُوا، وتَحَايَلُوا عَلَى اصْطِيَادِ الْحِيتَانِ فِيهِ، قَالَ اللَّهُ لَهُمْ عِقَاباً : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة : ٦٥] .

أَمَّا الأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رَفَعَ عَنْهُمْ هَذَا الإِصْرَ، فَهُمْ يَتَعَامَلُونَ فِي يَومِ عِيدِهِمْ يَومِ الْجُمُعَةِ، قَبْلَ الصَّلاةِ وَبَعْدَهَا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة : ٩-١٠] .

سَابعاً : تَحْرِيْمُ بَعْضِ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الأَطْعِمَةِ؛ وهَذِهِ كَانَتْ مِنَ الْعُقُوبَاتِ الَّتِي عَاقَبَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِهَا بَنِيْ إِسْرَائِيلَ، بِسَبَبِ بَغْيِهِمْ وظُلْمِهِمْ وتَلاعُبِهِمْ بِشَرَائِعِ اللَّهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (١٠٧٤) و« تفسير الطبري» (١٧٨٣) .

(٢) رواه البخاري عن ابن عمر (٢٤٤٢) ومسلم (٧٠٢٨) واللفظ له .

www.saida-islam.weebly.com

كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٦٠]، وقَالَ ﷻ : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الأنعام :١٤٦] .

أَمَّا الأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ، فَإِنَّ اللهَ ﷻ أَبَاحَ لَهَا كُلَّ طَيِّب، فَقَالَ ﷻ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ۖ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ ﴾ [المائدة : ٥]، وقَالَ ﷻ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

*****

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ الثَّامِنُ

خَصَائِصُ عَظِيمَةٌ لِهَذِهِ الأُمَّةِ

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ :" **فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِستٍّ : أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُوراً وَمَسْجِداً، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ** " [١]. وفي رِوَايَةٍ قَالَ ﷺ : "**أُعطيتُ أَرْبَعاً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ : أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ، وسُمِّيتُ أَحْمَدَ، وجُعِلَ التُّرَابُ لِي طَهُوراً، وجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيرَ الأُمَمِ** " [٢]. وفي رِوَايَةٍ قَالَ :" **فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلاثٍ : جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلائِكَةِ، وَجُعِلَ لَنَا الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ، وأُعْطِيتُ هَذِهِ الآيَاتِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ بَيْتِ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، لَمْ يُعْطَ مِنْهُ أَحَدٌ قَبْلِي، وَلا يُعْطَى مِنْهُ أَحَدٌ بَعْدِي**"[٣].

قوله: (**فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِستٍّ**) وفي رِوَايَةٍ : (**أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي**) وفي أُخْرَى : (**أُعْطِيتُ أَرْبَعاً**) وفي أُخْرَى : (**فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلاثٍ**) ذَكَرَ أَبُو سَعِيدٍ النَّيسَابُورِيُّ في كِتَابِ «شَرَفِ الْمُصْطَفَى» أَنَّ الَّذِي اخْتُصَّ بِهِ نَبِيُّنَا مِنْ بَينِ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ عليهم السلام سِتُّونَ خَصْلَةً، ولَيسَ بَينَ ذِكْرِ السِّتِّ والْخَمْسِ والأَرْبَعِ والثَّلاثِ تَعَارُضٌ، وطَرِيقُ الْجَمْعِ أَنْ يُقَالَ : لَعَلَّهُ أُطْلِعَ أَوَّلاً عَلَى بَعْضِ مَا اخْتُصَّ بِهِ، ثُمَّ أُطْلِعَ عَلَى الْبَاقِي، ومَنْ لا يَرَى مَفْهُومَ الْعَدَدِ حُجَّةً، يَدْفَعُ هَذَا الإِشْكَالَ مِنْ أَصْلِهِ [٤]. أَيْ أَنَّ ذِكْرَ الثَّلاثِ مَثَلاً لا يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ مَا فَوقَهَا، فَالتَّنْصِيصُ عَلَى الشَّيْءِ بِعَدَدٍ، لا يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ مَا عَدَاهُ .

---

(١) رواه مسلم (١١٩٥) ورواه البخاري مختصراً (٧٠١٣) .

(٢) رواه أحمد في مسنده عن علي بن أبي طالب (١٣٦١) وإسناده حسن .

(٣) رواه مسلم عن حذيفة (١١٩٣) والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٠٢٢) واللفظ له .

(٤) «فتح الباري» لابن حجر (٤٣٦/١) .

www.saida-islam.weebly.com

قوله: (**أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ**) قَالَ الْهَرَوِيُّ : يَعْنِي بِهِ الْقُرْآنَ؛ جَمَعَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الأَلْفَاظِ الْيَسِيرَةِ الْمَعَانِيَ الْكَثِيرَةَ، وكَلامُهُ ﷺ كَانَ بِالْجَوَامِعِ، قَلِيلَ اللَّفْظِ، كَثِيرَ الْمَعَانِي[١].

قوله: (**نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ**) وفي رِوَايَةٍ :" **ونُصِرْتُ عَلَى الْعَدُوِّ بِالرُّعْبِ، ولَوْ كَانَ بَيني وبَينَهُمْ مَسِيرَةُ شَهْرٍ**" [٢]. وفي رِوَايَةٍ :" **يُقْذَفُ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِي** " [٣]. وإِنَّمَا جَعَلَ الْغَايَةَ شَهْراً، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَينَ بَلَدِهِ وبَينَ أَحَدٍ مِنْ أَعْدَائِهِ أَكْثَرُ مِنهُ، وهَذِهِ الْخُصُوصِيَّةُ حَاصِلَةٌ لَهُ عَلَى الإِطْلاقِ، حَتَّى لَوْ كَانَ وَحْدَهُ بِغَيرِ عَسْكَرٍ [٤]. وهَذِهِ الْخَصْلَةُ حَاصِلَةٌ لأُمَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ، كَأَكْثَرِ هَذِهِ الْخَصَائِصِ، كَمَا قَالَ ﷺ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ :" **وأَعْطَانِي الْعِزَّ والنَّصْرَ والرُّعْبَ، يَسْعَى بَينَ يَدَيْ أُمَّتِي شَهْراً** " [٥]. ويُؤَيِّدُهُ قَولُهُ ﷺ فِي الْحَدِيثِ : "**ولَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ** " [٦].

فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ وَجَلَّ يَقْذِفُ الْهَيْبَةَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ فِي صُدُورِ عَدُوِّهَا مَا دَامَتْ قَائِمَةً بِدِينِهِ، كَمَا أَنَّ اللَّهَ قَدْ نَصَرَ أَصْحَابَ نَبِيِّهِ بَعْدَ مَوتِهِ بِالرُّعْبِ، كَمَا حَصَلَ مَعَ سَعْدِ ابْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه وجُنْدِهِ، فِي فَتْحِ بِلادِ فَارِسَ، حِينَ عَبَرُوا دِجْلَةَ بِخُيُولِهِمْ، وقَالُوا :"**بِسْمِ اللَّهِ**"، ثُمَّ اقْتَحَمُوا، وَارْتَفَعُوا عَلَى الْمَاءِ، وعَبَرُوا إِلَى الأَعَاجِمِ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيهِمْ، قَالُوا : دِيْوَانْ! دِيْوَانْ! ثُمَّ ذَهَبُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ [٧]. أَيْ أَنَّهُم قَالُوا: جَاءَ الْعَفَارِيتُ، فَوَلَّوُا الأَدْبَارَ.

---

(١) «شرح مسلم للنووي» (٥/٨) .

(٢) رواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو (٧٠٦٨) وقال المنذري في الترغيب : بإسناد صحيح .

(٣) رواه البيهقي في سننه عن أبي أمامة (٩٩٩) وإسناده صحيح .

(٤) «فتح الباري» (١/٤٣٧) .

(٥) رواه أحمد في مسنده عن حذيفة (٢٣٣٣٦) وقال الهيثمي في المجمع : إسناده حسن .

(٦) رواه أحمد في مسنده عن ثوبان (٢٢٣٩٧) وأبو داوود في سننه (٤٢٩٩) وقال الهيثمي في المجمع : إسناد أحمد جيد .

(٧) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» عن الأعمش عن بعض أصحابه (٦/٥٣) .

www.saida-islam.weebly.com

فَهُمْ لَمَّا خَافُوا اللَّهَ وَجَلَّ أَخَافَ اللَّهُ مِنْهُم أَعْدَائَهُم، وقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، وهَذِهِ الْخَصْلَةُ تُرْجَى لِكُلِّ مَنْ قَامَ بِسُنَّتِهِ ﷺ، وقَامَ بِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَيهَا؛ واللَّهُ أَعْلَمُ .

قوله: (وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ) وفي رِوَايَةٍ :" **فَلَمْ تَحِلَّ الْغَنَائِمُ لأَحَدٍ مِنْ قَبْلِنَا، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا، فَطَيَّبَهَا لَنَا** " (١). قَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : كَانَ مَنْ تَقَدَّمَ – يَعْنِي مِنَ الأَنْبِيَاءِ – عَلَى ضَرْبَيْنِ : مِنْهُم مَنْ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فِي الْجِهَادِ، فَلَمْ تَكُنْ لَهُ مَغَانِمُ، ومِنْهُم مَنْ أُذِنَ لَهُ فِيهِ، ولَكِنْ كَانُوا إِذَا غَنِمُوا شَيْئًا لَمْ يَحِلَّ لَهُم أَنْ يَأْكُلُوهُ، وجَاءَتْ نَارٌ فَأَحْرَقَتْهُ (٢) .

قوله: (وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُوراً وَمَسْجِداً) أَيْ أَنَّ اللَّهَ وَجَلَّ خَصَّ هَذِهِ الأُمَّةَ بِمَشْرُوعِيَّةِ الطَّهَارَةِ بِالتَّيَمُّمِ فِي حَالَةِ فُقْدَانِ الْمَاءِ، كَمَا أَنَّهُ جَعَلَ الأَرْضَ كُلَّهَا مَكَاناً صَالِحاً لِلصَّلاةِ، أَمَّا مَنْ كَانَ قَبْلَنَا فَلَمْ تُبَحْ لَهُمُ الصَّلَوَاتُ إِلاَّ فِي أَمَاكِنَ مَخْصُوصَةٍ، كَالْبِيَعِ وَالصَّوَامِعِ، كَمَا قَالَ ﷺ :" **وكَانَ مَنْ قَبْلِي إِنَّمَا يُصَلُّونَ فِي كَنَائِسِهِمْ وبِيَعِهِمْ** " (٣) . وفي رِوَايَةٍ قَالَ :" **لَمْ يَكُنْ مِنَ الأَنْبِيَاءِ أَحَدٌ يُصَلِّي حَتَّى يَبْلُغَ مِحْرَابَهُ** " (٤) .

قوله: (وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً) وفي رِوَايَةٍ :" **وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَومِهِ خَاصَّةً، وبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً** "، وفي رِوَايَةٍ :" **وبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وأَسْوَدَ** ". هَذَا بَيَانٌ لِعُمُومِ دَعْوَتِهِ ﷺ وشُمُولِهَا لِلْخَلْقِ كُلِّهِمْ، وَالْمُرَادُ عُمُومُ الإِنْسِ وَالْجِنِّ، لِقَولِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** ﴾ [سبأ : ٢٨]، فَرِسَالَتُهُ ﷺ رِسَالَةٌ عَالَمِيَّةٌ، مُهَيْمِنَةٌ عَلَى جَمِيعِ الرِّسَالاتِ السَّابِقَةِ ونَاسِخَةٌ لَهَا، أَمَّا الأَنْبِيَاءُ السَّابِقُونَ فَلَمْ يَكُونُوا يُخَاطِبُونَ بِالدَّعْوَةِ إِلاَّ أَقْوَامَهُم، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ **قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ**

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة (٤٦٥٣) .

(٢) «فتح الباري» (١/٤٣٨) .

(٣) رواه أحمد في مسنده عن عبد اللَّهِ بن عمرو (٧٠٦٨) وقال الهيثمي في المجمع : رجاله ثقات .

(٤) رواه البيهقي في سننه عن ابن عباس (٤٠٦٤) والبزار في مسنده (٤٧٧٦) وقال الهيثمي في المجمع : وفيه من لم أعرفهم .

www.saida-islam.weebly.com

﴿ مُّبِينٌ ﴾ [نوح: ٢]، وهَكَذَا كَانَ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ أَمَّا نَبِيُّنَا ﷺ فَقَدْ كَانَ يَقُولُ مُخَاطِباً جَمِيعَ النَّاسِ :" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا : لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ تُفْلِحُوا** " (١) .

فَشَرِيعَةُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَكْمَلُ الشَّرَائِعِ وأَتَمُّهَا، كَمَا قَالَ ﷻ : ﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا** ﴾ [المائدة:٤]؛ وهَذَا الْكَمَالُ مِنْ ضَرُورِيَّات عُمُومِ الرِّسَالَةِ وصَلاحِيَّتِهَا لِكُلِّ زَمَانٍ ومَكَانٍ؛ فَالأَنْبِيَاءُ السَّابِقُونَ إِنَّمَا أُرْسِلُوا إِلى أَقْوَامِهِمْ بِرِسَالاتٍ خَاصَّةٍ، في بِيئَاتٍ مُعَيَّنَةٍ، وأَحْوَالٍ مَخْصُوصَةٍ، فَكَانَتْ أَحْكَامُ تِلْكَ الشَّرَائِعِ تَتَنَاسَبُ مَعَ تِلْكَ الأَحْوَالِ والْبِيئَاتِ؛ أَمَّا رِسَالَةُ نَبِيِّ هَذِهِ الأُمَّةِ فَهِيَ تُخَاطِبُ النَّاسَ جَمِيعاً، عَلَى اخْتِلافِ أَزْمِنَتِهِم وأَمْكِنَتِهِمْ وأَحْوَالِهِمْ، كَمَا قَالَ ﷻ : ﴿ **قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾ [الأعراف:١٥٨]، فَجَاءَتْ تُنَظِّمُ الْحَيَاةَ الإِنْسَانِيَّةَ في جَمِيعِ الْمَجَالاتِ، فَوَضَعَتْ قَوَاعِدَ وضَوَابِطَ تَضْمَنُ اسْتِمْرَارَهَا ومُنَاسَبَتَهَا لِكُلِّ زَمَانٍ ومَكَانٍ وحَالٍ .

وفي الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلى أَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُشَارِكُ نَبِيَّهَا ﷺ في حَمْلِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ، حَيثُ إِنَّهَا تَنُوبُ عَنْهُ في تَبْلِيغِ مَا أُنْزِلَ إِلَيهِ مِنْ رَبِّهِ، وعَلَى هَذَا أَقَامَهُمْ ﷺ، فَأَمَرَ بِالتَّبْلِيغِ عَنْهُ ولَوْ آيَةً، ودَعَا لِمَنْ بَلَّغَ عَنْهُ ولَوْ حَدِيثاً، وبَيَّنَ أَنَّ مَرْتَبَةَ الدَّاعِي إِلى **اللَّهِ** هِيَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْخَلْقِ، فَقَالَ ﷻ :﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ** ﴾ [فصلت : ٣٣]، وقَالَ ﷻ : ﴿ **قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ** ﴾ [يوسف :١٠٨]، فَأَمَرَهُ ﷻ أَنْ يُخْبِرَ أَنَّ سَبِيلَهُ الدَّعْوَةُ إِلى **اللَّهِ**، فَمَنْ دَعَا إِلى **اللَّهِ** فَهُوَ عَلَى سَبِيلِ رَسُولِهِ، وهُوَ عَلَى بَصِيرَةٍ، وهُوَ مِنْ أَتْبَاعِهِ، ولا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنْ أَتْبَاعِهِ حَقّاً حَتَّى يَدْعُوَ إِلى مَا دَعَا إِلَيهِ(٢) .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير عن مدرك بن منيب الأزدي (٨٠٥) وقال الهيثمي في المجمع : رجاله ثقات .

(٢) «جلاء الأفهام» لابن القيم ص (٢١٦) و«مفتاح دار السعادة» (١/١٩٣) .

www.saida-islam.weebly.com

وقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيدِ بْنِ أَسْلَمَ رَحِمَهُ اللَّهُ :" **وحَقٌّ وَاللَّهِ عَلَى مَنِ اتَّبَعَهُ أَنْ يَدْعُوَ إِلى مِثْلِ مَا دَعَا إِلَيهِ، ويُذَكِّرَ بِالْقُرْآنِ والْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، ويَنْهَى عَنِ الْمَعَاصِي**"[١] .

قوله: (**أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ**) وفي رِوَايَةٍ :" **وبَينَا أَنَا نَائِمٌ، أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ، فَوُضِعَتْ فِي يَدَيَّ** ". هَذِهِ الرُّؤْيَا أَوْحَى اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِيهَا لِنَبِيِّهِ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَمْلِكُ الأَرْضَ، ويَتَّسِعُ سُلْطَانُهَا، ويَظْهَرُ دِينُهَا، ثُمَّ إِنَّهُ وَقَعَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَمَلَكَتْ أُمَّتُهُ مِنَ الأَرْضِ مَا لَمْ تَمْلِكْهُ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ فِيمَا عَلِمْنَا [٢]. وتَقَدَّمَ شَرْحِ حَدِيثِ :" **إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا** " [٣] .

قوله: (**وسُمِّيتُ أَحْمَدَ**) أَيْ لَمْ يُسَمَّ بِهِ أَحَدٌ مِنْ قَبْلِهِ، قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الشِّفَا» : فَمَنَعَ اللَّهُ بِحِكْمَتِهِ أَنْ يُسَمَّى بِهِ أَحَدٌ غَيرُهُ، ولا يُدْعَى بِهِ مَدْعُوٌّ قَبْلَهُ، لِئَلاَّ يَدْخُلَ لَبْسٌ عَلَى ضَعِيفِ الْقَلْبِ أَوْ شَكٌّ، وهُوَ اسْمُهُ الَّذِي بَشَّرَتْ بِهِ الأَنْبِيَاءُ، وأَتَى فِي الْكُتُبِ[٤].

كَمَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ سَمَّى أُمَّتَهُ بِالْحَمَّادِينَ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ، كَمَا رُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:" **صِفَتِي أَحْمَدُ الْمُتَوَكِّلُ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ، يَجْزِي بِالْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ، وَلا يُكَافِئُ السَّيِّئَةَ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجَرُهُ طَيْبَةُ، وَأُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ، يَأْتَزِرُونَ عَلَى أَنْصَافِهِمْ، وَيُوَضِّؤُونَ أَطْرَافَهُمْ، أَنَاجِيلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، يَصُفُّونَ لِلصَّلاةِ كَمَا يَصُفُّونَ لِلْقِتَالِ، قُرْبَانُهُمُ الَّذِي يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَيَّ دِمَاؤُهُمْ، رُهْبَانٌ بِاللَّيْلِ، لُيُوثٌ بِالنَّهَارِ** " [٥] .

---

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (١٢٩٠١) .

(٢) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٥/٤٦) .

(٣) تقدم تخريجه والكلام عليه .

(٤) «طرح التثريب في شرح التقريب» للحافظ زين الدين العراقي (٢/١١٣) .

(٥) رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود مرفوعاً (١٠٠٤٦) ورواه الدارمي في سننه عن كعب الأحبار من قوله بسند صحيح إليه (٨،٧،٥) وأبو نعيم في الحلية (٥/٣٨٥-٣٨٧) .

www.saida-islam.weebly.com

وقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : ومِنْ تَفْضِيلِ اللَّهُ وَجَلَّ لأُمَّتِهِ ﷺ واخْتِيَارِهِ لَهَا، أَنَّهُ وَهَبَهَا مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ مَا لَمْ يَهَبْهُ لأُمَّةٍ سِوَاهَا، فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يَقُولُ :" **إِنَّ اللَّهُ وَجَلَّ يَقُولُ : يَا عِيسَى ! إِنِّي بَاعِثٌ مِنْ بَعْدِكَ أُمَّةً، إِنْ أَصَابَهُمْ مَا يُحِبُّونَ حَمِدُوا وَشَكَرُوا، وَإِنْ أَصَابَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ احْتَسَبُوا وَصَبَرُوا، وَلا حِلْمَ وَلا عِلْمَ . قَالَ : يَا رَبِّ ! كَيْفَ هَذَا لَهُمْ وَلا حِلْمَ وَلا عِلْمَ ؟! قَالَ : أُعْطِيهِمْ مِنْ حِلْمِي وَعِلْمِي** " [(١)] [(٢)] .

قوله: (وجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيرَ الأُمَمِ) هَذَا كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾ ، وقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ، وكُلُّ مَا ذُكِرَ مِنْ شَرَفِ أُمَّتِهِ، فَهُوَ مِنْ شَرَفِهِ ﷺ .

قوله: (جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلائِكَةِ) الْمُرَادُ بِهِ إِتْمَامُ الصُّفُوفِ الأُوْلى في الصَّلاةِ، كَمَا ثَبَتَ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : خَرَجَ عَلَينَا رَسُولُ اللَّهُ ﷺ فَقَالَ :" **أَلا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا ؟**" فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهُ، وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا ؟ قَالَ :" **يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ، وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ** " [(٣)]. وهَذَا أَيْضاً مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الأُمَّةِ، وكَانَتِ الأُمَمُ الْمُتَقَدِّمَةُ يُصَلُّونَ مُنْفَرِدِينَ، كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى حِدَةٍ، ولَمَّا أَرَادَ اللَّهُ وَجَلَّ حُصُولَ هَذِهِ الْفَضِيلَةِ لِلأَنْبِيَاءِ، جَمَعَهُمْ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَتَقَدَّمَ النَّبِيُّ ﷺ، فَصَلَّى بِهِمْ لَيلَةَ الإِسْرَاءِ، كَمَا جَاءَ فِي قِصَّةِ الإِسْرَاءِ، وفِيهَا قَالَ ﷺ :" **ثُمَّ دَخَلْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَجُمِعَ لِيَ الأَنْبِيَاءُ عَلَيهِمُ السَّلامُ، فَقَدَّمَنِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَمَمْتُهُمْ** " [(٤)] .

---

(١) رواه أحمد في مسنده عن أبي الدرداء (٢٧٥٤٥) والطبراني في الأوسط (٣٢٥٢) والحاكم في المستدرك (١٢٨٩) وقال : صحيح على شرط البخاري . والبزار في مسنده (٤٠٨٨) وقال : إسناده حسن . وقال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح غير الحسن بن سوار وأبي حليس يزيد بن ميسرة وهما ثقات .

(٢) «زاد المعاد» (١/٤٣) .

(٣) رواه مسلم برقم (٩٩٦) .

(٤) رواه النسائي في سننه عن أنس (٤٥٠) .

www.saida-islam.weebly.com

وفي رِوَايَةٍ قَالَ :" **وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَحَانَتِ الصَّلاةُ، فَأَمَمْتهمْ**"[(١)(٢)].

قوله: (**وأُعْطِيتُ هَذِهِ الآيَاتِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ بَيْتِ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ لَمْ يُعْطَ مِنْهُ أَحَدٌ قَبْلِي، وَلا يُعْطِي مِنْهُ أَحَدٌ بَعْدِي**) ومَعْنَاهُ أَنَّهَا ذُخِرَتْ لَهُ، وكُنِزَتْ لَهُ، فَلَمْ يُؤْتَهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ، وذَلِكَ أَنَّ كَثِيراً مِنْ آيِ الْقُرْآنِ مُنَزَّلٌ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ، مَا هُوَ بِاللَّفْظِ، ومَا هُوَ بِالْمَعْنَى، وهَذِهِ الآيَاتُ لَمْ يُؤْتَهَا أَحَدٌ، وإِنْ كَانَ فِيهِ أَيْضاً مَا لَمْ يُؤْتَهُ غَيرُهُ، إِلاَّ أَنَّ فِي هَذِهِ الآيَاتِ خُصُوصِيَّةً لِهَذِهِ الأُمَّةِ، وهِيَ وَضْعُ الإِصْرِ الَّذِيْ كَانَ عَلَى الأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَقَالَ ﷻ : ﴿ **رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا** ﴾ فَنَاسَبَ ذِكْرُهَا مِنَ الْخَصَائِصِ [(٣)] .

مَعْنَى الْحَدِيْثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذِهِ الأَحَادِيثِ عَظِيمَ مَا امْتَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيهِ وعَلَى أُمَّتِهِ، حَيثُ اخْتَصَّهُ ﷺ وأُمَّتَهُ بِمَا لَمْ يُعْطِهِ أَحَداً مِنَ السَّابِقِينَ، فَأَعْطَى نَبِيَّهُ ﷺ وأُمَّتَهُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيْمُ، عَلَى أَحَدِ الأَقْوَالِ، ونَصَرَهُمْ عَلَى عَدُوِّهِم بِالرُّعْبِ، يُقْذَفُ فِي قُلُوبِهِم قَبْلَ وُصُولِهِم إِلَيهِمْ بِشَهْرٍ، وأَحَلَّ لَهُمُ الْغَنَائِمَ، وجَعَلَ لَهُمُ الأَرْضَ مَسْجِداً وطَهُوراً، وأُرْسِلَ ﷺ إِلى الْخَلْقِ كَافَّةً، كَمَا أَنَّ أُمَّتَهُ تَقُومُ بِنِيَابَتِهِ فِي هَذِهِ الْمَسْؤُولِيَّةِ، وخُتِمَ بِهِ النَّبِيُّونَ، كَمَا خُتِمَ بِأُمَّتِهِ الأُمَمُ، فَلا نَبِيَّ بَعْدَهُ، ولا أُمَّةَ بَعْدَ أُمَّتِهِ، وأُعْطِيَ ﷺ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ، وأُمَّتُهُ تُشَارِكُهُ فِي ذَلِكَ، كَمَا جُعِلَتْ صُفُوفُ هَذِهِ الأُمَّةِ كَصُفُوفِ الْمَلائِكَةِ عِنْدَ رَبِّهَا ﷻ .

ولِهَذِهِ الأُمَّةِ خَصَائِصُ أُخْرَى مُتَفَرِّقَةٌ فِي الأَحَادِيثِ والآثَارِ لَمْ تُجْمَعْ، تَقَدَّمَ ذِكْرُ كَثِيرٍ مِنْهَا فِي الأَحَادِيثِ السَّابِقَةِ، مِنْهَا الْغُرَّةُ والتَّحْجِيلُ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، ومِنْهَا طِيبُ رَائِحَةِ

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة برقم (٤٤٨) .

(٢) «طرح التثريب» (١١٢/٢) .

(٣) المصدر السابق (١١٤/٢) .

www.saida-islam.weebly.com

خُلُوفِ فَمِ الصَّائِمِ، ومِنْهَا التَّأْمِينُ وَالسَّلامُ، كَمَا قَالَ ﷺ :" **مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلامِ وَالتَّأْمِينِ** "(١). وقَالَ ﷺ :" **إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ سَئِمُوا دِينَهُمْ، وَهُمْ قَوْمٌ حُسَّدٌ، وَلَمْ يَحْسُدُوا الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَفْضَلَ مِنْ ثَلاثٍ : رَدِّ السَّلامِ، وَإِقَامَةِ الصُّفُوفِ، وَقَوْلِهِمْ خَلْفَ إِمَامِهِمْ فِي الْمَكْتُوبَةِ : آمِينَ** " (٢). وفي رِوَايَةٍ :" **إِنَّ اللَّهَ أَعْطَانِي خِصَالاً ثَلاثَةً : أَعْطَانِي صَلاةً فِي الصُّفُوفِ، وَأَعْطَانِي التَّحِيَّةَ، إِنَّهَا لَتَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَعْطَانِي التَّأْمِينَ، وَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا مِنَ النَّبِيِّينَ قَبْلُ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَعْطَاهُ هَارُونَ، يَدْعُو مُوسَى وَيُؤَمِّنُ هَارُونُ** " (٣) .

ومِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الأُمَّةِ أَيْضاً، أَنَّ أَعْمَارَهَا بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ سَبَقَهَا قَصِيرَةٌ، كَمَا قَالَ ﷺ:" **إِنَّمَا أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يُجَاوِزُ ذَلِكَ** " (٤). إلاَّ أَنَّ اللَّهَ عَوَّضَهَا بِلَيَالٍ وأَزْمِنَةٍ وأَمْكِنَةٍ ومُنَاسَبَاتٍ تَتَضَاعَفُ فِيهَا الأُجُورُ، كَلَيْلَةِ الْقَدْرِ، وعَشْرِ ذِيْ الْحِجَّةِ، وصِيَامِ عَرَفَةَ وعَاشُورَاءَ، وَالْبَيتِ الْحَرَامِ، والْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، وبَيتِ الْمَقْدِسِ، وغَيرِ ذَلِكَ .

ومِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الأُمَّةِ التَّكْبِيرُ، كَمَا قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه لِلْمُسْلِمِينَ يَومَ الْقَادِسِيَّةِ :" **وَاعْلَمُوا أَنَّ التَّكْبِيرَ لَمْ يُعْطَهُ أَحَدٌ قَبْلَكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُعْطِيتُمُوهُ تَأْيِيْداً لَكُمْ** " (٥). وقَالَ أَبَانٌ رَحِمَهُ اللَّهُ :" **لَمْ يُعْطَ التَّكْبِيرَ أَحَدٌ إِلاَّ هَذِهِ الأُمَّةُ** " (٦) .

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» عن عائشة (٩٨٨) وابن ماجه في سننه (٨٥٦) وقال البوصيري في الزوائد : هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات، احتج مسلم بجميع رواته .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط عن عائشة (٤٩١٠) وابن خزيمة في صحيحه (٥٧٤) وقال المنذري والهيثمي : إسناده حسن .

(٣) رواه ابن خزيمة في صحيحه من رواية زربي مولى لآل المهلَّب عن أنس بن مالك (١٥٨٦) وتردَّد في ثبوته .

(٤) رواه الترمذي في سننه عن أبي هريرة (٢٣٣١) وقال : حديث حسن غريب . ورواه ابن ماجه في سننه (٤٢٣٦) والحاكم في المستدرك (٣٥٩٨) وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه (٢/٤١٠) .

(٦) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٥٨٣) .

www.saida-islam.weebly.com

وجَاءَ وَصْفُ هَذِهِ الأُمَّةِ فِي التَّوْرَاةِ بِأَنَّهُمْ " **يُكَبِّرُونَ اللَّهَ بِأَصْوَاتٍ مُرْتَفِعَةٍ** ". فَهُمُ الَّذِينَ يُكَبِّرُونَ اللَّهَ بِأَصْوَاتٍ مُرْتَفِعَةٍ فِي أَذَانِهِمْ لِلصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وعَلَى الأَمَاكِنِ الْعَالِيَةِ، قَالَ أَبُو مُوسَى رضي الله عنه :" **كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا** " (١) .

وهُمُ الَّذِينَ يُكَبِّرُونَ اللَّهَ بِأَصْوَاتٍ عَالِيَةٍ مُرْتَفِعَةٍ فِي عِيْدِ الْفِطْرِ، وعِيدِ النَّحْرِ، وفِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ، وعَقِيبَ الصَّلَوَاتِ فِي أَيَّامِ مِنىً، ويُكَبِّرُونَ اللَّهَ عَلَى قَرَابِيْنِهِمْ وضَحَايَاهُمْ، وعِنْدَ رَمْيِ الْجِمَارِ، وعَلَى الصَّفَا والْمَرْوَةِ، وعِنْدَ مُحَاذَاةِ الْحَجَرِ الأَسْوَدِ، وفِي أَدْبَارِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، ولَيسَ هَذَا لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ سِوَاهُمْ، لا أَهْلِ الْكِتَابِ ولا غَيرِهِمْ، فَإِنَّ الْيَهُودَ يَجْمَعُونَ النَّاسَ بِالْبُوقِ، وَالنَّصَارَى بِالنَّاقُوسِ، وأَمَّا تَكْبِيرُ اللَّهِ بِأَصْوَاتٍ مُرْتَفِعَةٍ، فَشِعَارُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ وأُمَّتِهِ (٢) .

ومِنَ الْخَصَائِصِ أَنَّ اللَّهَ وَجَلَّ جَمَعَ بَينَ هَذِهِ الأُمَّةِ وبَينَ نَبِيِّهَا ﷺ فِي الْوَصْفِ بِالإِيْمَانِ، فَقَالَ : ﴿ **ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ** ﴾ [البقرة : ٢٨]، وَجَمَعَ بَيْنَهُمْ فِي الْجِهَادِ لإِحْيَاءِ الإِيْمَانِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَفِي الْجَزَاءِ عَلَى ذَلِكَ، وَالْكَرَامَاتِ عَلَيْهَا، فَقَالَ: ﴿ **لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ** ﴾ [التوبة :٨٨]، كَمَا جَمَعَ بَيْنَهُمْ فِي الْمَدْحِ لَهُمْ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ، حَيْثُ قَالَ: ﴿ **مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ** ﴾ [الفتح : ٢٩]، وَمَا مِنْ خَيْرٍ أُعْطِيَهُ نَبِيٌّ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلاَّ وَلأُمَّتِهِ نَصِيْبٌ مِنْ هَذَا الْخَيْرِ، فَهِيَ شَرِيْكَةٌ لَهُ فِيْ التَّكْلِيْفَاتِ وَالْكَرَامَاتِ .

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٣٨٤)، (٧٣٨٦) .

(٢) «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» لابن القيم ص (١٦٣ - ١٦٤) .

www.saida-islam.weebly.com

قَالَ الإِمَامُ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : كَمَا أَنَّ الأَحْكَامَ وَالتَّكْلِيفَاتِ عَامَّةٌ فِي جَمِيْعِ الْمُكَلَّفِينَ عَلَى حَسَبِ مَا كَانَتْ بِالنِّسْبَةِ إِلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلاَّ مَا خُصَّ بِهِ، كَذَلِكَ الْمَزَايَا وَالْمَنَاقِبُ، فَمَا مِنْ مَزِيَّةٍ أُعْطِيَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سِوَى مَا وَقَعَ اسْتِثْنَاؤُهُ إِلاَّ وَقَدْ أُعْطِيَتْ أُمَّتُهُ مِنْهَا أُنْمُوذَجاً، فَهِيَ عَامَّةٌ كَعُمُومِ التَّكَالِيْفِ، بَلْ قَدْ زَعَمَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ أَنَّ سُنَّةَ اللَّهِ جَرَتْ بِأَنَّهُ إِذَا أَعْطَى اللَّهُ نَبِيّاً شَيْئاً أَعْطَى أُمَّتَهُ مِنْهُ وَأَشْرَكَهُمْ مَعَهُ فِيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ أَمْثِلَةً، وَمَا قَالَهُ يَظْهَرُ فِي هَذِهِ الْمِلَّةِ بِالاِسْتِقْرَاءِ .

أَمَّا أَوَّلاً : فَالْوِرَاثَةُ الْعَامَّةُ فِي الاِسْتِخْلافِ عَلَى الأَحْكَامِ الْمُسْتَنْبَطَة، وَقَدْ كَانَ مِنَ الْجَائِزِ أَنْ تُتَعَبَّدَ الأُمَّةُ بِالْوُقُوفِ عِنْدَمَا حُدَّ مِنْ غَيْرِ اسْتِنْبَاطٍ، وَكَانَتْ تَكْفِي الْعُمُومَاتُ وَالإِطْلاقُ حَسْبَمَا قَالَهُ الأُصُولِيُّونَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ مَنَّ عَلَى الْعِبَادِ بِالْخُصُوصِيَّةِ الَّتِي خَصَّ نَبِيَّهُ ﷺ، إِذْ قَالَ ﷻ: ﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء : ١٠٥]، وَقَالَ فِي الأُمَّةِ: ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء:٨٣] وَهَذَا وَاضِحٌ فَلا نُطَوِّلُ بِهِ .

وَأَمَّا ثَانِياً : فَقَدْ ظَهَرَ ذَلِكَ مِنْ مَوَاضِعَ كَثِيْرَةٍ، نَقْتَصِرُ مِنْهَا عَلَى ثَلاثِيْنَ وَجْهاً :

أَحَدُهَا : الصَّلاةُ مِنَ اللَّهِ ﷻ، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ فِي النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب:٥٦]، وقَالَ فِي الأُمَّةِ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [الأحزاب:٤٣] وقَالَ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ [البقرة:١٥٧] .

والثَّاني : الإِعْطَاءُ إِلى الإِرْضَاءِ، قَالَ ﷻ فِي النَّبِيِّ ﷺ : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى : ٥]، وقَالَ فِي الأُمَّةِ : ﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ﴾ [الحج:٥٩] ، وقَالَ ﷻ : ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [المائدة :١١٩] .

وَالثَّالِثُ : غُفْرَانُ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ ﷻ : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح:٢]. وَفِي الأُمَّةِ رُوِيَ أَنَّ الآيَةَ لَمَّا نَزَلَتْ قَالَ الصَّحَابَةُ : هَنِيْئاً مَرِيْئاً، فَمَا

www.saida-islam.weebly.com

لَنَا ؟ فَنَزَلَ : ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾[1]، [الفتح:٥]، فَعَمَّ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ .

وَفِي الآيَةِ الأُوْلَى إِتْمَامُ النِّعْمَةِ فِي قَولِهِ : ﴿ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [الفتح :٢]. وَفِي الأُمَّةِ: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة:٦]،وَهُوَ الْوَجْهُ الرَّابِعُ .

وَالْخَامِسُ : الْوَحْيُ وَهُوَ النُّبُوَّةُ، قَالَ ﷻ : ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [النساء:١٦٣]، وَسَائِرُ مَا فِي هَذَا الْمَعْنَى، وَلا يَحْتَاجُ إِلى شَاهِدٍ، وَفِي الأُمَّةِ :" **الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِيْنَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ** "[2] .

وَالسَّادِسُ : نُزُوْلُ الْقُرْآنِ عَلَى وِفْقِ الْمُرَادِ، قَالَ ﷻ :﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾[البقرة : ١٤٤]، فَقَدْ كَانَ ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُرَدَّ إِلى الْكَعْبَةِ، وَقَالَ ﷻ أَيْضاً:﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ﴾[الأحزاب: ٥١]، لَمَّا كَانَ قَدْ حُبِّبَ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، فَلَمْ يُوْقَفْ عَلَى عَدَدٍ مَعْلُومٍ. وَفِي الأُمَّةِ قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: "**وَافَقْتُ رَبِّيْ فِيْ ثَلاثٍ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَو اتَّخَذْتَ مَقَامَ إِبْرَاهِيْمَ مُصَلًّى، فَنَزَلَتْ:** ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة :١٢٥]، **وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِيْنَ بِالْحِجَابِ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الْحِجَابِ، قَالَ: وَبَلَغَنِي مُعَاتَبَةُ النَّبِيِّ ﷺ بَعْضَ نِسَائِهِ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِنَّ، فَقُلْتُ: إِنِ انْتَهَيْتُنَّ أَوْ لَيُبْدِلَنَّ اللَّهُ رَسُولَهُ خَيْراً مِنْكُنَّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ** ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ ﴾ الآية[3] [التحريم:٥]، وَحَدِيْثُ الَّتِي ظَاهَرَ مِنْهَا زَوْجُهَا، فَسَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّ زَوْجِي ظَاهَرَ مِنِّيْ، وَقَدْ طَالَتْ صُحْبَتِيْ مَعَهُ، وَقَدْ وَلَدْتُ لَهُ أَوْلاداً، فَقَالَ ﷺ: "**قَدْ حَرُمْتِ عَلَيْهِ** "، فَرَفَعَتْ

---

(١) رواه البخاري عن أنس بن مالك (٤١٧٢) .

(٢) رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري (٦٩٨٩) ومسلم عن ابي هريرة (٦٠٤٩) ورواه عن ابن عمر (٦٠٥٣) بلفظ: " **الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِيْنَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ** " .

(٣) رواه البخاري عن عمر (٤٠٢) و (٤٤٨٣) ومسلم (٦٣٥٩) .

www.saida-islam.weebly.com

رَأْسَهَا إِلى السَّمَاءِ فَقَالَتْ: إِلى اللهِ أَشْكُوْ حَاجَتِيْ إِلَيْهِ، ثُمَّ عَادَتْ فَأَجَابَهَا، ثُمَّ ذَهَبَتْ لِتُعِيْدَ الثَّالِثَةَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ الآية [١]. [المجادلة: ١]، وَمِنْ هَذَا الْكَثِيرُ لِمَنْ تَتَبَّعَ، وَهَذَا خَاصٌّ بِزَمَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِانْقِطَاعِ الْوَحْيِ بِانْقِطَاعِهِ .

وَالسَّابِعُ : الشَّفَاعَةُ، قَالَ ﷻ: ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩]، وَقَدْ ثَبَتَتْ شَفَاعَةُ هَذِهِ الأُمَّةِ، كَقَولِهِ ﷺ فِي أُوَيْسٍ : " يَشْفَعُ فِيْ مِثْلِ رَبِيْعَةَ وَمُضَرَ "[٢]. وقَولِهِ : " أَئِمَّتُكُمْ شُفَعَاؤُكُمْ " [٣]، وغَيرِ ذَلِكَ .

وَالثَّامِنُ : شَرْحُ الصَّدْرِ، قَالَ ﷻ : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح :١]، وقَالَ فِي الأُمَّةِ : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر:٢٢] .

وَالتَّاسِعُ : الاِخْتِصَاصُ بِالْمَحَبَّةِ، لأَنَّ مُحَمَّداً حَبِيْبُ اللهِ، ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الْحَدِيْثِ، وَفِيْهِ :" أَلا وَأَنَا حَبِيْبُ اللهِ وَلا فَخْرَ، وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَنَا أَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حَلَقَ الْجَنَّةِ فَيُفْتَحُ لِيْ، فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِيْنَ وَلا فَخْرَ، وَأَنَا أَكْرَمُ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ وَلا فَخْرَ "[٤]، وفِي الأُمَّةِ : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة : ٥٤]، وَجَاءَ فِيْ هَذَا الْحَدِيْثِ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ أُمَّتَهُ كَذَلِكَ، وَهُوَ الْعَاشِرُ .

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٧/٢٠٤-٢٠٦) و«تفسير ابن كثير» (٤/٣١٠-٣١٢) وأصله في صحيح البخاري في كتاب التوحيد تعليقاً (٤/٢٧٥) .

(٢) سيأتي تخريجه إن شاء الله .

(٣) أخرجه الدارقطني والبيهقي وضَعَّفَ إسناده من حديث ابن عمر بلفظ :" أَئِمَّتُكُمْ وَفْدُكُمْ إِلى اللهِ." قاله الحافظ العراقي في «المغني» (١/١٧٤) .

(٤) رواه الترمذي في سننه عن ابن عباس (٣٦١٦) وقال: حديث غريب. والدارمي في سننه (٤٧) ورواه من حديث عمرو بن قيس (٥٤) وحَسَّنَهُ ابن حجر الهيتمي في «الفتاوى الحديثية» تبعاً للبُلْقِيني (١/٤٥٧) .

www.saida-islam.weebly.com

وَأَنَّهُ أَكْرَمُ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ، وَقَدْ جَاءَ فِيْ الأُمَّةِ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وَهُوَ الْحَادِيْ عَشَرَ .

وَالثَّانِيْ عَشَرَ : أَنَّهُ جُعِلَ شَاهِداً عَلَى أُمَّتِهِ، اخْتُصَّ بِذَلِكَ دُوْنَ الأَنْبِيَاءِ عليهم السلام. وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وَالثَّالِثُ عَشَرَ : خَوَارِقُ الْعَادَاتِ مُعْجِزَاتٌ وَكَرَامَاتٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَفِيْ حَقِّ الأُمَّةِ كَرَامَاتٌ.

وَالرَّابِعُ عَشَرَ : الْوَصْفُ بِالْحَمْدِ فِيْ الْكُتُبِ السَّالِفَةِ، وَبِغَيْرِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ، فَفِيْ الْقُرْآنِ : ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف:٦]، وَسُمِّيَتْ أُمَّتُهُ الْحَمَّادِيْنَ [(١)] .

وَالْخَامِسُ عَشَرَ : الْعِلْمُ مَعَ الأُمِّيَّةِ، قَالَ سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [الجمعة : ٢]. وَقَالَ : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ﴾ [الاعراف: ١٥٨] . وَفِي الْحَدِيْثِ:" نَحْنُ أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لا نَحْسُبُ وَلا نَكْتُبُ " [(٢)] .

وَالسَّادِسُ عَشَرَ : مُنَاجَاةُ الْمَلائِكَةِ، فَفِي النَّبِيِّ ﷺ ظَاهِرٌ، وَقَدْ رُوِيَ فِي بَعْضِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم أَنَّهُ كَانَ يُكَلِّمُهُ الْمَلَكُ كَعِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ [(٣)]، وَنُقِلَ عَنِ الأَوْلِيَاءِ مِنْ هَذَا.

وَالسَّابِعُ عَشَرَ : الْعَفْوُ قَبْلَ السُّؤَالِ، قَالَ سبحانه وتعالى : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة:٤٣] وَفِي الأُمَّةِ : ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ ﴾ [آل عمران:١٥٢].

---

(١) تقدم ذكره وتخريجه .

(٢) رواه البخاري عن ابن عمر (١٩١٣) و مسلم (٢٥٦٣) .

(٣) رواه مسلم عن عمران بن حصين (٣٠٣٣) بلفظ " وَقَدْ كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ حَتَّى اكْتَوَيْتُ فَتَرَكْتُ، ثُمَّ تَرَكْتُ الْكَيَّ فَعَادَ " .

www.saida-islam.weebly.com

وَالثَّامِنُ عَشَرَ: رَفْعُ الذِّكْرِ، قَالَ ﷻ : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح:٤]، وَذُكِرَ أَنَّ مَعْنَاهُ قَرْنُ اسْمِهِ بِاسْمِهِ فِيْ عَقْدِ الإِيْمَانِ وَفِيْ كَلِمَةِ الأَذَانِ، فَصَارَ ذِكْرُهُ ﷺ مَرْفُوعاً مُنَوَّهاً بِهِ، وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُ الأُمَّةِ وَمَدْحُهُمْ وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِمْ فِيْ الْقُرْآنِ وَفِيْ الْكُتُبِ السَّالِفَةِ الذِّكْرِ، وَجَاءَ فِيْ بَعْضِ الأَحَادِيْثِ عَنْ مُوْسَى عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: "اَللَّهُمَّ اجْعَلْنِيْ مِنْ أُمَّةِ أَحْمَدَ "[(١)]، لَمَّا وَجَدَ فِيْ التَّوْرَاةِ مِنَ الإِشَادَةِ بِذِكْرِهِمْ والثَّناءِ عَلَيْهِمْ .

وَالتَّاسِعُ عَشَرَ : أَنَّ مُعَادَاتَهُمْ مُعَادَاةٌ للهِ، وَمُوَالاتَهُمْ مُوَالاةٌ للهِ، قَالَ ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [الأحزاب:٥٧]، هِيَ عِنْدَ طَائِفَةٍ بِمَعْنَى إِنَّ الَّذِيْنَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ﷺ لَعَنَهُمُ ﷻ، وَفِي الْحَدِيْثِ :" مَنْ آذَانِيْ فَقَدْ آذَى ﷻ ". وَفِي الْحَدِيْثِ : "مَنْ آذَى لِيْ وَلِيّاً فَقَدْ بَارَزَنِيْ بِالْمُحَارَبَةِ"، وقَالَ ﷻ : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[النساء: ٨٠]، وَمَفْهُومُهُ مَنْ لَمْ يُطِعِ الرَّسُولَ لَمْ يُطِعِ ﷻ .

وَتَمَامُ الْعِشْرِيْنَ : الاجْتِبَاءُ، فَقَالَ ﷻ فِي الأَنْبِيَاءِ عليهم السلام : ﴿ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[الأنعام: ٨٧]، وَفِيْ الأُمَّةِ : ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[الحج : ٧٨]. وَفِيْ الْحَدِيْثِ أَنَّهُ ﷺ مُصْطَفَىً مِنَ الْخَلْقِ[(٢)]، وَقَالَ فِيْ الأُمَّةِ : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر : ٣٢] .

وَالْحَادِيْ وَالْعِشْرُوْنَ : التَّسْلِيْمُ مِنَ ﷻ، فَفِيْ أَحَادِيْثِ إِقْرَاءِ السَّلامِ مِنَ ﷻ ﷻ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ[(٣)]، وقَالَ ﷻ : ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) رواه مسلم عن واثلة بن الأسقع (٦٠٧٧) بلفظ :" إِنَّ ﷻ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ " .

(٣) رواه أبو يعلى في مسنده عن عائشة (٤٩٢٠) بلفظ :" يَا عَائِشَةُ لَوْ شِئْتُ لَسَارَتْ مَعِيْ جِبَالُ الذَّهَبِ، جَاءَنِي مَلَكٌ إِنَّ حُجْزَتَهُ لَتُسَاوِيْ الْكَعْبَةَ، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ وَيَقُولُ لَكَ: إِنْ شِئْتَ نَبِيّاً عَبْداً، وَإِنْ شِئْتَ نَبِيّاً مَلِكاً، فَنَظَرْتُ إِلَى جِبْرِيْلَ، فَقَالَ: فَأَشَارَ عَلَيَّ أَنْ ضَعْ نَفْسَكَ، فَقُلْتُ: نَبِيّاً عَبْداً " وقال الهيثمي: إسناده حسن .

www.saida-islam.weebly.com

[النمل: ٥٩]، ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ [الانعام:٥٤]، وَقَالَ جِبْرِيْلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِيْ خَدِيْجَةَ :" اقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلامَ مِنْ رَبِّهَا ومِنِّيْ " (١) .

وَالثَّانِيْ وَالْعِشْرُوْنَ : التَّثْبِيْتُ عِنْدَ تَوَقُّعِ التَّفَلُّتِ الْبَشَرِيِّ، قَالَ ﷻ : ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٧٤]، وَفِي الأُمَّةِ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم:٢٧] .

وَالثَّالِثُ وَالْعِشْرُوْنَ : الْعَطَاءُ مِنْ غَيْرِ مِنَّةٍ، قَالَ ﷻ : ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ [القلم:٣] وَقَالَ فِيْ الأُمَّةِ : ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [التين :٦] .

وَالرَّابِعُ وَالْعِشْرُوْنَ : تَيْسِيْرُ الْقُرْآنِ عَلَيْهِمْ، قَالَ ﷻ : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة:١٧– ١٩] عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَهُ عَلَى لِسَانِكَ، وَفِيْ الأُمَّةِ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[القمر : ١٧] .

وَالْخَامِسُ وَالْعِشْرُوْنَ : جَعْلُ السَّلامِ عَلَيْهِمْ مَشْرُوْعاً فِيْ الصَّلاةِ، إِذْ يُقَالُ فِيْ التَّشَهُّدِ: السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِيْنَ .

وَالسَّادِسُ وَالْعِشْرُوْنَ : أَنَّهُ سَمَّى نَبِيَّهُ ﷺ بِجُمْلَةٍ مِنْ أَسْمَائِهِ، كَالرَّؤُوْفِ وَالرَّحِيْمِ، وَلِلأُمَّةِ نَحْوُ الْمُؤْمِنِ وَالْخَبِيْرِ وَالْعَلِيْمِ وَالْحَكِيْمِ .

وَالسَّابِعُ وَالْعِشْرُوْنَ : أَمْرُ اللهِ ﷻ بِالطَّاعَةِ لَهُمْ، قَالَ ﷻ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء:٥٩] وَهُمُ الأُمَرَاءُ وَالْعُلَمَاءُ، وَفِي الْحَدِيْثِ :" مَنْ أَطَاعَ أَمِيرِيْ فَقَدْ أَطَاعَنِيْ "(٢)، وقَالَ ﷻ : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[النساء:٨٠] .

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة (٣١٢٠) ومسلم (٦٤٢٦) .

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة (٧١٣٧) ومسلم (٤٨٥٤) .

www.saida-islam.weebly.com

وَالثَّامِنُ وَالْعِشْرُوْنَ : الْخِطَابُ الْوَارِدُ مَوْرِدَ الشَّفَقَةِ وَالْحَنَانِ، كَقَوْلِهِ ﷻ : ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه:١ – ٢]، وَقَوْلِهِ : ﴿ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ ﴾ [الأعراف:٢] ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور:٤٨]، وَفِيْ الأُمَّةِ : ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ [المائدة:٦]، ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة:١٨٥]، ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:٢٨]، ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء:٢٩] .

وَالتَّاسِعُ وَالْعِشْرُوْنَ : الْعِصْمَةُ مِنَ الضَّلالِ بَعْدَ الْهُدَى وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ الْحِفْظِ الْعَامَّةِ، فَالنَّبِيُّ ﷺ قَدْ عَصَمَهُ اللهُ ﷻ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَجَاءَ فِيْ الأُمَّةِ : " **لا تَجْتَمِعُ أُمَّتِيْ عَلَى ضَلالَةٍ**"(١). وَجَاءَ : " **احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ**"(٢)، وفي الْقُرْآنِ : ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص:٨٢ – ٨٣]، تَفْسِيْرُهُ فِيْ قَوْلِهِ : " **لا تَجْتَمِعُ أُمَّتِيْ عَلَى ضَلالَةٍ**". وَفِيْ قَوْلِهِ : " **وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا** "(٣) .

وَتَمَامُ الثَّلاثِيْنَ : إِمَامَةُ الأَنْبِيَاءِ، فَفِيْ حَدِيْثِ الإِسْرَاءِ أَنَّهُ ﷺ أَمَّ بِالأَنْبِيَاءِ، قَالَ : " **وَقَدْ أَتَتْنِيْ جَمَاعَةٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، .. فَحَانَتِ الصَّلاةُ فَأَمَمْتُهُمْ**."(٤)، وَفِي حَدِيْثِ نُزُوْلِ عِيْسَى عليه السلام إِلى الأَرْضِ فِيْ آخِرِ الزَّمَانِ : " **إِنَّ إِمَامَ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْهَا**."(٥)، وَإِنَّهُ يُصَلِّيْ مُؤْتَمًّا بِإِمَامِهَا .

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) رواه أحمد في مسنده عن ابن عباس (٢٦٦٩) والترمذي في سننه (٢٥١٦) وقال: حديث حسن صحيح . ورواه الحاكم في المستدرك (٦٣٠٣)، (٦٣٠٤) .

(٣) رواه البخاري عن عقبة بن عامر (١٣٤٤) و(٣٥٦٩) و (٤٠٨٥) و (٦٤٦٢) و (٦٥٩٠) ومسلم (٦١١٧).

(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة (٤٤٨) .

(٥) رواه البخاري عن أبي هريرة (٣٤٤٩) ومسلم (٤٠٩) و(٤١٠) .

www.saida-islam.weebly.com

وَمَنْ تَتَبَّعَ الشَّرِيْعَةَ وَجَدَ مِنْ هَذَا كَثِيْراً، مَجْمُوعُهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أُمَّتَهُ تَقْتَبِسُ مِنْهُ خَيْرَاتٍ وَبَرَكَاتٍ، وَتَرِثُ أَوْصَافاً وَأَحْوَالاً مَوْهُوبَةً مِنَ اللَّهِ ﷻ وَمُكْتَسَبَةً؛ وَالْحَمْدُ للهِ عَلَى ذَلِكَ[١] .

وَقَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ :" أُعْطِيَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ ثَلاثاً لَمْ يُعْطَهَا إِلاَّ نَبِيٌّ، كَانَ يُقَالُ لِلنَّبِيِّ : اذْهَبْ فَلَيْسَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ! فَقَالَ ﷻ : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ قَالَ : وَكَانَ يُقَالُ لِلنَّبِيِّ : أَنْتَ شَهِيْدٌ عَلَى قَوْمِكَ ! وَقَالَ ﷻ : ﴿ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ وَكَانَ يُقَالُ لِلنَّبِيِّ : سَلْ تُعْطَهْ، وَقَالَ ﷻ : ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[٢] .

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" أُعْطِيَتْ أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ فِي رَمَضَانَ، لَمْ تُعْطَهَا أُمَّةٌ قَبْلَهُمْ : خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْمَلاَئِكَةُ حَتَّى يُفْطِرُوا، وَيُزَيِّنُ اللَّهُ ﷻ كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ، ثُمَّ يَقُولُ : يُوشِكُ عِبَادِي الصَّالِحُونَ أَنْ يُلْقُوا عَنْهُمُ الْمَئُونَةَ وَالأَذَى وَيَصِيرُوا إِلَيْكِ، وَتُصَفَّدُ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، فَلاَ يَخْلُصُوا فِيهِ إِلَى مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ، وَيُغْفَرُ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ ؟ قَالَ : لاَ، وَلَكِنَّ الْعَامِلَ إِنَّمَا يُوَفَّى أَجْرَهُ إِذَا قَضَى عَمَلَهُ "[٣] .

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما مَرْفُوعاً قَالَ :" أُعْطِيَتْ أُمَّتِي شَيْئاً لَمْ يُعْطَهُ أَحَدٌ مِنَ الأُمَمِ، أَنْ يَقُولُوا عِنْدَ الْمُصِيبَةِ إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ "[٤] .

---

(١) «الموافقات» للشاطبي (٢/ ٤١٥ - ٤٣٨) .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٥٤١١) .

(٣) رواه أحمد في مسنده (٧٩١٧) والبزار في مسنده (٨٥٧١) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦٠٢) وقال الهيثمي : فيه هشام بن زياد أبو المقدام وهو ضعيف . وذكره المنذري شاهداً له من حديث جابر عند البيهقي بعد حديث أبي هريرة هذا، وقال: إسناده مقارب أصلح مما قبله . وقال ابن عبد البر في التمهيد عن هشام هذا : فيه ضعف ولكنه محتمل فيما يرويه من الفضائل . لذلك حَسَّنَهُ السمعاني في أماليه .

(٤) رواه الطبراني في الكبير (١٢٤١١) وقال الهيثمي : فيه محمد بن خالد الطحان وهو ضعيف .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ التَّاسِعُ

تَجْدِيدُ الدِّيْنِ لِهَذِهِ الأُمَّةِ وحِفْظُهُ مِنَ الضَّيَاعِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ :" **إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا** " (١) .

قوله: (**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ**) أَيْ يُقَيِّضُ لَهَا ويُخْرِجُ لَهَا مَنْ يَقُومُ بِهَذَا الشَّأْنِ الْعَظِيمِ، ولَيسَ بَعْثاً عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ؛ وكَلِمَةُ الْبَعْثِ هُنَا تُوحِي بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُرْسِلُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ مَنْ يَصْطَفِيهِ ويَجْتَبِيهِ مِنْ عِبَادِهِ، لِيَحْمِلَ أَمَانَةَ التَّجْدِيدِ، وتَبِعَةَ النَّهْضَةِ، ومَسْؤُولِيَّةَ إِحْيَاءِ الدِّيْنِ، وكَأَنَّ الْمُجَدِّدِينَ هُمْ رُسُلُ اللَّهِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ، غَيرَ أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ.

قوله: (**لِهَذِهِ الأُمَّةِ**) أَيْ أُمَّةِ الإِجَابَةِ، ويَحْتَمِلُ أُمَّةَ الدَّعْوَةِ (٢). وفِيهِ أَنَّ هَذَا الْمُجَدِّدَ لا يَكُونُ هَمُّهُ نَفْسَهُ، بَلْ يَكُونُ هَمُّهُ إِعَادَةَ الأُمَّةِ إِلى مَا كَانَتْ عَلَيهِ فِي زَمَنِ النُّبُوَّةِ، لأَنَّهُ يَقْبُحُ بِالْمُسْلِمِ الْعَامِّيِّ أَنْ يَكُونَ هَمُّهُ نَفْسَهُ فَحَسْبُ، وقَدْ عَابَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى أَقْوَامٍ، فَقَالَ : ﴿**وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ**﴾ [آل عمران : ١٥٤]؛ فَكَيفَ بِمَنْ يَكُونُ مُجَدِّداً لِهَذِهِ الأُمَّةِ دِينَهَا؛ فَيَكُونُ هَمُّهُ نَجَاةَ الأُمَّةِ مِنْ خِزْيِ الدُّنَيا وعَذَابِ الآخِرَةِ، كَمَا كَانَ عَلَيهِ نَبِيُّ هَذِهِ الأُمَّةِ ﷺ، فَهُوَ يَعِيشُ بِكُلِّ كِيَانِهِ لِهَذِهِ الأُمَّةِ .

قوله: (**عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ**) أَي انْتِهَائِهِ أَوِ ابْتِدَائِهِ، إِذَا قَلَّ الْعِلْمُ وَالسُّنَّةُ، وكَثُرَ الْجَهْلُ وَالْبِدْعَةُ (٣). قَالَ الْمُنَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : يَحْتَمِلُ مِنَ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ، أَوِ الْبِعْثَةِ، أَوِ الْهِجْرَةِ

---

(١) رواه أبو داوود في سننه (٤٢٩٣) والحاكم في المستدرك (٨٥٩٢) وصححه وسكت عنه الذهبي . والطبراني في الأوسط (٦٥٢٧) وقال المناوي في «فيض القدير» : قال الزين العراقي: سنده صحيح . وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة»: وسنده صحيح ورجاله كلهم ثقات. وقال السيوطي في «مرقاة الصعود»: اتَّفَقَ الحُفَّاظُ على تصحيحه منهم الحاكم في المستدرك والبيهقي في «المدخل» وممن نصَّ على صحته من المتأخرين الحافظ ابن حجر .

(٢) «مرقاة المفاتيح» (٤٦١/١) .

(٣) المصدر السابق .

www.saida-islam.weebly.com

أَوِ الْوَفَاةِ، ولَوْ قِيلَ بِأَقْرَبِيَّةِ الثَّانِيْ، لَكِنَّ صَنِيعَ السُّبْكِيِّ وغَيرِهِ مُصَرِّحٌ بِأَنَّ الْمُرَادَ الثَّالِثُ[١]، يَعْنِي الْهِجْرَةَ . وقَدْ يُقَالُ : إِنَّ عَدَمَ التَّحْدِيدِ هَذَا مَقْصُودٌ فِي الشَّرْعِ، بِحَيثُ يَظْهَرُ الْمُجَدِّدُ كُلَّمَا اشْتَدَّتِ الْحَاجَةُ إِلَيهِ، لِبُعْدِ النَّاسِ عَنْ عَهْدِ النُّبُوَّةِ، أَوْ لِبُعْدِهِم عَنْ عَهْدِ الْمُجَدِّدِ السَّابِقِ، كَمَا أَنَّ الْمُجَدِّدَ قَدْ يَعِيشُ ويَمُوتُ، ولا يَعْرِفُ أَنَّهُ كَانَ مُجَدِّدَ هَذِهِ الْمِائَةِ، ولَكِنْ يُسْتَنْبَطُ ذَلِكَ عِنْدَ الْوُقُوفِ عَلَى دِرَاسَةِ أَحْوَالِ هَذَا الْقَرْنِ، ومَنْ قَامُوا بِإِسْهَامَاتٍ فَعَّالَةٍ فِي هِدَايَةِ النَّاسِ إِلى طَرِيقِ النُّبُوَّةِ .

قوله: (**مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**) الْمُرَادُ مِنْ تَجْدِيدِ الدِّيْنِ لِلأُمَّةِ هُوَ إِحْيَاءُ مَا انْدَرَسَ مِنَ الْعَمَلِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، والأَمْرُ بِمُقْتَضَاهُمَا، ولا يُعْلَمُ ذَلِكَ الْمُجَدِّدُ إِلاَّ بِغَلَبَةِ الظَّنِّ مِمَّنْ عَاصَرَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ، بِقَرَائِنِ أَحْوَالِهِ، والاِنْتِفَاعِ بِعِلْمِهِ، إِذِ الْمُجَدِّدُ لِلدِّيْنِ لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَالِماً بِالْعُلُومِ الدِّيْنِيَّةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، قَاصِداً لِلسُّنَّةِ، قَامِعاً لِلْبِدْعَةِ، وأَنْ يَعُمَّ عِلْمُهُ أَهْلَ زَمَانِهِ .

وإِنَّمَا كَانَ التَّجْدِيدُ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ، لاِنْخِرَامِ الْعُلَمَاءِ فِيهِ غَالِباً، وَانْدِرَاسِ السُّنَنِ، وظُهُورِ الْبِدَعِ، فَيُحْتَاجُ حِينَئِذٍ إِلى تَجْدِيدِ الدِّيْنِ، فَيَأْتِي اللَّهُ مِنَ الْخَلَفِ بِعِوَضٍ مِنَ السَّلَفِ، إِمَّا وَاحِداً، أَوْ مُتَعَدِّداً .

فَالْمُجَدِّدُ لا يَكُونُ إِلاَّ عَالِماً بِالْعُلُومِ الدِّيْنِيَّةِ، ومَعَ ذَلِكَ يَكُونُ عَزْمُهُ وهِمَّتُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِحْيَاءَ السُّنَنِ ونَشْرَهَا، ونَصْرَ صَاحِبِهَا، وإِمَاتَةَ الْبِدَعِ ومُحْدَثَاتِ الأُمُورِ ومَحْوَهَا[٢] .

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : نَبَّهَ بَعْضُ الأَئِمَّةِ عَلَى أَنَّهُ لا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ فِي رَأْسِ كُلِّ قَرْنٍ وَاحِدٌ فَقَطُ، بَلِ الأَمْرُ فِيهِ كَمَا ذَكَرَهُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي حَدِيثِ :" **لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرَةً عَلَى الْحَقِّ** ". مِنْ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الطَّائِفَةُ جَمَاعَةً مُتَعَدِّدَةً مِنْ أَنْوَاعِ

---

(١) «فيض القدير» (١٣/١) .

(٢) «عون المعبود شرح سنن أبي داوود» للعظيم آبادي (٣٥٨/٧) .

www.saida-islam.weebly.com

الْمُؤْمِنِينَ، مَا بَيْنَ شُجَاعٍ، وَبَصِيرٍ بِالْحَرْبِ، وَفَقِيهٍ، وَمُحَدِّثٍ، وَمُفَسِّرٍ، وَقَائِمٍ بِالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَزَاهِدٍ وَعَابِدٍ، وَلا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونُوا مُجْتَمِعِينَ فِي بَلَدٍ وَاحِدٍ، بَلْ يَجُوزُ اجْتِمَاعُهُمْ فِي قُطْرٍ وَاحِدٍ، وَافْتِرَاقُهُمْ فِي أَقْطَارِ الأَرْضِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَجْتَمِعُوا فِي الْبَلَدِ الْوَاحِدِ، وَأَنْ يَكُونُوا فِي بَعْضٍ مِنْهُ دُون بَعْضٍ، وَيَجُوزُ إِخْلاءُ الأَرْضِ كُلِّهَا مِنْ بَعْضهمْ أَوَّلاً فَأَوَّلاً، إِلَى أَنْ لا يَبْقَى إِلاَّ فِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ بِبَلَدٍ وَاحِدٍ، فَإِذَا انْقَرَضُوا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ .

قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللَّهُ : وهُوَ مُتَّجَهٌ، فَإِنَّ اجْتِمَاعَ الصِّفَاتِ الْمُحْتَاجِ إِلى تَجْدِيدهَا لا يَنْحَصِرُ فِي نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ، وَلا يَلْزَمُ أَنَّ جَمِيعَ خِصَالِ الْخَيْرِ كُلِّهَا فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ، إِلاَّ أَنْ يُدَّعَى ذَلِكَ فِي عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَإِنَّهُ كَانَ الْقَائِمَ بِالأَمْرِ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ الأُولَى بِاتِّصَافِهِ بِجَمِيعِ صِفَاتِ الْخَيْرِ، وَتَقَدُّمِهِ فِيهَا؛ وَمِنْ ثَمَّ أَطْلَقَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَنَّهُمْ كَانُوا يَحْمِلُونَ الْحَدِيثَ عَلَيْهِ، وَأَمَّا مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ، فَالشَّافِعِيُّ وَإِنْ كَانَ مُتَّصِفًا بِالصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ، إِلاَّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الْقَائِمَ بِأَمْرِ الْجِهَادِ وَالْحُكْمِ بِالْعَدْلِ، فَعَلَى هَذَا كُلُّ مَنْ كَانَ مُتَّصِفًا بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ عِنْد رَأْسِ الْمِائَةِ، هُوَ الْمُرَادُ، سَوَاءٌ تَعَدَّدَ أَمْ لا [١] .

وقَالَ ابْنُ الأَثِيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ : لا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ الْمَبْعُوثُ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ رَجُلاً وَاحِداً، وإِنَّمَا قَدْ يَكُونُ وَاحِداً، وقَدْ يَكُونُ أَكْثَرَ مِنْهُ، فَإِنَّ لَفْظَةَ «**مَنْ**» تَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ والْجَمْعِ، كَذَلِكَ لا يَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِالْمَبْعُوثِ الْفُقَهَاءَ خَاصَّةً - كَمَا ذَهَبَ إِلَيهِ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ-، فَإِنَّ انْتِفَاعَ الأُمَّةِ بِغَيرِهِم أَيْضاً كَثِيرٌ، مِثْلَ أَوْلِيْ الأَمْرِ، وأَصْحَابِ الْحَدِيثِ، وَالْقُرَّاءِ، وَالْوُعَّاظِ، وأَصْحَابِ الطَّبَقَاتِ مِنَ الزُّهَّادِ، فَإِنَّ كُلَّ قَومٍ يَنْفَعُونَ بِفَنٍّ لا يَنْفَعُ بِهِ الآخَرُ؛ إِذِ الأَصْلُ فِي حِفْظِ الدِّيْنِ حِفْظُ قَانُونِ السِّيَاسَةِ، وبَثُّ الْعَدْلِ وَالتَّنَاصُفِ، الَّذِي بِهِ تُحْقَنُ الدِّمَاءُ، ويُتَمَكَّنُ مِنْ إِقَامَةِ قَوَانِينِ الشَّرْعِ، وهَذَا وَظِيفَةُ أَوْلِي الأَمْرِ، وكَذَلِكَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ، يَنْفَعُونَ بِضَبْطِ الأَحَادِيثِ الَّتِي هِيَ أَدِلَّةُ الشَّرْعِ، وَالْقُرَّاءُ يَنْفَعُونَ بِحِفْظِ

(١) «فتح الباري» (١٣/٢٩٥) .

www.saida-islam.weebly.com

الْقِرَاءَاتِ، وضَبْطِ الرِّوَايَاتِ، وَالزُّهَّادُ يَنْفَعُونَ بِالْمَوَاعِظِ، وَالْحَثِّ عَلَى لُزُومِ التَّقْوَى وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، فَكُلُّ وَاحِدٍ قَدْ يَنْفَعُ بِغَيرِ مَا يَنْفَعُ بِهِ الآخَرُ، فَإِذَا حُمِلَ تَأْوِيلُ الْحَدِيثِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ كَانَ أَوْلَى، وأَبْعَدَ عَنِ التُّهْمَةِ، وأَشْبَهَ بِالْحِكْمَةِ؛ فَالأَحْسَنُ وَالأَجْدَرُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إِشَارَةً إِلَى حُدُوثِ جَمَاعَةٍ مِنَ الأَكَابِرِ الْمَشْهُورِينَ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ، يُجَدِّدُونَ لِلنَّاسِ دِينَهُمْ [١].

مَعْنَى الْحَدِيثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ فَضِيلَةً عَظِيمَةً، وخُصُوصِيَّةً مُهِمَّةً لِهَذِهِ الأُمَّةِ، حَيثُ إِنَّهُ لا يَدَعُهَا يَنْقُصُ دِينُهَا بِلا تَجْدِيدٍ، بَلْ تَكَفَّلَ ﷻ بِحِفْظِ دِينِ هذَهِ الأُمَّةِ مِنَ الضَّيَاعِ، فَلا يَمُرُّ قَرنٌ مِنَ الزَّمَانِ عَلَيهَا، إِلاَّ وَيَبْعَثُ اللهُ ﷻ مَنْ يَقُومُ بِتَجْدِيدِ الدِّينِ لِهَذِهِ الأُمَّةِ فِي الْجَانِبِ الَّذِي دَخَلَ النَقْصُ مِنْ خِلالِهِ، وحَسَبَ حَاجَةِ الأُمَّةِ لِذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ مِنْ سُنَّةِ اللهِ ﷻ أَلاَّ يَكْمُلَ شَيْءٌ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا إِلاَّ ولَحِقَهُ النَّقْصُ، فَإِنَّ آدَمَ أَبَا الْبَشَرِ حِينَمَا نَزَلَ مِنَ الْجَنَّةِ، كَانَ كَامِلَ الإِيْمَانِ بِاللهِ وَالتَّوحِيدِ لَهُ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بَدَأَ يَظْهَرُ الشِّرْكُ وَالْمَعَاصِي فِي بَنِيْهِ، حَتَّى عَمَّ ذَلِكَ أَرْجَاءَ الأَرْضِ، فَبَعَثَ اللهُ ﷻ نُوحاً عليه السلام فِي أُمَّةٍ قَدْ عَمَّ الشِّرْكُ أَهْلَهَا، وهَكَذَا بَعْدَمَا نَجَّى اللهُ نُوحاً ومَنْ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ، وأَغْرَقَ الَّذِينَ كَفَرُوا، عَادَ الشِّرْكُ مِنْ جَدِيدٍ، لأَنَّ أَصْلَ جُهْدِ الْبَاطِلِ - وهُوَ إِبْلِيسُ - لا يَنَامُ، ولا يَبْرَحُ يُغْوِي بَنِي آدَمَ، ويَصُدُّهُم عَنِ السَّبِيلِ الْقَوِيْمِ، فَكَانَ التَّجْدِيدُ فِي الدِّينِ أَمْراً ضَرُورِيّاً لِحِفْظِ الدِّينِ مِنَ الضَّيَاعِ وَالاِنْدِرَاسِ؛ كَمَا أَنَّ التَّجْدِيدَ فِي الأُمَمِ السَّابِقَةِ كَانَ مَنُوطاً بِالأَنْبِيَاءِ، كُلَّمَا مَاتَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ آخَرُ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ [المؤمنون: ٤٤] وقَالَ ﷻ: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤].

---

(١) «جامع الأصول» (١١/٣٢٣).

www.saida-islam.weebly.com

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِهَذِهِ الأُمَّةِ، فَإِنَّ نَبِيَّهَا ﷺ هُوَ خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وهِيَ خَاتِمَةُ الأُمَمِ، فَلا نَبِيَّ بَعْدَهُ ﷺ، وبِمَا أَنَّ جُهْدَ الْبَاطِلِ لا يَتَوَقَّفُ في إِغْوَاءِ النَّاسِ، وإِبْعَادِهِم عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَكَانَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ أَنْ أَجْرَى سُنَّتَهُ في تَجْدِيدِ الدِّيْنِ لِلنَّاسِ، لا بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ إِلَيهِم، ولَكِنْ بِبَعْثِ أَفْرَادٍ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، يَخْتَصُّهُم بِمَزِيدٍ مِنْ عِنَايَتِهِ، ويَجْعَلُهُم سَبَباً في دُخُولِ النَّاسِ في رَحْمَتِهِ، بِخُلُوصِهِمْ مِنَ الشركيات والْمُكَفِّرَاتِ، والبدع والْجَهَالاتِ والْمُنْكَرَاتِ، ورجوعهم إِلى سَاحَةِ الدِّينِ والْعِبَادَةِ الْخَالِصَةِ، بِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَالْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ، فَيَنْهَضُ الْكَثِيرُ مِنْهُم عَلَى قَدَمِ الْعِبَادَةِ وَالزَّهَادَةِ، ونَشْرِ وتَفْهِيمِ مَعْنَى كَلِمَتَيِ الشَّهَادَةِ، فَتَرْتَفِعُ في كُلِّ جَانِبٍ بُيُوتٌ للهِ مِنَ الْمَسَاجِدِ، ويَكْثُرُ فِيهَا الذَّاكِرُ للهِ وَالرَّاكِعُ وَالسَّاجِدُ، ويَقِلُّ فِيهِمُ السَّارِقُ وَالْفَاسِقُ، ويَنْدُرُ فِيهِمُ الْجَاهِلُ بِتَوحِيدِ اللهِ الْخَالِقِ؛ فَيَكُونُ هَذَا إِجْرَاءً لِهَذِهِ الأُمَّةِ مَعَ عُلَمَائِهَا مَجْرَى بَنِيْ إِسْرَائِيلَ مَعَ أَنْبِيَائِهِمْ [(١)] .

فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بُشْرَى لِهَذِهِ الأُمَّةِ بِأَنَّ دِينَهَا لَنْ يَمُوتَ، وأَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ لَنْ تَجْتَمِعَ عَلَى ضَلالَةٍ بَعْدَ وَفَاةِ نَبِيِّهَا ﷺ، وأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُقَيِّضُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ في كُلِّ فَتْرَةٍ زَمَنِيَّةٍ مَنْ يُجَدِّدُ فَهْمَهَا وأَفْكَارَهَا نَحْوَ هَذَا الدِّيْنِ، ويُوقِظُهَا مِنْ سُبَاتٍ، ويَجْمَعُهَا مِنْ شَتَاتٍ، ويَنْصُرُهَا مِنْ هَزِيمَةٍ، ويُحَرِّرُهَا مِنْ طُغْيَانٍ، فَلَمْ يَزَلِ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُجَدِّدُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ مَا انْدَرَسَ مِنْ أَمْرِ دِينِهَا، ومَا انْدَثَرَ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهَا ﷺ إِلى يَومِنَا هَذَا .

وهَؤُلاءِ الْمُجَدِّدُونَ يَسْتَعْمِلُهُمُ اللهُ في إِقَامَةِ الدِّينِ، أُصُولِهِ وفُرُوعِهِ، وَرَدِّ النَّاسِ إِلى الْجَادَّةِ الصَّحِيحَةِ، حِينَ يَنْحَرِفُونَ عَنْهَا، أَوْ يَهْجُرُونَهَا، ولا شَكَّ أَنَّهُمْ مِنَ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ :" **لاَ يَزَالُ اللهُ يَغْرِسُ في هَذَا الدِّينِ بِغَرْسٍ يَسْتَعْمِلُهُمْ في طَاعَتِهِ** " [(٢)] .

---

(١) «فيض القدير» (١٤/١) .

(٢) رواه أحمد في مسنده عن أبي عنبة الخولاني (١٧٧٨٧) وابن ماجه في سننه (٨) وابن حبان في صحيحه (٣٢٦) وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» : هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات .

www.saida-islam.weebly.com

وقَالَ فِيهِمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِيْ طَالِبٍ رضي الله عنه :" **لَنْ تَخْلُوَ الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ للهِ بِحُجَّتِهِ** "(١) .

وقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي فَضْلِهِمْ وفَضْلِ مَنْ شَارَكَهُمْ فِي عَمَلِهِمْ وحَقَّقَ مَقْصَدَهُمْ : إِنَّ أَفْضَلَ مَنَازِلِ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةُ الرِّسَالَةِ والنُّبُوَّةِ، فَاللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ، وَكَيْفَ لا يَكُونُ أَفْضَلَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ مَنْ جَعَلَهُم وَسَائِطَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ فِيْ تَبْلِيْغِ رِسَالاتِهِ، وتَعْرِيفِ أَسْمَائِهِ وصِفَاتِهِ وأَفْعَالِهِ وأَحْكَامِهِ ومَرَاضِيْهِ ومَسَاخِطِهِ وثَوَابِهِ وعِقَابِهِ، وخَصَّهُمْ بِوَحْيِهِ، وَاخْتَصَّهُمْ بِتَفْضِيلِهِ، وَارْتَضَاهُمْ لِرِسَالَتِهِ إلى عِبَادِهِ، وجَعَلَهُمْ أَزْكَى الْعَالَمِينَ نُفُوساً وأَشْرَفَهُم أَخْلاقاً، وأَكْمَلَهُم عُلُوماً وأَعْمَالاً، وأَحْسَنَهُم خِلْقَةً، وأَعْظَمَهُم مَحَبَّةً وقَبُولاً فِي قُلُوبِ النَّاسِ، وبَرَّأَهُمْ مِنْ كُلِّ وَصْمٍ وعَيْبٍ وكُلِّ خُلُقٍ دَنِيْءٍ .

وجَعَلَ أَشْرَفَ مَرَاتِبِ النَّاسِ بَعْدَهُم مَرْتَبَةَ خِلافَتِهِمْ ونِيَابَتِهِمْ فِي أُمَمِهِمْ، فَإِنَّهُم يَخْلُفُونَهُمْ عَلَى مَنَاهِجِهِمْ وطَرِيقِهِم مِنْ نَصِيحَتِهِمْ لِلأُمَّةِ، وإِرْشَادِهِمُ الضَّالَّ، وتَعْلِيْمِهِمُ الجَاهِلَ، ونَصْرِهِمُ الْمَظْلُومَ، وأَخْذِهِمْ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ، وأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وفِعْلِهِ، ونَهْيِهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وتَرْكِهِ، وَالدَّعوةِ إلى اللهِ بالحِكْمَةِ للمُسْتَجِيبِينَ، والْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ لِلْمُعْرِضِينَ الغَافِلِينَ، والجِدَالِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ لِلْمُعَانِدِينَ الْمُعَارِضِينَ، فَهَذِهِ حَالُ أَتْبَاعِ الْمُرْسَلِينَ وَوَرَثَةِ النَّبِيِّيْنَ، قَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وسَوَاءٌ كَانَ الْمَعْنَى أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي عَلَى بَصِيرَةٍ، وأَنَا أَدْعُو إلى اللهِ، أَوِ الْمَعْنَى أَدْعُوْ إلى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، فَالْقَولانِ مُتَلازِمَانِ، فَلا يَكُونُ مِنْ أَتْبَاعِهِ حَقّاً إِلاَّ مَنْ دَعَا إلى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، كَمَا كَانَ مَتْبُوْعُهُ يَفْعَلُ ﷺ .

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧٩/١) والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٧٧) وقال : هذا الحديث من أحسن الأحاديث ومن أشرفها لفظاً . وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤٧/٩) وقال : رواه جماعة من الحفاظ الثقات، وفيه مواعظُ وكلامٌ حسنٌ ، رضي اللهُ عن قائله .

www.saida-islam.weebly.com

فهَؤُلاءِ خُلَفَاءُ الرُّسُلِ حَقّاً، ووَرَثَتُهُمْ دُوْنَ النَّاسِ، وهُمْ أُوْلُوْ الْعِلْمِ الَّذِينَ قَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ عِلْماً وعَمَلاً وهِدَايَةً وإِرْشَاداً وصَبْراً وجِهَاداً، وهَؤُلاءِ هُمُ الصِّدِّيقُونَ، وهُمْ أَفْضَلُ أَتْبَاعِ الأَنْبِيَاءِ، ورَأْسُهُمْ وإِمَامُهُمُ الصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه [١] .

وهَؤُلاءِ هُمُ الرَّبَّانِيُّونَ، وهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، وهُمُ الْوَسَائِطُ بَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ وأُمَّتِهِ، فَهُمْ خُلَفَاؤُهُ وأَوْلِيَاؤُهُ وحِزْبُهُ وخَاصَّتُهُ وحَمَلَةُ دِيْنِهِ، وهُمُ الْمَضْمُونُ لَهُمْ أَنَّهُم لا يَزَالُونَ عَلَى الْحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ ولا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وهَؤُلاءِ هُمْ خُوَاصُّ خَلْقِ اللَّهِ، وأَفْضَلُهُمْ عِندَ اللَّهِ مَنْزِلَةً، وأَعْلاهُمْ قَدْراً، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَولُهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، قَالَ الحَسَنُ – يعني البصْرِيَّ – رحمه الله: " **هُوَ الْمُؤْمِنُ أَجَابَ اللَّهَ فِيْ دَعْوَتِهِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى مَا أَجَابَ اللَّهَ فِيهِ مِنْ دَعْوَتِهِ، وعَمِلَ صَالِحاً فِي إِجَابَتِهِ، فَهَذَا حَبِيْبُ اللَّهِ، هَذَا وَلِيُّ اللَّهِ** ". فَمَقَامُ الدَّعْوَةِ إلى اللَّهِ أَفْضَلُ مَقَامَاتِ العَبْدِ .

وهَؤُلاءِ هُمُ الْمُبَارَكُونَ أَيْنَمَا كَانُوا، فَإِنَّ بَرَكَةَ الرَّجُلِ تَعْلِيْمُهُ لِلْخَيْرِ حَيْثُ حَلَّ ونُصْحُهُ لِكُلِّ مَنِ اجْتَمَعَ بِهِ، قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى إِخْبَاراً عَنِ الْمَسِيحِ عليه السلام : ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[مريم: ٣١]، أَيْ مُعَلِّماً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ، مُذَكِّراً بِهِ، مُرَغِّباً فِي طَاعَتِهِ، فَهَذَا مِنْ بَرَكَةِ الرَّجُلِ، ومَنْ خَلا مِنْ هَذَا فَقَدْ خَلا مِنَ الْبَرَكَةِ، ومُحِقَتْ بَرَكَةُ لِقَائِهِ وَالاِجْتِمَاعِ بِهِ، بَلْ مُحِقَتْ بَرَكَةُ مَنْ لَقِيَهُ وَاجْتَمَعَ بِهِ [٢] .

وقَالَ مَسْرُوقٌ رحمه الله : قَرَأْتُ عَلَى عَبدِ اللَّهِ بْنِ مَسعُودٍ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾[النحل: ١٢٠]، فقال : **كَانَ مُعَاذٌ أُمَّةً** . قَالَ : **هَلْ تَدْرِيْ مَا الأُمَّةُ ؟ الأُمَّةُ الَّذِيْ يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ، وَالْقَانِتُ الَّذِيْ يُطِيْعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** " [٣] .

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/١٠٣) .

(٢) من «رسالة ابن القيم لأحد الإخوان» ص (٥) .

(٣) «تفسير الطبري» (٢١٩٧٥) .

www.saida-islam.weebly.com

والْمَقْصُودُ أَنَّ دَرَجَةَ الصِّدِّيقِيَّةِ وَالرَّبَّانِيَّةِ وَوِرَاثَةِ النُّبُوَّةِ وخِلافَةِ الرِّسَالَةِ هِيَ أَفْضَلُ دَرَجَاتِ الأُمَّةِ، ولَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَضْلِهَا وشَرَفِهَا إِلاَّ أَنَّ كُلَّ مَنْ عَلِمَ بِتَعْلِيمِهِمْ وإِرْشَادِهِمْ وعَلَّمَ غَيْرَهُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ، كَانَ لَهُمْ مِثْلُ أَجْرِهِ مَا دَامَ ذَلِكَ جَارِياً فِي الأُمَّةِ عَلَى آبَادِ الدُّهُورِ، وقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه :" **فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ** " [(١)]، وصَحَّ عَنهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :" **مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ** " [(٢)]، فَيَا لَهَا مِنْ مَرْتَبَةٍ مَا أَعْلاهَا ! ومَنْقَبَةٍ مَا أَجَلَّهَا وأَسْنَاهَا ! أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ فِي حَيَاتِهِ مَشْغُولاً بِبَعْضِ أَشْغَالِهِ، أَوْ فِي قَبْرِهِ قَدْ صَارَ أَشْلاءً مُمَزَّقَةً وأَوْصَالاً مُتَفَرِّقَةً، وصُحُفُ حَسَنَاتِهِ مُتَزَايِدَةٌ تُمْلَى فِيهَا الْحَسَنَاتُ بِكُلِّ وَقْتٍ، وأَعْمَالُ الخَيْرِ مُهْدَاةٌ إِلَيهِ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ، تِلْكَ واللَّهِ الْمَكَارِمُ والْمَغَانِمُ ! وفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ! وعَلَيْهِ يَحْسُدُ الْحَاسِدُونَ ! وذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَشَاءُ، واللَّهُ ذُوْ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

وَحَقِيقٌ بِمَرْتَبَةٍ هَذَا شَأْنُهَا أَنْ تُنْفَقَ نَفَائِسُ الأَنْفَاسِ عَلَيْهَا، ويَسْتَبِقَ السَّابِقُونَ إِلَيْهَا، وتُوَفَّرَ عَلَيهَا الأَوْقَاتُ، وتَتَوَجَّهَ نَحْوَهَا الطَّلَبَاتُ، فَنَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي بِيَدِهِ مَفَاتِيحُ كُلِّ خَيْرٍ أَنْ يَفْتَحَ عَلَينَا خَزَائِنَ رَحْمَتِهِ، ويَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصِّفَةِ بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ .

وأَصْحَابُ هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ يُدْعَوْنَ عُظَمَاءَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاءِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : " **مَنْ عَلِمَ وَعَمِلَ وَعَلَّمَ فَذَلِكَ يُدْعَى عَظِيْماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاءِ** " [(٣)(٤)] .

*****

(١) رواه البخاري برقم (٢٧٤٢) ومسلم برقم (٢٤٠٦) .
(٢) رواه مسلم عن جرير بن عبد الله برقم (١٠١٧) .
(٣) حكاه ثور بن يزيد وبشر بن الحارث من كلام المسيح عليه السلام، «حلية الأولياء» (٦/٩٧) و(٨/٣٨٠) .
(٤) «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (٢/٧٦٤-٧٧١) .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ الْعَاشِرُ

لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ

عَنْ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ :" **لا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**" (١) .

قوله: (**لا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ**) وفي رِوَايَةٍ :" **لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ** ". قَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في هَذِهِ الطَّائِفَةِ : هُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ . وقَالَ أَحْمَدُ ابْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِنْ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ الْحَدِيثِ فَلا أَدْرِيْ مَنْ هُمْ ؟ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِنَّمَا أَرَادَ أَحْمَدُ أَهْلَ السُّنَّةِ والْجَمَاعَةِ، ومَنْ يَعْتَقِدُ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَدِيثِ (٢) .

---

(١) رواه البخاري برقم (٧١)، (٣٦٤١) ومسلم (٥٠٦٤) ورواه مسلم عن ثوبان برقم (٥٠٥٩) وعن عقبة بن عامر (٥٠٦٦) .

(٢) **تنبيه** : مُرَادُ الأَئِمَّةِ مِنْ كَوْنِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ هُمْ أَهْلَ العِلْمِ، أَيْ أَهْلَ العِلْمِ الْعَامِلِينَ بِعِلْمِهِم، الَّذِينَ يَخْشَونَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ، كَمَا قَالَ ابنُ مَسعُودٍ رضي الله عنه :" **لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الْحَدِيْثِ، وَلَكِنَّ الْعِلْمَ الْخَشْيَةُ**."، وقَالَ رضي الله عنه :" **كَفَى بِخَشْيَةِ اللَّهِ عِلْماً، وَكَفَى بِالاغْتِرَارِ بِاللهِ جَهْلاً**."، وقَالَ رضي الله عنه :" **إِنَّ أَقْوَاماً يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ**."، وكَتَبَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه إِلى أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه :" **إِنَّ الْفِقْهَ لَيْسَ بِكَثْرَةِ السَّرْدِ وَسَعَةِ الْهَذْرِ وَكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ، وَإِنَّمَا الْفِقْهُ خَشْيَةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ**."، وقَالَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه :" **أَلا أُخْبِرُكُمْ بِالفَقِيهِ؟ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤَمِّنهُمْ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللَّهِ، وَلَمْ يَدَعِ القُرْآنَ رَغْبَةً عَنهُ إِلى غَيْرِهِ**."، وسُئِلَ الحَسَنُ البصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ مَسأَلَةٍ فَأَجَابَ، فَقِيلَ: إِنَّ فُقَهَائَنَا لا يَقُولُونَ ذَلِكَ، فَقَالَ :" **وَهَلْ رَأَيْتُمْ فَقِيهاً قَطُّ؟! الْفَقِيْهُ هُوَ الْقَائِمُ لَيْلَهُ الصَّائِمُ نَهَارَهُ، الزَّاهِدُ فِي دُنيَاهُ، الَّذِيْ لا يُدَارِيْ وَلا يُمَارِيْ، يَنْشُرُ حِكْمَةَ اللَّهِ، فَإِنْ قُبِلَتْ مِنهُ حَمِدَ اللَّهَ، وَفَقِهَ عَنِ اللَّهِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَعَلِمَ مَا يُحِبُّهُ وَمَا يَكْرَهُهُ، فَذَاكَ هُوَ الْعَالِمُ الَّذِي قِيْلَ فِيْهِ: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ"، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَهُوَ مِنَ الْمَغْرُوْرِيْنَ**."، وفي رِوَايَةٍ قَالَ: تَدْرِيْ مَا الْفَقِيهُ ؟" **الْوَرِعُ الزَّاهِدُ الْمُقِيمُ عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالَّذِي لا يَسْخَرُ بِمَنْ أَسْفَلَ مِنهُ، وَلا يَهْزَأُ بِمَنْ فَوقَهُ، وَلا يَأْخُذُ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ حُطَاماً**." وقَالَ الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "**إِنَّ الفَقِيهَ مَنْ وَرِعَ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، والْعَالِمَ مَنْ خَافَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ**."، وَاسْتَفْتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: أَيُّهَا الْعَالِمُ أَفْتِنِيْ، فَقَالَ: "**إِنَّمَا العَالِمُ مَنْ يَخَافُ اللَّهَ**."، وقَالَ سُفْيَانُ ابْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ :" **العَالِمُ بِاللهِ الْخَائِفُ مِنَ اللَّهِ، وَإِنْ لَمْ يُحْسِنْ فُلانٌ عَنْ فُلانٍ، وَمَنْ لَمْ يُحْسِنِ الْعِلْمَ وَالْخَوفَ مِنَ اللَّهِ فَهُوَ جَاهِلٌ، وَإِنْ كَانَ يُحْسِنُ فُلانٌ=**

www.saida-islam.weebly.com

وقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : يَحْتَمِلُ أَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ مُفَرَّقَةٌ بَيْنَ أَنْوَاعِ الْمُؤْمِنِيْنَ، مِنْهُم شُجْعَانٌ مُقَاتِلُونَ، ومِنْهُم فُقَهَاءُ، ومِنْهُم مُحَدِّثُونَ، ومِنْهُم زُهَّادٌ، وآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، ونَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ، ومِنْهُم أَهْلُ أَنْوَاعٍ أُخْرَى مِنَ الْخَيْرِ، ولا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونُوا مُجْتَمِعِينَ، بَلْ قَدْ يَكُونُونَ مُتَفَرِّقِينَ فِي أَقْطَارِ الأَرْضِ [١] .

=عَنْ فُلانٍ ". وقَالَ الزُّهْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :" لا نَثِقُ لِلنَّاسِ بِعَمَلِ عَامِلٍ لا يَعْلَمُ، وَلا نَرْضَى لَهُمْ بِعِلْمِ عَالِمٍ لا يَعْمَلُ " . وقَالَ الحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ :" كَانَ الرَّجُلُ إِذَا طَلَبَ بَاباً مِنَ الْعِلْمِ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يُرَى ذَلِكَ فِي تَخَشُّعِهِ وبَصَرِهِ ولِسَانِهِ ويَدِهِ وزُهْدِهِ وصَلاتِهِ وبَدَنِهِ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَطْلُبُ الْبَابَ مِنَ الْعِلْمِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنيَا ومَا فِيهَا."، وقَالَ مَخْلَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ اللَّهُ :" إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَسْمَعُ الْعِلْمَ الْيَسِيرَ فَيَسُودُ بِهِ أَهْلَ زَمَانِهِ، يُعْرَفُ ذَلِكَ فِي صِدْقِهِ وورَعِهِ، وإِنَّهُ لَيَرْوِي الْيَومَ خَمْسِينَ أَلْفَ حَدِيثٍ لا تَجُوزُ شَهَادَتُهُ عَلَى قَلَنْسُوَتِهِ." ، وقَالَ سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:" الْعِلْمُ إِذَا لَمْ يَنْفَعْ ضَرَّ."، وَقَالَ الفُضَيلُ بنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ :" إِنَّا نَتَكَلَّمُ بِكَلامٍ أَحْسَبُ أَنَّ الْمَلائِكَةَ تَسْتَحْسِنُهُ، وَلَعَلَّهَا تَلْعَنُ عَلَيهِ."، ورُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ :" يُوشِكُ أَنْ لا يَبْقَى مِنَ الإِسْلامِ إِلاَّ اسْمُهُ، وَلا يَبْقَى مِنَ الْقُرْآنِ إِلاَّ رَسْمُهُ، مَسَاجِدُهُمْ يَومئذٍ عَامِرَةٌ وَهِيَ خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى، عُلَمَاؤُهُمْ شَرُّ مَنْ تَحْتَ أَدِيْمِ السَّمَاءِ، مِنْ عِندِهِمْ تَخْرُجُ الْفِتنَةُ وَفِيهِمْ تَعُودُ." ، وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ ذَكَرَ فِتَناً فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "مَتَى ذَلِكَ يَا عَلِيُّ ؟" قَالَ :" إِذَا تُفُقِّهَ لِغَيْرِ الدِّيْنِ، وتُعُلِّمَ الْعِلْمُ لِغَيْرِ الْعَمَلِ، وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ."، وعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ :" يَا حَمَلَةَ الْعِلْمِ! اعْمَلُوا بِهِ، فَإِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ عَمِلَ وَوَافَقَ عِلْمُهُ عَمَلَهُ، وسَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُم، تُخَالِفُ سَرِيْرَتُهُم عَلانِيَتَهُم، ويُخَالِفُ عَمَلُهُم عِلْمَهُم، يَقْعُدُونَ حِلَقاً، فَيُبَاهِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً". وقَالَ سُفيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ :" إِذَا كُنْتَ فِي زَمَانٍ يُرْضَى فِيهِ بِالقَولِ دُونَ الفِعْلِ، وَبِالْعِلْمِ دُونَ الْعَمَلِ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ فِي شَرِّ زَمَانٍ وَبَينَ شَرِّ النَّاسِ " .

أَمَّا الَّذِينَ جَمَعُوا العُلُومَ بِمَعزِلٍ عَنِ الْعَمَلِ، فَإِنَّهُم طَائِفَةٌ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى أَنْفُسِهِم فَيُجَاهِدُوهَا عَلَى الْعَمَلِ بِمُقْتَضَى ذَلِكَ العِلْمِ، فَضْلاً عَنْ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَى عَدُوِّهِمِ الخَارِجِيِّ، وهَؤُلاءِ هُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَومَ القِيَامَةِ، كَمَا قَالَ ابْنُ القَيِّمِ فِي مَعْرِضِ كَلامِهِ عَنْ أَضْرُبِ النَّاسِ فِي العِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالَ:" الضَّرْبُ الثَّالِثُ: مَنْ فُتِحَ لَهُ بَابُ الْعِلْمِ وَأُغْلِقَ عَنْهُ بَابُ الْعَزْمِ وَالْعَمَلِ، فَهَذَا فِي رُتْبَةِ الجَاهِلِ أَوْ شَرٌّ مِنْهُ، وفِي الحَدِيثِ الْمَرفُوعِ: "أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ"، ثَبَّتَهُ أَبُو نُعَيْمٍ وغَيْرُهُ، فَهَذَا جَهْلُهُ كَانَ خَيْراً لَهُ وأَخَفَّ لِعَذَابِهِ مِنْ عِلْمِهِ، فَمَا زَادَهُ الْعِلْمُ إِلاَّ وَبَالاً وعَذَاباً، وهَذَا لا مَطْمَعَ فِي صَلاحِهِ، فَإِنَّ التَّائِهَ عَنِ الطَّرِيقِ يُرْجَى لَهُ الْعَوْدُ إِلَيْهَا إِذَا أَبْصَرَهَا، فَإِذَا عَرَفَهَا وحَادَ عَنهَا عَمْداً فَمَتَى تُرْجَى هِدَايَتُهُ ؟ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٦] ".

«إتحاف السادة المبلغين» ص (٢٢٤)، (٢٤٠) .

(١) «شرح مسلم للنووي» (٦٧/١٣) .

www.saida-islam.weebly.com

قوله: (قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ) وفي رِوَايَةٍ :" **ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ** ". وفي رِوَايَةٍ :" **ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ** ". الْمُرَادُ بِأَمْرِ اللَّهِ هُوَ دِينُهُ، وَالْمُرَادُ بِالظُّهُورِ – وَاللَّهُ أَعْلَمُ – هُوَ مَا وَعَدَ اللَّهُ وَجَلَّ مِنْ إِظْهَارِ هَذَا الدِّينِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، ظُهُورَ عِلْمٍ وبَيَانٍ، وظُهُورَ سَيفٍ وسِنَانٍ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [الصف :٩]، وقَدْ فَسَّرَ الْعُلَمَاءُ ظُهُورَهُ بِهَذَا وهَذَا، ولَفْظُ الظُّهُورِ يَتَنَاوَلُهُمَا، فَإِنَّ ظُهُورَ الْهُدَى بِالْعِلْمِ وَالْبَيَانِ، وظُهُورَ الدِّينِ بِالْيَدِ وَالْعَمَلِ [١]. فَظُهُورُ حُجَّةِ هَذَا الدِّينِ قَائِمَةٌ ظَاهِرَةٌ بَاقِيَةٌ إلى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الأَرْضَ ومَنْ عَلَيهَا، أَمَّا ظُهُورُ السَّيْفِ وَالسِّنَانِ وَالْقَهْرِ لِلأَعْدَاءِ فَقَدْ يَحْصُلُ فِي بَعْضِ الزَّمَانِ دُونَ بَعْضٍ .

قوله: (حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ) الْمُرَادُ بِأَمْرِ اللَّهِ هُنَا، هُوَ وُقُوعُ الأَيَّامِ الْعِظَامِ الَّتِي يَعْقُبُهَا قِيَامُ السَّاعَةِ، ولا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ شَيئاً يَسيراً، وآخِرُهَا خُرُوجُ الدَّجَّالِ، كَمَا فِي رِوَايَةٍ، قَالَ :" **لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الدَّجَّالَ**" [٢]. فَإِنَّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ الدَّجَّالَ يَكُونُونَ بَعْدَ قَتْلِهِ مَعَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ يُرْسَلُ عَلَيهِمُ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ، فَلا يَبْقَى بَعْدَهُم إِلاَّ شِرَارُ الْخَلْقِ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" **يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي** ". الْحَدِيث، وفِيهِ :" **فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ، فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحاً بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ، فَلاَ يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيْمَانٍ إِلاَّ قَبَضَتْهُ** ". وفِيهِ :" **فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلاَمِ السِّبَاعِ، لاَ يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلاَ يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ : أَلاَ تَسْتَجِيبُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ** " [٣].

---

(١) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» لابن تيمية (١٤٧/١) .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك عن عمران بن حصين (٨٣٩١) وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

(٣) رواه مسلم عن عبد اللَّهِ بن عمرو (٧٥٦٨) .

www.saida-islam.weebly.com

وفي رِوَايَةٍ قَالَ ﷺ :" **لاَ تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِم، لا يَضُرُّهُم مَنْ خَالَفَهُم، حَتَّى تَأْتِيَ السَّاعَةُ وهُمْ عَلَى ذَلِكَ، ... ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيْحاً كَرِيحِ الْمِسْكِ، مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، فَلاَ تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الإِيْمَانِ إِلاَّ قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ** " [١]. فَعَلَى هَذَا فَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ "**حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ** ". سَاعَتُهُم هُمْ، وهِيَ وَقْتُ مُوْتِهِم بِهُبُوبِ الرِّيحِ، و**اللَّهُ** أَعْلَمُ [٢] .

وجَاءَ فِي رِوَايَةٍ : قِيلَ : يَا رَسُولَ **اللَّهِ** ! وأَيْنَ هُمْ ؟ قَالَ :" **بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ** " [٣]. والْمُرَادُ بِالَّذِينَ يَكُونُونَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ هُمُ الَّذِينَ يَحْصُرُهُمُ الدَّجَّالُ إِذَا خَرَجَ، فَيَنْزِلُ عِيسَى عليه السلام إِلَيهِمْ، فَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ، ويَظْهَرُ الدِّينُ فِي زَمَنِ عِيسَى عليه السلام، ثُمَّ بَعْدَ مَوْتِهِ تَهُبُّ الرِّيحُ الْمَذْكُورَةُ؛ و**اللَّهُ** أَعْلَمُ [٤] .

مَعْنَى الْحَدِيْثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ فَضِيلَةً عَظِيمَةً لِهَذِهِ الأُمَّةِ، وهِيَ أَنَّهَا لَنْ تَذِلَّ، ولَنْ تَخْضَعَ مِهْمَا اعْتَرَاهَا مِنْ ضَعْفٍ، ومَهْمَا أَصَابَهَا مِنْ نَقْصٍ، وسُوءٍ فِي أَحْوَالِهَا، بَلْ لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْهَا قَائِمَةً بِأَمْرِ **اللَّهِ**، مُحَافِظَةً عَلَى أَوَامِرِ **اللَّهِ**، مُسْتَمْسِكَةً بِحَبْلِ **اللَّهِ** الْمَتِينِ، مُسْتَقِيمَةً عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، ظَاهِرَةً عَلَى أَعْدَائِهَا بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ، وبِالْقُوَّةِ وَالْبَنَانِ، لا تَضُرُّهَا مُخَالَفَةُ الْمُخَالِفِينَ لَهَا مِنْ أَعْدَائِهَا، ولا خِذْلانُ الْمُتَخَاذِلِينَ مِمَّنْ يُنْسَبُ إِلَيهَا، ومِنْ غَيرِهِمْ، كَمَا قَالَ ﷺ :" **لا يَزَالُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ بِغَرْسٍ، يَسْتَعْمِلُهُم بِطَاعَتِهِ** " [٥] .

---

(١) رواه مسلم عن عقبة بن عامر (٥٠٦٦) .

(٢) «فتح الباري» (١٣/٧٧) .

(٣) رواه أحمد في مسنده عن أبي أمامة (٢٢٣٢٠) والطبراني في الكبير (٧٦٤٣) وقال الهيثمي في المجمع: رجاله ثقات.

(٤) «فتح الباري» (١٣/٢٩٤) .

(٥) تقدم تخريجه .

www.saida-islam.weebly.com

فَالْحَقُّ مُسْتَمِرٌّ، لا يَنْقَطِعُ إلى أَنْ يَشَاءَ اللهُ، ولَكِنَّهُ في بَعْضِ الأَزْمَانِ تَكُونُ لأَهْلِهِ الْغَلَبَةُ، ويَحْصُلُ لَهُ الانْتِشَارُ، كَمَا كَانَتِ الْحَالُ عَلَيهِ في زَمَنِ خَيرِ الْقُرُونِ، حَيثُ كَانَتِ الأُمَّةُ جَمْعَاءُ قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، مُعْتَصِمَةً بِحَبْلِهِ، مُسْتَقِيمَةً عَلَى صِرَاطِهِ الْقَوِيمِ، يُضَحُّونَ بِكُلِّ غَالٍ ونَفِيسٍ في سَبِيلِ إِعْلاءِ كَلِمَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ووَضَعُوا أَيْدِيَهُم في يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وهَانَتْ عَلَيهِم نُفُوسُهُم وأَمْوَالُهُم وعَشِيرَتُهُم، وَاسْتَطَابُوا الْمَرَارَاتِ وَالْمَكَارِهَ في سَبِيلِ الدَّعْوَةِ إلى اللهِ، وأَفْضَى يَقِينُهَا إلى قُلُوبِهِم، وسَيْطَرَ عَلَى نُفُوسِهِم وعُقُولِهِم، وصَدَرَتْ عَنْهُم عَجَائِبُ الإِيْمَانِ بِالْغَيبِ، والْحُبِّ للهِ ولِلرَّسُولِ، والرَّحْمَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَالشِّدَّةِ عَلَى الْكَافِرِينَ، وإِيْثَارِ الآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا، وإِيْثَارِ الآجِلِ عَلَى الْعَاجِلِ، والْغَيبِ عَلَى الشُّهُودِ، والْهِدَايَةِ عَلَى الْجِبَايَةِ، وَالْحِرْصِ عَلَى دَعْوَةِ النَّاسِ، وإِخْرَاجِ خَلْقِ اللهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إلى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، ومِنْ جَورِ الأَدْيَانِ إلى عَدْلِ الإِسْلامِ، ومِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إلى سَعَتِهَا، والاسْتِهَانَةِ بِزَخَارِفِ الدُّنْيَا وحُطَامِهَا، والشَّوقِ إلى لِقَاءِ اللهِ، والْحَنِينِ إلى الْجَنَّةِ، وعُلُوِ الْهِمَّةِ وبُعْدِ النَّظَرِ في نَشْرِ رِفْدِ الإِسلامِ وخَيرَاتِهِ في الْعَالَمِ، وَانْتِشَارِهِم لأَجْلِ ذَلِكَ في مَشَارِقِ الأَرْضِ ومَغَارِبِهَا، سُهُولِهَا وحُزُونِهَا، أَغْوَارِهَا وأَنْجَادِهَا، ونَسُوا في ذَلِكَ لَذَّاتِهِم، وهَجَرُوا رَاحَاتِهِم، وغَادَرُوا أَوْطَانَهُم، وبَذَلُوا مُهَجَهُم وحُرَّ أَمْوَالِهِم، حَتَّى أَلْقَى الدِّينُ بِجِرَانِهِ، وأَقْبَلَتِ الْقُلُوبُ إلى اللهِ، وهَبَّتْ رِيَاحُ الإِيْمَانِ قَوِيَّةً عَاصِفَةً، طَيِّبَةً مُبَارَكَةً، وقَامَتْ دَوْلَةُ التَّوحِيد وَالإِيْمَانِ والْعِبَادَةِ والتَّقْوَى، ونَفَقَتْ سُوقُ الْجَنَّةِ، وانْتَشَرَتِ الْهِدَايَةُ في الْعَالَمِ، ودَخَلَ النَّاسُ في دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً [١]، وتَأَسَّسَتْ دَوْلَةُ الإِسْلامِ، وفُتِحَتْ فَارِسُ وَبِلادُ الرُّومِ وَالشَّامِ، ونُقِلَتْ إلى عَاصِمَةِ الإِسْلامِ - الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ - كُنُوزُ كِسْرَى وقَيْصَرَ، وَانْصَبَّتْ عَلَيهَا خَيرَاتُ الْمَمْلَكَتَينِ الْعَظِيمَتَينِ، وَانْهَالَ عَلَى رِجَالِهَا مِنْ أَمْوَالِ هَاتَينِ الدَّوْلَتَينِ وزَخَارِفِهَا مَا لَمْ يَدُرْ قَطُّ بِخَلَدِهِم، وقَدِ انْقَضَى عَلَى إِسْلامِهِم رُبُعُ قَرْنٍ، وهُمْ في شِدَّةٍ وجَهْدٍ مِنَ الْعَيشِ، وفي جُشُوبَةِ الْمَطْعَمِ، وخُشُونَةِ الْمَلْبَسِ، لا يَجِدُونَ مِنَ الطَّعَامِ إلاَّ مَا يُقِيمُ صُلْبَهُم، ولا مِنَ اللِّبَاسِ إلاَّ مَا يَقِيهِم مِنَ الْبَرْدِ وَالْحَرِّ، فَإِذَا بِهِمُ الْيَومَ

(١) «مقدمة العلاَّمة أبي الحسن الندوي لكتاب حياة الصحابة» للعلاَّمة محمد يوسف الكاندهلوي ص (١ - ٢) .

www.saida-islam.weebly.com

يَتَحَكَّمُونَ فِي أَمْوَالِ الأَبَاطِرَةِ وَالأَكَاسِرَةِ، وهَكَذَا حَافَظُوا عَلَى رُوحِ الدَّعْوَةِ الإِسْلامِيَّةِ، وسِيرَةِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وعَاشُوا لِلدَّعْوَةِ، ومَلَكُوا أَنْفُسَهُم عَنْ تَيَّارِ الدُّنْيَا الْجَارِفِ .

ومَا زَالَ النَّاسُ يَعُدُّونَ اقْتِحَامَ الْمُسْلِمِينَ دِجْلَةَ بِخَيْلِهِم وجُنْدِهِم تَحْتَ قِيَادَةِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، ووُصُولَهُم إِلى الشَّطِّ الثَّانِي مِنْ غَيرِ أَنْ يُصَابُوا فِي نَفْسٍ أَوْ مَالٍ أَوْ مَتَاعٍ، مَا زَالُوا يَعُدُّونَهُ حَادِثاً غَرِيباً مِنْ أَغْرَبِ مَا وَقَعَ فِي التَّارِيخِ، إِنَّ الْحَادِثَ لَغَرِيبٌ، ولَكِنْ أَشَدُّ مِنْهُ غَرَابَةً وأَدْعَى لِلْعَجَبِ، أَنَّ الْمُسْلِمِينَ فِي عَهْدِ الْخِلافَةِ الرَّاشِدَةِ وعَصْرِ الْفُتُوحِ الإِسْلامِيَّةِ الأُوْلَى خَاضُوا بَحْرَ مَدَنِيَةِ الرُّومِ وفَارِسَ، وهُوَ مَائِجٌ هَائِجٌ، وعَبَرُوهُ ولَمْ يَفْقِدُوا شَيْئاً مِنْ أَخْلاقِهِم ومَبَادِئِهِم وعَادَاتِهِم، ووَصَلُوا إِلى الشَّطِّ الثَّانِي، ولَمْ تُبَلَّ ثِيَابُهُم، وكَانَتِ الْمُدُنُ الإِسْلامِيَّةُ الْكُبْرَى وعَوَاصِمُ الإِسْلامِ مَرْكَزَ دَعْوَةٍ وهِدَايَةٍ، بِحَيثُ إِذَا دَخَلَهَا الإِنْسَانُ عَرَفَ أَنَّهُ يَمْشِي فِي مَرْكَزِ الإِسْلامِ، ويَتَنَفَّسُ فِي جَوِّهِ، فَيَرَى الْحُدُودَ قَائِمَةً، وأَحْكَامَ الشَّرْعِ نَافِذَةً، ولا يَجِدُ أَحَداً يَتَهَاوَنُ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ، ويَسْمَعُ الدَّعْوَةَ إِلى اللَّهِ، وإِلى الدَّارِ الآخِرَةِ، وإِلى الْفَضِيلَةِ وَالتَّقْوَى وَاتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالاجْتِنَابِ عَنِ الشِّرْكِ وَالْبِدْعَةِ، ويَرَى الْعَمَلَ بِذَلِكَ فِي الطُّرُقَاتِ وَالْمَجَامِعِ، وبُيُوتِ النَّاسِ ودَوَاوِينِ الْحُكُومَةِ، فَيَتَشَبَّعُ بِرُوحِ الدِّينِ، ويَتَضَلَّعُ إِيْمَاناً وحَمَاسَةً، وفِقْهاً فِي الدِّينِ، ومَعْرِفَةً بِأَحْكَامِهِ وشَرَائِعِهِ، وحُبّاً لأَهْلِهِ، وسَعْياً لِخِدْمَةِ هَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ بِمَالِهِ ونَفْسِهِ .

ثُمَّ أَتَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ نَسُوا أَنَّ الْحُكُومَةَ فِي الإِسْلامِ لَمْ تَكُنْ إِلاَّ جَائِزَةَ الدَّعْوَةِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهَا، ولَولا رِسَالَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ ودَعْوَتُهُ إِلى اللَّهِ، ومَا لَقِيَ فِي مَكَّةَ وَالطَّائِفِ مِنْ قُرَيشٍ وَالْقَبَائِلِ، ولَولا الْهِجْرَةُ ، ومَا أَصَابَ أَصْحَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ فِي سَبِيلِ دَعْوَتِهِم إِلى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَمَا دَانَتِ الدُّنْيَا لِلْعَرَبِ الْمُسْلِمِينَ [1] .

ولَكِنْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ أَنَّهُ تَكَفَّلَ بِحِفْظِ الدِّينِ لَهَا، فَمَعَ ضَعْفِ أَهْلِ الْحَقِّ، وتَضَاؤُلِ انْتِشَارِهِ فِي بَعْضِ الأَزْمَانِ، فَلا بُدَّ أَنْ تَبْقَى طَائِفَةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ

(١) من كتاب «إلى الإسلام من جديد» لأبي الحسن الندوي باختصار وتصرف يسيرين ص (١١٢ – ١٢٠) .

www.saida-islam.weebly.com

ﷻ، ظَاهِرَةً عَلَى الْحَقِّ؛ فَالْحَقُّ لَمْ يَتَلاشَ، ولَمْ يَضْمَحِلَّ، ومَا مِنْ زَمَنٍ فِي الْمَاضِي إلاَّ وقَدْ أَقَامَ اللَّهُ لِهَذَا الدِّينِ مَنْ يَقُومُ بِهِ حَقَّ الْقِيَامِ، ولا يَزَالُ اللَّهُ ﷻ يُقِيمُ لِهَذَا الدِّينِ مَنْ يَقُومُونَ بِهِ حَقَّ الْقِيَامِ، ويَدْعُونَ إِلَيهِ، ويُكَرِّسُونَ لِهَذِهِ الدَّعْوَةِ عِلْمَهُم ومَوَاهِبَهُم وكِفَايَتَهُم، ولا يَطْمَعُونَ فِي مَنْصِبٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ وَظِيفَةٍ أَوْ حُكُومَةٍ، ولا يَحْمِلُونَ لأَحَدٍ حِقْداً، يَنْفَعُونَ ولا يَنْتَفِعُونَ، ويُعْطُونَ ولا يَأْخُذُونَ، ولا يُزَاحِمُونَ طَبَقَةً فِي شَيْءٍ تَحْرِصُ عَلَيهِ وتَتَهَالَكُ، حَتَّى لا تَكُونَ لَهَا حُجَّةٌ عَلَيهِم، ولا لِلشَّيطَانِ سَبِيلٌ إِلَيهِم، شِعَارُهُمُ الإِخْلاصُ، وَالتَّجَرُّدُ عَنِ الشَّهَوَاتِ والأَنَانِيَّاتِ وَالْعَصَبِيَّاتِ [١] .

ولا تَزَالُ قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ ﷻ حَتَّى يَشَاءَ اللَّهُ ﷻ، ويَبْعَثَ تِلْكَ الرِّيْحَ الَّتِي تَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ ومُؤْمِنَةٍ؛ وبَعْدَ ذَلِكَ يَبْقَى شِرَارُ الْخَلْقِ، عَلَيهِم تَقُومُ السَّاعَةُ .

*****

(١) المصدر السابق ص (١٨٦) .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ الْحَادِيْ عَشَرَ

صَلاةُ الْمَسِيحِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليهما السلام خَلْفَ فَرْدٍ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ :" **لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليهما السلام، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ : تَعَالَ صَلِّ بِنَا . فَيَقُولُ : لا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الأُمَّةَ** " [(١)] .

قوله: (**يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ**) الْمُقَاتَلَةُ إِمَّا حِسِّيَّةً، فَالْمُرَادُ هُمْ جُيُوشُ الإِسْلامِ، وإِمَّا مَعْنَوِيَّةً عَلَى ظُهُورِ الْحَقِّ، فَالْمُرَادُ الْعُلَمَاءُ وَالآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ [(٢)]؛ أَوْ أَنَّ الْمُرَادَ كِلاهُمَا، واللهُ أَعْلَمُ .

قوله: (**ظَاهِرِينَ**) أَيْ غَالِبِينَ مَنْصُورِينَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، كَمَا قَالَ سبحانه وتعالى : ﴿ **فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾[المائدة : ٥٦] [(٣)] .

قوله: (**فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليهما السلام**) نُزُولُ عِيسَى عليه السلام مِنْ عَلامَاتِ السَّاعَةِ الْكُبْرَى، كَمَا قَالَ ﷺ :" **لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَرَوْا عَشْرَ آيَاتٍ : طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدُّخَانُ، وَالدَّابَّةُ، وَخُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَخُرُوجُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَالدَّجَّالِ، وَثَلاثُ خُسُوفٍ : خَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ، تَسُوقُ – أَوْ تَحْشُرُ – النَّاسَ، تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا**" [(٤)]. وقَالَ ﷺ :" **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ**

---

(١) رواه مسلم برقم (٤١٢) .

(٢) «مرقاة المفاتيح» (١٠/١٦٤) و«فيض القدير» (٦/٥١٤) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) رواه مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري (٧٤٦٧) وأحمد في مسنده (١٦١٤) واللفظ له .

www.saida-islam.weebly.com

فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ، حَكَمًا عَدْلاً، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ، حَتَّى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ " (١) .

وقَدْ كَانَ سَبَبَ رَفْعِهِ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالَ : لَمَّا هَمُّوا بِهِ مِنَ الْفَتْكِ بِعِيسَى عليه السلام، وإِرَادَتِهِ بِالسُّوءِ وَالصَّلْبِ، حِينَ تَمَالَؤُوا عَلَيهِ، وَوَشُوا بِهِ إِلى مَلِكِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وكَانَ كَافِراً، أَنَّ هُنَا رَجُلاً يُضِلُّ النَّاسَ، ويَصُدُّهُم عَنْ طَاعَةِ الْمَلِك، ويُفْسِدُ الرَّعَايَا، ويُفَرِّقُ بَينَ الأَبِ وَابْنِهِ، إِلى غَيرِ ذَلِكَ مِمَّا تَقَلَّدُوهُ فِي رِقَابِهِم، ورَمَوْهُ بِهِ مِنَ الْكَذِبِ، وأَنَّهُ وَلَدُ زَنِيَّةٍ، حَتَّى اسْتَثَارُوا غَضَبَ الْمَلِكِ، فَبَعَثَ فِي طَلَبِهِ مَنْ يَأْخُذُهُ، ويَصْلُبُهُ، ويُنَكِّلُ بِهِ، فَلَمَّا أَحَاطُوا بِمَنْزِلِهِ، وظَنُّوا أَنَّهُم قَدْ ظَفِرُوا بِهِ، نَجَّاهُ اللَّهُ سبحانه وتعالى مِنْ بَيْنِهِم، ورَفَعَهُ مِنْ رُوْزَنَةِ ذَلِكَ الْبَيتِ إِلى السَّمَاءِ، وأَلْقَى اللَّهُ شَبَهَهُ عَلَى رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ عِنْدَهُ فِي الْمَنْزِلِ، فَلَمَّا دَخَلَ أَوْلَئِكَ، اعْتَقَدُوهُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيلِ عِيسَى، فَأَخَذُوهُ، وأَهَانُوهُ، وصَلَبُوهُ، ووَضَعُوا عَلَى رَأْسِهِ الشَّوكَ، وكَانَ هَذَا مِنْ مَكْرِ اللَّهِ بِهِم، فَإِنَّهُ نَجَّى نَبِيَّهُ، ورَفَعَهُ مِنْ بَينِ أَظْهُرِهِم، وتَرَكَهُم فِي ضَلالِهِم يَعْمَهُونَ، يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُم قَدْ ظَفِرُوا بِطُلْبَتِهِم، وأَسْكَنَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِم قَسْوَةً، وعِنَاداً لِلْحَقِّ مُلازِماً لَهُم، وأَوْرَثَهُم ذِلَّةً لا تُفَارِقُهُم إِلى يَومِ التَّنَادِ، ولِهَذَا قَالَ سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران:٥٤-٥٥] (٢) .

هَذَا وقَدْ رَآهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لَيلَةَ عُرِجَ بِهِ إِلى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، رَآهُ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ مَعَ ابْنِ خَالَتِهِ يَحْيَى عليهما السلام (٣) .

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة (٢٢٢٢)، (٢٤٧٦)، (٣٤٤٨) ومسلم (٤٠٦) .

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/٣٧٤) .

(٣) رواه البخاري عن أبي ذر (٣٤٩) ومسلم (٤٣٣) ورواه البخاري عن مالك بن صعصعة (٣٢٠٧)، (٣٨٨٧) ومسلم عنه (٤٣٤) .

www.saida-islam.weebly.com

وقَدْ وَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ كَيْفِيَّةَ نُزُولِهِ ومَكَانَهَ، فَقَالَ :" **فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ – أَي الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ – إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ، شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ – أَيْ حُلَّتَين – وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلاَّ مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ** " [١]. وهَؤُلاءِ الَّذِينَ يُدْرِكُهُمُ الْمَسِيحُ عليه السلام ويَنْصُرُونَهُ، هُمْ مِنْ خِيَارِ هَذِهِ الأُمَّةِ، كَمَا قَالَ ﷺ :" **لَيُدْرِكَنَّ الْمَسِيحَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ أَقْوَامٌ، إِنَّهُمْ لَمِثْلُكُمْ، أَوْ خَيْرٌ،– ثَلاثَ مَرَّاتٍ – وَلَنْ يُخْزِيَ اللَّهُ أُمَّةً أَنَا أَوَّلُهَا، وَالْمَسِيحُ آخِرُهَا** " [٢] .

قوله: (**فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ**) هُوَ الْمَهْدِيُّ رضي الله عنه، كَمَا جَاءَ فِي رِوَايَةٍ لِهَذَا الْحَدِيثِ، أَنَّهُ ﷺ قَالَ :" **يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليهما السلام، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ الْمَهْدِيُّ : تَعَالَ صَلِّ بِنَا** " [٣] . وقَالَ ﷺ فِي حَقِّهِ :" **الْمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، أَقْنَى الأَنْفِ، يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وعَدْلاً، كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وظُلْماً، ويَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ** " [٤]. وقَالَ ﷺ :" **الْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي، مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ** " [٥]. وقَالَ ﷺ :" **لَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الدُّنْيَا إِلاَّ يَومٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَومَ، حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلاً مِنِّي – أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي – يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِيْ، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِيْ، يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطاً وعَدْلاً، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وجَوْراً** " [٦].

---

(١) رواه مسلم عن النواس بن سمعان برقم (٧٥٦٠) .

(٢) رواه ابن أبي شيبه في مصنفه عن جبير بن نفير مرسلاً (١٩٣٤٤)، (٣٦٩٧١) وحَسَّنَهُ الحافظ ابن حجر في الفتح.

(٣) أخرجه الحارث بن أبي اسامة في مسنده عن جابر بن عبد الله كما ذكره ابن القيم في «المنار المنيف» برقم (٣٣٨) وقال : هذا إسناد جيد .

(٤) رواه أبو داوود في سننه عن أبي سعيد الخدري (٤٢٨٧) وقال ابن القيم في «المنار المنيف» : بإسناد جيد . ورَمَزَ السيوطي لصحته في «الجامع الصغير» .

(٥) رواه أبو داوود في سننه عن أم سلمة (٤٢٨٦) وابن ماجه في سننه (٤٠٨٦) ورَمَزَ السيوطي لصحته في «الجامع الصغير» .

(٦) رواه أحمد في مسنده عن ابن مسعود (٣٥٧١) وأبو داوود في سننه (٤٢٨٤) واللفظ له والترمذي في سننه (٢٢٣٠)، (٢٢٣١) وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

www.saida-islam.weebly.com

وقَالَ ﷺ :" **الْمَهْدِيُّ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، يُصْلِحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ** " [١]. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : أَيْ يَتُوبُ عَلَيهِ، ويُوَفِّقُهُ ، ويُلْهِمُهُ رُشْدَهُ، بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ [٢]. وقَالَ غَيرُهُ: يُصْلِحُهُ لِتَوَلِّي أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُؤَهَّلاً لِتَحَمُّلِ تِلْكَ الْمَسْؤُولِيَّةِ الْعُظْمَى .

وهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَلَوِيُّ الْفَاطِمِيُّ الْحَسَنِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [٣]. وهُوَ الْخَلِيفَةُ الْمُشَارُ إِلَيهِ فِي الْحَدِيثِ عَنْهُ ﷺ بِقَولِهِ :" **يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ، يَحْثِي الْمَالَ حَثْياً، لا يَعُدُّهُ عَدَداً** " [٤]. واللَّهُ أَعْلَمُ .

وهُوَ يَخْرُجُ فِي زَمَانٍ سَادَ فِيهِ الْجَورُ وَالظُّلْمُ، فَيُقِيمُ بِأَمْرِ اللَّهِ الْعَدْلَ والْحَقَّ، ويَنْشُرُ اللَّهُ بِهِ لِوَاءَ الْخَيرِ عَلَى الأُمَّةِ، حَيثُ يَسْقِيهُ اللَّهُ الْغَيثَ، فَتُمْطِرُ السَّمَاءُ كَثِيراً، لا تَدَّخِرُ شَيْئاً مِنْ قَطْرِهَا، وتُؤْتِي الأَرْضُ أُكُلَهَا، لا تَدَّخِرُ عَنِ النَّاسِ شَيْئاً مِنْ نَبَاتِهَا، وتَكْثُرُ الْمَوَاشِي بِسَبَبِ الْخَيرَاتِ، ويَفِيضُ الْمَالُ، فَيَقْسِمُهُ بَينَ النَّاسِ بِالسَّوِيَّةِ؛ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :" **يَخْرُجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ**[٥]، **يَسْقِيهِ اللَّهُ**

---

(١) رواه أحمد في مسنده عن علي بن أبي طالب (٦٤٥) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٦٤٤) وابن ماجه في سننه (٤٠٨٥) وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» : هذا إسناد فيه مقال؛ إبراهيم بن محمد وَثَّقَهُ العجلي وذكره ابن حبان في «الثقات» . وقال البخاري في «التاريخ» : في إسناده نظر، وياسين العجلي، قال البخاري : فيه نظر، قال: ولا أعلم له حديثاً غير هذا، وقال ابن معن وأبو زرعة : لا بأس به . وأبو داوود الحفري اسمه عمر بن سعد، احتج به مسلم في صحيحه، وباقي رجال الإسناد ثقات .

(٢) «النهاية في الفتن والملاحم» لابن كثير (١/٥٥) .

(٣) المصدر السابق (١/ ٣١) .

(٤) رواه مسلم عن جابر بن عبد اللَّهِ (٧٤٩٩) .

(٥) يقول العلامة محمد السفاريني في المهدي : وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حدَّ التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة، حتى عُدَّ من معتقداتهم . «لوامع الأنوار البهية» (٢/٨٤) . وقال العلاَّمة الشوكاني: الأحاديث في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً، فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شَكٍّ ولا شُبْهَةٍ، وأما الآثار عن الصحابة المصدِّقةُ بالمهدي فهي كثيرة أيضاً، لها حكم الرفع، إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك . «التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح» ص (٤ – ٥) .

www.saida-islam.weebly.com

الْغَيثَ، وتُخْرِجُ الأَرْضُ نَبَاتَهَا، ويُعْطِي الْمَالَ صِحَاحاً، وتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ، وتَعْظُمُ الأُمَّةُ، يَعِيشُ سَبْعاً، أَوْ ثَمَانياً، يَعْنِي حِجَجاً " (١) .

قوله: (**تَعَالَ صَلِّ بِنَا . فَيَقُولُ : لا إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ**) أَيْ لا أَصِيرُ إِمَاماً لَكُمْ، لِئَلاَّ يُتَوَهَّمَ بِإِمَامَتِي لَكُمْ نَسْخُ دِينِكُمْ (٢). وقَالَ ﷺ :" **كَيفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ** " (٣). وقَالَ ﷺ :" **مِنَّا الَّذِيْ يُصَلِّي عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ خَلْفَهُ**"(٤). وهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليهما السلام لا يَأْتِي لأَهْلِ الأَرْضِ بِشَرِيعَةٍ أُخْرَى، وإِنَّما يَأْتِي مُقَرِّراً لِهَذِهِ الشَّرِيعَةِ ومُجَدِّداً لَهَا، لأَنَّ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ آخِرُ الشَّرَائِعِ، ومُحَمَّداً ﷺ آخِرُ الرُّسُلِ (٥). كَمَا قَالَ ﷺ فِي رِوَايَةٍ :" **ثُمَّ يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَى مِلَّتِهِ، إِمَامًا مَهْدِيًّا، وَحَكَمًا عَدْلاً** " (٦) .

قوله: (**تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الأُمَّةَ**) أَيْ إِكْرَاماً مِنْهُ سبحانه وتعالى لِهَذِهِ الأُمَّةِ، وقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رحمه الله: "**تَكْرِمَةَ اللَّهِ** " نُصِبَ عَلَى الْمَفْعُولِ لأَجْلِهِ، وَالْعَامِلُ مُحْذُوفٌ، وَالْمَعْنَى : شَرَعَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُم، وأَمِيرُهُم مِنْ عِدَادِهِم، تَكْرِمَةً لَهُمْ، وتَفْخِيماً لِشَأْنِهِمْ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ الَّتِيْ قَبْلَهُ (٧) .

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٨٦٧٣) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

(٢) «مرقاة المفاتيح» (١٠/١٦٥) .

(٣) رواه البخاري عن أبي هريرة (٣٤٤٩) ومسلم (٤٠٩)، (٤١١) .

(٤) عزاه السيوطي في «الجامع الصغير» لأبي نعيم في كتاب « المهدي» عن أبي سعيد الخدري، وتؤيِّده الأحاديث الصحيحة .

(٥) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (١/٣٠٢) .

(٦) رواه أحمد في مسنده عن سمرة بن جندب (٢٠١٥١) والطبراني في الكبير (٧٠٨٢) وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح . ورواه في الأوسط عن عبد الله بن مغفل (٤٥٨٠) وقال الهيثمي: ورجاله ثقات وفي بعضهم ضعف لا يضرُّ .

(٧) «مرقاة المفاتيح» (١٠/١٦٥) .

www.saida-islam.weebly.com

مَعْنَى الْحَدِيْثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ فَضِيلَةَ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى غَيرِهَا مِنَ الأُمَمِ، وهِيَ أَنَّ دِينَهَا سَيَبْقَى مُحْفُوظاً مِنَ التَّحْرِيفِ وَالضَّيَاعِ إِلى أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَعَجَلَّ، وذَلِكَ بِأَنْ يُقِيمَ في كُلِّ زَمَانٍ طَائِفَةً مُحَافِظَةً عَلَى أَوَامِرِ اللهُ وَعَجَلَّ، حَافِظَةً لِدِينِهِ، يَحْفَظُهُمُ اللهُ وَعَجَلَّ بِحِفْظِهِ، ويَنْصُرُهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ، ويُظْهِرُهُمْ عَلَيهِم .

ومِنْ مَظَاهِرِ تَكْرِمَةِ اللهُ وَعَجَلَّ لِهَذِهِ الأُمَّةِ أَنْ جَعَلَ شَرِيعَتَهَا خَالِدَةً مُحْكَمَةً، لا تُنْسَخُ، كَمَا أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُصَلِّي مَأْمُوماً في صَفِّ الْمُسْلِمِينَ خَلْفَ الْمَهْدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهُوَ فَرْدٌ مِنْ أَفْرَادِ هَذِهِ الأُمَّةِ، فَهُوَ يَنْزِلُ حَاكِماً بِشَرِيعَةِ الإِسْلامِ، نَاصِراً لِسُنَّةِ الْمُصْطَفَى ﷺ، وهَذِهِ الْفَضِيلَةُ – وهِيَ نُصْرَةُ دِينِ اللهُ وسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ – هِيَ مِمَّا اخْتَصَّ اللهُ وَعَجَلَّ بِهِ هَذِهِ الأُمَّةَ مِنْ بَينِ الأُمَمِ، كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ :" **مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيّاً مِنَ الأَنْبِيَاءِ إِلاَّ أَخَذَ عَلَيهِ الْمِيثَاقَ، لَئِنْ بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً وهُوَ حَيٌّ، لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ ولَيَنْصُرَنَّهُ، وأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ الْمِيثَاقَ عَلَى أُمَّتِهِ، لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ وهُمْ أَحْيَاءٌ، لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ ولَيَنْصُرُنَّهُ** " [(١)] .

فَاللهُ وَعَجَلَّ كَانَ يُؤْخِذُ كُلَّ نَبِيٍّ بِبِعْثَةِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ وَسَلَّامُ عَلَيْهِ، ويُهَيِّئُهُ لِشَرَفِ نُصْرَتِهِ ﷺ، وكَانَ يَأْمُرُ كُلَّ نَبِيٍّ أَنْ يُهَيِّأَ أُمَّتَهُ لِهَذَا الشَّرَفِ الْعَظِيمِ، ولَكِنَّ اللهُ وَعَجَلَّ أَكْرَمَ هَذِهِ الأُمَّةَ مِنْ دُونِ الأُمَمِ بِهَذَا الشَّرَفِ الرَّفِيعِ، فَاللهُ وَعَجَلَّ ﴿ **يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ** ﴾، وقَدِ اجْتَبَى الأَنْبِيَاءَ السَّابِقِينَ لِنُصْرَةِ رِسَالاتِهِ، ثُمَّ اجْتَبَى هَذِهِ الأُمَّةَ لِنُصْرَةِ رِسَالَتِهِ الْخَالِدَةِ، ونَشْرِهَا، ودَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَيهَا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :﴿ **هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ** ﴾ .

وَهَذَا مَحْضُ فَضْلِ اللهُ وَعَجَلَّ عَلَيْهِمْ، مِنْ غَيرِ طَلَبٍ سَابِقٍ مِنْهُمْ، بَلْ هُوَ اجْتِبَاءٌ وَاصْطِفَاءٌ وَاخْتِيَارٌ، اقْتَضَتْهُ حِكْمَةُ اللهُ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ؛ كَمَا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في تَفْسِيرِ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/٣٨٥) .

www.saida-islam.weebly.com

قَولِهِ ﷻ : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ [القصص:٤٦]، قَالَ :" نُودُوا يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، اسْتَجَبْتُ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَدْعُونِي، وَأَعْطَيْتُكُمْ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُونِي " (١) .

كَمَا اخْتَصَّ اللهُ وَجَلَّ هَذِهِ الأُمَّةَ بِأَنَّهَا تُؤْمِنُ بِجَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وبِجَمِيعِ مَا أُنْزِلَ إِلَيهِمْ مِنْ رَبِّهِم، كَمَا قَالَ ﷻ : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة :٢٨٥] . وقَالَ ﷻ : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة :١٣٦] .

فَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ أَحَدٌ، فَرْدٌ صَمَدٌ، لا إِلَهَ غَيرُهُ، ولا رَبَّ سِوَاهُ، ويُصَدِّقُونَ بِجَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، والْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى عِبَادِ اللهِ الْمُرْسَلِينَ والأَنْبِيَاءِ، ولا يُفَرِّقُونَ بَينَ أَحَدٍ مِنْهُم، فَيُؤْمِنُونَ بِبَعْضٍ، ويَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ، بَلِ الْجَمِيعُ عِنْدَهُم صَادِقُونَ، بَارُّونَ، رَاشِدُونَ، مَهْدِيُّونَ، هَادُونَ إِلى سَبِيلِ الْخَيرِ، وإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَنْسَخُ شَرِيعَةَ بَعْضٍ بِإِذْنِ اللهِ، حَتَّى نُسِخَ الْجَمِيعُ بِشَرْعِ مُحَمَّدٍ ﷺ، خَاتَمِ الأَنْبِيَاءِ والْمُرْسَلِينَ، الَّذِي تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى شَرِيعَتِهِ، ولا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِهِ قَائِمَةً عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ (٢) .

ومَا مِنْ أُمَّةٍ خَلَتْ قَبلَ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلاَّ وهِيَ تُؤْمِنُ بِبَعْضِ الأَنْبِيَاءِ، وتَكْفُرُ بِبَعْضٍ، فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ مُحَمَّداً ﷺ، فَكَانَ مَنْ آمَنَ بِهِ يُؤْمِنُ بِاللهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ، عَلَى الْوَجْهِ الْحَقِّ، فَكَانُوا هُمْ أَتْبَاعَ كُلِّ نَبِيٍّ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، إِذْ قَدْ صَدَّقُوا الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الْعَرَبِيَّ، خَاتَمَ الرُّسُلِ، سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ عَلَى الإِطْلاقِ، الَّذِي دَعَاهُمْ إِلى التَّصْدِيقِ بِجَمِيعِ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٦٩٨) والحاكم في المستدرك (٣٥٣٥) وقال : صحيح على شرط مسلم وسكت عنه الذهبي في التلخيص .

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/٣٥١) .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَقِّ، فَكَانُوا أَوْلَى بِكُلِّ نَبِيٍّ مِنْ أُمَّتِهِ، الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَلَى مِلَّتِهِ وطَرِيقَتِهِ(١)، مَعَ مَا قَدْ حَرَّفُوا وبَدَّلُوا، ثُمَّ لَوْ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، لَكَانَ قَدْ نَسَخَ اللَّهُ شَرِيعَةَ جَمِيعِ الرُّسُلِ بِمَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّداً ﷺ مِنَ الدِّينِ الْحَقِّ، الَّذِي لا يُغَيَّرُ، ولا يُبَدَّلُ إِلى قِيَامِ السَّاعَةِ، ولا يَزَالُ قَائِماً مَنْصُوراً ظَاهِراً عَلَى كُلِّ دِينٍ، فَلِهَذَا فَتَحَ اللَّهُ ﷻ لأَصْحَابِهِ مَشَارِقَ الأَرْضِ ومَغَارِبَهَا، وَاجْتَازُوا جَمِيعَ الْمَمَالِكِ، ودَانَتْ لَهُمْ جَمِيعُ الدُّوَلِ، وكَسَّرُوا كِسْرَى، وقَصَّرُوا قَيْصَرَ، وغَنِمُوا كُنُوزَهُمَا، وأُنْفِقَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ، كَمَا أَخْبَرَهُم بِذَلِكَ نَبِيُّهُمْ ﷺ عَنْ رَبِّهِمْ ﷻ بِقَولِهِ : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور:٥٥] .

فَلِهَذَا لَمَّا كَانُوا هُمُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْمَسِيحِ حَقّاً، غَنِمُوا مِنَ النَّصَارَى بِلادَ الشَّامِ، وأَلْجَؤُوهُمْ إِلى الرُّومِ، فَلَجَؤُوا إِلى مَدِينَتِهِمُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، ولا يَزَالُ الإِسْلامُ وأَهْلُهُ فَوقَهُمْ إِلى يَومِ الْقِيَامَةِ، وقَدْ أَخْبَرَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ﷺ أُمَّتَهُ بِأَنَّ آخِرَهُمْ سَيَفْتَحُونَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ، ويَسْتَفِيؤُونَ مَا فِيهَا مِنَ الأَمْوَالِ، ويَقْتُلُونَ الرُّومَ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً جِدّاً (٢) .

*****

(١) أخرج البخاري في صحيحه برقم (٣٩٤٣)، (٤٧٣٧) ومسلم برقم (٢٧١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :" لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، والْيَهُودُ تَصُومُ يَومَ عَاشُورَاءَ، فَسَأَلَهُمْ، فَقَالُوا : هَذَا الْيَومُ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ فِيهِ مُوسَى عَلَى فِرْعَونَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْهُمْ، فَصُومُوهُ** " .

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/٣٧٥) .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ الثَّانِيْ عَشَرَ

رَحْمَةُ اللهِ هَذِهِ الأُمَّةَ بِقَبْضِ نَبِيِّهَا قَبْلَهَا وَجَعْلِهِ فَرَطاً لَهَا

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :" **إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا، فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ عَذَّبَهَا، وَنَبِيُّهَا حَيٌّ، فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ، فَأَقَرَّ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا، حِينَ كَذَّبُوهُ، وَعَصَوْا أَمْرَهُ**"[١] .

قوله: (**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا**) الْمُوْجِبُ لِبَقَائِهِمْ بَعْدَهُ هُوَ إِيْمَانُهُمْ بِهِ، وَاتِّبَاعُهُمْ لِشَرِيعَتِهِ [٢] .

قوله: (**فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا**) الفَرَطُ هُوَ الَّذِي يَتَقَدَّمُ الْوَارِدَةَ إِلى الْمَاءِ، فَيُهَيِّؤُ لَهُمُ الدِّلاءَ والحِيَاضَ [٣]. وسَلَفُ الإِنْسَانِ مَنْ تَقَدَّمَهُ بِالْمَوتِ مِنْ آبائِهِ، وذَوِيْ قَرَابَتِهِ[٤]. يُرِيدُ أَنَّهُ يَكُونُ مُقَدَّماً بَينَ أَيْدِيهِم، يَشْفَعُ لَهُمْ، ويَنْفَعُهُم، كَالَّذِي يَتَقَدَّمُ الْوَارِدَةَ فِي نَفْعِهِم، ومِنْهُ الْحَدِيثُ :" **أَنَا فَرَطُكُم عَلَى الْحَوضِ** ". أَيْ مُتَقَدِّمُكُم، وسَابِقُكُم إِلَيهِ، ومِنْهُ الدُّعَاءُ فِي الصَّلاةِ عَلَى الصَّغِيرِ :" **اجْعَلْهُ لَنَا فَرَطاً** ". أَيْ أَجْراً يَتَقَدَّمُنَا ونَنْتَفِعُ بِهِ [٥] .

قوله: (**وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ عَذَّبَهَا وَنَبِيُّهَا حَيٌّ**) هَذَا لا يَكُونُ إِلاَّ لأَنَّهُم لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وخَالَفُوهُ، وعَصَوا أَمْرَهُ، فَإِذَا اسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ مِنْ عِصْيَانِهِم وتَمَرُّدِهِم، أَبْغَضَهُم نَبِيُّهُم، فَرُبَّمَا دَعَا عَلَيهِم، فَأَجَابَ اللهُ دَعْوَتَهُ فَأَهْلَكَهُم، فَأَقَرَّ عَيْنَهُ فِيهِم، كَمَا فَعَلَ بِقَومِ نُوحٍ

---

(١) رواه مسلم برقم (٦١٠٥) .

(٢) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٢٠٤/٨) .

(٣) «إكمال المعلم شرح صحيح مسلم» للقاضي عياض (١٢٩/٧) .

(٤) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٩٨١/٢) .

(٥) «إكمال المعلم شرح صحيح مسلم» (١٢٩/٧) .

www.saida-islam.weebly.com

وغَيرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ [١]. وهَذِهِ الإِرَادَةُ لِلْعَذَابِ مِنْ عَدْلِ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ، كَمَا فِي قَولِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء:١٦] أَيْ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا بِالطَّاعَةِ، فَفَسَقُوا فِيهَا بِمَعْصِيَتِهِم للهِ، وخِلافِهِمْ أَمْرَهُ؛ رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وسَعِيدِ بْنِ جُبَيرٍ [٢].

قوله: (فَأَقَرَّ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا) قَالَ أَهْلُ اللُّغَة: قُرَّة الْعَيْنِ يُعَبَّرُ بِهَا عَنِ الْمَسَرَّةِ، وَرُؤْيَةِ مَا يُحِبُّهُ الإِنْسَانُ وَيُوَافِقُهُ. قِيلَ: إِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ لأَنَّ عَيْنَهُ تَقَرُّ لِبُلُوغِهِ أُمْنِيَّتِهِ، فَلا يَسْتَشْرِفُ لِشَيْءٍ، فَيَكُونُ مَأْخُوذًا مِنَ الْقَرَارِ. وَقِيلَ: مَأْخُوذٌ مِنَ الْقُرِّ بِالضَّمِّ، وَهُوَ الْبَرْدُ، أَيْ عَيْنُهُ بَارِدَةٌ لِسُرُورِهَا وَعَدَمِ مُقْلِقِهَا. قَالَ الأَصْمَعِيُّ وَغَيْرُهُ: أَقَرَّ اللهُ عَيْنَهُ، أَيْ أَبْرَدَ دَمْعَتَهُ؛ لأَنَّ دَمْعَةَ الْفَرَحِ بَارِدَةٌ، وَدَمْعَةَ الْحُزْنِ حَارَّةٌ، وَلِهَذَا يُقَالُ فِي ضِدِّهِ: أَسْخَنَ اللهُ عَيْنَهُ [٣].

مَعْنَى الْحَدِيثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ إِرَادَةَ اللهِ وَجَلَّ الرَّحْمَةَ بِهَذِهِ الأُمَّةِ، حَيثُ إِنَّهُ وَفَّقَهَا لِقَبُولِ دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ والاسْتِجَابَةِ لِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الأَوَامِرِ الَّتِي فِيهَا حَيَاةُ الرُّوحِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال:٢٤]. وقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى:٥٢]. وقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنعام:١٢٢].

وَاسْتِجَابَةُ الأُمَّةِ للهِ ولِلرَّسُولِ سَبَبٌ لِرِضَا اللهِ عَنْهُم، والتَّمْكِينِ لَهُمْ فِي الأَرْضِ، وَاسْتِخْلافِهِم فِيهَا، وهَذَا يَسْتَلْزِمُ بَقَاءَهُم بَعْدَ نَبِيِّهِم، لإِحْيَاءِ مَا جَاءَ بِهِ فِي النَّاسِ، حَيثُ إِنَّهُ ﷺ أُرْسِلَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، بَشِيراً ونَذِيراً بَينَ يَدَي السَّاعَةِ، ولَمْ يَمْكُثْ فِي أُمَّتِهِ دَاعِياً

---

(١) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٨/٢٠٤).

(٢) «جامع البيان للطبري» (٢٢/١٥٢-١٥٣).

(٣) «شرح مسلم للنووي» (١/٩٨).

www.saida-islam.weebly.com

ومُرَبِّياً ومُعَلِّماً إلاَّ ثَلاثَةً وعِشْرِينَ عَاماً؛ فَلِتَكْمِيلِ مُتَطَلَّبَاتِ الْجُهْدِ الَّذِي أُرْسِلَ بِهِ ﷺ إلى الْعَالَمِينَ، اخْتَارَ اللهُ وَجَلَّ أُمَّتَهُ لِتَنُوبَ عَنْهُ فِي تَبْلِيغِ مَا أُرْسِلَ بِهِ لِلنَّاسِ .

وأَمَّا الأُمَمُ السَّابِقَةُ، فَإِنَّ أَكْثَرَهُم أُهْلِكُوا بِعَذَابِ اللهُ وَجَلَّ إِيَّاهُم أَمَامَ أَعْيُنِ أَنْبِيَاءِهِم، وذَلِكَ لِعَدَمِ اسْتِجَابَتِهِم لِدَعْوَةِ أَنْبِيَاءِهِم، وتَكْذِيبِهِم إِيَّاهُم؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٠]. وقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان:٣٥ – ٤٠] .

فَنُوحٌ صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ دَعَا عَلَى قَومِهِ، فَاسْتَجَابَ اللهُ وَجَلَّ لَهُ، فَأَهْلَكَهُم جَمِيعاً، وأَغْرَقَهُم عَدَا الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُم، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح:٢٦]. وقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِخْبَاراً عَنْ قَومِ نُوحٍ : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ [الأعراف :٦٤] .

وقَومَ عَادٍ سَلَّطَ اللهُ عَلَيهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ، حَتَّى أَلْقَتْهُم مَوتَى عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ، كَأَنَّهُم أَعْجَازُ نَخلٍ خَاوِيَةٍ، ودَمَّرَتْ مَا مَرَّتْ عَلَيهِ مِنْ دِيَارِهِم، وحُرُوثِهِم، وزُرُوعِهِم، ودَوَابِّهِم، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة:٦– ٨] .

www.saida-islam.weebly.com

وقَومَ ثَمُودَ أَرْسَلَ عَلَيهِمُ الصَّيْحَةَ، فَقَطَّعَتْ قُلُوبَهُم في أَجْوَافِهِم، ومَاتُوا عَنْ آخِرِهِم، كَمَا قَالَ ﷻ : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴾ [القمر:٣١] . وقَالَ ﷻ : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٨ – ٧٩] .

وقَومُ لُوطٍ لَمَّا عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، وَاقْتَحَمُوا مَا نَهَى ﷲ عَنْهُ، رَفَعَ قُرَاهُمْ إِلى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَلَبَهَا عَلَيهِم، فَجَعَلَ عَالِيَهَا سَافِلَهَا، فَأَهْلَكَهُم جَمِيعاً، ثُمَّ أَتْبَعَهُم حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ، أَمْطَرَهَا عَلَيهِم، كَمَا قَالَ ﷻ : ﴿ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾ [هود :٨١– ٨٢] .

وقَومُ مَدْيَنَ لَمَّا أَشْرَكُوا بِاللهِ، ونَقَصُوا الْمِكْيَالَ والْمِيزَانَ، وأَفْسَدُوا في الأَرْضِ، وصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ﷲ، أَرْسَلَ عَلَيهِمُ الصَّيْحَةَ، فَأَصْبَحُوا جَاثِمِينَ – مَيِّتِيْنَ –، كَمَا قَالَ ﷻ : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ [هود:٩٤] .

وأَمَّا أَصْحَابُ الأَيْكَةِ، فَأَرْسَلَ عَلَيهِمْ سَحَابَ الْعَذَابِ كَالظُّلَلِ، فَلَمَّا صَارَ فَوقَ رُؤُوسِهِم، أَمْطَرَ عَلَيهِمْ نَاراً تَلَظَّى، كَمَا قَالَ ﷻ عَنْهُم : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء:١٨٩] .

وقَومَ فِرْعَونَ أَغْرَقَهُم في الْبَحْرِ، ثُمَّ نُقِلَتْ أَرْوَاحُهُم إِلى جَهَنَّمَ، فَالأَجْسَادُ لِلْغَرَقِ، والأَرْوَاحُ لِلْحَرْقِ .

www.saida-islam.weebly.com

وبَنُو إسْرَائِيلَ بَعَثَ عَلَيهِم قَوماً أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ، فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ، وقَتَلُوا الرِّجَالَ، وسَبَوُا الذُّرِّيَّةَ والنِّسَاءَ، وأَحْرَقُوا الدِّيَارَ، ونَهَبُوا الأَمْوَالَ، ثُمَّ بَعَثَهُم عَلَيهِم مَرَّةً ثَانِيَةً، فَأَهْلَكُوا مَا قَدَرُوا عَلَيهِ، وتَبَّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً، وسَلَّطَ عَلَيهِم أَنْوَاعَ الْعُقُوبَاتِ، مَرَّةً بِالْقَتْلِ والسَّبْيِ وخَرَابِ الْبِلادِ، ومَرَّةً بِجَورِ الْمُلُوكِ، ومَرَّةً بِمَسْخِهِمْ قِرَدَةً وخَنَازِيرَ، وآخِرَ ذَلِكَ أَقْسَمَ الرَّبُّ ﷻ : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف :١٦٧] (١) .

فَهَؤُلاءِ الأَنْبِيَاءُ أَهْلَكَ اللَّهُ ﷻ أُمَمَهُم أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ، لِيُقِرَّهَا بِرُؤْيَتِهِم مُعَذَّبِينَ، كَمَا رَأَوْهُمْ ضَاحِكِينَ مُسْتَهْزِئِينَ؛ أَمَّا هَذِهِ الأُمَّةُ، فَمِنْ تَمَامِ رَحْمَةِ اللَّهِ بِهَا، أَنْ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا، فَجَعَلَهُ فَرَطاً وسَلَفاً بَينَ يَدَيْهَا؛ وقَدْ عُرِضَ عَلَيهِ ﷺ أَنْ يُهْلِكَ مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ أُمَّتِهِ، فَلَمْ يَخْتَرْ عَذَابَهُمْ، بَلِ اخْتَارَ بَقَاءَهُم ودَعْوَتَهُم، رَجَاءَ أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِم مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ ولا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وقَدْ كَانَ ذَلِكَ، ولله الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ. قَالَ ﷻ : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٣]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما :" **كَانَ فِيهِمْ أَمَانَانِ : نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَالاِسْتِغْفَارُ، فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ، وبَقِيَ الاِسْتِغْفَارُ** " (٢). وحِينَمَا طَلَبَ الْمُشْرِكُونَ مِنْهُ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَباً حَتَّى يُؤْمِنُوا بِهِ، دَعَا رَبَّهُ ﷻ، فَخَيَّرَهُ بَينَ أَحَدِ أَمْرَينِ : أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَباً، فَمَنْ كَفَرَ مِنْهُم عَذَّبَهُ عَذَاباً لا يُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ، أَوْ أَنْ يَسْتَمِرَّ فِي دَعْوَتِهِم والصَّبْرِ عَلَى أَذَاهُمْ، ويَفْتَحَ لَهُم بَابَ التَّوْبَةِ والرَّحْمَةِ، لَعَلَّهُم يُوَفَّقُونَ لَهَا .

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَتْ قُرَيشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ : ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَجْعَلْ لَنَا الصَّفَا ذَهَباً، فَإِنْ أَصْبَحَ ذَهَباً اتَّبَعْنَاكَ . فَدَعَا رَبَّهُ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقَالَ : **إِنَّ رَبَّكَ يُقْرِئُكَ السَّلامَ، ويَقُولُ لَكَ : إِنْ شِئْتَ أُصْبِحُ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَباً، فَمَنْ كَفَرَ مِنْهُم عَذَّبْتُهُ عَذَاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ، وإِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ لَهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ** ".

---

(١) «الجواب الشافي لمن سأل عن الدواء الشافي» لابن القيم . ص (٥٧ – ٥٨) .

(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (٩٧٦٣) و«تفسير الطبري» (٥١٢/١٣) .

www.saida-islam.weebly.com

قَالَ ﷺ :" **بَلْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ**" [١]. وفي رِوَايَةٍ : فَقِيلَ لَهُ :" **إِنْ شِئْتَ أَنْ نَسْتَأْنِيَ بِهِمْ، وإِنْ شِئْتَ نُؤْتِيهِمُ الَّذِي سَأَلُوا، فَإِنْ كَفَرُوا هَلَكُوا كَمَا أَهْلَكْتُ مَنْ قَبْلَهُمْ** . قَالَ : " **بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ** ". وأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿ **وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا** ﴾ [الإسراء:٥٩] [٢] .

فَاخْتَارَ ﷺ مَا هُوَ أَسْلَمُ لأُمَّتِهِ، وأَرْحَمُ بِهِم، وأَرْجَى أَنْ يَكُونَ سَبَباً لِدُخُولِهِم في رَحْمَةِ اللَّهِ ﷻ .

فَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَمْداً كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ، كَمَا يَنْبَغِي لِجَلالِ وَجْهِهِ وعَظِيمِ سُلْطَانِهِ؛ وصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، صَلاةً طَيِّبَةً مُبَارَكاً فِيهَا، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا ويَرْضَى، وكَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى عَلَيهِ .

*****

(١) رواه أحمد في مسنده (٢١٦٦) والطبراني في الكبير (١٢٧٣٦) والحاكم في المستدرك (٣٢٢٥) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي في المجمع والمنذري في الترغيب : رجاله رجال الصحيح .

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٣٣٣) والحاكم في المستدرك (٣٣٧٩) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ الثَّالِثُ عَشَرَ

هَذِهِ الأُمَّةُ مَرْحُومَةٌ لَيسَ عَلَيهَا عَذَابٌ فِي الآخِرَةِ

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الآخِرَةِ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتَنُ وَالزَّلازِلُ وَالْقَتْلُ** " (١). وفي رِوَايَةٍ :" **إِنَّ أُمَّتِي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، لَيْسَ عَلَيْهَا فِي الآخِرَةِ حِسَابٌ وَلا عَذَابٌ، إِنَّمَا عَذَابُهَا فِي الْقَتْلِ وَالزَّلازِلِ وَالْفِتَنِ** " (٢). وفي رِوَايَةٍ :" **إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، لا عَذَابَ عَلَيْهَا إِلاَّ مَا عَذَّبَتْ هِيَ أَنْفُسَهَا** " (٣) .

قوله: (**أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ**) أَيْ مَخْصُوصَةٌ بِمَزِيدٍ مِنَ الرَّحْمَةِ وإِتْمَامِ النِّعْمَةِ؛ أَوْ بِتَخْفِيفِ الإِصْرِ وَالأَثْقَالِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى الأُمَمِ قَبْلَهَا، مِنْ قَتْلِ النَّفْسِ فِي التَّوْبَةِ، وإِخْرَاجِ رُبُعِ الْمَالِ فِي الزَّكَاةِ، وقَرْضِ مَوْضِعِ النَّجَاسَةِ (٤). ونَصِيبُهَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ زَائِدٌ عَلَى نَصِيبِ سَائِرِ الأُمَمِ، لِكَونِ نَبِيِّهَا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وسُمِّيَ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ، وهُمْ خَيرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، لأَجْلِ قِيَامِهِمْ بِالنِّيَابَةِ عَنْ نَبِيِّهِمْ ﷺ فِي حَمْلِ رِسَالَةِ الرَّحْمَةِ لِلْعَالَمِينَ .

قوله: (**لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الآخِرَةِ**) أَيْ مَنْ عُذِّبَ مِنْهُم لا يُعَذَّبُ مِثْلَ عَذَابِ الْكُفَّارِ ويَخْلُدُ فِيهِ، بَلْ مَنِ اسْتَحَقَّ الْعَذَابَ مِنْهُم، فَإِنَّهُ دَاخِلٌ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، وإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنْهَا، ولا يَخْلُدُ مِنْهُم أَحَدٌ فِي

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٩٦٧٨) وأبو داوود في سننه (٤٢٨٠) والحاكم في المستدرك (٨٣٧٢) وقال : حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٧٦٤٩) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

(٣) رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده بإسناد صحيح عن أبي هريرة (٦٢٠٤) .

(٤) «تحفة الأحوذي» (٨/٢٧٠) .

www.saida-islam.weebly.com

النَّارِ؛ وغَالِبُ عَذَابِ هَذِهِ الأُمَّةِ أَنَّهُمْ مَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِم فِي الدُّنْيَا، بِالْمِحَنِ، والأَمْرَاضِ، وأَنْوَاعِ الْبَلايَا كَمَا حُقِّقَ فِي قَولِهِ ﷻ: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣][(١)].

قوله: (عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتَنُ) الَّتِي مِنْهَا اسْتِيفَاءُ الْحَدِّ مِمَّنْ يَفْعَلُ مُوجِبَهُ، وتَعْجِيلُ الْعُقُوبَةِ عَلَى الذَّنْبِ فِي الدُّنْيَا، والْحُرُوبُ وَالْهَرْجُ فِيمَا بَيْنَهُمْ [(٢)].

قوله: (وَالزَّلازِلُ) جَمْعُ زَلْزَلَةٍ، وأَصْلُهَا تَحْرِيكُ الأَرْضِ وَاضْطِرَابُهَا، مِن احْتِبَاسِ الْبُخَارِ فِيهَا لِغِلْظَةٍ، أَوْ لِتَكَاثُفِ وَجْهِ الأَرْضِ؛ ثُمَّ اسْتُعْمِلَتْ فِي الشَّدَائِدِ والأَهْوَالِ، قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : تَقُولُ الْعَرَبُ : جَاءَ بِالإِبِلِ يُزَلْزِلُهَا، أَيْ يَسُوقُهَا بِعُنْفٍ، وأَصَابَتْهُ زَلازِلُ الدَّهْرِ وشَدَائِدُهُ [(٣)].

قوله: (وَالْقَتْلُ) أَيْ قَتْلُ بَعْضِهِمْ بَعْضاً، كَمَا فِي حَدِيثِ :" **حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضاً، ويَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وبَعْضُهُمْ يَفْتِنُ بَعْضاً** " [(٤)].

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :" **إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ الْهَرْجَ** ". قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ ؟ **قَالَ** :" **الْقَتْلُ** ". قَالُوا : أَكْثَرَ مِمَّا نَقْتُلُ ؟! إِنَّا لَنَقْتُلُ كُلَّ عَامٍ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفًا ! قَالَ :" **إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمُ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضًا** ". وفِي رِوَايَةٍ :" **وَلَكِنْ يَقْتُلُ بَعْضُكُم بَعْضاً، حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ وَابْنَ عَمِّهِ وذَا قَرَابَتِهِ**". قَالُوا : وَمَعَنَا عُقُولُنَا يَوْمَئِذٍ ؟! قَالَ :" **إِنَّهُ لَتُنْزَعُ عُقُولُ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَيُخَلَّفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ، يَحْسِبُ أَكْثَرُهُمْ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَلَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ** ".

---

(١) «مرقاة المفاتيح» (٥٦١/٩) .

(٢) «فيض القدير» (١٨٥/٢) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) تقدم تخريجه .

www.saida-islam.weebly.com

قَالَ أَبُو مُوسَى : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مِنْهَا مَخْرَجًا إِنْ أَدْرَكَتْنِي وَإِيَّاكُمْ إِلاَّ أَنْ نَخْرُجَ مِنْهَا كَمَا دَخَلْنَا فِيهَا، لَمْ نُصِبْ مِنْهَا دَمًا وَلا مَالاً " (١) .

قوله: (**إِلاَّ مَا عَذَّبَتْ هِيَ أَنْفُسَهَا**) الْمُرَادُ بِهِ الْقَتْلُ وَالسَّبْيُ وَالْفِتْنَةُ لِبَعْضِهِمُ الْبَعْضَ، كَمَا فِي رِوَايَةٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: قُلْتُ: وكَيفَ تُعَذِّبُ أَنْفُسَهَا ؟ قَالَ – يَعْنِي أَبَا هُرَيرَةَ–: أَمَا كَانَ يَومُ النَّهْرِ عَذَاباً ؟ أَمَا كَانَ يَومُ الْجَمَلِ عَذَاباً ؟ أَمَا كَانَ يَومُ صِفِّينَ عَذَاباً ؟ (٢) .

مَعْنَى الْحَدِيْثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ فَضِيلَةً عَظِيمَةً لِهَذِهِ الأُمَّةِ، تَدُلُّ عَلَى عِظَمِ مَحبَّةِ اللهِ ﷻ لَهَا، وهِيَ أَنَّهَا آمِنَةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ ﷻ الأُخرَوِيِّ، الَّذِي يَنَالُ الْكَفَرَةَ وَالْمُشْرِكِينَ، وذَلِكَ بِالْخُلُودِ الأَبَدِيِّ فِي نَارِ جَهَنَّمَ؛ فَاللهُ ﷻ وَقَاهَا مِنْ ذَلِكَ، وَاخْتَارَ لَهَا جَزَاءً عَلَى ذُنُوبِهَا الْعَذَابَ الدُّنْيَوِيَّ، مِنَ الْفِتَنِ وَالزَّلازِلِ وَالْقَتْلِ، وغَيرِهَا مِنَ الْبَلايَا والأَمْرَاضِ؛ فَعَذَابُ الدُّنْيَا أَخَفُّ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ، فَإِنَّهَا وإِنْ كَانَتْ فِي الظَّاهِرِ عَذَاباً، لَكِنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ ﷻ، حَيثُ يُكَفِّرُ بِهَا مِنْ خَطَايَا هَذِهِ الأُمَّةِ .

فَشَأْنُ الأُمَمِ السَّابِقَةِ جَارٍ عَلَى مِنْهَاجِ الْعَدْلِ وأَسَاسِ الرُّبُوبِيَّةِ، وشَأْنُ هَذِهِ الأُمَّةِ مَاشٍ عَلَى مِنْهَاجِ الْفَضْلِ وجُودِ الأُلُوهِيَّةِ؛ قَالَ الطِّيْبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : الْحَدِيثُ وَارِدٌ فِي مَدْحِ أُمَّتِهِ ﷺ، وَاخْتِصَاصِهِمْ مِنْ بَينِ سَائِرِ الأُمَمِ بِعِنَايَةِ اللهِ ﷻ ورَحْمَتِهِ عَلَيهِمْ، وأَنَّهُم إِنْ أُصِيبُوا بِمُصِيبَةٍ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا أَحَدُهُم، أَنْ يُكَفِّرَ اللهُ بِهَا فِي الآخِرَةِ ذَنْباً مِنْ ذُنُوبِهِمْ، ولَيْسَتْ هَذِهِ الْخَاصِّيَّةُ لِسَائِرِ الأُمَمِ، ويُؤَيِّدُهُ ذِكْرُ "**هَذِهِ** "، وتَعْقِيبُهَا بِقَولِهِ "**مَرْحُومَةٌ** "، فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى مَزِيَّةِ تَمْيِيزِهِمْ بِعِنَايَةِ اللهِ ﷻ ورَحْمَتِهِ،

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٩٤٩٢) وابن ماجه في سننه (٣٩٥٩) والحاكم في المستدرك (٨٣٩٢) وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . وقال البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة »: رواه أبوبكر بن أبي شيبة ومسدَّد واللفظ له ، ورواته ثقات .

(٢) رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده بإسناد صحيح (٦٢٠٤) .

www.saida-islam.weebly.com

وهَذِهِ الرَّحْمَةُ هِيَ الْمُشَارُ إِلَيهَا بقَولِهِ ﷻ : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧] (١) .

ولَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ هِيَ أَرْحَمَ الأُمَمِ بخَلْقِ اللهِ ﷻ - كما كَانَ نَبيُّهَا ﷺ -، وذَلِكَ بخُرُوجِهِم إِلى النَّاسِ، لإِخْرَاجِهِمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ، فَلا جَرَمَ أَنَّهَا كَانَتْ أَكْثَرَ الأُمَمِ نَصِيباً مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ﷻ، لأَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، كَمَا قَالَ ﷺ : "**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ** " (٢) . وقَالَ ﷺ :" **وَالَّذِيْ نَفْسِي بِيَدِهِ، لا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَرَاحَمُوا** ". قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ، كُلُّنَا رَحِيمٌ . قَالَ :" **إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةِ أَحَدِكُمْ، وَلَكِنْ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ، رَحْمَةُ الْعَامَّةِ**"(٣). وفي رِوَايَةٍ :" **لَيْسَتِ الرَّحْمَةُ أَنْ يَرْحَمَ أَحَدُكُمْ خَاصَّتَهُ، حَتَّى يَرْحَمَ الْعَامَّةَ، وَيَتَوَجَّعَ لِلْعَامَّةِ** " (٤) .

*****

(١) «مرقاة المفاتيح» (٩/٥٦١) .

(٢) رواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو (٦٤٩٤) والترمذي في سننه (١٩٢٤) وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك عن أبي موسى الأشعري (٧٣١٠) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي . ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» بنحوه عن أنس بن مالك (١١٠٥٩) .

(٤) أخرجه عبد بن حميد في مسنده عن أبي هريرة (١٤٥٤) .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ الرَّابِعُ عَشَرَ

فِدَاءُ كُلِّ مُسْلِمٍ مِنَ النَّارِ بِرَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ مَرْحُومَةٌ، عَذَابُهَا بِأَيْدِيهَا، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دُفِعَ إِلى كُلِّ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَيُقَالُ : هَذَا فِدَاؤُكَ مِنَ النَّارِ** " (١) .

قوله: (**عَذَابُهَا بِأَيْدِيهَا**) مَعْنَاهُ مَا سَبَقَ، مِنْ قَتْلِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً، وسَبْيِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً، ونَحْوِهِ، كَمَا أَشَارَ إِلَيهِ قَولُهُ سبحانه وتعالى : ﴿ **أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ** ﴾ **[الأنعام: ٦٥]**، وهَذَا أَهْوَنُ الأَمْرَينِ الْمَذْكُورَينِ .

قوله: (**فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دُفِعَ إِلى كُلِّ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَيُقَالُ : هَذَا فِدَاؤُكَ مِنَ النَّارِ**) أَيْ فِكَاكُكَ مِنْهَا بِهِ، يَعْنِي كَانَ لَكَ مَنْزِلٌ فِي النَّارِ، لَوْ كُنْتَ اسْتَحْقَقْتَهُ دَخَلْتَ فِيهِ، فَلَمَّا اسْتَحَقَّهُ هَذَا الْكَافِرُ، صَارَ كَالْفِكَاكِ لَكَ مِنَ النَّارِ، لأَنَّكَ نَجَوْتَ مِنْهُ، وتَعَيَّنَ الْكَافِرُ لَهُ، فَأَلْقِهِ فِي النَّارِ فِدَاءَكَ (٢) .

فَكُلُّ مُكَلَّفٍ لَهُ مَقْعَدٌ فِي الْجَنَّةِ ومَقْعَدٌ فِي النَّارِ، فَيُورَثُ الْكَافِرُ مَقْعَدَ الْمُؤْمِنِ فِي النَّارِ بِكُفْرِهِ، ويُوْرَثُ الْمُؤْمِنُ مَقْعَدَ الْكَافِرِ فِي الْجَنَّةِ بِإِيْمَانِهِ .

مَعْنَى الْحَدِيْثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ مِنْ رَبِّهَا عزوجل، ومِنْ رَحْمَتِهِ بِهَا أَنْ يَدْفَعَ يَومَ الْقِيَامَةِ إِلى كُلِّ رَجُلٍ مُسْلِمٍ رَجُلاً مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا فِدَاؤُكَ مِنَ النَّارِ .

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه (٤٢٩٢) والطبراني في الأوسط عن أبي موسى (٩٧٤) وقال البوصيري في الزوائد : له شاهد في صحيح مسلم من حديث أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه ، وقد أَعَلَّهُ البخاري كما تقدم .

(٢) «فيض القدير» (٤٢٨/١) .

www.saida-islam.weebly.com

وجَاءَ في رِوَايَةٍ أَنَّهُ ﷺ قَالَ :" **إِذَا كَانَ يَومُ الْقِيَامَةِ، دَفَعَ اللَّهُ تَعَالى إِلى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرَانِيّاً، فَيَقُولُ : هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ** " [١]. وفي رِوَايَةٍ قَالَ :" **لا يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلاَّ أَدْخَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ النَّارَ يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرَانِيّاً** " [٢]. وفي رِوَايَةٍ قَالَ :" **يَجِيْءُ يَومَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، فَيَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ، وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى** " [٣].

وجَاءَ في حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه مَرْفُوعاً، قَالَ :" **مَا مِنْكُمْ مِنْ رَجُلٍ إِلاَّ لَهُ مَنْزِلانِ، مَنْزِلٌ في الْجَنَّةِ، ومَنْزِلٌ في النَّارِ، فَإِنْ مَاتَ ودَخَلَ النَّارَ، وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، قَالَ : فَذَلِكَ قَولُهُ** ﷻ : ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ** ﴾ " [٤]. وفي رِوَايَةٍ :" **لا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ إِلاَّ أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ لَوْ أَسَاءَ، لِيَزْدَادَ شُكْرًا، وَلا يَدْخُلُ أَحَدٌ النَّارَ، إِلاَّ أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ لَوْ أَحْسَنَ، لِيَكُونَ عَلَيْهِ حَسْرَةً** " [٥].

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْحَدِيثُ تَفْسِيراً لِحَدِيثِ الْفِدَاءِ، فَالْكَافِرُ إِذَا أُوْرِثَ عَلَى الْمُؤْمِنِ مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، والْمُؤْمِنُ إِذَا أُوْرِثَ عَلَى الْكَافِرِ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، يَصِيرُ في التَّقْدِيرِ كَأَنَّهُ فَدَى الْمُؤْمِنَ بِالْكَافِرِ؛ واللَّهُ أَعْلَمُ [٦].

وقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : والْمُؤْمِنُ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ خَلَفَهُ الْكَافِرُ في النَّارِ، لاِسْتِحْقَاقِهِ ذَلِكَ بِكُفْرِهِ، والْمُؤْمِنُ كَانَ مُعَرَّضاً لِدُخُولِهِ النَّارَ لَوْ أَنَّهُ عَصَى اللَّهَ وَجَلَّ، أَمَا وإِنَّهُ قَدْ أَطَاعَهُ، فَيَكُونُ الْكَافِرُ فِكَاكاً لَهُ، لأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدَّرَ لَهَا عَدَداً يَمْلَؤُهَا، فَإِذَا دَخَلَهَا الْكُفَّارُ بِكُفْرِهِم وذُنُوبِهِم، صَارُوا في مَعْنَى الْفِكَاكِ لِلْمُسْلِمِينَ .

---

(١) رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري (٧١٨٧) .

(٢) رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري (٧١٨٨) .

(٣) رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري (٧١٩٠) .

(٤) رواه ابن ماجه في سننه عن أبي هريرة (٤٣٤١) وقال في الزوائد : هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين .

(٥) رواه البخاري عن أبي هريرة (٦٥٦٩) .

(٦) «شعب الإيمان» (١/٣٤٢) .

www.saida-islam.weebly.com

وقَدْ جَاءَ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَالشَّافِعِيِّ رَحِمَهُمَاللّٰهُ أَنَّهُمَا قَالا :" **هَذَا الْحَدِيثُ أَرْجَى حَدِيثٍ لِلْمُسْلِمِينَ** ". وهُوَ كَمَا قَالا، لِمَا فِيهِ مِنَ التَّصْرِيحِ بِفِدَاءِ كُلِّ مُسْلِمٍ، وتَعْمِيمِ الْفِدَاءِ ، ولله الْحَمْدُ [١] .

وقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُاللّٰهُ :" **لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦] مَدَّ إِبْلِيسُ عُنُقَهُ، فَقَالَ : أَنَا مِنَ الشَّيْءِ ؟ فَنَزَلَتْ : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، قَالَ : فَمَدَّ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى أَعْنَاقَهُمْ، فَقَالُوا : نَحْنُ نُؤْمِنُ بِالتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، ونُؤَدِّي الزَّكَاةَ . قَالَ : فَاخْتَلَسَهَا اللّٰهُ مِنْ إِبْلِيسَ وَالْيَهُودِ والنَّصَارَى، فَجَعَلَهَا لِهَذِهِ الأُمَّةِ خَاصَّةً، فَقَالَ : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] [٢] .**

*****

(١) «شرح مسلم للنووي» بتصرف يسير (١٤٦/٩) .

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٧٩) .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ الْخَامِسُ عَشَرَ

الطَّاعُونُ عَذَابٌ لِمَنْ قَبْلَنَا جَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً وشَهَادَةً لِهَذِهِ الأُمَّةِ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ، فَأَخْبَرَهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: "أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلاَّ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ " [١]. وفي رِوَايَةٍ قَالَ ﷺ :" الطَّاعُونُ رِجْسٌ، أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ " [٢].

قوله: (أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ) وفي الرِّوَايَةِ الأُخْرَى : (الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) هَذَا يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ: **أَحَدُهُمَا** : أَنَّهُ يُرِيدُ أَنَّهُ أَوَّلَ مَا نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ وحَدَثَ بِالنَّاسِ، حَدَثَ بِهِم عَلَى هَذَا الْوَجْهِ؛ **والْوَجْهُ الثَّانِي** : أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِي بَلَدٍ عَلَى أَنَّهُ غَرِيبٌ، وأَنَّهُ تَكَرَّرَ بَعدَ ذَلِكَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ [٣]، وجَاءَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيرٍ وغَيرِهِ فِي تَفْسِيرِ قَولِهِ ﷻ : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة : ٥٩]، قَالَ :" **الرِّجْسُ هُوَ الطَّاعُونُ** " [٤]؛ ولَمَّا اخْتَلَطَ الْبَغَايَا بِعَسْكَرِ مُوسَى عليه السلام، وفَشَتْ فِيهِمُ الْفَاحِشَةُ، أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيهِمُ الطَّاعُونَ، فَمَاتَ فِي يَومٍ وَاحِدٍ سَبْعُونَ أَلْفاً [٥].

---

(١) رواه البخاري (٥٧٣٤)، (٦٦١٩) .

(٢) رواه البخاري عن أسامة بن زيد واللفظ له (٣٤٧٣) ورواه مسلم بألفاظ متقاربة من (٥٩٠٣) إلى (٥٩١٤) .

(٣) «المنتقى شرح الموطأ» لأبي الوليد الباجي (٢٧٤/٤) .

(٤) «تفسير ابن كثير» (١٢٧/١) .

(٥) «الطرق الحكمية» لابن القيم ص (٤٠٨) وقال ابن حجر في الفتح (٢٢٥/١٠ - ٢٢٦) : وَقَعَ الرِّجْس بِالسِّين الْمُهْمَلَة مَوْضِعَ الرِّجْز بِالزَّايِ، وَالَّذِي بِالزَّايِ هُوَ الْمَعْرُوفُ، وَهُوَ الْعَذَابُ، وَالْمَشْهُورُ فِي الَّذِي بِالسِّينِ أَنَّهُ=

www.saida-islam.weebly.com

قوله: (فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ) أَيْ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وفي رِوَايَةٍ :" **فَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَرَحْمَةٌ لَهُمْ، وَرِجْسٌ عَلَى الْكَافِرِ** "(١)، وَهُوَ صَرِيح فِي أَنَّ كَوْنَ الطَّاعُونِ رَحْمَةً إِنَّمَا هُوَ خَاصٌّ بِالْمُسْلِمِينَ، وَإِذَا وَقَعَ بِالْكَفَّارِ فَإِنَّمَا هُوَ عَذَاب عَلَيْهِمْ،

=الْخَبِيثُ أَوْ النَّجِسُ أَوْ الْقَذِرُ، وَجَزَمَ الْفَارَابِيُّ وَالْجَوْهَرِيُّ بِأَنَّهُ يُطْلَقُ عَلَى الْعَذَاب أَيْضًا، وَمِنْهُ قَوْله ﷻ : ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ وَحَكَاهُ الرَّاغِب أَيْضًا . وَالتَّخْصِيص عَلَى بَنِي إِسْرَائِيل أَخَصُّ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْمُرَاد فَكَأَنَّهُ أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى مَا جَاءَ فِي قِصَّة بَلْعَام، فَأَخْرَجَ الطَّبَرِيُّ مِنْ طَرِيق سُلَيْمَان التَّيْمِيِّ أَحَد صِغَار التَّابِعِينَ عَنْ سَيَّار:" **أَنَّ رَجُلاً كَانَ يُقَال لَهُ بَلْعَام كَانَ مُجَابَ الدَّعْوَة، وَأَنَّ مُوسَى أَقْبَلَ فِي بَنِي إِسْرَائِيل يُرِيد الأَرْضَ الَّتِي فِيهَا بَلْعَام، فَأَتَاهُ قَوْمه فَقَالُوا: ادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: حَتَّى أُؤَامِرَ رَبِّي، فَمُنِعَ، فَأَتَوْهُ بِهَدِيَّةٍ فَقَبِلَهَا وَسَأَلُوهُ ثَانِيًا فَقَالَ: حَتَّى أُؤَامِرَ رَبِّي، فَلَمْ يَرْجِع إِلَيْهِ بِشَيْءٍ، فَقَالُوا: لَوْ كَرِهَ لَنَهَاك، فَدَعَا عَلَيْهِمْ فَصَارَ يَجْرِي عَلَى لِسَانه مَا يَدْعُو بِهِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيل فَيَنْقَلِب عَلَى قَوْمه، فَلامُوهُ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ: سَأَدُلُّكُمْ عَلَى مَا فِيهِ هَلاكهمْ، أُرْسِلُوا النِّسَاء فِي عَسْكَرهمْ، وَمُرُوهُنَّ أَنْ لا يَمْتَنِعْنَ مِنْ أَحَد، فَعَسَى أَنْ يَزْنُوا فَيَهْلِكُوا، فَكَانَ فِيمَنْ خَرَجَ بِنْتُ الْمَلِك فَأَرَادَهَا رَأْس بَعْض الأَسْبَاط وَأَخْبَرَهَا بِمَكَانِهِ فَمَكَّنَتْهُ مِنْ نَفْسهَا، فَوَقَعَ فِي بَنِي إِسْرَائِيل الطَّاعُونُ، فَمَاتَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا فِي يَوْم، وَجَاءَ رَجُل مِنْ بَنِي هَارُون وَمَعَهُ الرُّمْح فَطَعَنَهُمَا وَأَيَّدَهُ اللَّهُ فَانْتَظَمَهُمَا جَمِيعًا**". وَهَذَا مُرْسَل جَيِّد وَسَيَّار شَامِيٌّ مُوَثَّق . وَقَدْ ذَكَرَ الطَّبَرِيُّ هَذِهِ الْقِصَّة مِنْ طَرِيق مُحَمَّد بْن إِسْحَاق عَنْ سَالِم أَبِي النَّضْر فَذَكَرَ نَحْوه ، وَقَالَ فِي آخِره :" **فَحَسَبَ مَنْ هَلَكَ مِنَ الطَّاعُون سَبْعُونَ أَلْفًا**"، وَالْمُقَلِّل يَقُول عِشْرُونَ أَلْفًا . وَهَذِهِ الطَّرِيق تُعَضِّد الأُولَى. وَذَكَرَ ابْن إِسْحَاق فِي «الْمُبْتَدَأ» **أَنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَى دَاوُدَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيل كَثُرَ عِصْيَانُهُمْ، فَخَيِّرْهُمْ بَيْن ثَلاث: إِمَّا أَنْ أَبْتَلِيهِمْ بِالْقَحْطِ أَوِ الْعَدُوِّ شَهْرَيْنِ، أَوْ الطَّاعُون ثَلاثَة أَيَّام . فَأَخْبَرَهُمْ، فَقَالُوا: اخْتَرْ لَنَا . فَاخْتَارَ الطَّاعُونَ . فَمَاتَ مِنْهُمْ إِلَى أَنْ زَالَتِ الشَّمْسُ سَبْعُونَ أَلْفًا. وَقِيلَ مِائَة أَلْف. فَتَضَرَّعَ دَاوُدُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَرَفَعَهُ**" . وَوَرَدَ وُقُوع الطَّاعُون فِي غَيْر بَنِي إِسْرَائِيل، فَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون هُوَ الْمُرَاد بِقَوْلِهِ :" **مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**". فَمِنْ ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ وَابْن أَبِي حَاتِم مِنْ طَرِيق سَعِيد بْن جُبَيْر قَالَ :" **أَمَرَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيل أَنْ يَذْبَح كُلُّ رَجُل مِنْهُمْ كَبْشًا، ثُمَّ لْيُخَضِّبْ كَفَّهُ فِي دَمِهِ، ثُمَّ لْيَضْرِبْ بِهِ عَلَى بَابه . فَفَعَلُوا. فَسَأَلَهُمُ الْقِبْطُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالُوا : إِنَّ اللَّهَ سَيَبْعَثُ عَلَيْكُمْ عَذَابًا، وَإِنَّمَا نَنْجُو مِنْهُ بِهَذِهِ الْعَلامَة . فَأَصْبَحُوا وَقَدْ مَاتَ مِنْ قَوْم فِرْعَوْن سَبْعُونَ أَلْفًا، فَقَالَ فِرْعَوْنُ عِنْد ذَلِكَ لِمُوسَى : ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ﴾ الآية، فَدَعَا فَكَشَفَهُ عَنْهُمْ** ". وَهَذَا مُرْسَل جَيِّد الإِسْنَاد . وَأَخْرَجَ عَبْد الرَّزَّاق فِي تَفْسِيره وَالطَّبَرِيُّ مِنْ طَرِيق الْحَسَن فِي قَوْله ﷻ : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ قَالَ :" **فَرُّوا مِنَ الطَّاعُون** ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ **لِيُكْمِلُوا بَقِيَّة آجَالهمْ**". وَأَخْرَجَ ابْن أَبِي حَاتِم مِنْ طَرِيق السُّدِّيِّ عَنْ أَبِي مَالِك قِصَّتهمْ مُطَوَّلَة . فَأَقْدَمُ مَنْ وَقَفْنَا عَلَيْهِ فِي الْمَنْقُول مِمَّنْ وَقَعَ الطَّاعُون بِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل فِي قِصَّة بَلْعَام، وَمِنْ غَيْرهمْ فِي قِصَّة فِرْعَوْن، وَتَكَرَّرَ بَعْد ذَلِكَ لِغَيْرِهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) رواه أحمد في مسنده من حديث أبي عسيب كما في «فتح الباري» (٢٣٦/١٠) .

www.saida-islam.weebly.com

يُعَجَّلُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ، وَأَمَّا الْعَاصِي مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، فَهَلْ يَكُونُ الطَّاعُونُ لَهُ شَهَادَةً، أَوْ يَخْتَصُّ بِالْمُؤْمِنِ الْكَامِلِ؟ فِيهِ نَظَرٌ. وَالْمُرَادُ بِالْعَاصِي مَنْ يَكُونُ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ، وَيَهْجُمُ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَهُوَ مُصِرٌّ، فَإِنَّهُ يَحْتَمِل أَنْ يُقَال لا يُكَرَّمُ بِدَرَجَةِ الشَّهَادَةِ لِشُؤْمِ مَا كَانَ مُتَلَبِّسًا بِهِ، لِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١]، وَأَيْضًا فَقَدْ وَقَعَ فِي حَدِيث ابْن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الطَّاعُونَ يَنْشَأُ عَنْ ظُهُورِ الْفَاحِشَةِ، ولَفْظِه :" **لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلافِهِمْ** " [(١)]، فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الطَّاعُونَ قَدْ يَقَعُ عُقُوبَةً بِسَبَبِ الْمَعْصِيَةِ[(٢)]، فَكَيْفَ يَكُونُ شَهَادَةً ؟

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه (٤٠١٩) والبزار في مسنده (٦١٧٥) والحاكم في المستدرك (٨٦٢٣) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي : رجاله ثقات .

(٢) قال ابن القيم في «زاد المعاد» (٤/٢٧٠ - ٢٧١) : اعلم أنَّ اللهَ ﷻ أتقن كُلَّ شيء صنعه، وأحسن كُلَّ شيء خلقه، فهو عند مبدإ خلقه بريءٌ من الآفات والعلل، تامُّ المنفعة لما هُيِّءَ وخُلِقَ له، وإنما تعرِضُ له الآفاتُ بعد ذلك بأُمور أُخَر من مجاورة، أو امتزاج واختلاط، أو أسباب أُخَر تقتضي فسادَه، فلو تُرِكَ على خِلقته الأصلية من غير تعلق أسباب الفساد به، لم يفسد. ومَنْ له معرفة بأحوال العالَم ومبدئه يعرِف أنَّ جميع الفساد في جَوِّه ونباته وحيوانه وأحوالِ أهله، حادثٌ بعد خلقه بأسباب اقتضت حدوثَه، ولم تزل أعمالُ بني آدَم ومخالفتُهم للرُّسُل تُحدث لهم من الفساد العام والخاص ما يجلب عليهم من الآلام، والأمراض، والأسقام، والطواعين، والقحوط، والجدوب، وسلب بركات الأرض، وثمارها، ونباتها، وسلب منافعها، أو نقصانها أُموراً متتابعة يتلو بعضُهَا بعضاً. فإن لم يَتَّسِعْ علمك لهذا فاكتفِ بقوله ﷻ: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ **[الروم:٤١]**، ونَزِّل هذه وطابق بين الواقع وبينها، وأنت ترى كيف تحدث الآفاتُ والعلل كل وقت في الثمار والزرع والحيوان، وكيف يحدُث من تلك الآفات آفاتٌ أُخَرُ متلازمة، بعضُها آخذ برقاب بعض، وكُلَّما أحدث الناسُ ظلماً وفجوراً، أحدث لهم ربهم ﷻ من الآفات والعلل فى أغذيتهم وفواكههم، وأهويتهم ومياههم، وأبدانهم وخلقهم وصُورهم وأشكالهم وأخلاقهم من النقص والآفات، ما هو موجب أعمالهم وظلمهم وفجورهم. ولقد كانت الحبوب من الحِنطة وغيرها أكبرَ مما هي اليوم، كما كانت البركةُ فيها أعظمَ. وقد روى الإمام أحمد بإسناده:" **أنه وجد في خزائن بعض بني أميةَ صرةٌ فيها حِنطةٌ أمثال نوى التمر مكتوبٌ عليها: هذا كان ينبُت أيامَ العدل**". وهذه القصة، ذكرها فى «مسنده» على أثر حديث رواه . وأكثرُ هذه الأمراض والآفات العامة بقيةُ عذاب عُذِّبتْ به الأُممُ السالفة، ثم بقيت منها بقيةٌ مُرصَدَةٌ لمن بقيت عليه بقيةٌ من أعمالهم، حكماً قسطاً،=

www.saida-islam.weebly.com

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُقَالَ : بَلْ تَحْصُلُ لَهُ دَرَجَةُ الشَّهَادَةِ لِعُمُومِ الأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ، وَلا سِيَّمَا فِي حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه :" **الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ** " (١)؛ وَلا يَلْزَمُ مِنْ حُصُولِ دَرَجَةِ الشَّهَادَةِ لِمَنِ اجْتَرَحَ السَّيِّئَاتِ مُسَاوَاةُ الْمُؤْمِنِ الْكَامِلِ فِي الْمَنْزِلَةِ، لأَنَّ دَرَجَاتِ الشُّهَدَاءِ مُتَفَاوِتَةٌ، كَنَظِيرِهِ مِنَ الْعُصَاةِ إِذَا قُتِلَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ **اللَّهِ** لِتَكُونَ كَلِمَةُ **اللَّهِ** هِيَ الْعُلْيَا مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرٍ، وَمِنْ رَحْمَةِ **اللَّهِ** بِهَذِهِ الأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ أَنْ يُعَجَّلَ لَهُمُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَلا يُنَافِي ذَلِكَ أَنْ يَحْصُلَ لِمَنْ وَقَعَ بِهِ الطَّاعُونُ أَجْرُ الشَّهَادَةِ، وَلا سِيَّمَا وَأَكْثَرُهُمْ لَمْ يُبَاشِرْ تِلْكَ الْفَاحِشَةَ، وَإِنَّمَا عَمَّهُمْ - وَ**اللَّهُ** أَعْلَمُ - لِتَقَاعُدِهِمْ عَنْ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ، وَقَدْ جَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :" **الْقَتْلُ ثَلاثَةٌ : رَجُلٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى يُقْتَلَ، فَذَاكَ الشَّهِيدُ الْمُفْتَخِرُ فِي خَيْمَةِ اللَّهِ تَحْتَ عَرْشِهِ، لا يَفْضُلُهُ النَّبِيُّونَ إِلاَّ بِدَرَجَةِ النُّبُوَّةِ، وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ قَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى يُقْتَلَ فَانْمَحَتْ خَطَايَاهُ، إِنَّ السَّيْفَ مَحَّاءٌ لِلْخَطَايَا، وَرَجُلٌ مُنَافِقٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يُقْتَلَ فَهُوَ فِي النَّارِ،**

=وقضاءً عدلاً، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا بقوله في الطاعون: "**إِنَّهُ بَقِيَّةُ رِجزٍ أَوْ عَذَابٍ، أُرْسِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**". وكذلك سلَّط **اللَّهُ** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الريحَ على قومٍ سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيام، ثم أبقَى في العالَم منها بقيةً في تلك الأيام، وفي نظيرها عِظةً وعِبرة. وقد جعل **اللَّهُ** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعمال البَرِّ والفاجر مقتضياتٍ لآثارها في هذا العالَم اقتضاءً لا بد منه، فجعل منعَ الإحسان والزكاة والصدقة سبباً لمنع الغَيْث من السماء، والقحطِ والجَدْب، وجعَلَ ظلمَ المساكين، والبخسَ في المكاييل والموازين، وتعدِّي القَوِّيِّ على الضعيف سبباً لجَوْر الملوك والولاة الذين لا يَرحمون إن استُرْحِموا، ولا يَعْطِفُون إن استُعطِفُوا، وهم في الحقيقة أعمالُ الرعايا ظهرت في صور وُلاتهم، فإنَّ **اللَّهَ** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بحكمته وعدله يُظهِرُ للناس أعمالَهم في قوالِب وصورٍ تناسبها، فتارةً بقحط وجدب، وتارة بعدوٍّ، وتارةً بولاة جائرين، وتارةً بأمراضٍ عامة، وتارةً بهُموم وآلام وغموم تحضُرها نفوسُهم لا ينفكُّونَ عنها، وتارةً بمنع بركات السماء والأرض عنهم، وتارةً بتسليط الشياطين عليهم تَؤُزُّهم إلى أسباب العذاب أزًّا، لِتَحِقَّ عليهم الكلمة، وليصيرَ كل منهم إلى ما خُلِقَ له. والعاقل يُسَيِّر بصيرته بين أقطار العالَم، فيُشاهدُه، وينظر مواقعَ عدل **اللَّهِ** وحكمته، وحينئذ يَتَبَيَّنُ له أنَّ الرُّسُلَ وأتباعَهُم خاصةً على سبيل النجاة، وسائر الخلق على سبيل الهلاك سائرون، وإلى دار البَوار صائرون، و**اللَّهُ** بالغُ أمرِه، لا مُعَقِّبَ لحكمه، ولا رادَ لأمره. وبالله التوفيق .

(١) رواه البخاري عن أنس بن مالك (٢٨٣٠)، (٥٧٣٢) ومسلم (٥٠٥٣) .

www.saida-islam.weebly.com

إِنَّ السَّيْفَ لا يَمْحُو النِّفَاقَ " [١]. وَأَمَّا الْحَدِيثُ الآخَرُ الصَّحِيحُ :" **إِنَّ الشَّهِيدَ يُغْفَرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلاَّ الدَّيْنَ** "[٢]، فَإِنَّهُ يُسْتَفَادُ مِنْهُ أَنَّ الشَّهَادَةَ لا تُكَفِّرُ التَّبِعَاتِ، وَحُصُولُ التَّبِعَاتِ لا يَمْنَعُ حُصُولَ دَرَجَةِ الشَّهَادَةِ، وَلَيْسَ لِلشَّهَادَةِ مَعْنًى إِلاَّ أَنَّ اللَّهَ يُثِيبُ مَنْ حَصَلَتْ لَهُ ثَوَابًا مَخْصُوصًا، وَيُكْرِمُهُ كَرَامَةً زَائِدَةً، وَقَدْ بَيَّنَ الْحَدِيثُ أَنَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنْهُ مَا عَدَا التَّبِعَاتِ، فَلَوْ فُرِضَ أَنَّ لِلشَّهِيدِ أَعْمَالاً صَالِحَةً، وَقَدْ كَفَّرَتِ الشَّهَادَةُ أَعْمَالَهُ السَّيِّئَةَ غَيْرَ التَّبِعَاتِ، فَإِنَّ أَعْمَالَهُ الصَّالِحَةَ تَنْفَعُهُ فِي مُوَازَنَةِ مَا عَلَيْهِ مِنَ التَّبِعَاتِ، وَتَبْقَى لَهُ دَرَجَةُ الشَّهَادَةِ خَالِصَةً، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ فَهُوَ فِي الْمَشِيئَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ [٣] .

قوله: (**فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ**) أَيْ مُسْلِمٍ (**يَقَعُ الطَّاعُونُ**) أَيْ فِي مَكَانٍ هُوَ فِيهِ .

قوله: (**فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ**) وفي رِوَايَةٍ :" **يَكُونُ فِيهِ، وَيَمْكُثُ فِيهِ وَلا يَخْرُجُ مِنَ الْبَلَدِ**". أَيِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا الطَّاعُونُ .

قوله: (**صَابِرًا**) أَيْ غَيْرَ مُنْزَعِجٍ وَلا قَلِقٍ، بَلْ مُسَلِّمًا لأَمْرِ اللَّهِ، رَاضِيًا بِقَضَائِهِ، وَهَذَا قَيْدٌ فِي حُصُولِ أَجْرِ الشَّهَادَةِ لِمَنْ يَمُوتُ بِالطَّاعُونِ، وَهُوَ أَنْ يَمْكُثَ بِالْمَكَانِ الَّذِي يَقَعُ بِهِ، فَلا يَخْرُجَ فِرَارًا مِنْهُ [٤]، كَمَا فِي رِوَايَةٍ :" **وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ** " [٥] .

قوله: (**فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**) الَّذِي يَظْهَرُ – وَاللَّهُ أَعْلَمُ – أَنَّ حِكْمَةَ النَّهْيِ عَنِ الْقُدُومِ عَلَيْهِ لِئَلاَّ

---

(١) رواه أحمد في مسنده عن عتبة بن عبد السلمي (١٧٥٧) والطبراني في الكبير (١٣٧٥٧) وابن حبان في صحيحه (٤٦٦٣) وقال الهيثمي : رجال أحمد رجال الصحيح خلا المثنى الأملوكي وهو ثقة .

(٢) رواه مسلم عن عبد اللَّهِ بن عمرو برقم (٤٩٩٢) ولفظه " **يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلاَّ الدَّيْنَ** ".

(٣) «فتح الباري» (١٠/٢٣٧ – ٢٣٨) .

(٤) المصدر السابق (١٠/٢٣٨) .

(٥) تقدم تخريجه .

www.saida-islam.weebly.com

يُصِيبَ مَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ فَيَقُولَ : لَوْلا أَنِّي قَدِمْتُ هَذِهِ الأَرْضَ لَمَا أَصَابَنِي، وَلَعَلَّهُ لَوْ أَقَامَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ لأَصَابَهُ؛ فَأَمَرَ أَنْ لا يَقْدَمَ عَلَيْهِ حَسْمًا لِلْمَادَّةِ .

وَنَهَى مَنْ وَقَعَ وَهُوَ بِهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا لِئَلاَّ يَسْلَمَ فَيَقُولَ مَثَلاً : لَوْ أَقَمْتُ فِي تِلْكَ الأَرْضِ لأَصَابَنِي مَا أَصَابَ أَهْلَهَا، وَلَعَلَّهُ لَوْ كَانَ أَقَامَ بِهَا مَا أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ . وَيُؤَيِّدُهُ مَا جَاءَ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ :" **إِنَّ هَذَا الطَّاعُونَ قَدْ وَقَعَ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَنَزَّهَ عَنْهُ فَلْيَفْعَلْ، وَاحْذَرُوا اثْنَتَيْنِ : أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ خَرَجَ خَارِجٌ فَسَلِمَ، وَجَلَسَ جَالِسٌ فَأُصِيبَ، فَلَوْ كُنْتُ خَرَجْتُ لَسَلِمْتُ كَمَا سَلِمَ فُلانٌ، أَوْ لَوْ كُنْتُ جَلَسْتُ أُصِبْتُ كَمَا أُصِيبَ فُلانٌ** " [(١)]، وَقَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّين بْنُ دَقِيق الْعِيد رحمه الله : الَّذِي يَتَرَجَّحُ عِنْدِي فِي الْجَمْعِ بَيْنهمَا، أَنَّ فِي الإِقْدَام عَلَيْهِ تَعْرِيضَ النَّفْس لِلْبَلاءِ، وَلَعَلَّهَا لا تَصْبِرُ عَلَيْهِ، وَرُبَّمَا كَانَ فِيهِ ضَرْبٌ مِنَ الدَّعْوَى لِمَقَامِ الصَّبْرِ أَوِ التَّوَكُّلِ، فَمُنِعَ ذَلِكَ حَذَرًا مِنِ اغْتِرَار النَّفْس وَدَعْوَاهَا مَا لا تَثْبُتُ عَلَيْهِ عِنْدَ الاخْتِبَارِ، وَأَمَّا الْفِرَارُ فَقَدْ يَكُونُ دَاخِلاً فِي التَّوَغُّلِ فِي الأَسْبَابِ بِصُورَةِ مَنْ يُحَاوِلُ النَّجَاةَ بِمَا قَدَرَ عَلَيْهِ، فَأَمَرَنَا الشَّارِعُ بِتَرْكِ التَّكَلُّف فِي الْحَالَتَيْنِ، وَمِنْ هَذِهِ الْمَادَّةِ قَوْلُهُ ﷺ :" **لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا**"[(٢)]. فَأَمَرَ بِتَرْكِ التَّمَنِّي لِمَا فِيهِ مِنَ التَّعَرُّضِ لِلْبَلاءِ، وَخَوْفَ اغْتِرَار النَّفْس، إِذْ لا يُؤْمَنُ غَدْرُهَا عِنْدَ الْوُقُوعِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْوُقُوعِ تَسْلِيمًا لأَمْرِ اللَّهِ سبحانه وتعالى [(٣)] .

فَفِي النَّهْيِ عَنِ الدُّخُولِ فِي أَرْضِهِ الأَمْرُ بِالْحَذَرِ وَالْحِمْيَةِ، وَالنَّهْيُ عَنِ التَّعَرُّضِ لأَسْبَابِ التَّلَفِ، وفي النَّهْيِ عَنِ الْفِرَارِ مِنْهُ الأَمْرُ بِالتَّوَكُّلِ وَالتَّسْلِيمِ والتَّفْوِيضِ؛ **فَالأَوَّلُ** : تَأْدِيبٌ وتَعْلِيمٌ، **وَالثَّانِي** : تَفْوِيضٌ وتَسْلِيمٌ [(٤)] .

---

(١) أخرجه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٦٥٣٠) وقال الحافظ في الفتح : أخرجه الهيثم بن كليب والطحاوي والبيهقي بسند حسن .

(٢) رواه البخاري عن عبد اللَّهِ بن أبي أوفى (٢٩٦٥) وعن أبي هريرة (٣٠٢٦) ومسلم (٤٦٣٩) .

(٣) «فتح الباري» (١٠/٢٣١ - ٢٣٤) .

(٤) «زاد المعاد» (٤/٣٩) .

www.saida-islam.weebly.com

قوله: (**وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ**) هَذَا قَيْدٌ آخَرُ، وَهِيَ جُمْلَةٌ حَالِيَّةٌ تَتَعَلَّقَ بِالإِقَامَةِ، فَلَوْ مَكَثَ وَهُوَ قَلِقٌ أَوْ مُتَنَدِّمٌ عَلَى عَدَمِ الْخُرُوجِ، ظَانًّا أَنَّهُ لَوْ خَرَجَ لَمَا وَقَعَ بِهِ أَصْلاً وَرَأْسًا، وَأَنَّهُ بِإِقَامَتِهِ يَقَعُ بِهِ، فَهَذَا لا يَحْصُلُ لَهُ أَجْرُ الشَّهِيدِ، وَلَوْ مَاتَ بِالطَّاعُونِ، هَذَا الَّذِي يَقْتَضِيهِ مَفْهُومُ هَذَا الْحَدِيثِ، كَمَا اقْتَضَى مَنْطُوقُهُ أَنَّ مَنِ اتَّصَفَ بِالصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ يَحْصُلُ لَهُ أَجْرُ الشَّهِيدِ وَإِنْ لَمْ يَمُتْ بِالطَّاعُونِ؛ وَيَدْخُلُ تَحْتَهُ ثَلاثُ صُوَرٍ : أَنَّ مَنِ اتَّصَفَ بِذَلِكَ فَوَقَعَ بِهِ الطَّاعُون فَمَاتَ بِهِ، أَوْ وَقَعَ بِهِ وَلَمْ يَمُتْ بِهِ، أَوْ لَمْ يَقَعْ بِهِ أَصْلاً وَمَاتَ بِغَيْرِهِ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً [١] .

قوله: (**مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ**) لَعَلَّ السِّرَّ فِي التَّعْبِيرِ بِالْمِثْلِيَّةِ مَعَ ثُبُوتِ التَّصْرِيحِ بِأَنَّ مَنْ مَاتَ بِالطَّاعُونِ كَانَ شَهِيدًا، أَنَّ مَنْ لَمْ يَمُتْ مِنْ هَؤُلاءِ بِالطَّاعُونِ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ، وَإِنْ لَمْ تَحْصُلْ لَهُ دَرَجَةُ الشَّهَادَةِ بِعَيْنِهَا، وَذَلِكَ أَنَّ مَنِ اتَّصَفَ بِكَوْنِهِ شَهِيدًا أَعْلَى دَرَجَةً مِمَّنْ وُعِدَ بِأَنَّهُ يُعْطَى مِثْلَ أَجْرِ الشَّهِيدِ، وَيَكُونُ كَمَنْ خَرَجَ عَلَى نِيَّةِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَمَاتَ بِسَبَبٍ غَيْرِ الْقَتْلِ، وَأَمَّا مَا اقْتَضَاهُ مَفْهُومُ حَدِيثِ الْبَابِ أَنَّ مَنِ اتَّصَفَ بِالصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ، وَوَقَعَ بِهِ الطَّاعُونُ ثُمَّ لَمْ يَمُتْ مِنْهُ، أَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ ثَوَابُ الشَّهِيدِ، فَشَهِدَ لَهُ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ :" **إِنَّ أَكْثَرَ شُهَدَاءِ أُمَّتِي لأَصْحَابُ الْفُرُشِ، وَرُبَّ قَتِيلٍ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِنِيَّتِهِ** "[٢]، وَاسْتُنْبِطَ مِنَ الْحَدِيثِ أَنَّ مَنِ اتَّصَفَ بِالصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ ثُمَّ وَقَعَ بِهِ الطَّاعُونُ فَمَاتَ بِهِ، أَنْ يَكُونَ لَهُ أَجْرُ شَهِيدَيْنِ، وَلا مَانِعَ مِنْ تَعَدُّدِ الثَّوَابِ بِتَعَدُّدِ الأَسْبَابِ، كَمَنْ يَمُوتُ غَرِيبًا بِالطَّاعُونِ، أَوْ نُفَسَاءَ مَعَ الصَّبْرِ وَالاِحْتِسَابِ، وَالتَّحْقِيقُ فِيمَا اقْتَضَاهُ حَدِيثُ الْبَابِ، أَنَّهُ يَكُونُ شَهِيدًا

---

(١) «فتح الباري» (١٠/٢٣٨) .

(٢) رواه أحمد في مسنده عن ابن مسعود (٣٧٧٢) وقال الهيثمي : رواه أحمد هكذا ولم أره ذكر ابن مسعود، وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وفيه ضعف، والظاهر أنه مرسل ورجاله ثقات . وقال الحافظ في الفتح : ورجال سنده مُوَثَّقُونَ .

www.saida-islam.weebly.com

بِوُقُوعِ الطَّاعُونِ بِهِ، وَيُضَافُ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ لِصَبْرِهِ وَثَبَاتِه، فَإِنَّ دَرَجَةَ الشَّهَادَةِ شَيْءٌ، وَأَجْرَ الشَّهَادَةِ شَيْءٌ؛ وَاللَّهُ أَعْلَمُ [١] .

مَعْنَى الْحَدِيثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ فَضِيلَةً عَظِيمَةً لِهَذِهِ الأُمَّةِ، وخَصِيصَةً اخْتَصَّهَا اللَّهُ بِهَا مِنْ دُونِ سَائِرِ الأُمَمِ، حَيثُ جَعَلَ الابْتِلاءَاتِ والأَمْرَاضَ الَّتِي كَانَ يُرْسِلُهَا عَذَاباً عَلَى الأُمَمِ السَّابِقَةِ، جَعَلَهَا رَحْمَةً لِهَذِهِ الأُمَّةِ، ومَغْفِرَةً لِذُنُوبِهَا، ورِفْعَةً لِدَرَجَاتِهَا، ومِنْ هَذِهِ الأَمْرَاضِ الطَّاعُونُ، حَيثُ كَانَ عَذَاباً يَبْعَثُهُ اللَّهُ وَجَلَّ عَلَى مَنْ عَصَاهُ وخَالَفَ أَمْرَهُ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ، عُقُوبَةً لَهُمْ عَاجِلَةً، عَلَى مَا ادَّخَرَهُ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأُخْرَوِيِّ .

أَمَّا هَذِهِ الأُمَّةُ، فَقَدْ عَامَلَهَا اللَّهُ وَجَلَّ بِلُطْفِهِ ورَحْمَتِهِ، فَجَعَلَ هَذَا الْمَرَضَ رَحْمَةً لَهُمْ، وتَزْكِيَةً لأَعْمَالِهِم، ورِفْعَةً لِدَرَجَاتِهِم، وسَبَباً لِنَيْلِهِمْ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، وهِيَ الشَّهَادَةُ . وقَدْ جَاءَ فِي الأَحَادِيثِ مَا يُبَيِّنُ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ مَا هُوَ الطَّاعُونُ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفاً، كَمَا بَيَّنَ فَضِيلَتَهُ، فَقَالَ ﷺ :" **فَنَاءُ أُمَّتِي بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ**". فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أَمَّا الطَّعْنُ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا الطَّاعُونُ ؟ قَالَ :" **غُدَّةٌ كَغُدَّةِ الْبَعِيرِ، تَخْرُجُ فِي الْمَرَاقِّ والآبَاطِ، مَنْ مَاتَ مِنْهُ مَاتَ شَهِيداً** "[٢]. وفِي رِوَايَةٍ قَالَ :" **وَخِزَةٌ تُصِيبُ أُمَّتِي مِنْ أَعْدَائِهِمْ مِنَ الْجِنِّ**[٣]،

---

(١) «فتح الباري» (١٠/٢٣٩) .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (١٢/٢٥٨) واللفظ له، ورواه أحمد في مسنده بنحوه (٢٥١١٨) وقال فيه : "**غُدَّةٌ كَغُدَّةِ الْبَعِيرِ، الْمُقِيمُ بِهَا كَالشَّهِيدِ، والفَارُّ مِنهَا كَالفَارِّ مِنَ الزَّحْفِ**". وقال الهيثمي : رجال أحمد ثقات . وحَسَّنَهُ المنذري في الترغيب والحافظ في الفتح . وقال النووي في «تهذيب الأسماء واللغات» : هو بثر وورم مؤلم جداً، يخرج مع لهب، يَسْوَدُّ ما حواليه أو يَخْضَرُّ أو يَحْمَرُّ حمرةً بنفسجيةً كَدِرَةً، ويحصل معه خفقان في القلب والقيء، ويخرج في المراق والآباط غالباً، والأيدي والأصابع وسائر الجسد .

(٣) قال ابن القيم في «زاد المعاد» (٤/٥٩) في قوله :" **وَخْزُ الجِنِّ** " . وجَاءَ "**أَنَّهُ دَعْوَةُ نَبِيٍّ**" قال : هذه العلل والأسباب ليس عند الأطباء ما يدفعها، كما ليس عندهم ما يدل عليها، والرُّسُلُ تُخبر بالأمور الغائبة، وهذه الآثار التي أدركوها من أمر الطاعون ليس معهم ما ينفى أن تكون بتوسط الأرواح، فإن تأثيرَ الأرواح في الطبيعة وأمراضها وهلاكها أمر لا ينكره إلاَّ مَنْ هو أجهلُ الناس بالأرواح وتأثيراتِها، وانفعالِ الأجسام وطبائعها عنها، واللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد يجعل لهذه الأرواح تصرفاً في أجسام بني آدمَ عند حدوث الوباء، وفسادِ الهواء، كما يجعل لها تصرفاً عند=

www.saida-islam.weebly.com

كَغُدَّةِ الإِبِلِ، مَنْ أَقَامَ عَلَيهَا كَانَ مُرَابِطاً، ومَنْ أُصِيبَ بِهِ كَانَ شَهِيداً، ومَنْ فَرَّ مِنْهُ كَانَ كَالْفَارِّ مِنَ الزَّحْفِ " [١]. وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : لَمَّا وَقَعَ الطَّاعُونُ بِالشَّامِ، خَطَبَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ النَّاسَ، فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الطَّاعُونَ رِجْسٌ، فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ، وَفِي هَذِهِ الأَوْدِيَةِ . فَبَلَغَ ذَلِكَ شُرَحْبِيلَ ابْنَ حَسَنَةَ، قَالَ : فَغَضِبَ، فَجَاءَ وَهُوَ يَجُرُّ ثَوْبَهُ، مُعَلِّقٌ نَعْلَهُ بِيَدِهِ، وَقَالَ :" **صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَعَمْرٌو أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ، وَلَكِنَّهُ رَحْمَةُ رَبِّكُمْ، وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ، وَوَفَاةُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ** " [٢]. وجَاءَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ بَيَانُ هَذِهِ الدَّعْوَةِ، فَقَالَ ﷺ :" **اللَّهُمَّ اجْعَلْ فَنَاءَ أُمَّتِي قَتْلاً فِي سَبِيلِكَ بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ** "[٣]. قَالَ الْعُلَمَاءُ : أَرَادَ ﷺ أَنْ يَحْصُلَ لأُمَّتِهِ أَرْفَعُ أَنْوَاعِ الشَّهَادَةِ، وهُوَ الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَيْدِيْ أَعْدَائِهِمْ، إِمَّا مِنَ الإِنْسِ، وإِمَّا مِنَ الْجِنِّ [٤]. وذَلِكَ لِمَا فِيهِ مِنْ عَظِيمِ الدَّرَجَاتِ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

=بعض المواد الرديئة التي تُحدث للنفوس هيئة رديئة، ولا سيما عند هيجان الدم، والمِرَّةِ السوداء، وعند هَيجان المَنِيِّ، فإنَّ الأرواح الشيطانية تتمكن مِن فعلها بصاحب هذه العوارض ما لا تتمكَّن من غيره، ما لم يدفعها دافع أقوى من هذه الأسباب من الذِّكر، والدعاء، والابتهال والتضرع، والصَّدَقة، وقراءة القرآن، فإنه يستنزل بذلك من الأرواح المَلَكية ما يقهُر هذه الأرواح الخبيثة، ويُبطل شرَّها ويدفع تأثيرَها. وقد جرَّبنا نحنُ وغيرُنا هذا مراراً لا يُحصيها إلاَّ اللَّهُ، ورأينا لاستنزال هذه الأرواح الطيبة واستجلاب قُربها تأثيراً عظيماً في تقوية الطبيعة، ودفع المواد الرديئة، وهذا يكون قبل استحكامها وتمكنها، ولا يكاد ينخرم، فمَن وفَّقه اللَّهُ، بادر عند إحساسه بأسباب الشر إلى هذه الأسباب التي تدفعها عنه، وهي له من أنفع الدواء، وإذا أراد اللَّهُ وَجَلَّ إنفاذَ قضائه وقَدَره، أغفل قلبَ العبد عن معرفتها وتصوُّرها وإرادتها، فلا يشعر بها، ولا يُريدها، ليقضيَ اللَّهُ فيه أمراً كان مفعولاً . ونسبة طب الأطباء إلى هذا الطب النبوي كنسبة طب الطرقية والعجائز إلى طبِّهم،كما اعترف به حُذَّاقهم وأئمتهم، والطبيعة الإنسانية أشد شيء انفعالاً عن الأرواح، وقوى العوذ والرقى والدعوات فوق قوى الأدوية، حتى إنها تبطل قوى السموم القاتلة .

(١) رواه أبو يعلى في مسنده عن عائشة (٤٦٦٤) وحَسَّنَهُ المنذري في الترغيب والهيثمي في المجمع .

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٧٧٥٣) وذكرها الهيثمي في المجمع مع روايات أخرى، ثم قال : رواها كلها أحمد وروى الطبراني في الكبير بعضه، وأسانيد أحمد حسان صحاح .

(٣) رواه أحمد في مسنده عن أبي موسى (١٨٠٨٠) والحاكم في المستدرك (٢٤٦٢) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي : رجال أحمد ثقات . وكذا حَسَّنَهُ المنذري في الترغيب .

(٤) المصدر السابق (٢٢٤/١٠) .

www.saida-islam.weebly.com

كَمَا جَاءَ أَنَّ الْمَوْتَ بِالطَّاعُونِ يُلْحَقُ بِالْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ، فَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الأَحَادِيثِ اسْتِوَاءُ شَهِيدِ الطَّاعُونِ وَشَهِيدِ الْمَعْرَكَةِ، فَعَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ السُّلَمِيِّ ﷺ رَفَعَهُ: "**يَأْتِي الشُّهَدَاءُ وَالْمُتَوَفَّوْنَ بِالطَّاعُونِ، فَيَقُولُ أَصْحَابُ الطَّاعُونِ : نَحْنُ شُهَدَاءُ، فَيُقَالُ : انْظُرُوا فَإِنْ كَانَ جِرَاحُهُمْ كَجِرَاحِ الشُّهَدَاءِ تَسِيلُ دَمًا وَرِيْحُهَا كَرِيحِ الْمِسْكِ فَهُمْ شُهَدَاءُ، فَيَجِدُونَهُمْ كَذَلِكَ** " [(١)]. وَفِي رِوَايَةٍ :" **يَخْتَصِمُ الشُّهَدَاءُ وَالْمُتَوَفَّوْنَ عَلَى فُرُشِهِمْ إِلَى رَبِّنَا ﷻ فِي الَّذِينَ مَاتُوا بِالطَّاعُونِ، فَيَقُولُ الشُّهَدَاءُ : إِخْوَانُنَا قُتِلُوا كَمَا قُتِلْنَا، وَيَقُولُ الَّذِينَ مَاتُوا عَلَى فُرُشِهِمْ : إِخْوَانُنَا مَاتُوا عَلَى فُرُشِهِمْ كَمَا مُتْنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ : انْظُرُوا إِلَى جِرَاحِهِمْ، فَإِنْ أَشْبَهَتْ جِرَاحَ الْمَقْتُولِينَ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ، فَإِذَا جِرَاحُهُمْ أَشْبَهَتْ جِرَاحَهُمْ** " [(٢)]. وفي زِيَادَةٍ قَالَ :" **فَيُلْحَقُونَ مَعَهُمْ** "[(٣) (٤)].

وهَذَا مَا دَعَا أَعْلَمَ هَذِهِ الأُمَّةِ بِالْحَلالِ وَالْحَرَامِ إِلَى أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَجْعَلَ عَلَيهِ وعَلَى آلِهِ نَصِيبَهُمْ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ؛ فَعَنْ أَبِي مُنِيبٍ الأَحْدَبِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : خَطَبَ مُعَاذٌ بِالشَّامِ، فَذَكَرَ الطَّاعُونَ، فَقَالَ :" **إِنَّهَا رَحْمَةُ رَبِّكُمْ، وَدَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ، وَقَبْضُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، اللَّهُمَّ أَدْخِلْ عَلَى آلِ مُعَاذٍ نَصِيبَهُمْ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ**". ثُمَّ نَزَلَ مِنْ مُقَامِهِ ذَلِكَ فَدَخَلَ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُعَاذٍ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : ﴿ **ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ** ﴾ [البقرة : ١٤٧]، قَالَ مُعَاذٌ : ﴿ **سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ** ﴾ [الصافات :١٠٢] .

كَمَا جَعَلَ اللَّهُ ﷻ غَيرَ الطَّاعُونِ مِنَ الأَمْرَاضِ والابْتِلاءَاتِ كَفَّارَةً لِذُنُوبِ هَذِهِ الأُمَّةِ، ورِفْعَةً لِدَرَجَاتِهَا؛ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ! أَرَأَيْتَ هَذِهِ الأَمْرَاضَ الَّتِي تُصِيبُنَا، مَاذَا لَنَا بِهَا ؟ قَالَ :" **كَفَّارَاتٌ** ". فقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ :

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٧٦٥١) وحَسَّنَهُ الحافظ في الفتح .

(٢) رواه أحمد في مسنده عن العرباض بن سارية (١٧١٥٩) والنسائي في سننه (٣١٦٤) وحَسَّنَهُ الحافظ في الفتح .

(٣) أخرجها أحمد في مسنده عن العرباض بن سارية (١٧١٦٤) .

(٤) «فتح الباري» (٢٣٩/١٠) .

www.saida-islam.weebly.com

يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَإِنْ قَلَّتْ ؟ قَالَ :" **شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا** ". قَالَ : فَدَعَا أُبَيٌّ عَلَى نَفْسِهِ أَلاَّ يُفَارِقَهُ الْوَعْكُ حَتَّى يَمُوتَ فِي أَلاَّ يَشْغَلَهُ عَنْ حَجٍّ وَلا عُمْرَةٍ وَلا جِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلا صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ فِي جَمَاعَةٍ قَالَ: فَمَا حَسَّ رَجُلٌ جِلْدَهُ بَعْدَهَا إِلاَّ وَجَدَ حَرَّهَا حَتَّى مَاتَ؟[١].

وفي رِوَايَةٍ عَنْ أُبَيٍّ بْن كَعْبٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا جَزَاءُ الْحُمَّى؟، قَالَ : "**تَجْرِي الْحَسَنَاتُ عَلَى صَاحِبِهَا مَا اخْتُلِجَ عَلَيْهِ قَدَمٌ أَوْ ضُرِبَ عَلَيْهِ عِرْقٌ** "، قَالَ أُبَيٌّ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُمَّى لا تَمْنَعُنِي خُرُوجًا فِي سَبِيلِكَ، وَلا خُرُوجًا إِلَى بَيْتِكَ، وَلا مَسْجِدِ نَبِيِّكَ، قَالَ : فَلَمْ يُمَسَّ أُبَيٌّ قَطُّ إِلاَّ وَبِهِ حُمَّى [٢] .

وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **لاَ تَزَالُ الْمَلِيلَةُ[٣] وَالصُّدَاعُ بِالْعَبْدِ وَالأَمَةِ، وَإِنَّ عَلَيْهِمَا مِنَ الْخَطَايَا مِثْلَ أُحُدٍ، فَمَا يَدَعُهُمَا وَعَلَيْهِمَا مِثْقَالُ خَرْدَلَةٍ**" [٤]. وقَالَ ﷺ :" **صُدَاعُ الْمُؤمِنِ وشَوكَةٌ يُشَاكُهَا أَوْ شَيْءٌ يُؤذِيهِ يَرفَعُهُ اللَّهُ بِهَا يَومَ القِيَامَةِ دَرَجَةً، ويُكَفِّرُ عَنهُ بِهَا ذُنُوبَهُ** " [٥].

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِيْ وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ : قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً ؟ قَالَ : "**الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْباً اشْتَدَّ**

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١١١٩٩) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٩٧١) والحاكم في المستدرك (٧٨٥٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٥٤٠) وفي الأوسط (٤٤٥) قال المنذري في الترغيب: وسنده لا بأس به .

(٣) الْمَلِيلَةُ: الْحُمَّى تَكُونُ فِي الْعَظْمِ .

(٤) رواه أبو يَعلى عن أبي هريرة برقم (٦١٥٠) وقال الهيثمي في المجمع و المنذري في الترغيب: رواته ثقات .

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» عن أبي سعيد برقم (١٨٠) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٨٧٥) وقال المنذري في الترغيب: رواته ثقات .

www.saida-islam.weebly.com

بَلاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ " [١] .

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ " [٢] .

وَعَنْ أَبِيْ هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةُ، فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلِهِ، فَمَا يَزَالُ اللَّهُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يَبْلُغَهَا " [٣]. وفي رِوَايَةٍ : "يَكُونُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةُ الرَّفِيعَةُ " .

*****

(١) رواه أحمد في مسنده (١٦٠٧) والترمذي (٢٣٩٨) وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم في المستدرك (١٢٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. ورواه ابن حبان في صحيحه بنحوه (٢٩٢٠) .

(٢) رواه الترمذي برقم (٢٤٠٢) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٧٩١) وصححه الضياء المقدسي فأخرجه في «المختارة» وجاء عن ابن مسعود موقوفاً، أخرجه الطبراني بسند جيد، ومثله له حكم الرفع. «تنْزيه الشريعة المرفوعة» للكناني (٣٥٦/٢) .

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه برقم (٢٩٠٨) وأبو يعلى في مسنده (٦٠٩٥) وقال الهيثمي في المجمع: رجاله ثقات .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ السَّادِسُ عَشَرَ

كَثْرَةُ أَسْبَابِ الشَّهَادَةِ لِهَذِهِ الأُمَّةِ

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَتِيكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَ يَعُودُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ ثَابِتٍ، فَوَجَدَهُ قَدْ غُلِبَ، فَصَاحَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يُجِبْهُ، فَاسْتَرْجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ :" **غُلِبْنَا عَلَيْكَ يَا أَبَا الرَّبِيعِ** ". فَصَاحَ النِّسْوَةُ وَبَكَيْنَ، فَجَعَلَ ابْنُ عَتِيكٍ يُسَكِّتُهُنَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **دَعْهُنَّ فَإِذَا وَجَبَ فَلا تَبْكِيَنَّ بَاكِيَةٌ** ". قَالُوا : وَمَا الْوُجُوبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: "**الْمَوْتُ** ". قَالَتِ ابْنَتُهُ : وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لأَرْجُو أَنْ تَكُونَ شَهِيدًا، فَإِنَّكَ كُنْتَ قَدْ قَضَيْتَ جَهَازَكَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَوْقَعَ أَجْرَهُ عَلَى قَدْرِ نِيَّتِهِ . وَمَا تَعُدُّونَ الشَّهَادَةَ ؟**" قَالُوا : الْقَتْلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ : الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدٌ** " [١] .

وفي حَدِيثٍ آخَرَ، عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ ؟** " قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ . قَالَ :" **إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ** ". قَالُوا : فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ :" **مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ** " [٢] .

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٨٠٢) وأحمد في مسنده (٢٣٧٥٣) وأبو داوود في سننه (٣١١٣) والنسائي في سننه (١٨٤٦) والحاكم في المستدرك (١٣٠٠) وقال : صحيح الإسناد . وقال النووي في «شرح صحيح مسلم» : صحيح بلا خلاف وإن كان البخاري ومسلم لم يخرجاه . وقد بَوَّبَ عليه البخاري في صحيحه فقال : **باب الشهادة سبع سوى القتل** .

(٢) رواه مسلم برقم (٥٠٥٠) .

www.saida-islam.weebly.com

قوله: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَ يَعُودُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ ثَابِتٍ) هَذَا إِخْبَارٌ عَنْ تَفْضِيلِ النَّبِيِّ ﷺ، ومُوَاصَلَتِهِ أَصْحَابَهُ، وعِيَادَتِهِ مَرْضَاهُمْ [١] .

قوله: (قَدْ غُلِبَ) أَيْ أَنَّ الأَلَمَ وَالْمَرَضَ الَّذِي كَانَ بِهِ غَلَبَ عَلَيْهِ حَتَّى مَنَعَهُ مِنْ مُجَاوَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ صَاحَ عَلَيْهِ، فَاسْتَرْجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَا أُصِيبَ فِيهِ . وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى مَنْ قَالَ مِثْلَ هَذَا عِنْدَ الْمُصِيبَةِ، فَقَالَ : ﴿ الَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة:١٥٦-١٥٧]. وَكَانَ ﷺ مُشْفِقًا عَلَى أَصْحَابِهِ مُحِبًّا لَهُمْ، فَإِذَا أُصِيبَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ اسْتَرْجَعَ كَمَا وَصَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَمَعْنَى ذَلِكَ تَصَبُّرٌ لِنَفْسِهِ، وَاشِعَارٌ لَهُ أَنَّ الْكُلَّ لِلَّهِ، وَأَنَّ الْكُلَّ رَاجِعٌ إِلَيْهِ، وَيَجِبُ أَنْ يُقْتَدَى بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ ﷺ عِنْدَمَا يُصَابُ الإِنْسَانُ فِي أَحْوَالِهِ وَإِخْوَانِهِ وَمَالِهِ [٢] .

قوله: (غُلِبْنَا عَلَيْكَ يَا أَبَا الرَّبِيعِ) يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ التَّصْرِيحَ بِمَعْنَى اسْتِرْجَاعِهِ وَتَأَسُّفِهِ .

قوله: (فَصَاحَ النِّسْوَةُ وَبَكَيْنَ) يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ بُكَاؤُهُنَّ لِمَا رَأَيْنَ مِنْ حَالِهِ، وَتَيَقُّنِهِنَّ مِنْ مَوْتِهِ، وَلَعَلَّهُ حَرَّكَهُنَّ لِذَلِكَ مَا سَمِعْنَ مِنِ اسْتِرْجَاعِ النَّبِيِّ ﷺ، وَجَعَلَ جَابِرٌ يُسْكِتُهُنَّ لِمَا عَرَفَ مِنْ نَهْيِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ رَفْعِ النِّسَاءِ أَصْوَاتَهُنَّ بِالْبُكَاءِ وَنِيَاحِهِنَّ، وَلَمْ يَكُنْ صِيَاحُ النِّسَاءِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مِنْ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا كَانَ اسْتِرْجَاعًا وَبُكَاءً مِنْ غَيْرِ كَلامٍ بِقُبْحٍ وَلا نِيَاحَةٍ، فَقَالَ ﷺ : " **دَعْهُنَّ** " . يُرِيدُ ﷺ إِطْلاقَ الْبُكَاءِ وَالاِسْتِرْجَاعِ لَهُنَّ [٣] .

قوله: (فَإِذَا وَجَبَ فَلا تَبْكِيَنَّ بَاكِيَةٌ) وفَسَّرَ الْوُجُوبَ بِالْمَوتِ، وأَخَذَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وصَحْبُهُ مِنْ هَذَا أَنَّهُ يُكْرَهُ الْبُكَاءُ عَلَى الْمَيِّتِ بَعْدَ الْمَوتِ، لأَنَّهُ أَسَفٌ عَلَى مَا فَاتَ،

---

(١) «المنتقى شرح الموطأ» (٢/٥٣) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

www.saida-islam.weebly.com

وأَنَّهُ لا كَرَاهَةَ فِيهِ قَبْلَ الْمَوتِ [١]. وقِيلَ : يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ﷺ مَنَعَ مِنْ بُكَاءٍ مَخْصُوصٍ عِنْدَ الْوُجُوبِ - أَيِ الْمَوتِ -، وهُوَ مَا جَرَتِ الْعَادَةُ بِهِ مِنَ الصِّيَاحِ، والْمُبَالَغَةِ فِي ذَلِكَ بِالْوَيلِ والثُّبُورِ، فَتَوَجَّهَ نَهْيُهُ إِلى ذَلِكَ الْبُكَاءِ [٢].

قول ابنته: (وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لأَرْجُو أَنْ تَكُونَ شَهِيدًا، فَإِنَّكَ كُنْتَ قَدْ قَضَيْتَ جَهَازَكَ) أَخْبَرَتْ عَنْ قُوَّةِ رَجَائِهَا فِي الشَّهَادَةِ لَهُ، لِمَا كَانَتْ تَرَى مِنْ حِرْصِهِ عَلَى الْجِهَادِ، ومُبَادَرَتِهِ إِلَيهِ، وقَدْ كَانَ قَضَى جَهَازَهُ لِلْغَزْوِ، فَأَشْفَقَتْ مِمَّا فَاتَهُ مِنْ ذَلِكَ [٣].

قوله: (**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَوْقَعَ أَجْرَهُ عَلَى قَدْرِ نِيَّتِهِ**) الظَّاهِرُ أَنَّهُ ﷺ قَصَدَ إِلى تَسْلِيَتِهَا، وإِخْبَارِهَا بِأَنَّ مَا نَوَاهُ لَمْ يَفُتْهُ، وأَنَّ أَجْرَهُ قَدْ جَرَى لَهُ بِحَسَبِ نِيَّتِهِ [٤].

قوله: (**وَمَا تَعُدُّونَ الشَّهَادَةَ ؟**) سُؤَالٌ لَهُمْ عَنْ مَعْنَى الشَّهَادَةِ، لِيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ عِلْمَهُمْ، وَيُفِيدَهُمْ مِنْ هَذَا الأَمْرِ مَا لا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ . قَالُوا : الْقَتْلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَإِنَّمَا سَأَلَهُمْ عَنْ جِنْسِ جَمِيعِ الشَّهَادَةِ، فَأَخْبَرُوهُ عَنْ بَعْضِهَا، وَهُوَ جَمِيعُ مَا كَانَ يُسَمَّى عِنْدَهُمْ شَهَادَةً[٥].

قوله: (**الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**) وفي الرِّوَايَةِ الأُخْرَى: (**إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ**) فِي هَذَا تَسْلِيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَإِخْبَارٌ لَهُمْ بِتَفَضُّلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ الشَّهَادَةَ قَدْ تَكُونُ بِغَيْرِ الْقَتْلِ، وَإِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَكْثَرُ مِمَّا يَعْتَقِدُهُ الْحَاضِرُونَ، ولَيْسَتْ مَحْصُورَةً فِي الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَلْ أَفْرَادُهَا كَثِيرَةٌ، والْمُرَادُ بِهَذِهِ الشَّهَادَةِ هُوَ

---

(١) «فيض القدير» (٣/٥٢٩) .

(٢) «المنتقى شرح الموطأ» (٢/٥٣) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق .

www.saida-islam.weebly.com

الشَّهَادَةُ الْحُكْمِيَّةُ، بِمَعْنَى أَنَّ هَؤُلاءِ كَالشُّهَدَاءِ حَقِيقَةً عِنْدَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي وُفُورِ الأَجْرِ، لِهَذَا يُغَسَّلُونَ وَيُكَفَّنُونَ كَسَائِرِ الْمَوتَى، بِخِلافِ الشَّهِيدِ الْحَقِيقِيِّ [١] .

قوله: (**الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ**) هُوَ الَّذِي يَمُوتُ فِي الطَّاعُونِ، كَمَا فِي الرِّوَايَةِ الأُخْرَى :"**وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ** " .

قوله: (**وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ**) هُوَ الَّذِي يَمُوتُ غَرِيقاً فِي الْمَاءِ، وفي رِوَايَةٍ: (**وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ**).

قوله: (**وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ**) هِيَ قُرْحَةٌ أَوْ قُرُوحٌ تُصِيبُ الإِنْسَانَ دَاخِلَ جَنْبِهِ، ثُمَّ تَفْتَحُ وَيَسْكُنُ الْوَجَعُ، وذَلِكَ وَقْتُ الْهَلاكِ، ومِنْ عَلامَاتِهَا الْوَجَعُ تَحْتَ الأَضْلاعِ، وضِيقُ النَّفَسِ مَعَ مُلازَمَةِ الْحُمَّى والسُّعَالِ، وهِيَ فِي النِّسَاءِ أَكْثَرُ [٢] .

قوله: (**وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ**) هُوَ مَنْ مَاتَ بِمَرَضٍ بِبَطْنِهِ كَالاِسْتِسْقَاءِ والإِسْهَالِ ونَحْوِهِمَا، كَمَا فِي الرِّوَايَةِ الأُخْرَى :" **وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ** ". وفي رِوَايَةٍ : "**مَنْ قَتَلَهُ بَطْنُهُ لَمْ يُعَذَّبْ فِي قَبْرِهِ** " [٣] .

قوله: (**وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ**) هُوَ مَنْ مَاتَ حَرْقاً .

قوله: (**وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ**) وفي رِوَايَةٍ :" **وصَاحِبُ الْهَدَمِ** ". أَيِ الَّذِيْ يَمُوتُ تَحْتَ الْبِنَاءِ الْمَهْدُومِ، مِنْ حَائِطٍ أَوْ بَيْتٍ أَوْ نَحْوِهِ .

قوله: (**وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدٌ**) - بِضَمِّ الْجِيمِ وكَسْرِهَا، والضَّمُّ أَشْهَرُ - وهِيَ الَّتِيْ تَمُوتُ حَامِلاً، جَامِعَةً وَلَدَهَا فِي بَطْنِهَا، وقِيلَ هِيَ الَّتِيْ تَمُوتُ فِي نِفَاسٍ، وبِسَبَبِهِ [٤] .

---

(١) «شرح سنن أبي داوود» للعيني (٦/٧١) .

(٢) «مرقاة المفاتيح» (٤/٣٤) .

(٣) رواه أحمد في مسنده عن خالد بن عرفطة (١٨٣١٢) والنسائي في سننه (٢٠٥٢) والترمذي في سننه (١٠٦٤) وقال: حديث حسن .

(٤) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٥/٣٨٥) .

www.saida-islam.weebly.com

واخْتُلِفَ فِي سَبَب تَسْمِيَةِ الشَّهِيدِ شَهِيدًا، فَقَالَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : لأَنَّهُ حَيٌّ، فَكَأَنَّ أَرْوَاحَهُمْ شَاهِدَةٌ أَيْ حَاضِرَةٌ . وَقَالَ ابْن الأَنْبَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : لأَنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يَشْهَدُونَ لَهُ بِالْجَنَّةِ. وَقِيلَ: لأَنَّهُ يَشْهَدُ عِنْدَ خُرُوجِ رُوحِهِ مَا أُعِدَّ لَهُ مِنَ الْكَرَامَة . وَقِيلَ : لأَنَّهُ يُشْهَدُ لَهُ بِالأَمَانِ مِنَ النَّار . وَقِيلَ: لأَنَّ عَلَيْهِ شَاهِدًا بِكَوْنِهِ شَهِيدًا . وَقِيلَ: لأَنَّهُ لا يَشْهَدُهُ عِنْدَ مَوْتِهِ إِلاَّ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ . وَقِيلَ: لأَنَّهُ الَّذِي يَشْهَدُ يَوْمَ الْقِيَامَة بِإِبْلاغِ الرُّسُل . وقِيلَ غَيرَ ذَلِكَ . **والشُّهَدَاءُ قِسْمَانِ : شَهِيدُ الدُّنْيَا، وَشَهِيدُ الآخِرَةِ :**

فَشَهِيدُ الدُّنْيَا : هُوَ مَنْ يُقْتَلُ فِي حَرْبِ الْكُفَّار مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِر مُخْلِصًا .

وَشَهِيدُ الآخِرَةِ : وَهُوَ مَنْ ذُكِرَ فِي الْحَدِيثِ، بِمَعْنَى أَنَّهُمْ يُعْطَوْنَ مِنْ جِنْسِ أَجْرِ الشُّهَدَاءِ، وَلا تَجْرِي عَلَيْهِمْ أَحْكَامُهُمْ فِي الدُّنْيَا . قَالَ ابْنُ التِّينِ : هَذِهِ مِيتَاتٌ فِيهَا شِدَّةٌ، فَتَفَضَّلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِأَنْ جَعَلَهَا تَمْحِيصًا لِذُنُوبِهِمْ، وزِيَادَةً فِي أَجْرِهِمْ، حَتَّى بَلَّغَهُمْ بِهَا مَرَاتِبَ الشُّهَدَاءِ [(١)] .

قوله: (**وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**) كَمَا قَالَ ﷺ :" **مَنْ صُرِعَ عَنْ دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ** " [(٢)]. وقال ﷺ : "**مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَخَرَّ عَنْ دَابَّتِهِ فَمَاتَ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، أَوْ لَدَغَتْهُ دَابَّةٌ فَمَاتَ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، أَوْ مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ مَاتَ قَعْصًا**[(٣)] **فَقَدِ اسْتَوْجَبَ الْمَآبَ** " [(٤)]. أَيْ حُسْنَ الْمَرْجِعِ بَعْدَ الْمَوتِ، وَهُوَ الجَنَّةُ .

---

(١) «فتح الباري» (٦/٤٤) .

(٢) رواه الطبراني في الكبير برقم (٨٩٢) وأبو يعلى في مسنده برقم (١٧٥٢) واللفظ له، وحَسَّنَهُ الحافظ ابن حجر في الفتح، قال الهيثمي في المجمع: رجاله ثقات . وعلى ذلك ترجم البخاري في صحيحه فقال: "**باب فضل مَنْ صُرِعَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَاتَ فَهُوَ مِنْهُم**" .

(٣) القَعْصُ: هو أن يُضْرَبَ الإنسانُ فيموتَ مَكَانَهُ، يقال: قَعَصَهُ وأَقْعَصْتُهُ إذا قتلته قتلاً سريعاً. «النهاية» (٤/١٣٤) .

(٤) رواه أحمد في مسنده واللفظ له (١٦٤٦١) والطبراني في الكبير (١٧٥٤) والحاكم في المستدرك (٢٤٤٥) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

www.saida-islam.weebly.com

وعَنْ أَبِيْ مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ :"**مَنْ فَصَلَ** – أَيْ مَنْ خَرَجَ – **فِي سَبِيلِ اللهِ فَمَاتَ أَوْ قُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ، أَوْ وَقَصَهُ فَرَسُهُ أَوْ بَعِيرُهُ أَوْ لَدَغَتْهُ هَامَّةٌ، أَوْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ، أَوْ بِأَيِّ حَتْفٍ شَاءَ اللهُ، فَإِنَّهُ شَهِيدٌ، وَإِنَّ لَهُ الْجَنَّةَ** " [١] .

مَعْنَى الْحَدِيْثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ عَظِيمَ مَا تَفَضَّلَ اللهُ وَجَلَّ بِهِ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، حَيثُ جَعَلَ الأَمْرَاضَ الْمُسْتَعْصِيَةَ كَالطَّاعُونِ وأَمْرَاضِ الْبَطْنِ وذَاتِ الْجَنْبِ ونَحْوِهَا، والأَسْبَابَ الشَّدِيْدَةَ الْمُؤَدِّيَةَ لِلْمَوتِ كَالْغَرَقِ والْحَرْقِ والْهَدَمِ والْوِلادَةِ، جَعَلَهَا سَبَباً لِتَمْحِيصِ ذُنُوبِهِم، وزِيَادَةِ أُجُورِهِمْ، ورِفْعَةِ دَرَجَاتِهِمْ، ونَيْلِهِمْ بِهَا أَعْلَى الدَّرَجَاتِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ، وهِيَ دَرَجَةُ الشَّهَادَةِ .

وفي هَذَا بَيَانٌ لِسَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ وَجَلَّ بِهَذِهِ الأُمَّةِ، وإِرَادَتِهِ بِهَا الْخَيرَ، فَقَدْ جَعَلَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ثُلُثَيْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، ثُمَّ جَعَلَهُم يَحُوزُونَ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ فِيهَا؛ فَنَبِيُّهُم ﷺ هُوَ أَرْفَعُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دَرَجَةً، وأَعْلاهُم مَنْزِلَةً، وأَقْرَبُهُم مَكَاناً عِنْدَ اللهِ وَجَلَّ، وهُوَ صَاحِبُ مَنْزِلَةِ الْوَسِيلَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ، وهِيَ مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ وَاحِدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَجَلَّ، وهُوَ أَوْلاهُمْ بِهَا، وصَاحِبُهَا إِنْ شَاءَ اللهُ .

كَمَا أَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ هِيَ أَكْثَرُ الأُمَمِ تَصْدِيقاً بِنَبِيِّهَا، فَنَصِيبُهُم مِنْ دَرَجَةِ الصِّدِّيقِيَّةِ هُوَ الأَكْثَرُ والأَوْفَرُ مِنْ بَينِ الأُمَمِ، وصِدِّيقُهَا الأَكْبَرُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه هُوَ أَفْضَلُ مَنْ طَلَعَتْ عَلَيهِ الشَّمْسُ وغَرَبَتْ بَعدَ الأَنْبِيَاءِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ :" **مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ ولا غَرَبَتْ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ النَّبِيِّينَ والْمُرْسَلِينَ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ** " [٢] .

---

(١) رواه أبو داوود في سننه (٢٥٠١) والطبراني في الكبير (٣٤١٨) والحاكم في المستدرك (٢٤١٦) وقال: صحيح على شرط مسلم وضَعَّفَهُ الذهبي .

(٢) أخرجه عبد بن حميد في مسنده عن أبي الدرداء (٢١٢) وأبو نعيم في الحلية (٣/٣٢٥) .

www.saida-islam.weebly.com

وقَالَ ﷺ :" **أَخَذَ جِبْرِيلُ بِيَدِي، فَأَرَانِي بَابَ الْجَنَّةِ الَّذِي تَدْخُلُ مِنْهُ أُمَّتِي**". فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ **اللَّهِ**، وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مَعَكَ حَتَّى أُرَاهُ، فَقَالَ رَسُولُ **اللَّهِ** ﷺ :" **أَمَا إِنَّكَ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي** " [١]. وقَالَ ﷺ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما :" **هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، إِلاَّ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ** " [٢].

كَمَا أَنَّ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، كَمَا قَالَ ﷺ :" **فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ** " [٣]. كَمَا أَنَّ مِنْهَا سَيِّدَيْ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، كَمَا قَالَ ﷺ :" **الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ** "[٤]. ومِنْهَا سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، كَمَا قَالَ ﷺ :" **سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ** "[٥]. فَسَادَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَكْثَرُهُم مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَالنَّصِيبُ الأَكْبَرُ مِنَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الْجَنَّةِ لِهَذِهِ الأُمَّةِ؛ ولله الْحَمْدُ والْمِنَّةُ .

فَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ تَفَضَّلَ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ بِأَنْ وَسَّعَ لَهَا بَابَ الشَّهَادَةِ، وكَثَّرَ أَسْبَابَهُ لَهَا، ولَمْ يَجْعَلْهُ مَقْصُوراً عَلَى بَابِ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ **اللَّهِ**، رَحْمَةً بِهَا، وإِرَادَةً لِقُرْبِهَا مِنْهُ فِي الْجَنَّةِ، فَجَعَلَ الْمَوتَ بِالطَّاعُونِ، وذَاءِ الْبَطْنِ وذَاتِ الْجَنْبِ والْحَرْقِ والْغَرْقِ وبِالْهَدْمِ وبِالْجُمْعِ، كُلُّهَا يَتَحَصَّلُ بِهَا دَرَجَةَ الشَّهَادَةِ .

---

(١) رواه أبو داوود في سننه (٤٦٥٤) والحاكم في المستدرك (٤٤٤٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

(٢) رواه أحمد في مسنده عن علي بن أبي طالب (٦٠٢) والترمذي في سننه (٣٦٦٤) وقال: حديث حسن غريب . وقال الصدر المناوي: سنده سند البخاري .

(٣) رواه البخاري بمعناه عن عائشة (٣٦٢٣) وذكر لفظ الحديث في باب مناقب قرابة النبي ﷺ ومنقبة فاطمة بنت النبي ﷺ ورضي الله عنها .

(٤) رواه أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري (١٠٩٩٩) والترمذي في سننه (٣٧٦٨) وقال : حديث حسن صحيح . والحاكم في المستدرك (٤٧٧٩) وقال : حديث صحيح ووافقه الذهبي .

(٥) رواه الحاكم في المستدرك عن جابر (٤٩٠٠) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

www.saida-islam.weebly.com

وقَدْ وَرَدَتْ آثَارٌ غَيرُ هَذَين الْحَدِيثَين فِيهَا بَيَانٌ لأَسْبَاب أُخْرَى لِلشَّهَادَةِ؛ قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : اجْتَمَعَ لَنَا مِنَ الطُّرُقِ الْجَيِّدَةِ أَكْثَرُ مِنْ عِشْرِينَ خَصْلَةً [١] : مِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ :" **وَفِي النُّفَسَاءِ يَقْتُلُهَا وَلَدُهَا جَمْعًا شَهَادَة** "[٢]، وقَوْلُهُ :" **وَالسِّلُّ شَهَادَةٌ** "[٣]، وقَوْلُهُ: "**خَمْسٌ مِنْ قُبِضَ فِيهِنَّ فَهُوَ شَهِيدٌ** ". فَذَكَرَ النُّفَسَاءَ [٤]، وقَوْلُهُ :" **مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ** " [٥]، وقَوْلُهُ :" **مَنْ مَاتَ مُرَابِطاً مَاتَ شَهِيداً** " [٦]، وقَوْلُهُ : "**الْمَقْتُولُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْءُ يَمُوتُ عَلَى فِرَاشِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَاللَّدِيغُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ، وَالشَّرِيقُ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَفْتَرِسُهُ السَّبُعُ شَهِيدٌ، وَالْخَارُّ عَنْ دَابَّتِهِ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالنُّفَسَاءُ يَقْتُلُهَا وَلَدُهَا يَجُرُّهَا بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ**"[٧]، وقَالَ :" **الْمَائِدُ فِي الْبَحْرِ الَّذِي يُصِيبُهُ الْقَيْءُ لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ** "[٨]، وقَالَ :" **مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ** " [٩] .

---

(١) «فتح الباري» (٦/٤٣) .

(٢) رواه أحمد في مسنده عن عبادة بن الصامت (١٧٧٩٧) والطبراني في الكبير (١١٦٨٦) وقال الهيثمي : رجالهما ثقات .

(٣) رواه الطبراني في الكبير عن سلمان (٦١١٥) وقال الهيثمي: فيه مندل بن علي وفيه كلام كثير وقد وُثِّقَ .

(٤) رواه النسائي في سننه عن عقبة بن عامر (٣١٦٣) والطبراني في الكبير (٩٠٠) وإسناده صحيح .

(٥) رواه أحمد في مسنده عن سعيد بن زيد (١٦٥٢) والترمذي في سننه (١٤٢١) وقال : حديث حسن . والنسائي في سننه (٤٠٩٥) . وقوله :"**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**" رواه البخاري عن عبد اللَّهِ بن عمرو (٢٤٨٠) ومسلم (٣٧٨) .

(٦) رواه ابن ماجه في سننه عن أبي هريرة (١٦١٥) وأبو نعيم في الحلية (٨/٢٠١) وقال البوصيري: هذا إسناد ضعيف .

(٧) رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس (١١٦٨٦) وقال الهيثمي : فيه عمرو بن عطيه بن الحارث الوادعي وهو ضعيف .

(٨) رواه أبو داوود في سننه عن أم حرام (٢٤٩٥) وسكت عنه .

(٩) رواه مسلم عن سهل بن حنيف (٥٠٣٩) .

www.saida-islam.weebly.com

كَمَا جَاءَ :" أَنَّ مَنْ يَتَرَدَّى مِنْ رُؤُوس الْجِبَال، وَتَأْكُلُهُ السِّبَاعُ، وَيَغْرَقُ فِي الْبِحَارِ لَشَهِيدٌ عِنْدَ اللَّهِ "(١). وقَالَ :" سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ ورَجُلٌ قَـامَ إِلى إِمَامٍ جَائِرٍ، فَأَمَرَهُ ونَهَاهُ فَقَتَلَهُ " (٢). وقَالَ :" الْمُتَمَسِّكُ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ " (٣) . وقَالَ:" التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ " (٤) .

ورُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :" مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ. فَإِنْ قَالَهَا نَهَارًا فَمَاتَ مِنْ يَومِهِ ذَلِكَ مَاتَ شَهِيداً، وإِنْ قَالَهَا لَيلاً فَمَاتَ مِنْ لَيلَتِهِ تِلْكَ مَاتَ شَهِيداً " (٥) .

ورُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :" مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ : أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَقَرَأَ ثَلاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ، وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيدًا، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي كَانَ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ " (٦) .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود موقوفاً (٩٧١٨) وصححه الحافظ في الفتح .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك عن جابر (٤٨٨٤) وقال : صحيح الإسناد . ورواه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس (٤٠٧٩) .

(٣) رواه الطبراني في الكبير عن أبي هريرة (١٣٢٠) وفي الأوسط (٥٤١٤) وقال المنذري : بإسناد لا بأس به . وقال الهيثمي : وفيه محمد بن صالح العدوي و لم أر من ترجمه وبقية رجاله ثقات .

(٤) رواه الترمذي في سننه عن أبي سعيد (١٢٠٩) وقال : حديث حسن . ورواه ابن ماجه بنحوه (٢١٣٩) .

(٥) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٣) عن بريدة . ورواه البخاري بمعناه (٦٣٢٣) إلا أنه قال في آخره: "إِذَا قَالَ حِينَ يُمْسِي فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ، أَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِذَا قَالَ حِينَ يُصْبِحُ فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ مِثْلَهُ ".

(٦) رواه الترمذي في سننه عن معقل بن يسار (٢٩٢٢) وقال : حديث غريب ، وقال المنذري في الترغيب : وفي بعض النسخ حسن غريب .

www.saida-islam.weebly.com

ورُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :" **مَنْ مَاتَ يَومَ الْجُمُعَةِ كُتِبَ لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ، ووُقِيَ فِتْنَةَ الْقَبْرِ**" (١). وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ :" **كُلُّ مِيْتَةٍ يَمُوتُ بِهَا الْمُسْلِمُ فَهُوَ شَهِيدٌ**"(٢) .

فَهَذِهِ الأَحَادِيثُ تُبَيِّنُ عَظِيمَ فَضْلِ اللهِ وَجَلَّ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ، وإِرَادَتِهِ بِهَا الْخَيرَ والرِّفْعَةَ، حَيثُ وَسَّعَ لَهَا أَسْبَابَ الشَّهَادَةِ وكَثَّرَهَا، بِحَيثُ لا يَكَادُ مُسْلِمٌ يَمُوتُ مِيْتَةً إِلاَّ يَكُونُ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ الشَّهَادَةِ؛ واللهُ أَعْلَمُ .

*****

(١) أخرجه ابن عساكر في «تعزية المسلم» من طريق ابن لهيعة عن عيسى بن موسى عن أناس من جيران رسول اللهﷺ (١١١) وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه بمعناه عن ابن شهاب مرسلاً (٥٥٩٥) وأبو نعيم في الحلية بنحوه (١٥٥/٣) .

(٢) رواه الحسين بن علي الحلواني في كتاب «المعرفة» له بإسناد حسن . كذا في «فتح الباري لابن حجر» . وقد ساق الأخبار التي ورد فيها ذكر أسباب الشهادة السيوطيُّ في رسالته «أبواب السعادة في أسباب الشهادة» .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ السَّابِعُ عَشَرَ

زِيَادَةُ عُمُرِ هَذِهِ الأُمَّةِ

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ :" **إِنِّي لأَرْجُو أَنْ لا تَعْجزَ أُمَّتِي عِنْدَ رَبِّهَا، أَنْها يُؤَخِّرُهُمْ نِصْفَ يَوْمٍ** ". قِيلَ لِسَعْدٍ : وَكَمْ نِصْفُ ذَلِكَ الْيَوْمِ ؟ قَالَ : خَمْسُ مِائَةِ سَنَةٍ [١] .

قوله: (**إِنِّي لأَرْجُو أَنْ لا تَعْجزَ أُمَّتِي عِنْدَ رَبِّهَا**) أَيْ أَرْجُو عَدَمَ عَجْزِ أُمَّتِي؛ وعَدَمُ الْعَجْزِ هُنَا كِنَايَةٌ عَنِ التَّمَكُّنِ مِنَ الْقُرْبَةِ والْمَكَانَةِ عِنْدَ اللهِ ﷻ، فَقَالَ ذَلِكَ قَولَ الْمُقَرَّبِ مِنَ السُّلْطَانِ : إِنِّيْ لا أَعْجزُ أَنْ يُوَلِّيَنِي الْمَلِكُ كَذَا وكَذَا، يَعِنِي بِهِ أَنَّ لِي مَكَانَةً وقُرْبَةً، يَحْصُلُ بِهَا كُلُّ مَا أَرْجُوهُ عِنْدَهُ [٢] .

مَعْنَى الْحَدِيْثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

هَذَا الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ فِيهِ رَجَاءٌ مُحَقَّقٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ مِنْ رَبِّهِ ﷻ، أَنْ يَكُونَ لأُمَّتِهِ عِنْدَ اللهِ ﷻ مَكَانَةٌ ومَنْزِلَةٌ، يُمْهِلُهُم مِنْ زَمَانِهِ ﷺ إِلى انْتِهَاءِ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، بِحَيثُ لا يَكُونُ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ إِلى قِيَامِ السَّاعَةِ [٣] .

وقَدْ حَقَّقَ اللهُ ﷻ مَا رَجَاهُ مِنْهُ حَبِيبُهُ ﷺ بِشَأْنِ هَذِهِ الأُمَّةِ، وأَعْطَاهُ فَوقَ مَا رَجَاهُ، كَمَا هِيَ سَنَّتُهُ ﷻ فِي إِعْطَائِهِ حَبِيبَهُ ﷺ فَوقَ مَا يَرْجُوهُ، حَتَّى يُرْضِيَهُ، كَمَا قَالَ ﷻ : ﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** ﴾ [الضحى:٥]، فَحِينَمَا رَجَا مِنْهُ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ أُمَّتَهُ نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَعْطَاهُ رَجَاءَهُ وزَادَهُ السُّدُسَ، فَجَعَلَ ثُلُثَيْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ،

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٤٦٤) وأبو داوود في سننه (٤٣٥٢) والحاكم في المستدرك عن أبي ثعلبة الخشني (٨٣٠٦) وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . وقال المناوي : سنده جيد .

(٢) «عون المعبود» (٤٢٨/٧) .

(٣) المصدر السابق .

www.saida-islam.weebly.com

وفي هَذَا الْحَدِيثِ رَجَا مِنْهُ أَنْ لا يَكُونَ بَقَاءُ أُمَّتِهِ أَقَلَّ مِنْ خَمْسمِائَةِ سَنَةٍ، فَأَخَّرَ أُمَّتَهُ فِي الزَّمَانِ فَوقَ مَا رَجَاهُ .

وفي هَذَا فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِهَذِهِ الأُمَّةِ، حَيثُ يَكْثُرُ عَدَدُهَا، فَيَكُونُ هَذَا فَخْراً لِنَبِيِّهَا ﷺ يَومَ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ ﷺ :" **تَزَوَّجُوا الْوَلُودَ الْوَدُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ الأَنْبِيَاءَ يَومَ الْقِيَامَةِ**"(١). كَمَا فِيهِ زِيَادَةٌ فِي عُمُرِ هَذِهِ الأُمَّةِ، وزِيَادَةٌ فِي أَعْمَالِهَا الْمُوجِبَةِ لِكَثْرَةِ نِسْبَتِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَيثُ يَبْلُغُونَ الثُّلُثَينِ مِنْ أَهْلِهَا كَمَا مَرَّ .

كَمَا فِيهِ إِظْهَارٌ لِشَرَفِ هَذِهِ الأُمَّةِ، حَيثُ تَبْقَى مُحَافِظَةً عَلَى دِينِهَا مِنَ الضَّيَاعِ، وعَلَى كِتَابِ رَبِّهَا مِنَ التَّبْدِيلِ والتَّحْرِيفِ طِيلَةَ هَذِهِ الْمُدَّةِ، عَلَى خِلافِ الأُمَمِ قَبْلَهَا؛ فَالْيَهُودُ حَرَّفُوا كِتَابَ رَبِّهِم، وخَالَفُوا أَوَامِرَهُ فِي حَيَاةِ نَبِيِّهِمْ مُوسَى عليه السلام، فَعَبَدُوا الْعِجْلَ فِي زَمَانِهِ، وَامْتَنَعُوا عَنِ الالْتِزَامِ بِأَحْكَامِ التَّوْرَاةِ، وظَهَرَ مِنْهُم إِبَاءٌ عَمَّا جَاءَهُم بِهِ مُوسَى عليه السلام، فَرَفَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُؤُوسِهِم جَبَلاً، ثُمَّ أُلْزِمُوا، فَالْتَزَمُوا، وسَجَدُوا، وجَعَلُوا يَنْظُرُونَ إِلى فَوقِ رُؤُوسِهِم خَشْيَةَ أَنْ يَسْقُطَ عَلَيهِمْ، وحِينَمَا أَمَرَهُمْ بِدُخُولِ بَيتِ الْمَقْدِسِ، قَالُوا لَهْ : اذْهَبْ أَنْتَ وربُّكَ فَقَاتِلا، إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ؛ ولَمَّا قَالَ لَهُمْ : ﴿ **وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ** ﴾ **[البقرة:٥٨]**، أَيْ اللَّهُمَّ حُطَّ عَنَّا ذُنُوبَنَا فِي تَرْكِنَا الْجِهَادَ ونُكُولِنَا عَنْهُ، حَتَّى تُهْنَا فِي التِّيهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ، وهُمْ يَقُولُونَ : حِنْطَةٌ فِي شَعْرَةٍ، وقَالَ لَهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ** ﴾ **[النساء:١٥٤]**، فَخَالَفُوا، وعَصَوْا، وتَحَايَلُوا عَلَى ارْتِكَابِ مَا حَرَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وكَانُوا يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ : هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ؛ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً، كَمَا أَنَّهُمْ كَتَمُوا صِفَاتِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ﷺ، وحَسَدُوهُ؛ وغَيرُ ذَلِكَ كَثِيرٌ (٢) .

---

(١) رواه أحمد في مسنده عن أنس بن مالك (١٢٦١٣) وأبو داوود في سننه (٢٠٥٢) وابن ماجه في سننه (١٨٤٦) والنسائي في سننه (٣٢٢٧) وابن حبان في صحيحه (٤٠٢٨) والحاكم في المستدرك (٢٦٨٥) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/٥٧٩) .

www.saida-islam.weebly.com

وأَمَّا النَّصَارَى، فَإِنَّهُ لَمَّا رُفِعَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، اخْتَلَفُوا فِيهِ؛ فَمِنْ قَائِلٍ : هُوَ اللَّهُ، وقَالَ غَيرُهُمْ : هُوَ ابْنُ اللَّهِ، وقَالَ غَيرُهُمْ : هُوَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ، وقَالَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ ورَسُولُهُ، ولَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ يَسيراً، حَتَّى حَرَّفُوا دِينَهُمْ، وكِتَابَ رَبِّهِمْ[1]، وأَحَلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وشَرَعُوا فِي دِيْنِهِمْ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ، وهُوَ كَثِيرٌ عِنْدَهُمْ .

أَمَّا هَذِهِ الأُمَّةُ الْمُصْطَفَاةُ الْمُجْتَبَاةُ، الْوَارِثَةُ لِكِتَابِ رَبِّهَا، فَمَعَ طُولِ مُدَّةِ بَقَاءِهَا بَعْدَ نَبِيِّهَا ﷺ، فَإِنَّهَا حَافَظَتْ عَلَى كِتَابِ رَبِّهَا مِنَ التَّبْدِيلِ والتَّحْرِيفِ، ولا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْهَا قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ، لا يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا، ولا مَنْ خَذَلَهَا، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

*****

(١) قال ابن القيم في «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» ص (١٤٢) : وما زال أصحاب المسيح بعده على ذلك – أي على الأخذ بوصاياه – قريباً من ثلاثمائة سنة، ثم أخذ القوم في التغيير والتبديل والتَّقَرُّب إلى الناس بما يهوون، ومُكَايَدَةِ اليهود ومناقضتهم بما فيه ترك دين المسيح والانسلاخ منه جملةً وتفصيلاً .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ الثَّامِنُ عَشَرَ

الخَيْرُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ مُسْتَمِرٌّ كَالْمَطَرِ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ، لا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ** " (١). وفي رِوَايَةٍ :" **إِنَّمَا مَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ مَاءٍ أَنْزَلَهُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ، لا يُدْرَى الْبَرَكَةُ فِي أَوَّلِهَا أَوْ فِي آخِرِهَا** " (٢) .

قوله : (**مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ**) شَبَّهَ الأُمَّةَ بِالْمَطَرِ، الَّذِي هُوَ دَائِمُ الْحَرَكَةِ وَالتَّجَدُّدِ، وعَامُّ النَّفْعِ، ويَصِلُ إِلى كُلِّ مَكَانٍ؛ وهَكَذَا هَذِهِ الأُمَّةُ، فَإِنَّهَا أُمَّةٌ مُتَحَرِّكَةٌ، لَيسَ لَهَا مَقْصَدٌ إِلاَّ إِخْرَاجُ النَّاسِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ، ولا تَنْتَظِرُ الأُمَمَ حَتَّى تَأْتِيَ إِلَيهَا، بَلْ هِيَ بِنَفْسِهَا تَذْهَبُ إِلى النَّاسِ بِرِسَالَةِ الرَّحْمَةِ وَالْهِدَايَةِ؛ وكَمَا أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحْيِي الأَرْضَ الْمَيْتَةَ بِوَابِلِ الْمَطَرِ، وبِهِ تَخْرُجُ بَرَكَاتُ الأَرْضِ عَلَى اخْتِلافِ أَلْوَانِهَا وأَشْكَالِهَا ورَوَائِحِهَا وأَطْعِمَتِهَا، هَكَذَا هَذِهِ الأُمَّةُ، أَيْنَمَا حَلَّتِ انْتَفَعَتِ الْبَشَرِيَّةُ بِهَا، وحَلَّتْ عَلَيهَا الْبَرَكَاتُ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وذَلِكَ بِظُهُورِ الصِّفَاتِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي كَانَتْ كَامِنَةً فِيهَا .

قوله : (**لا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ**) هَذَا إِنَّمَا قَالَهُ ﷺ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيبِ لَهُمْ مِنْ صَحَابَتِهِ، كَمَا يُقَالُ : مَا أَدْرِيْ أَوَجْهُ هَذَا الثَّوبِ أَحْسَنُ أَمْ مُؤَخَّرُهُ، وَوَجْهُهُ أَفْضَلُ، إِلاَّ أَنَّكَ أَرَدْتَ التَّقْرِيبَ مِنْهُ فِي الْحُسْنِ، فَلا يَكُونُ لأَوَّلِهِ كَبِيرُ فَضْلٍ عَلَى آخِرِهِ (٣) .

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٢٣٢٧)، (١٢٤٦١) والترمذي في سننه (٢٨٦٩) وقال : حديث حسن، ورواه ابن حبان في صحيحه (٧٢٢٦) وروي عن ابن عمر وابن عمرو وعثمان وعمران بن حصين وعمار بن ياسر، وقال الحافظ في الفتح : هو حديث حسن، له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة .

(٢) أخرجه الرامهرمزي في «أمثال الحديث» عن أنس بن مالك برقم (٦٨) وحَسَّنَهُ المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣٤٥٦٨) .

(٣) «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة بتصرف (١ / ١١٥) .

www.saida-islam.weebly.com

مَعْنَى الْحَدِيْثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ فَضْلَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وعُمُومَ نَفْعِهَا لِلْخَلْقِ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَاتِهَا، حَيثُ شَبَّهَهَا بِالْمَطَرِ؛ قَالَ التُّورْبَشْتِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : لا يُحْمَلُ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى التَّرَدُّدِ فِي فَضْلِ الأَوَّلِ عَلَى الآخِرِ، فَإِنَّ الْقَرْنَ الأَوَّلَ هُمُ الْمُفَضَّلُونَ عَلَى سَائِرِ الْقُرُونِ مِنْ غَيرِ شُبْهَةٍ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم، وفِي الرَّابِعِ اشْتِبَاهٌ مِنْ قِبَلِ الرَّاوِيْ، وإِنَّمَا الْمُرَادُ بِهِمْ نَفْعُهُم فِي بَثِّ الشَّرِيعَةِ، والذَّبِّ عَنِ الْحَقِيقَةِ؛ وقَالَ الْقَاضِي الْبَيضَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : نَفَى تَعَلُّقَ الْعِلْمِ بِتَفَاوُتِ طَبَقَاتِ الأُمَّةِ فِي الْخَيرِيَّةِ، وأَرَادَ بِهِ نَفْيَ التَّفَاوُتِ لِاخْتِصَاصِ كُلِّ طَبَقَةٍ مِنْهُم بِخَاصِّيَّةٍ وفَضِيلَةٍ تُوجِبُ خَيْرِيَّتَهَا، كَمَا أَنَّ كُلَّ نَوبَةٍ مِنَ نُوَبِ الْمَطَرِ لَهَا فَائِدَةٌ فِي النُّشُوءِ وَالنَّمَاءِ، لا يُمْكِنُكَ إِنْكَارُهَا، والْحُكْمُ بِعَدَمِ نَفْعِهَا، فَإِنَّ الأَوَّلِينَ آمَنُوا بِمَا شَاهَدُوا مِنَ الْمُعْجِزَاتِ، وتَلَقَّوْا دَعْوَةَ الرَّسُولِ ﷺ بِالإِجَابَةِ وَالإِيْمَانِ، والآخِرِينَ آمَنُوا بِالْغَيبِ، لِمَا تَوَاتَرَ عِنْدَهُم مِنَ الآيَاتِ، وَاتَّبَعُوا مَنْ قَبْلَهُم بِالإِحْسَانِ، وكَمَا أَنَّ الْمُتَقَدِّمِينَ اجْتَهَدُوا فِي التَّأْسِيسِ وَالتَّمْهِيدِ، فَالْمُتَأَخِّرِينَ بَذَلُوا وُسْعَهُم فِي التَّلْخِيصِ وَالتَّجْرِيدِ، وصَرَفُوا عُمُرَهُم فِي التَّقْرِيرِ وَالتَّأْكِيدِ، فَكُلٌّ ذَنْبُهُم مَغْفُورٌ، وسَعْيُهُم مَشْكُورٌ، وأَجْرُهُم مَوْفُورٌ .

فَكَمَا أَنَّهُ لا يُحْكَمُ بِوُجُودِ النَّفْعِ فِي بَعْضِ الأَمْطَارِ دُونَ بَعْضٍ، فَكَذَا لا يُحْكَمُ بِوُجُودِ الْخَيْرِيَّةِ فِي بَعْضِ أَفْرَادِ الأُمَّةِ دُونَ بَعْضٍ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ، إِذِ الْحَيْثِيَّاتُ مُخْتَلِفَةُ الْكَيْفِيَّاتِ، ولِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا، فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ، ومَعَ هَذَا فَالْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ، وإِنَّمَا هَذَا تَسْلِيَةٌ لِلْمُتَأَخِّرِ، إِيْمَاءاً إِلى أَنَّ بَابَ اللَّهِ مَفْتُوحٌ، وطَلَبَ الْفَيْضِ مِنْ جَنَابِهِ مَفْسُوحٌ .

قَالَ الطِّيْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وتَمْثِيلُ الأُمَّةِ بِالْمَطَرِ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَا أَنَّ تَمْثِيلَهُ ﷺ الْغَيثَ بِالْهُدَى والْعِلْمِ، فَتَخْتَصُّ هَذِهِ الأُمَّةُ الْمُشَبَّهَةُ بِالْمَطَرِ بِالْعُلَمَاءِ الْكَامِلِينَ مِنْهُم، وَالْمُكَمِّلِينَ لِغَيرِهِم، فَيَسْتَدْعِي هَذَا التَّفْسِيرُ أَنْ يُرَادَ بِالْخَيرِ النَّفْعُ، فَلا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا الْمُسَاوَاةُ فِي الأَفْضَلِيَّةِ، ولَوْ ذُهِبَ إِلى الْخَيْرِيَّةِ، فَالْمُرَادُ وَصْفُ الأُمَّةِ قَاطِبَةً، سَابِقِهَا ولاحِقِهَا،

www.saida-islam.weebly.com

وأَوَّلِهَا وآخِرِهَا بِالْخَيرِ، وأَنَّهَا مُلْتَحِمَةٌ، بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ، مَرْصُوصَةُ الْبُنْيَانِ، مُفْرَغَةٌ كَالْحَلْقَةِ الَّتِي لا يُدْرَى أَيْنَ طَرَفَاهَا، ويُلَمِّحُ إِلى هَذَا الْمَعْنَى قَولُ الشَّاعِرِ :

إِنَّ الْخِيَـــارَ مِنَ الْقَبَـــائِلِ وَاحِـــــدٌ وبَنـــُو حَنِيـــفَةَ كُلُّـــهُمْ أَخْيَـــارُ

فَالْحَاصِلُ أَنَّ الأُمَّةَ مُرْتَبِطٌ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ فِي الْخَيْرِيَّةِ، بِحَيثُ أُبْهِمَ أَمْرُهَا فِيهَا، وَارْتَفَعَ التَّمْيِيزُ بَينَهَا، وإِنْ كَانَ بَعْضُهَا أَفْضَلَ مِنْ بَعْضٍ فِي نَفْسِ الأَمْرِ، فَالأُمَّةُ كُلُّهَا لا تَخْلُوْ مِنَ الْخَيرِ، كَمَا أَشَارَ إِلَيهِ ﷺ بِقَولِهِ :" **أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ** ". لِكَونِ نَبِيِّهَا نَبِيَّ الرَّحْمَةِ، بِخِلافِ سَائِرِ الأُمَمِ، فَإِنَّ الْخَيرَ انْحَصَرَ فِي سَابِقِهِم، ثُمَّ جَاءَ الشَّرُّ فِي لاحِقِهِم، حَيثُ بَدَّلُوا كُتُبَهُم، وحَرَّفُوا مَا كَانَ عَلَيهِ أَوَّلُهُم (١) .

فَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلى خَيرٍ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، مَا تَحَرَّتِ الطَّرِيقَ الَّذِي مَشَى فِيهِ هُدَاةُ الْقُرُونِ الثَّلاثَةِ الأُوْلَى وتَابِعُوهُم فِيهِ، ومَا قَامَتْ بِدَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَيهِ، وأَقَامَتْهُم عَلَيهِ، وبَذَلُوا الْغَالِيَ وَالنَّفِيسَ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ، بَلْ يُرْجَى لِمَنْ يُقِيمُ الْحَقَّ فِي هَذَا الزَّمَانِ كَمَا أَقَامَهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ فِي زَمَنِهِم أَنْ يَبْلُغُوا مَنْزِلَتَهُم عِنْدَ **اللَّهِ**، ويُعَدُّوا فِي بَقِيَّتِهِم، بَلْ ويَزِيدُوا عَلَيهِم فِي الأَجْرِ وَالثَّوَابِ، لا فِي الْمَنْزِلَةِ وَالرُّتْبَةِ، كَمَا قَالَ ﷺ :" **فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا، الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ** ". وفِي رِوَايَةٍ : قِيلَ : يَا رَسُولَ **اللَّهِ**، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ ؟ قَالَ :" **بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ** " (٢) .

فَالسَّبَبُ فِي كَونِ الْقَرْنِ الأَوَّلِ خَيرَ الْقُرُونِ، أَنَّهُم آمَنُوا بِهِ ﷺ حِينَ كَفَرَ النَّاسُ، وصَدَّقُوهُ حِينَ كَذَّبَهُ النَّاسُ، وعَزَّرُوهُ، ونَصَرُوهُ، وَآوَوْهُ، ووَاسَوْهُ بِأَمْوَالِهِم وأَنْفُسِهِم،

---

(١) «مرقاة المفاتيح» (١١/٤١٧- ٤١٨) .

(٢) رواه أبو داوود في سننه عن أبي ثعلبة الخشني (٤٣٤٣) والترمذي في سننه (٣٠٥٨) وقال : حديث حسن . ورواه ابن ماجه في سننه (٤٠١٤) والحاكم في المستدرك (٧٩١٢) وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي . ومن طريقه رواه البيهقي في سننه (١٩٩٨٠) .

www.saida-islam.weebly.com

وقَاتَلُوا غَيرَهُم عَلَى كُفْرِهِم حَتَّى أَدْخَلُوهُمْ فِي الإِسْلامِ؛ وأَنَّهُم كَانُوا غُرَبَاءَ فِي إِيْمَانِهِم، لِكَثْرَةِ الْكُفَّارِ فِي الأَرْضِ، وصَبْرِهِم عَلَى الْهُدَى، وتَمَسُّكِهِم بِهِ إِلى أَنْ عَمَّ بِهِم فِي أَرْجَائِهَا، فَكَذَلِكَ أَوَاخِرُهُم، إِذَا أَقَامُوا الدِّينَ، وتَمَسَّكُوا بِهِ، وصَبَرُوا عَلَى الطَّاعَةِ حِينَ ظُهُورِ الْمَعَاصِي والْفِتَنِ، كَانُوا أَيْضاً عِنْدَ ذَلِكَ غُرَبَاءَ، وزَكَتْ أَعْمَالُهُم فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، كَمَا زَكَتْ أَعْمَالُ أُوْلَئِكَ، كَمَا قَالَ ﷺ :" **بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيباً، وسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ** " [١][٢] .

وقَالَ ﷺ :" **إِنَّكُمُ الْيَومَ فِي زَمَانٍ، كَثِيرٌ عُلَمَاؤُهُ، قَلِيلٌ خُطَبَاؤُهُ، مَنْ تَرَكَ عُشَيرَ مَا يَعْرِفُ فَقَدْ هَوَى، ويَأْتِي مِنْ بَعْدُ زَمَانٌ، كَثِيرٌ خُطَبَاؤُهُ، قَلِيلٌ عُلَمَاؤُهُ، مَنِ اسْتَمْسَكَ بِعُشَيرِ مَا يَعْرِفُ فَقَدْ نَجَا** "[٣]. وقَالَ ﷺ :" **إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ، مَنْ تَرَكَ عُشْرَ مَا أُمِرَ بِهِ هَلَكَ، ثُمَّ يَأْتِيْ زَمَانٌ، مَنْ عَمِلَ مِنْهُم بِعُشْرِ مَا أُمِرَ بِهِ نَجَا** " [٤] .

قَالَ الشُّرَّاحُ : هَذَا فِي الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، إِذْ لا يَجُوزُ صَرْفُ هَذَا الْقَولِ إِلى عُمُومِ الْمَأْمُورَاتِ، لأَنَّهُ عُرِفَ أَنَّ مُسْلِماً لا يُعْذَرُ فِيمَا يُهْمِلُ مِنَ الْفَرْضِ الَّذِي تَعَلَّقَ بِخَاصَّةِ نَفْسِهِ، وإِنَّمَا كَانَ هَذَا الْهَلاكُ لِلأَوَّلِينَ بِتَرْكِ الْعُشْرِ، لأَنَّ الدِّيْنَ عَزِيزٌ، وَالْحَقَّ ظَاهِرٌ، وفِي أَنْصَارِهِ كَثْرَةٌ، فَالتَّرْكُ يَكُونُ تَقْصِيراً مِنْكُم، فَلا يُعْذَرُ أَحَدٌ مِنْكُمْ فِي التَّهَاوُنِ، ثُمَّ يَأْتِيْ زَمَانٌ، يَضْعُفُ فِيهِ الإِسْلامُ، ويَكْثُرُ الظَّلَمَةُ وَالْفُسَّاقُ، ويَقِلُّ أَنْصَارُهُ، فَيُعْذَرُ الْمُسْلِمُونَ

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة (٣٨٩) .

(٢) «التمهيد» لابن عبد البر (٢٥١/٢٠) .

(٣) رواه أحمد في مسنده عن أبي ذر (٢١٣٧٢) والهروي في «ذم الكلام وأهله» برقم (٩٧) وروى البخاري في «الأدب المفرد» نحوه عن ابن مسعود بإسناد حسن (٧٨٩) والحاكم في المستدرك (٨٤٨٧) وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

(٤) رواه الترمذي في سننه عن أبي هريرة (٢٢٦٧) وقال : حديث غريب . ورواه الطبراني في الصغير (١١٥٦) وأبو نعيم في الحلية (٣١٦/٧) وحَسَّنَهُ الحافظ ابن حجر في «الأمالي المطلقة» وذكر له شاهداً مرسلاً (١٤٦/١) ويشهد لمعناه ما قبله .

www.saida-islam.weebly.com

فِي التَّرْك إِذْ ذَاكَ، لِعَدَمِ الْقُدْرَةِ، لا لِلتَّقْصِيرِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُم بِعُشْرِ مَا أُمِرَ بِهِ نَجَا، لِانْتِفَاءِ تِلْكَ الْمَعَانِيْ الْمَذْكُورَةِ [١] .

ويُؤَيِّدُ هَذَا الْمَعْنَى مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :" **إِنَّكُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ مَا لَمْ تَظْهَرْ فِيكُمْ سَكْرَتَانِ، سَكْرَةُ الْجَهْلِ، وَسَكْرَةُ حُبِّ الْعَيْشِ، وَأَنْتُمْ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِذَا ظَهَرَ فِيكُمْ حُبُّ الدُّنْيَا، فَلا تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَلاَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلاَ تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، الْقَائِلُونَ يَوْمَئِذٍ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، كَالسَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ** " [٢] .

وفي رِوَايَةٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **أَنْتُمُ الْيَوْمَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ تَظْهَرُ فِيكُمُ السَّكْرَتَانِ : سَكْرَةُ الْجَهْلِ، وَسَكْرَةُ حُبِّ الْعَيْشِ، وَسَتُحَوَّلُونَ عَنْ ذَلِكَ، فَلا تَأْمُرُونَ بِمَعْرُوفٍ وَلا تَنْهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ، وَلا تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، الْقَائِمُونَ يَوْمَئِذٍ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَهُمْ أَجْرُ خَمْسِينَ صِدِّيقاً** ". قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : "**لا بَلْ مِنْكُمْ** " [٣] .

*****

(١) «مرقاة المفاتيح» بتصرف يسير (٣٨٧/١) .

(٢) رواه البزار في مسنده عن معاذ بن جبل (٢٦٣١) وأبو نعيم في الحلية عن عائشة (٤٨/٨) وقال الهيثمي في المجمع : رواه البزار وفيه الحسن بن بشر، وَثَّقَهُ أبو حاتم وغَيرُهُ، وفيه ضعف .

(٣) أخرجه أبو الشيخ في «الأمثال» برقم (٢٣٣) .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ التَّاسِعُ عَشَرَ

فَضْلُ الآخِرِيْنَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْعَلاءِ الْحَضْرَمِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ : حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الأُمَّةِ قَوْمٌ لَهُمْ مِثْلُ أَجْرِ أَوَّلِهِمْ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيُقَاتِلُونَ أَهْلَ الْفِتَنِ " [١]. وفي رِوَايَةٍ قَالَ :" إِنَّ مِنْ أُمَّتِيْ قَوماً، يُعْطَونَ مِثْلَ أُجُورِ أَوَّلِهِمْ، يُنْكِرُونَ الْمُنْكَرَ " [٢] .

قوله: (إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الأُمَّةِ قَوْمٌ) أَيْ جَمَاعَةٌ، لَهُمْ قُوَّةٌ فِي الدِّينِ [٣] .

قوله: (لَهُمْ مِثْلُ أَجْرِ أَوَّلِهِمْ) وفي الرِّوَايَةِ الأُخْرَى : (يُعْطَونَ مِثْلَ أُجُورِ أَوَّلِهِمْ) أَيْ يُثِيْبُهُمُ اللهُ مَعَ تَأَخُّرِ زَمَنِهِمْ مِثْلَ إِثَابَةِ الأَوَّلِينَ مِنَ الصَّدْرِ الأَوَّلِ، الَّذِينَ نَصَرُوا الإِسْلامَ، وأَسَّسُوا قَوَاعِدَ الدِّينِ [٤] .

وقوله: (وَيُقَاتِلُونَ أَهْلَ الْفِتَنِ) أَي الْبُغَاةَ وَالْخَوَارِجَ وَالرَّوَافِضَ، وسَائِرَ أَهْلِ الْبِدَعِ، مُقَاتَلَةً مَادِّيَّةً بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ، أَوْ مَعْنَوِيَّةً بِالْحُجَّةِ واللِّسَانِ [٥] .

قوله: (يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) هَذَا بَيَانٌ لِسَبَبِ إِعْطَائِهِمْ هَذَا الأَجْرَ الْعَظِيمَ؛ وقَدْ تَظَاهَرَتْ دَلائِلُ الْكِتَابِ والسُّنَّةِ عَلَى وُجُوبِ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥١٢/٦) والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٥٣٥/١) وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٢٤٥) .

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٦٥٩٢)، (٢٣١٨١) وقال الهيثمي : عبدالرحمن لم أعرفه، وبقية رجاله رجال ثقات . قلت: عبد الرحمن بن العلاء الحضرمي، ذكره ابن حبان في «الثقات» وذكره في « مشاهير علماء الأمصار » وقال عنه : من خيار التابعين . لذلك قال المناوي في التيسير : بإسناد حسن .

(٣) «فيض القدير» (٥٣٦/٢) .

(٤) المصدر السابق .

(٥) «مرقاة المفاتيح» بتصرف (١٦٤/١٠) (٤٢١/١١) .

www.saida-islam.weebly.com

الْمُنْكَرِ عَلَى الأُمَّةِ، وبَيَّنَتْ أَهَمِّيَّتَهُ، وفَضِيلَتَهُ، وخُطُورَةَ تَرْكِهِ عَلَى الْفَرْدِ، وعَلَى الأُمَّةِ، فَمِنْ ذَلِكَ قَولُهُ ﷻ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠]، وقَولُهُ ﷻ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] وقَولُهُ ﷻ : ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [الصبر : ١-٣]، وقَولُهُ ﷺ :" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ فَلا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ " (١)، وقَولُهُ ﷺ :" مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيْمَانِ " (٢)، وقَولُهُ ﷺ :" إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ، فَلا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ، ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾، ثُمَّ قَالَ : "كَلاَّ وَاللَّهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا "(٣)، وقَولُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُم تَقْرَؤُونَ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ ﴾، وتَضَعُونَهَا في غَيرِ مَوضِعِهَا، ولا تَدْرُونَ مَا هِيَ، وإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :" إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا مُنْكَراً فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ، يُوشِكُ أَنْ

(١) رواه أحمد في مسنده عن حذيفة بن اليمان (٢٣٣٠١) والترمذي في سننه (٢١٦٩) وقال : حديث حسن .

(٢) رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري برقم (١٨٦) .

(٣) رواه أبو داوود في سننه عن ابن مسعود (٤٣٣٨) واللفظ له وأحمد في مسنده (٣٧١٣) والترمذي في سننه (٣٠٤٧) وقال: حديث حسن غريب . وقال الهيثمي في المجمع : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

www.saida-islam.weebly.com

يَعُمَّهُمُ اللَّهُ تَعَالى بِعِقَابِهِ " [١]، وقَولُهُ ﷺ :" مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِن الْمَاءِ، مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا [٢]، وقَولُهُ ﷺ :" مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، هُمْ أَعَزُّ وَأَكْثَرُ مِمَّنْ يَعْمَلُهُ، لَمْ يُغَيِّرُوهُ إِلاَّ عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ " [٣]، وقَولُهُ ﷺ :" مَا مِنْ نبيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي، إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ، يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ، يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيْمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ " [٤]، وقَولُهُ ﷺ: "لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَيلٌ للعَرب مِن شَرٍّ قَدِ اقْتَربَ، فُتِحَ اليومَ مِن رَدْمِ يَأجُوجَ ومَأجُوجَ مِثلُ هَذِه ". وحَلَّقَ بِإصْبَعَيْهِ الإبْهَامِ والَّتِي تَلِيْهَا . قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَالَ :" نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ" [٥]، وقَولُهُ ﷺ :" الدِّينُ النَّصِيحَةُ". قِيلَ لِمَنْ؟ قَالَ :" للهِ ولِكِتَابِهِ ولِرَسُولِهِ ولأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وعَامَّتِهِم". [٦]، وقَولُهُ ﷺ :" يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْعُونِي فَلا أُجِيبَكُمْ، وَتَسْأَلُونِي فَلا أُعْطِيَكُمْ، وَتَسْتَنْصِرُونِي فَلا أَنْصُرَكُمْ " [٧] .

---

(١) رواه أحمد في مسنده عن قيس بن أبي حازم (١،١٦،٢٩،٣٠،٥٣) وأبو داوود في سننه (٤٣٤٠) والترمذي في سننه (٢١٦٨) وقال : هذا حديث صحيح .

(٢) رواه البخاري عن النعمان بن بشير (٢٤٩٣) .

(٣) رواه أحمد في مسنده عن جرير واللفظ له (١٩٢٣٠) وأبو داوود في سننه (٤٣٤٠) وابن ماجه في سننه (٤٠٠٩) وإسناده حسن .

(٤) رواه مسلم عن ابن مسعود (١٨٨)، (١٨٩) .

(٥) رواه البخاري عن زينب بنت جحش (٣٥٩٨)، (٧١٣٥) ومسلم (٧٤١٦) إلى (٧٤٢٠) .

(٦) رواه مسلم عن تميم الداري برقم (٢٠٥) .

(٧) رواه أحمد في مسنده عن عائشة (٢٥٢٥٥) وابن حبان في صحيحه (٢٩٠) بإسناد حسن .

www.saida-islam.weebly.com

وقَالَ مِسْعَرٌ رَحِمَهُ اللَّهُ : بَلَغَنِي أَنَّ مَلَكًا أُمِرَ أَنْ يَخْسِفَ بِقَرْيَةٍ، فَقَالَ : يَا رَبِّ، فِيهَا فُلانٌ الْعَابِدُ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ :" **أَنْ بِهِ فَابْدَأْ، فَإِنَّهُ لَمْ يَتَمَعَّرْ وَجْهُهُ فِيَّ سَاعَةً قَطُّ** " (١) .

وقَالَ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْبَابَ - أَعْنِي بَابَ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ - قَدْ ضُيِّعَ أَكْثَرُهُ مِنْ أَزْمَانٍ مُتَطَاوِلَةٍ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ فِي هَذِهِ الأَزْمَانِ إِلاَّ رُسُومٌ قَلِيلَةٌ جِدًّا، وَهُوَ بَابٌ عَظِيمٌ، بِهِ قِوَامُ الأَمْرِ وَمِلاكُهُ، وَإِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ عَمَّ الْعِقَابُ الصَّالِحَ وَالطَّالِحَ، وَإِذَا لَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدِ الظَّالِمِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِعِقَابِهِ، ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]، فَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الآخِرَةِ وَالسَّاعِي فِي تَحْصِيلِ رِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَعْتَنِيَ بِهَذَا الْبَابِ، فَإِنَّ نَفْعَهُ عَظِيمٌ لا سِيَّمَا وَقَدْ ذَهَبَ مُعْظَمُهُ، وَيُخْلِصَ نِيَّتَهُ، وَلا يُهَادِنَ مَنْ يُنْكِرُ عَلَيْهِ لارْتِفَاعِ مَرْتَبَتِه؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ [الحج:٤٠]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران:١٠١]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت:٦٩]. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:٢-٣] (٢) .

وقَالَ ابْنُ العَرَبِيِّ الْمَالِكِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : الأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ أَصْلٌ فِي الدِّينِ، وَعُمْدَةٌ مِنْ أَعْمِدَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَخِلافَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْمَقْصُودُ الأَكْبَرُ مِنْ بَعْثِ النَّبِيِّينَ، وَهُوَ فَرْضٌ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ مَثْنَى وفُرَادَى بِشَرْطِ الْقُدْرَةِ (٣) .

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (٧٤) ورواه الطبراني في الأوسط عن جابر مرفوعاً (٧٦٦١) بإسناد ضعيف .

(٢) «شرح مسلم للنووي» (١/٢١٤) .

(٣) «عارضة الأحوذي» (٢/١٣) .

www.saida-islam.weebly.com

مَعْنَى الْحَدِيْثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ فَضِيلَةً عَظِيمَةً لِلْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وهِيَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُثِيبُهُمْ بِمِثْلِ مَا أَثَابَ الأَوَّلِينَ مِنَ الأُجُورِ الْعَظِيمَةِ، وذَلِكَ لأَنَّهُم يَجْتَهِدُونَ لإِحْيَاءِ الدِّينِ فِي حَيَاةِ النَّاسِ، ويَأْمُرُونَهُم بِالْمَعْرُوفِ، وينْهَوْنَهُم عَنِ الْمُنْكَرِ، مَعَ كَثْرَةِ الْمُخَالِفِينَ وقِلَّةِ الْمُوَافِقِينَ؛ وهَؤُلاءِ هُمُ الْغُرَبَاءُ، كَمَا قَالَ ﷺ :" **بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ.** " [(١)]، وفي رِوَايَةٍ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَنِ الْغُرَبَاءُ ؟ قَالَ:" **الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ** " [(٢)]، وفي رِوَايَةٍ أُخْرَى :" **طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ** ". قُلْنَا : وَمَنِ الْغُرَبَاءُ ؟ قَالَ :" **قَوْمٌ صَالِحُونَ قَلِيْلٌ، فِيْ نَاسٍ سُوْءٍ كَثِيْرٍ، مَنْ يَعْصِيْهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيْعُهُمْ** " [(٣)]، وفي رِوَايَةٍ: "**فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي مِنْ سُنَّتِي** " [(٤)] .

وهَؤُلاءِ الْغُرَبَاءُ قِسْمَانِ :

أَحَدُهُمَا : مَنْ يُصْلِحُ نَفْسَهُ عِنْدَ فَسَادِ النَّاسِ .

وَالثَّانِيْ : مَنْ يُصْلِحُ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ، وهُوَ أَعْلَى الْقِسْمَيْنِ وأَفْضَلُهُمَا [(٥)] .

فهَؤُلاءِ هُمُ الْغُرَبَاءُ الْمَمْدُوحُونَ الْمَغْبُوطُونَ، ولِقِلَّتِهِم فِي النَّاسِ جِدًّا سُمُّوا غُرَبَاءَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ عَلَى غَيرِ هَذِهِ الصِّفَاتِ، فَأَهْلُ الإِسْلامِ فِي النَّاسِ غُرَبَاءُ، وَالْمُؤْمِنُونَ فِي أَهْلِ الإِسْلامِ غُرَبَاءُ، وأَهْلُ الْعِلْمِ فِي الْمُؤْمِنِينَ غُرَبَاءُ، وأَهْلُ السُّنَّةِ الَّذِينَ يُمَيِّزُونَهَا مِنَ الأَهْوَاءِ

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة برقم (٢٣٢) ورواه عن ابن عمر بمعناه برقم (٢٣٣) .

(٢) رواه أحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن سنة برقم (١٦٧٣٦) والطبراني في الكبير (٥٧٣٤) وفي الصغير عن سهل ابن سعد (٢٩٠) ورواه في الأوسط عن جابر برقم (٤٩١٥) .

(٣) رواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو برقم (٦٦٥٠) والطبراني في الكبير (١٤٥٧)، قال الهيثمي في المجمع: له في الكبير أسانيد، رجال أحدها رجال الصحيح .

(٤) رواه الترمذي عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده برقم (٢٦٣٠) وقال: حديث حسن صحيح. ورواه الطبراني في الكبير عنه بمثله (١٣٤٨٩) .

(٥) «كشف الكربة في وصف أهل الغربة» لابن رجب ص (٨– ٩) .

www.saida-islam.weebly.com

والْبِدَعِ فَهُم غُرَبَاءُ، وَالدَّاعُونَ إِلَيْهَا الصَّابِرُونَ عَلَى أَذَى الْمُخَالِفِينَ هُمْ أَشَدُّ هَؤُلاءِ غُرْبَةً، ولَكِنَّ هَؤُلاءِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ حَقّاً، فَلا غُرْبَةَ عَلَيهِم، وإِنَّمَا غُرْبَتُهُمْ بَيْنَ الأَكْثَرِينَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِم : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٦]. فَأُولَئِكَ هُمُ الْغُرَبَاءُ عَنِ اللَّهِ ورَسُولِهِ ودِيْنِهِ، وغُرْبَتُهُمْ هِيَ الْغُرْبَةُ الْمُوْحِشَةُ، وإِنْ كَانُوا هُمُ الْمَعْرُوفِينَ الْمُشَارَ إِلَيْهِمْ [١].

*****

(١) «مدارج السالكين» (١٥٧/٣) .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ الْعِشْرُوْنَ

فَضِيلَةٌ أُخْرَى لِلْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ :" **مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ** " (١). وفي رِوَايَةٍ قَالَ :" **إِنَّ أُنَاساً مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ بَعْدِي، يَودُّ أَحَدُهُمْ لَوِ اشْتَرَى رُؤْيَتِيْ بِأَهْلِهِ ومَالِهِ** " (٢) .

قوله: (**مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا**) فِيهِ بَيَانُ مُشَارَكَةِ مُتَأَخِّرِيْ هَذِهِ الأُمَّةِ لِمُتَقَدِّمِيهَا فِي مَحَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وتَقْدِيْمِهَا عَلَى كُلِّ مَحَبَّةٍ لِغَيرِهِ، مِنْ نَفْسٍ وَأَهْلٍ وَمَالٍ، وغَيرِ ذَلِكَ .

مَعْنَى الْحَدِيْثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

هَذَا الْحَدِيثُ يُبَيِّنُ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ أُمَّةٌ مُلْتَحِمَةٌ، بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ، مَرْصُوصَةٌ كَالْبُنْيَانِ، يَشْتَرِكُ أَوَّلُهَا مَعَ آخِرِهَا فِي مَحَبَّةِ نَبِيِّهَا ﷺ، والإِيْمَانِ بِهِ، وتَقْدِيْمِ مَحَبَّتِهِ ﷺ عَلَى كُلِّ مَحَبَّةٍ لِغَيْرِهِ، مِنْ نَفْسٍ وَأَهْلٍ وَمَالٍ، كَمَا سَبَقَ فِي حَدِيثِ :" **مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ، لا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيرٌ أَمْ آخِرُهُ** " (٣). فَكُلُّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَاتِ هَذِهِ الأُمَّةِ لَهَا خَاصِّيَّةٌ وفَضِيلَةٌ تُوجِبُ خَيْرِيَّتَهَا، فَإِنَّ الأَوَّلِينَ آمَنُوا بِمَا شَاهَدُوا مِنَ الْمُعْجِزَاتِ، وتَلَقَّوْا دَعْوَةَ الرَّسُولِ ﷺ بِالإِجَابَةِ وَالإِيْمَانِ، وَاجْتَهَدُوا مَعَهُ فِي نَشْرِ الدِّينِ، وبَثِّ الشَّرِيعَةِ، والآخِرِينَ آمَنُوا بِالْغَيبِ، لِمَا تَوَاتَرَ عِنْدَهُم مِنَ الآيَاتِ، وَاتَّبَعُوا مَنْ قَبْلَهُم بِالإِحْسَانِ (٤) .

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ فَضِيلَةَ الآخِرِينَ مِنْ أُمَّتِهِ، بِأَنَّهُم مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِهِ لَهُ حُبًّا، وأَنَّهُ سَيَكُونُ فِيهِم مَنْ يَوَدُّ لَوِ اشْتَرَى رُؤْيَتَهُ ﷺ بِأَهْلِهِ ومَالِهِ، وهَذَا مِنْ فَرَطِ حُبِّهِ لَهُ ﷺ، وشِدَّةِ تَعَلُّقِهِ بِهِ

---

(١) رواه مسلم برقم (٧٣٢٣) .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة (٦٩٩١) وقال : حديث صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي .

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) «مرقاة المفاتيح» (٤١٧/١١) و«فيض القدير» (٥١٦/٥) .

www.saida-islam.weebly.com

وبسُنَّتِهِ، عِلْماً وعَمَلاً، ودَعْوَةً وتَبْلِيغاً، فَهَذَا مِمَّا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ هَذِهِ الأُمَّةَ عَلَى الأُمَمِ السَّابِقَةِ، بِيَقِينِهِم وتَصْدِيقِهِم بِمَا أَخْبَرَ، وتَسْلِيمِهِم لِمَا أَمَرَ . وهَذَا مِنْ كَمَالِ يَقِينِ هَذِهِ الأُمَّةِ، كَمَا جَاءَ فِي الأَثَرِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :" **مَا أُعْطِيَتْ أُمَّةٌ مِنَ الْيَقِينِ أَفْضَلَ مِمَّا أُعْطِيَتْ أُمَّتِي** " (١) .

أَمَّا الأُمَمُ السَّابِقَةُ، فَإِنَّهُم عَلَى خِلافِ ذَلِكَ، فَقَومُ مُوسَى عليه السلام عَايَنُوا قُدْرَةَ الْخَالِقِ فِي شَقِّ الْبَحْرِ، ثُمَّ قَالُوا : اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً، ثُمَّ مَالَ كَثِيرٌ مِنْهُم إِلى عِبَادَةِ الْعِجْلِ، وعُرِضَتْ عَلَيهِمْ غَزَاةٌ، فَقَالُوا : اذْهَبْ أَنْتَ وربُّكَ فَقَاتِلا، إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ، ولَمْ يَقْبَلُوا التَّوْرَاةَ حَتَّى نُتِقَ عَلَيهِمُ الْجَبَلُ؛ ولَمَّا اخْتَارَ سَبْعِينَ مِنْهُم لِمِيقَاتِ رَبِّهِ، وَقَعَ مَا أَوْجَبَ تَزَلْزُلَ الْجَبَلِ بِهِمْ؛ وقَدْ أُمِرُوا بِقَولِ : «**حِطَّةٌ**» فَقَالُوا : «**حِنْطَةٌ**». وقِيلَ لَهُمُ : ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً، فَدَخَلُوا زَحْفاً؛ وقَالُوا عَنْ نَبِيِّهِمْ " آدَرُ ". وهَذَا فِي الأَوَّلِينَ مِنْهُم، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلآخِرِين، فَقَدْ آذَوُا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، بِأَنْ دَعَوْا لَهُ الْوَلَدَ، فَقَالُوا : عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ، كَمَا أَنَّهُم حَرَّفُوا كَلامَ اللَّهِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وكَتَبُوا كِتَاباً بِأَيْدِيهِمْ، وقَالُوا: هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً، فَقَبِلُوهُ وأَجْمَعُوا عَلَيهِ، لأَنَّهُم لَمْ يَكُونُوا يَحْفَظُونَهُ فِي صُدُورِهِم .

وأَمَّا النَّصَارَى، فَقَالُوا لِعِيسَى عليه السلام : هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَينَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ؟ وبَعْدَ رَفْعِهِ إِلى السَّمَاءِ اخْتَلَفُوا فِيهِ، قَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَولِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ** ﴾ [مريم :٣٤]، قَالَ : **اجْتَمَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَأَخْرَجُوا مِنْهُمْ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ، أَخْرَجَ كُلُّ قَوْمٍ عَالِمَهُمْ، فَامْتَرَوْا فِي عِيسَى حِينَ رُفِعَ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ : هُوَ اللَّهُ هَبَطَ إِلى الأَرْضِ، فَأَحْيَا مَنْ أَحْيَا، وَأَمَاتَ مَنْ أَمَاتَ، ثُمَّ صَعِدَ إِلى السَّمَاءِ، وَهُمُ الْيَعْقُوبِيَّةُ، فَقَالَ الثَّلاثَةُ : كَذَبْتَ، ثُمَّ قَالَ اثْنَانِ مِنْهُمْ لِلثَّالِثِ : قُلْ أَنْتَ فِيهِ، قَالَ : هُوَ ابْنُ اللَّهِ، وَهُمُ النَّسْطُورِيَّةُ، فَقَالَ الاِثْنَانِ : كَذَبْتَ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُ الاثْنَيْنِ لِلآخَرِ : قُلْ فِيهِ، قَالَ : هُوَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ اللَّهُ إِلَهٌ، وَهُوَ إِلَهٌ، وَأُمُّهُ إِلَهٌ، وَهُمُ**

(١) أخرجه الحكيم الترمذي عن سعد بن مسعود الكندي، كما في «كنز العمال» (٣٤٤٨٣) .

www.saida-islam.weebly.com

الإِسْرَائِيلِيَّةُ، وَهُمْ مُلُوكُ النَّصَارَى عَلَيهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ، قَالَ الرَّابِعُ : كَذَبْتَ، هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ، وَكَلِمَتُهُ، وَهُمُ الْمُسْلِمُونَ " (١) .

وقَدْ جَاءَ فِي فَضْلِ مُتَأَخِّرِيْ هَذِهِ الأُمَّةِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا :

عَنِ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ، قَالَ : قُلْتُ لأَبِي جُمْعَةَ – رَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ –: حَدِّثْنَا حَدِيثاً سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ : نَعَمْ، تَغَدَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ومَعَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! هَلْ أَحَدٌ خَيرٌ مِنَّا ؟ أَسْلَمْنَا مَعَكَ، وجَاهَدْنَا مَعَكَ . قَالَ :" **نَعَمْ، قَومٌ مِنْ بَعْدِكُمْ، يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْنِي** " (٢). وفي رِوَايَةٍ أُخْرَى : فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ مِنْ قَومٍ أَعْظَمُ مِنَّا أَجْراً ؟ آمَنَّا بِكَ وَاتَّبَعْنَاكَ، قَالَ :" **مَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ ذَلِكَ وَرَسُولُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، يَأْتِيكُمُ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ، بَلَى قَوْمٌ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ، يَأْتِيهِمْ كِتَابٌ بَيْنَ لَوْحَيْنِ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ، أُولَئِكَ أَعْظَمُ مِنْكُمْ أَجْرًا، أُولَئِكَ أَعْظَمُ مِنْكُمْ أَجْرًا، أُولَئِكَ مِنْكُمْ أَجْرًا** " (٣) .

وعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ جَالِساً، فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **أَتَدْرُونَ أَيُّ أَهْلِ الإِيْمَانِ أَفْضَلُ إِيْمَاناً ؟**" قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْمَلائِكَةُ . قَالَ :" **هُمْ كَذَلِكَ، ويَحِقُّ ذَلِكَ لَهُمْ، ومَا يَمْنَعُهُمْ وقَدْ أَنْزَلَهُمُ اللَّهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي أَنْزَلَهُم بِهَا، بَلْ غَيرُهُمْ** ". قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالى بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ . قَالَ :" **هُمْ كَذَلِكَ، ويَحِقُّ ذَلِكَ لَهُمْ، ومَا يَمْنَعُهُمْ وقَدْ أَنْزَلَهُمُ اللَّهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي أَنْزَلَهُم بِهَا، بَلْ غَيرُهُمْ** ". قَالَ : قُلْنَا : فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ :" **أَقْوَامٌ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِيْ فِي**

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤١٩١) والطبري في تفسيره (٢٣٧٢٢) وانظر «تفسير ابن كثير» (١٤٩/٣) .

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٦٩٧٦) والطبراني في الكبير (٣٥٣٨) والحاكم في المستدرك (٦٩٩٢) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي : وأحد أسانيد أحمد رجاله ثقات .

(٣) رواه الطبراني في الكبير عن أبي جمعة الأنصاري (٣٥٤٠) والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٢٨٠) وقال الهيثمي: رواه الطبراني واختلف في رجاله .

www.saida-islam.weebly.com

أَصْلاب الرِّجَال، فَيُؤْمِنُونَ بي وَلَمْ يَرَوْنِي، ويَجِدُونَ الْوَرَقَ الْمُعَلَّقَ، فَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ، فَهَؤُلاءِ أَفْضَلُ أَهْلِ الإِيْمَانِ إِيْمَانًا " (١) .

وهَؤُلاءِ سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِخْوَانَهُ، فَقَالَ :" **وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا** ". قَالُوا : أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ **اللَّهِ** ؟ قَالَ :" **أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ** "(٢).

وقَدْ بَيَّنَ ﷺ عِظَمَ أُجُورِهِمْ عِنْدَ اشْتِدَادِ الْفِتَنِ، فَقَالَ :" **فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّاماً الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ أَجْرُ خَمْسِيْنَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثلَ عَمَلِكُمْ** ". قِيلَ: يَا رَسُولَ **اللَّهِ** ! أَجْرُ خَمْسِيْنَ مِنَّا أَوْ مِنهُمْ ؟ قَالَ :" **بَلْ أَجْرُ خَمْسِيْنَ مِنْكُمْ** " (٣) .

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (١٦٠) والحاكم في المستدرك (٦٩٩٣) وقال : صحيح الإسناد . وقال الذهبي : بل محمد بن أبي حميد ضعفوه . وقال الهيثمي : رواه أبو يعلى والبزار، وقال : الصواب أنه مرسل عن زيد بن أسلم، وأحد إسنادي البزار المرفوع حسن، المنهال بن بحر وَثَّقَهُ أبو حاتم وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة (٦٠٧) .

(٣) رواه أبو داوود عن أبي ثعلبة الخشني برقم (٤٣٤١) ورواه الترمذي برقم (٣٠٥٨) وقال حديث حسن غريب. وابن ماجه (٤٠١٤) و الحاكم في المستدرك (٧٩١٢) وقال : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي: رواه البزار والطبراني بنحوه – عن ابن مسعود – إلاَّ أَنَّه قال :" **لِلْمُتَمَسِّكِ أَجْرُ خَمْسِيْنَ شَهِيْداً**. فقال عُمَرُ: يا رسول **اللَّهِ**! مِنَّا أَوْ مِنهُمْ؟ قال: "**مِنْكُمْ**". ورجال البزار رجال الصحيح غير سهل بن عامر البجلي وثَّقه ابن حبان. وقال القرطبي في «المفهم» (٤٥٢/١) : هذا إنما هو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه قد قال ﷺ في آخِرِهِ :" **لأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الْخَيرِ أَعْوانًا، ولا يَجِدُونَ** ". وقال ابن العربي في «أحكام القرآن» (٣٤٥/٣): تَذَاكَرْت بِالْمَسْجِدِ الأَقْصَى طَهَّرَهُ **اللَّهُ** مَعَ شَيْخِنَا أَبِي بَكْرٍ الْفِهْرِيِّ – الطُّرطُوشِيِّ – هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ، وَقَوْلَهُ ﷺ فِيهِ :" **إنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ لِلْعَامِلِ فِيهَا أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ** . **فَقَالُوا: بَلْ مِنْهُمْ. فَقَالَ: بَلْ مِنْكُمْ؛ لأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانًا، وَهُمْ لا يَجِدُونَ عَلَيْهِ أَعْوَانًا**"، وَتَفَاوَضْنَا كَيْفَ يَكُونُ أَجْرُ مَنْ يَأْتِي مِنَ الأُمَّةِ أَضْعَافَ أَجْرِ الصَّحَابَةِ، مَعَ أَنَّهُمْ أَسَّسُوا الإِسْلامَ، وَعَضَّدُوا الدِّينَ، وَأَقَامُوا الْمَنَارَ، وَافْتَتَحُوا الأَمْصَارَ، وَحَمَوُا الْبَيْضَةَ، وَمَهَّدُوا الْمِلَّةَ ؟ فَتَرَاجَعْنَا الْقَوْلَ فَكَانَ الَّذِي تَنَخَّلَ مِنْ الْقَوْلِ الإِشَارَةُ إِلَيْهِ أَنَّ الصَّحَابَةَ كَانَ لَهُمْ أَعْمَالٌ كَثِيرَةٌ فِيهَا مَا تَقَدَّمَ سَرْدُهُ؛ وَذَلِكَ لا يَلْحَقُهُمْ فِيهِ أَحَدٌ، وَلا يُدَانِي شَأْوَهُمْ فِيهَا بَشَرٌ، وَالأَعْمَالُ سِوَاهَا مِنْ فُرُوعِ الدِّينِ يُسَاوِيهِمْ فِيهَا فِي الأَجْرِ مَنْ أَخْلَصَ إِخْلاصَهُمْ، وَخَلَّصَهَا مِنْ شَوَائِبِ الْبِدَعِ وَالرِّيَاءِ بَعْدَهُمْ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ بَابٌ عَظِيمٌ هُوَ ابْتِدَاءُ الدِّينِ وَالإِسْلامِ، وَهُوَ أَيْضًا انْتِهَاؤُهُ؛ وَقَدْ كَانَ قَلِيلاً فِي ابْتِدَاءِ الإِسْلامِ، صَعْبَ الْمَرَامِ لِغَلَبَةِ الْكُفَّارِ عَلَى الْحَقِّ، وَفِي آخِرِ الزَّمَانِ أَيْضًا يَعُودُ كَذَلِكَ بِوَعْدِ الصَّادِقِ ﷺ بِفَسَادِ=

www.saida-islam.weebly.com

وقَالَ ﷺ في حقِّهِمْ :" **طُوْبَى لِمَنْ رَآني وآمَنَ بي، وطُوْبَى لِمَنْ آمَنَ بي ولَمْ يَرَني سَبْعَ مَرَّاتٍ**" (١). وقَالَ :" **بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**"(٢).

فَهَذِهِ الأَحَادِيثُ وغَيرُهَا، تُبَيِّنُ فَضْلَ آخِرِ الأُمَّةِ، وأَنَّ غَرْسَ هَذَا الدِّينِ لا يَنْقَطِعُ إلى أَنْ يَشَاءَ **اللهُ**، كَمَا قَالَ ﷺ :" **لاَ يَزَالُ اللهُ تَعَالى يَغْرِسُ في هَذَا الدِّينِ غَرْساً، يَسْتَعْمِلُهُمْ في طَاعَتِهِ** " (٣) .

فَلا يَزَالُ **اللهُ** يَسْتَعْمِلُ أَقْوَاماً مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، يُقِيمُ بِهِمْ أَوَامِرَهُ، ويُجَدِّدُ بِهِمْ دِينَهُ، ويَجْعَلُ هَمَّهُم وجُهْدَهُم في إِحْيَاءِ دِينِهِ ونَشْرِهِ في الْعَالَمِ كُلِّهِ؛ جَعَلَنَا **اللهُ** مِنْهُم بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ.

تَنْبِيهٌ : بَيَانُ النَّبِيِّ ﷺ لِفَضِيلَةِ إِيْمَانِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ وعِظَمِ أُجُورِهِمْ، لا يَدُلُّ عَلَى أَفْضَلِيَّتِهِم عَلَى الصَّحَابَةِ مُطْلَقاً، بَلْ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ، وهِيَ إِيْمَانُهُم بِالْغَيبِ دُونَ رُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ ومُعْجِزَاتِهِ، أَمَّا الْفَضِيلَةُ الْمُطْلَقَةُ مِنْ أَكْثَرِ الْوُجُوهِ، فَلا شَكَّ أَنَّ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم لا

=الزَّمَانِ، وَظُهُورِ الْفِتَنِ، وَغَلَبَةِ الْبَاطِلِ، وَاسْتِيلاءِ التَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ عَلَى الْحَقِّ مِنَ الْخَلْقِ، وَرُكُوبِ مَنْ يَأْتِي سَنَنَ مَنْ مَضَى مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، كَمَا قَالَ ﷺ :" **لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ خَرِبٍ لَدَخَلْتُمُوهُ** ". وَقَالَ ﷺ :" **بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ** ". قَالَ عُلَمَاؤُنَا : فَلا بُدَّ – وَ**اللهُ** أَعْلَمُ – بِحُكْمِ هَذَا الْوَعْدِ الصَّادِقِ أَنْ يَرْجِعَ الإِسْلامُ إِلَى وَاحِدٍ كَمَا بَدَأَ مِنْ وَاحِدٍ، وَيَضْعُفَ الأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا قَامَ بِهِ قَائِمٌ مَعَ احْتِوَاشِهِ بِالْمَخَاوِفِ، وَبَاعَ نَفْسَهُ مِنَ **اللهِ** ﷻ فِي الدُّعَاءِ إِلَيْهِ كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ أَضْعَافُ مَا كَانَ لِمَنْ كَانَ مُتَمَكِّنًا مِنْهُ مُعَانًا عَلَيْهِ بِكَثْرَةِ الدُّعَاةِ إِلَى **اللهِ** ﷻ وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ : "**لأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانًا، وَهُمْ لا يَجِدُونَ إِلَيْهِ أَعْوَانًا**". حَتَّى يَنْقَطِعَ ذَلِكَ انْقِطَاعًا بَاتًّا، لِضَعْفِ الْيَقِينِ، وَقِلَّةِ الدِّينِ .

(١) رواه أحمد في مسنده عن أبي أمامة (٢٢١٣٨)، (٢٢٢١٤) والطبراني في الكبير (٨٠٠٩)، (٨٠١٠) وابن حبان في صحيحه (٧٢٣٢) وقال الهيثمي في المجمع : رواه أحمد والطبراني بأسانيد، ورجالهما رجال الصحيح غير أيمن ابن مالك الأشعري وهو ثقة .

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة (٣٨٩) .

(٣) رواه أحمد في مسنده عن أبي عنبة الخولاني (١٧٧٨٧) وابن ماجه في سننه برقم (٨) وابن حبان في صحيحه (٣٢٦) وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» : هذا إسناد صحيح ورجاله كلهم ثقات .

www.saida-islam.weebly.com

يُنَازَعُونَ فِيهَا كَمَا قَالَ ﷺ :" خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"(١) . وقَالَ :" لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ " (٢). وقَالَ :" النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ " (٣) .

وقَالَ عَبدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه :" إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ ". وفِي رِوَايَةٍ :" فَجَعَلَهُمْ أَنْصَارَ دِينِهِ " (٤). وقَالَ رضي الله عنه :" مَنْ كَانَ مُسْتَنّاً فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ الْحَيَّ لا تُؤْمَنُ عَلَيهِ الْفِتْنَةُ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَانُوا أَفْضَلَ هَذِهِ الأُمَّةِ: أَبَرَّهَا قُلُوباً، وأَعْمَقَهَا عِلْماً، وأَقَلَّهَا تَكَلُّفاً، قَومٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ، ولإِقَامَةِ دِينِهِ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ، وَاتَّبِعُوهُمْ عَلَى أَثَرِهِمْ، وتَمَسَّكُوا بِمَا اسْتَطَعْتُم مِنْ أَخْلاقِهِم وسِيَرِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ " (٥) .

---

(١) رواه البخاري عن ابن مسعود (٢٦٥٢)، (٣٦٥١) ومسلم (٦٦٣٥) .

(٢) رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري (٣٦٧٣) ومسلم (٦٦٥١) .

(٣) رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري (٦٦٢٩) .

(٤) رواه أحمد في مسنده برقم (٣٦٠٠) واللفظ له، والطبراني في الكبير برقم (٨٥٠٤) والبزار في مسنده برقم (١٨١٦) وقال الهيثمي في المجمع: رجاله موثقون. وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة»: هو موقوف حسن .

(٥) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٩٢٦) والبغوي في «شرح السنة» (٢١٤/١) وذكره التبريزي في «مشكاة المصابيح» رقم (١٩٣)، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» عن ابن عمر (٣٠٥/١) وإسناده حسن .

www.saida-islam.weebly.com

إلى غَيرِ ذَلِكَ مِنَ الأَحَادِيثِ وَالآثَارِ الْكَثِيرَةِ، والَّتِي تَدُلُّ عَلَى أَفْضَلِيَّةِ الصَّحَابَةِ عَلَى مَنْ بَعْدَهُم مِنْ أَكْثَرِ وُجُوهِ التَّفْضِيلِ .

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : إنَّ مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ ورَآهُ، ولَوْ مَرَّةً مِنْ عُمُرِهِ، أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ مَنْ يَأْتِي بَعْدَهُ، وإنَّ فَضِيلَةَ الصُّحْبَةِ لا يَعْدِلُهَا عَمَلٌ، وهُوَ الْحَقُّ الَّذِي لا يَنْبَغِي أَنْ يُصَارَ لِغَيرِهِ، لأُمُورٍ :

أَوَّلُهَا : مَزِيَّةُ الصُّحْبَةِ ومُشَاهَدَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وثَانِيهَا : فَضِيلَةُ السَّبْقِ لِلإِسْلامِ .

وثَالِثُهَا : خُصُوصِيَّةُ الذَّبِّ عَنْ حَضْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

ورَابِعُهَا : فَضِيلَةُ الْهِجْرَةِ والنُّصْرَةِ .

وخَامِسُهَا : ضَبْطُهُمْ لِلشَّرِيعَةِ، وحُفْظُهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وسَادِسُهَا : تَبْلِيغُهَا لِمَنْ بَعْدَهُمْ .

وسَابِعُهَا : السَّبْقُ فِي النَّفَقَةِ فِي أَوَّلِ الإِسْلامِ .

وثَامِنُهَا : أَنَّ كُلَّ خَيرٍ وفَضْلٍ وعِلْمٍ وجِهَادٍ ومَعْرُوفٍ فُعِلَ فِي الشَّرِيعَةِ إلى يَومِ الْقِيَامَةِ، فَحَظُّهُمْ مِنْهُ أَكْمَلُ حَظٍّ، وثَوَابُهُم فِيهِ أَجْزَلُ ثَوَابٍ؛ لأَنَّهُم سَنُّوا سُنَنَ الْخَيرِ، وَافْتَتَحُوا أَبْوَابَهُ .

وقَدْ قَالَ ﷺ :" **مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً، كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إلى يَومِ الْقِيَامَةِ** " [(١)]، ولاشَكَّ فِي أَنَّهُمُ الَّذِينَ سَنُّوا جَمِيعَ السُّنَنِ، وسَابَقُوا إلى الْمَكَارِمِ،

(١) رواه مسلم عن جرير برقم (٣٢٩٨) .

www.saida-islam.weebly.com

ولَوْ عُدِّدَتْ مَكَارِمُهُمْ، وفُسِّرَتْ خَوَاصُّهُمْ وحُصِرَتْ، لَمَلأَتْ أَسْفَارًا، ولَظَلَّتِ الأَعْيُنُ بِمُطَالَعَتِهَا حَيَارَى .

وكَفَى مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ثَنَاءُ اللهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى عَلَيهِمْ جُمْلَةً وتَفْصِيلاً، وتَعْيِيْنًا وإِبْهَامًا، ولَمْ يَحْصُلْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ (١) .

*****

(١) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (١/٤٥٠ -٤٥١) .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ الْحَادِيْ وَالْعِشْرُوْنَ

هَذِهِ الأُمَّةُ هُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ : مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : "وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ ". وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : "وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ ". قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه : فِدًى لَكَ أَبِي وَأُمِّي، مُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْراً، فَقُلْتَ :" وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ ". وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرّاً، فَقُلْتَ :" وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ !". فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ" [(١)] .

قوله: (مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ) قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِيهِ قَوْلانِ لِلْعُلَمَاءِ:

أَحَدهُمَا : أَنَّ هَذَا الثَّنَاءَ بِالْخَيْرِ لِمَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ أَهْلُ الْفَضْلِ، فَكَانَ ثَنَاؤُهُمْ مُطَابِقًا لأَفْعَالِهِ، فَيَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَيْسَ هُوَ مُرَادًا بِالْحَدِيثِ .

وَالثَّانِي : وَهُوَ الصَّحِيحُ الْمُخْتَارُ، أَنَّهُ عَلَى عُمُومِهِ وَإِطْلاقِهِ، وَأَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ مَاتَ فَأَلْهَمَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ النَّاسَ أَوْ مُعْظَمَهُمُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ، كَانَ ذَلِكَ دَلِيلاً عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، سَوَاءٌ كَانَتْ أَفْعَالُهُ تَقْتَضِي ذَلِكَ أَمْ لا، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ أَفْعَالُهُ تَقْتَضِيهِ فَلا تُحَتَّمُ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةُ، بَلْ هُوَ فِي خَطَرِ الْمَشِيئَةِ، فَإِذَا أَلْهَمَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ النَّاسَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ اسْتَدْلَلْنَا بِذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ شَاءَ الْمَغْفِرَةَ لَهُ، وَبِهَذَا تَظْهَرُ فَائِدَةُ الثَّنَاءِ [(٢)]؛ فَيَكُونُ هَذَا نَتِيجَةَ سَتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَلِهَذَا نَحْنُ مَأْمُورُونَ بِسَتْرِ الْمَعَاصِي، وَقَالَ ﷺ :" كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ "[(٣)]؛

---

(١) رواه البخاري برقم (١٣٦٧) ومسلم برقم (٢٢٤٣) واللفظ له .

(٢) «شرح مسلم للنووي» (٢٢/٧ -٢٣) .

(٣) رواه البخاري عن أبي هريرة (٦٠٦٩) .

www.saida-islam.weebly.com

والأَظْهَرُ أَنَّ هَذَا أَمْرٌ غَالِبِيٌّ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُنْطِقُ الأَلْسِنَةَ فِي حَقِّ كُلِّ إِنْسَانٍ بِمَا يَعْلَمُهُ مِنْ سَرِيرَتِهِ الَّتِي لا يَطَّلِعُ عَلَيهَا غَيرُهُ، ولِذَا قِيلَ : **أَلْسِنَةُ الْخَلْقِ أَقْلامُ الْحَقِّ** (١) .

كَمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى لِلْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ :" **إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مَلائِكَةً فِي الأَرْضِ تَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَةِ بَنِي آدَمَ بِمَا فِي الْمَرْءِ مِنَ الْخَيْرِ والشَّرِّ** " (٢) . أَيْ كَأَنَّهَا تُرَكِّبُ أَلْسِنَتُهَا عَلَى أَلْسِنَتِهِم كَمَا فِي التَّابِعِ والْمَتْبُوعِ مِنَ الْجِنِّ، لأَنَّ مَادَّةَ الطَّهَارَةِ إِذَا غَلَبَتْ فِي شَخْصٍ وَاسْتَحْكَمَتْ صَارَ مَظْهَراً لِلأَفْعَالِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي هِيَ عِنْوَانُ السَّعَادَةِ، فَيَسْتَفِيضُ ذَلِكَ عَلَى الأَلْسِنَةِ، وضِدُّهُ مِن اسْتَحْكَمَتْ فِيهِ مَادَّةُ الْخُبْثِ، ومِنْ ثَمَّ لَمْ تَزَلْ سُنَّةُ اللَّهِ جَارِيَةً فِي عَبِيدِهِ بِإِطْلاقِ الأَلْسِنَةِ بِالثَّنَاءِ والْمَدْحِ لِلطَّيِّبِينَ الأَخْيَارِ، وبِالثَّنَاءِ والذَّمِّ لِلْخَبِيثِينَ الأَشْرَارِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، ويَنْكَشِفُ الْغِطَاءُ بِالْكُلِّيَّةِ يَومَ الْقَرَارِ (٣) .

وقَالَ ﷺ :" **يُوْشِكُ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ** ". أَوْ قَالَ :" **خِيَارَكُم مِنْ شِرَارِكُم** ". قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! بِمَاذَا ؟ قَالَ :" **بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ والثَّنَاءِ السَّيِّءِ، أَنْتُم شُهَدَاءُ، بَعْضُكُم عَلَى بَعْضٍ** " (٤). وقَالَ ﷺ :" **مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَشْهَدُ لَهُ أَرْبَعَةٌ مِنْ أَهْلِ أَبْيَاتٍ مِنْ جِيرَانِهِ الأَدْنَيْنَ أَنَّهُم لا يَعْلَمُونَ عَنْهُ إِلاَّ خَيراً إِلاَّ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى: قَدْ قَبِلْتُ قَولَكُم – أَوْ قَالَ : شَهَادَتَكُم –، وغَفَرْتُ لَهُ مَا لا تَعْلَمُونَ** " (٥) .

---

(١) «مرقاة المفاتيح» (١٣٢/٤) .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك عن أنس برقم (١٣٩٧) وقال : صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي . ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» من طريقه (٩٣١٨) .

(٣) «فيض القدير» (٦١٨/٢) .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك عن أبي زهير الثقفي برقم (٤١٣) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

(٥) رواه أحمد في مسنده عن أنس بن مالك (١٣٥٤١) وأبو يعلى في مسنده (٣٤٨١) والحاكم في المستدرك (١٣٩٨) واللفظ له، وقال : صحيح على شرط مسلم، وأقره الذهبي . وقال الهيثمي في المجمع : رجال أحمد رجال الصحيح .

www.saida-islam.weebly.com

وفي رِوَايَةٍ قَالَ ﷺ :" **أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ** " . فَقُلْنَا : وثَلاثَةٌ ؟ قَالَ : "**وثَلاثَةٌ** ". قُلْنَا : وَاثْنَانِ ؟ قَالَ :" **وَاثْنَانِ** ". ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الْوَاحِدِ [١] .

وجَاءَ رَجُلٌ إِلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُ بِهِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، قَالَ :" **كُنْ مُحْسِناً** ". قَالَ : كَيفَ أَعْلَمُ أَنِّي مُحْسِنٌ ؟ قَالَ :" **سَلْ جِيرَانَكَ، فَإِنْ قَالُوا : إِنَّكَ مُحْسِنٌ، فَأَنْتَ مُحْسِنٌ، وإِنْ قَالُوا : إِنَّكَ مُسِيءٌ، فَأَنْتَ مُسِيءٌ** " [٢]. وسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مَنْ أَهْلُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ :" **مَنْ لا يَمُوتُ حَتَّى تُمْلأَ أُذُنَاهُ مِمَّا يُحِبُّ** ". قِيلَ : مَنْ أَهْلُ النَّارِ ؟ قَالَ :" **مَنْ لا يَمُوتُ حَتَّى تُمْلأَ أُذُنَاهُ مِمَّا يَكْرَهُ**" [٣]. وذَلِكَ لأَنَّ مَدْحَ الْمُسْلِمِينَ لِشَخْصٍ مِنْ عَاجِلِ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ بِقَبُولِهِ عِنْدَ اللَّهِ، كَمَا أَنَّ وَضْعَ الْقَبُولِ لِشَخْصٍ فِي الأَرْضِ دَلِيلٌ عَلَى حُبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِهَذَا الشَّخْصِ .

وقَالَ كَعْبُ الأَحْبَارِ رَحِمَهُ اللَّهُ :" **إِذَا أَحْبَبْتُم أَنْ تَعْلَمُوا مَا لِلْعَبْدِ عِنْدَ رَبِّهِ، فَانْظُرُوا مَاذَا يَتْبَعُهُ مِنْ حُسْنِ الثَّناءِ** " [٤]. قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : يَعْنِي بَعْدَ مَوْتِهِ، واللَّهُ أَعْلَمُ [٥] .

قوله: (**وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ**) قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ مُكِّنُوا بِالثَّنَاءِ بِالشَّرِّ، مَعَ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فِي الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ فِي النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الأَمْوَاتِ؟ فَالْجَوَابُ : أَنَّ النَّهْيَ عَنْ سَبِّ الأَمْوَاتِ هُوَ فِي غَيْرِ الْمُنَافِقِ وَسَائِرِ الْكُفَّارِ، وَفِي غَيْرِ الْمُتَظَاهِرِ بِفِسْقٍ أَوْ بِدْعَةٍ، فَأَمَّا هَؤُلاءِ فَلا يَحْرُمُ ذِكْرُهُمْ بِشَرٍّ لِلتَّحْذِيرِ مِنْ طَرِيقَتِهِمْ، وَمِنَ الاِقْتِدَاءِ بِآثَارِهِمْ وَالتَّخَلُّقِ بِأَخْلاقِهِمْ، وَهَذَا الْحَدِيثُ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّ الَّذِي أَثْنَوْا عَلَيْهِ

---

(١) رواه البخاري عن عمر بن الخطاب برقم (١٣٦٨)، (٢٦٤٣) .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة (١٣٩٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي . ومن طريقه أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٢٧٨) .

(٣) رواه الحاكم في المستدرك عن أنس بن مالك (١٤٠٠) وقال : صحيح على شرط مسلم، وأقره الذهبي . ورواه ابن ماجه بمعناه (٤٢٢٤) وقال البوصيري في الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات .

(٤) رواه مالك في الموطأ برقم (١٦٧١) .

(٥) «الاستذكار» لابن عبد البر (٢٧٨/٨) .

www.saida-islam.weebly.com

شَرًّا كَانَ مَشْهُورًا بِنِفَاقٍ أَوْ نَحْوِهِ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ [١]. ويَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا جَاءَ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يُصَلِّ عَلَى الَّذِيْ أَثْنَوْا عَلَيهِ بِشَرٍّ، وصَلَّى عَلَى الآخَرِ [٢].

قوله: (أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ) وفي رِوَايَةٍ :" **الْمَلائِكَةُ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ، وأَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ، فَمَا شَهِدْتُم عَلَيهِ مِنْ شَيْءٍ وَجَبَ** ". وذَلِكَ قَولُهُ ﷻ : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة التوبة:١٠٥] [٣] . وَالْمُخَاطَبُونَ بِذَلِكَ هُمُ الصَّحَابَةُ ﭫ ومَنْ كَانَ عَلَى صِفَتِهِم مِنَ الإِيْمَانِ، كَمَا في رِوَايَةٍ : "**الْمُؤْمِنُونَ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ** " [٤]. فَهُمْ عُدُولٌ بِتَعْدِيلِ اللَّهِ ﷻ إِيَّاهُمْ، فَإِذَا شَهِدُوا عَلَى إِنْسَانٍ بِصَلاحٍ أَوْ فَسَادٍ قَبِلَ اللَّهُ شَهَادَتَهُم، ويَتَجَاوَزُ عَمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ فِي عِلْمِهِ فَضْلاً مِنْهُ وكَرَامَةً لأَوْلِيَائِهِ .

قَالَ الطِّيْبِيُّ ﭬ : الإِضَافَةُ لِلتَّشْرِيفِ، وأَنَّهُم بِمَكَانَةٍ ومَنْزِلَةٍ عَالِيَةٍ عِنْدَ اللَّهِ، كَمَا أَنَّ الْمَلائِكَةَ كَذَلِكَ؛ وهَذَا تَزْكِيَةٌ مِنَ الْمُصْطَفَى ﷺ لأُمَّتِهِ، وإِظْهَارٌ لِعَدَالَتِهِم، وأَنَّ اللَّهَ ﷻ يَقْبَلُ شَهَادَتَهُم، ويُصَدِّقُ ظُنُونَهُم إِكْرَاماً وتَفْضِيلاً .

وقَالَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ ﭬ : لَمَّا جَعَلَ الْمُؤْمِنِينَ شُهُوداً، دَلَّ عَلَى أَنَّهُ ﷻ لا يُظْهِرُ قُبْحَ فِعْلِهِم يَومَ الْقِيَامَةِ، إِذْ لَوْ أَظْهَرَ ذَنْبَهُم صَارَتْ شَهَادَتُهُم مَرْدُودَةً، وذَلِكَ لا يَلِيْقُ بِحِكْمَةِ الْحَكِيمِ [٥] .

---

(١) «شرح مسلم للنووي» (٢٣/٧) .

(٢) رواه أحمد في مسنده عن أبي قتادة . وقال الحافظ ابن حجر في الفتح : بإسناد صحيح .

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره عن سلمة بن الأكوع (٢١٨٥) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٧٨٧) وبمعناه الطبراني في الكبير (٦٢٦٢) والنسائي في سننه عن أبي هريرة (١٩٣٣) وإسناده صحيح .

(٤) رواه البخاري عن أنس برقم (٢٦٤٢) .

(٥) «فيض القدير» (٦٩/٣) .

www.saida-islam.weebly.com

مَعْنَى الْحَدِيْثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ في هَذَا الْحَدِيثِ رِفْعَةَ مَقَامِ هَذِهِ الأُمَّةِ عِنْدَ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وعِظَمَ شَأْنِهَا عِنْدَهُ، حَيْثُ إِنَّهُ جَعَلَ شَهَادَةَ بَعْضِهِم عَلَى بَعْضٍ شَهَادَةً مَقْبُولَةً عِنْدَهُ؛ وفي هَذَا تَزْكِيَةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لأُمَّتِهِ، وإِظْهَارٌ لِعَدَالَتِهِم بَعْدَ أَدَاءِ شَهَادَتِهِم لِصَاحِبِ الْجَنَازَةِ، وهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَهَا أَثَراً ونَفْعاً كَالدُّعَاءِ وَالشَّفَاعَةِ، فَيُوجِبُ لَهُمُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ، عَلَى سَبِيلِ الْوَعْدِ والْوَعِيدِ، لأَنَّ وَعْدَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَقٌّ، لا بُدَّ مِنْ وُقُوعِهِ، فَهُوَ كَالْوَاجِبِ .

وإِلى مَعْنَى الْحَدِيثِ يَرْمِزُ قَولُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة :١٤٣]، أَيْ جَعَلْنَاكُمْ عُدُولاً خِيَاراً، لِتَشْهَدُوا عَلَى غَيرِكُمْ، ويَكُونَ الرَّسُولُ رَقِيباً عَلَيكُمْ، مُزَكِّياً لَكُمْ، ويُبَيِّنَ عَدَالَتَكُمْ .

كَمَا أَنَّ فِيهِ إِشَارَةً إِلى أَنَّهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْمَلائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ الْمُطَّلِعِينَ عَلَى أَعْمَالِ الْعِبَادِ في السَّمَاءِ؛ واللهُ أَعْلَمُ [١] .

*****

(١) «مرقاة المفاتيح» (٤/١٣٢) .

www.saida-islam.weebly.com

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ الثَانِيْ وَالْعِشْرُوْنَ

هَذِهِ الأُمَّةُ هُمُ الآخِرُونَ زَمَانًا، السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلائِقِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ

عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ :" **نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، الْيَهُودُ غَدًا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ**" (١).

وفي رِوَايَةٍ :" **نَحْنُ الآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلائِقِ** "(٢). وفي أُخْرَى :" **وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ** " (٣) .

قوله: (**نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) أَي الآخِرُونَ زَمَانًا، الأَوَّلُونَ مَنْزِلَةً وكَرَامَةً يَومَ الْقِيَامَةِ، وَالْمُرَادُ أَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ وَإِنْ تَأَخَّرَ وُجُودُهَا فِي الدُّنْيَا عَنِ الأُمَمِ الْمَاضِيَةِ فَهِيَ سَابِقَةٌ لَهُمْ فِي الآخِرَة، بِأَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ يُحْشَرُ، وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، وَأَوَّلُ مَنْ يُقْضَى بَيْنَهُمْ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ (٤). وهَذَا كُلُّهُ شَرَفٌ لِهَذِهِ الأُمَّةِ بِشَرَفِ نَبِيِّهَا ﷺ، ولأَنَّهُمْ خَيرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ (٥) .

قوله: (**بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا**) قَالَ أَبُو عُبَيدٍ رَحِمَهُ اللهُ : لَفْظَةُ «**بَيْدَ**» تَكُونُ بِمَعْنَى «**غَيرٍ**»، وبِمَعنَى «**عَلَى**» وبِمَعنَى «**مِنْ أَجْلِ**» وكُلُّهُ صَحِيحٌ هُنَا (٦)، وَالْمُرَادُ بِالْكِتَابِ

---

(١) رواه البخاري برقم (٨٧٦)، (٨٩٦)، (٣٤٨٦) ومسلم من (٢٠١٥) إلى (٢٠١٩) .

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة وحذيفة برقم (٢٠١٩) .

(٣) رواه مسلم (٢٠١٧) .

(٤) «فتح الباري» بتصرف يسير (٢/٣٥٤) .

(٥) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٣/٣٦٤) .

(٦) «شرح مسلم للنووي» (٣/٢٢٣) .

www.saida-islam.weebly.com

هُوَ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ، وفي رِوَايَةٍ في الصَّحِيحَين :" **وَأُوْتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ** ". أَي الْقُرْآنَ .

قوله: (**ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ**) قَالَ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللَّهُ : الظَّاهِرُ أَنَّهُ فُرِضَ عَلَيْهِمْ تَعْظِيمُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ بِغَيْرِ تَعْيِينٍ وَوُكِلَ إِلَى اجْتِهَادِهِمْ، لِإِقَامَةِ شَرَائِعِهِمْ فِيهِ، فَاخْتَلَفَ اجْتِهَادُهُمْ فِي تَعْيِينِهِ وَلَمْ يَهْدِهِمُ اللَّهُ لَهُ، وَفَرَضَهُ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مُبَيَّناً، وَلَمْ يَكِلْهُ إِلَى اجْتِهَادِهِمْ فَفَازُوا بِتَفْضِيلِهِ. قَالَ : وَقَدْ جَاءَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَهُمْ بِالْجُمُعَةِ وَأَعْلَمَهُمْ بِفَضْلِهَا فَنَاظَرُوهُ أَنَّ السَّبْتَ أَفْضَلُ، فَقِيلَ لَهُ : دَعْهُمْ . قُلْتُ – أَي النَّوَوِيُّ –: وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أُمِرُوا بِهِ صَرِيحًا وَنُصَّ عَلَى عَيْنِهِ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، هَلْ يَلْزَمُ تَعْيِينُهُ أَمْ لَهُمْ إِبْدَالُهُ ؟ وَأَبْدَلُوهُ وَغَلِطُوا فِي إِبْدَالِهِ [١]. وَيَشْهَدُ لَهُ مَا رَوَاهُ الطَّبَرِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ** ﴾ [**النحل : ١٢٤**]. قَالَ : **أَرَادُوْا الْجُمُعَةَ فَأَخْطَئُوْا، فَأَخَذُوا السَّبْتَ مَكَانَهُ** [٢] .

قوله: (**فَهَدَانَا اللَّهُ**) يَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِأَنْ نَصَّ لَنَا عَلَيهِ، وَأَنْ يُرَادَ الْهِدَايَةَ إِلَيهِ بِالاِجْتِهَادِ، وَيَشْهَدُ لِلثَّانِي مَا رَوَاهُ عَبدُ الرَّزَّاقِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : "**جَمَّعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ يَقْدَمَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ الْجُمُعَةُ، فَقَالَتِ الأَنْصَارُ : إِنَّ لِلْيَهُودِ يَوماً يَجْتَمِعُونَ فِيهِ كُلَّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، وَلِلنَّصَارَى كَذَلِكَ، فَهَلُمَّ فَلْنَجْعَلْ يَوماً نَجْتَمِعُ فِيهِ، فَنَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى، وَنُصَلِّي وَنَشْكُرُهُ، فَجَعَلُوهُ يَومَ الْعَرُوبَةِ، وَاجْتَمَعُوا إِلَى أَسْعَدِ بْنِ زُرَارَةَ فَصَلَّى بِهِمْ يَومَئِذٍ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعدَ ذَلِكَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ﴾ [الجمعة:٩]** [٣] .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) أخرجه ابن جرير والطبري في تفسيره عن قتادة (٢١٩٩١)، وأخرجه عن ابن زيد بلفظ:" **وكَانُوا يَطْلُبُونَ يَومَ الْجُمُعَةِ فَأَخْطَئُوهُ، وأَخَذُوا يَومَ السَّبْتِ، فَجَعَلَهُ عَلَيهِمْ** " (٢١٩٩٤) .

(٣) رواه عبدالرزاق في مصنفه بنحوه برقم (٥١٤٤) .

www.saida-islam.weebly.com

فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أُولَئِكَ الصَّحَابَةَ اخْتَارُوا يَومَ الجُمُعَةِ بالاِجْتِهَادِ، ولا يَمْنَعُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِمَهُ بالْوَحْيِ وهُوَ بِمَكَّةَ، فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ إِقَامَتِهَا، ولِذَلِكَ جَمَّعَ بِهِمْ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ كَمَا حَكَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ وغَيرُهُ، وعَلَى هَذَا فَقَدْ حَصَلَتِ الْهِدَايَةُ لِلْجُمُعَةِ بِجِهَتَيِ الْبَيَانِ وَالتَّوْفِيقِ؛ وقِيلَ فِي الْحِكْمَةِ فِي اخْتِيَارِهِمُ الْجُمُعَةَ : وُقُوعُ خَلْقِ آدَمَ فِيهِ، وَالإِنْسَانُ إِنَّمَا خُلِقَ لِلْعِبَادَةِ، فَنَاسَبَ أَنْ يَشْتَغِلَ بِالْعِبَادَةِ فِيهِ، ولأَنَّ اللَّهَ ﷻ أَكْمَلَ فِيهِ الْمَوجُودَاتِ، وَأَوْجَدَ فِيهِ الإِنْسَانَ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهَا، فَنَاسَبَ أَنْ يَشْكُرَ عَلَى ذَلِكَ بِالْعِبَادَةِ فِيهِ[(١)]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وحُذَيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **أَضَلَّ اللَّهُ ﷻ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الأَحَدِ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا، فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلائِقِ**" [(٢)]. وعَنْ زَيدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ فِي قَولِهِ ﷻ : ﴿**فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ**﴾ [البقرة:٢١٣]، قَالَ :" **فَاخْتَلَفُوا فِي يَومِ الْجُمُعَةِ، فَاتَّخَذَ الْيَهُودُ يَومَ السَّبْتِ، والنَّصَارَى يَومَ الأَحَدِ، فَهَدَى اللَّهُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ لِيَومِ الْجُمُعَةِ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْقِبْلَةِ** " [(٣)] .

مَعْنَى الْحَدِيثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ فَضْلَ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى الأُمَمِ السَّابِقَةِ، بِأَنْ جَعَلَهَا آخِرَ الأُمَمِ فِي الْوُجُودِ الزَّمَانِيِّ، وأَوَّلَ الأُمَمِ سَبْقاً فِي الْحِسَابِ ودُخُولِ الْجَنَّةِ، تَكْرِيماً مِنَ اللَّهِ ﷻ لَهَا، وتَخْفِيفاً عَنْهَا، بِقِلَّةِ بَقَائِهَا فِي سِجْنِ الدُّنْيَا، وفِي أَطْبَاقِ الْبِلَى، وفِي سَاحَةِ الْمَحْشَرِ يَومَ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ ﷺ :" **نَحْنُ آخِرُ الأُمَمِ، وأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، يُقَالُ : أَيْنَ الأُمَّةُ الأُمِّيَّةُ ونَبِيُّهَا ؟**

---

(١) «فتح الباري» (٢/٣٥٦) .

(٢) رواه مسلم (٢٠١٩) .

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٠٣٤) .

www.saida-islam.weebly.com

فَنَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ "[١]. وقَالَ ﷺ :" **الْجَنَّةُ حُرِّمَتْ عَلَى الأَنْبِيَاءِ حَتَّى أَدْخُلَهَا، وحُرِّمَتْ عَلَى الأُمَمِ حَتَّى تَدْخُلَهَا أُمَّتِي** " [٢] .

كَمَا أَنَّ اللَّهَ وَجَلَّ زَادَهَا فَضِيلَةً وشَرَفاً أَنْ هَدَاهَا لِمَا ضَلَّ عَنهُ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، وهُوَ يومُ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا فُرِضَ عَلَيهِمْ تَعْظِيمُ يَومِ الْجُمُعَةِ، وإِقَامَةُ شَرَائِعِهِمْ فِيهِ، فَاخْتَلَفُوا فِيهِ وضَلُّوا عَنهُ، فَعَظَّمَتِ الْيَهُودُ يَومَ السَّبْتِ، وعَظَّمَتِ النَّصَارَى يَومَ الأَحَدِ، وهَدَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هَذِهِ الأُمَّةَ لِتَعْظِيمِهِ وإِقَامَةِ شَرِيعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهِ، فَنَالُوا بَرَكَتَهُ. كَمَا فِيهِ فَضْلُ اللَّهُ وَجَلَّ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ بِأَنْ عَصَمَهَا مِنْ أَنْ تَجْتَمِعَ عَلَى ضَلالَةٍ، كَمَا اجْتَمَعَتِ الأُمَمُ السَّابِقَةُ عَلَى ذَلِكَ فِي أُصُولِ دِينِهَا وفُرُوعِهِ .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :" **أَتَانِي جِبْرِيلُ عليه السلام وَفِي يَدِهِ كَهَيْئَةِ الْمِرْآةِ الْبَيْضَاءِ، فِيهَا نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، قُلتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ؟ قَالَ: هَذِهِ الْجُمُعَةُ، جَعَلَهَا اللَّهُ عِيداً لَكَ ولأُمَّتِكَ، فَأَنْتُمْ قَبلَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فِيهَا سَاعَةٌ لا يُوَافِقُهَا عَبدٌ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا خَيراً إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ؛ قَالَ: قُلتُ: ومَا هَذِهِ النُّكْتَةُ السَّوْدَاءُ؟ قَالَ: هَذَا يَومُ الْقِيَامَةِ، تَقُومُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ سَيِّدُ الأَيَّامِ عِنْدَنَا، وَنَحْنُ نَدْعُوهُ يَوْمَ الْمَزِيدِ فِي الآخِرَةِ؛ قُلْتُ: وَمَا يَوْمُ الْمَزِيدِ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ فِي الْجَنَّةِ وَادِياً أَفْيَحَ، وجَعَلَ فِيهِ كُثْبَاناً مِنَ الْمِسْكِ الأَبْيَضِ، فَإِذَا أَتَى يَومُ الْجُمُعَةِ، يَنْزِلُ اللَّهُ فِيهِ، فَوُضِعَتْ فِيهِ مَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ، وكَرَاسِيُّ مِنْ دُرٍّ لِلشُّهَدَاءِ، ويَنْزِلْنَ الْحُورُ الْعِينُ مِنَ الْغُرَفِ، فَحَمِدُوا اللَّهَ ومَجَّدُوهُ، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: اكْسُوا عِبَادِي، فَيُكْسَونَ، ويَقُولُ: أَطْعِمُوا عِبَادِي، فَيُطْعَمُونَ، ويَقُولُ: اسْقُوا عِبَادِي، فَيُسْقَونَ، ويَقُولُ: طَيِّبُوا عِبَادِي، فَيُطَيَّبُونَ، ثُمَّ يَقُولُ: مَاذَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا رِضْوَانَكَ . قَالَ: فَيَقُولُ: رَضِيتُ عَنْكُمْ . ثُمَّ يَأْمُرُهُمْ،**

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه عن ابن عباس (٤٢٩٠) وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط عن عمر بن الخطاب (٩٤٢) وقال الهيثمي في المجمع: وفيه صدقة بن عبد اللَّهُ السمين وَثَّقَهُ أبو حاتم وغيره وضَعَّفَهُ جماعة، فإسناده حسن .

www.saida-islam.weebly.com

فَيَنْطَلِقُونَ، وتَصْعَدُ الْحُورُ الْعِينُ الْغُرَفَ، وهِيَ مِنْ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، ومِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ"(١) .

وعَنهُ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" عُرِضَتْ عَلَيَّ الأَيَّامُ، فَعُرِضَ عَلَيَّ مِنْهَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فَإِذَا هِيَ كَالْمِرْآةِ الْحَسْنَاءِ، وإذا فِي وَسَطِهَا نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا السَّوْادُ ؟ قَالَ : هَذِهِ السَّاعَةُ " (٢) .

وعَنْ أَبِي لُبَابَةَ الْبَدْرِيِّ ابْنِ عَبْدِ الْمُنْذِرِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :" سَيِّدُ الأَيَّامِ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَأَعْظَمُهَا عِنْدَهُ، وَأَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ عز وجل مِنْ يَوْمِ الْفِطْرِ وَيَوْمِ الأَضْحَى، وَفِيهِ خَمْسُ خِلالٍ : خَلَقَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ، وَأَهْبَطَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ إِلَى الأَرْضِ، وَفِيهِ تَوَفَّى اللَّهُ آدَمَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لا يَسْأَلُ الْعَبْدُ فِيهَا شَيْئًا إِلاَّ آتَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِيَّاهُ، مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَامًا، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، مَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلا سَمَاءٍ وَلا أَرْضٍ وَلا رِيَاحٍ وَلا جِبَالٍ وَلا بَحْرٍ إِلاَّ هُنَّ يُشْفِقْنَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ " (٣) .

ورُوِيَ عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ الأَيَّامَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى هَيْئَتِهَا، وَيَبْعَثُ الْجُمُعَةَ زَهْرَاءَ مُنِيرَةً لأَهْلِهَا، فَيَحُفُّونَ بِهَا كَالعَرُوسِ تُهْدَى إِلَى كَرِيمِهَا، تُضِيءُ لَهُمْ، يَمْشُونَ فِي ضَوْئِهَا، أَلْوَانُهُمْ كَالثَّلْجِ بَيَاضاً،

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (٤٢٢٨) وقال البوصيري في «إتحاف الخيرة»: بسند صحيح. وقال المنذري في الترغيب: رواته رواة الصحيح .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٧٣٠٧) . وقال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح خلا شيخ الطبراني وهو ثقة. وقال البوصيري في إتحاف الخيرة: رواه أبو بكر بن أبي شيبة بسند حسن .

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٥٥٤٨) وابن ماجه في سننه (١٠٨٤) والطبراني في الكبير (٦٧١٧) والحاكم في المستدرك (١٠٢٦) وقال : صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي. وقال البوصيري في الزوائد : إسناده حسن .

www.saida-islam.weebly.com

رِيَاحُهُمْ تَسْطَعُ كَالْمِسْكِ، يَخُوضُونَ فِي جِبَالِ الْكَافُورِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ الثَّقَلانِ، مَا يُطْرِقُونَ تَعَجُّباً، حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، لا يُخَالِطُهُمْ أَحَدٌ لاَّ الْمُؤَذِّنُونَ الْمُحْتَسِبُونَ " (١) .

وَذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْهَدْيِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ اثْنَيْنِ وَثَلاثِينَ خُصُوصِيَّةً، مِنْهَا : أَنَّهُ يَوْمُ عِيدٍ، وَلا يُصَامُ مُنْفَرِدًا، وَقِرَاءَةُ ﴿ الٓمٓ تَنزِيلُ ﴾ وَ﴿ هَلْ أَتَىٰ ﴾ فِي صَبِيحَتِهَا، وَالْجُمُعَةِ وَالْمُنَافِقُونَ فِيهَا، وَالْغُسْلُ لَهَا، وَالطِّيب، وَالسِّوَاكُ، وَلُبْسُ أَحْسَنِ الثِّيَابِ، وَتَبْخِيرُ الْمَسْجِدِ، وَالتَّبْكِيرُ، وَالاِشْتِغَالُ بِالْعِبَادَةِ حَتَّى يَخْرُجَ الْخَطِيبُ، وَالْخُطْبَةُ، وَالإِنْصَاتُ، وَقِرَاءَةُ الْكَهْفِ، وَنَفْيُ كَرَاهِيَةِ النَّافِلَةِ وَقْتَ الاِسْتِوَاءِ، وَمَنْعُ السَّفَرِ قَبْلَهَا، وَتَضْعِيفُ أَجْرِ الذَّاهِبِ إِلَيْهَا، بِكُلِّ خُطْوَةٍ أَجْرُ سَنَةٍ(٢)، وَنَفْيُ تَسْجِيرِ جَهَنَّمَ فِي يَوْمِهَا، وَسَاعَةُ الإِجَابَةِ، وَتَكْفِيرُ الآثَامِ، وَأَنَّهَا يَوْمُ الْمَزِيدِ، وَالشَّاهِدُ الْمُدَّخَرُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ، وَخَيْرُ أَيَّامِ الأُسْبُوعِ، وَتَجْتَمِعُ فِيهِ الأَرْوَاحُ إِنْ ثَبَتَ الْخَبَرُ فِيهِ، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أُخَرَ فِيهَا نَظَرٌ، وَتَرَكَ أَشْيَاءَ يَطُولُ تَتَبُّعُهَا (٣). انْتَهَى مُلَخَّصًا؛ وَاللَّهُ أَعْلَمُ (٤) .

*****

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه (١٧٣٠) وقال : إن صح الخبر فإنَّ في النفس من هذا الإسناد شيئاً . والحاكم في المستدرك (١٠٢٧) وقال : شاذ صحيح الإسناد . وقال الذهبي : خبر شاذ صحيح السند . والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٠٤١) . وقال المنذري (٢٨٢/١) : إسناده حسن وفى متنه غرابة . وقال : الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير عن الهيثم بن حميد عن حفص بن غيلان وقد وَثَّقَهما قومٌ وضَعَّفَهما آخرون وهما محتج بهما .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٦١٧٣) عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :" **مَنْ غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ، فَدَنَا مِنَ الإِمَامِ، فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا** ". ورواه أبو داوود في سننه (٣٤٥) والنسائي (١٣٨١) وابن ماجه (١٠٨٧) والترمذي (٤٩٦) وقال: حديث حسن. والحاكم في المستدرك (١٠٤٢) وصَحَّحَهُ على شرط الشيخين.

(٣) «فتح الباري» (٢٧٥/٣) .

(٤) قلت : وللإمام السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة في خصائص يوم الجمعة، اسمها «اللمعة في خصائص يوم الجمعة» ذكر فيها مائة وواحدة من الخصائص، كثير منها صحَّت فيه الأحاديث المرفوعة أو الموقوفة، وكثير منها لم يثبت فيه الخبر .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ الثَّالِثُ وَالْعِشْرُوْنَ

تُحْشَرُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى ثَلاثَةِ أَصْنَافٍ كُلُّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **تُحْشَرُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى ثَلاثَةِ أَصْنَافٍ : صِنْفٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ، وصِنْفٍ يُحَاسَبُونَ حِسَابًا يَسِيرًا ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وصِنْفٍ يَجِيئُونَ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَمْثَالُ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ ذُنُوبًا، فَيَسْأَلُ اللَّهُ سبحانه وتعالى عَنْهُم – وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ – فَيَقُولُ : مَا هَؤُلاءِ ؟ فَيَقُولُونَ : هَؤُلاءِ عَبِيدٌ مِنْ عِبَادِكَ، فَيَقُولُ : حُطُّوهَا عَنْهُم، وَاجْعَلُوهَا عَلَى الْيَهُودِ والنَّصَارَى، وَأَدْخِلُوهُمْ بِرَحْمَتِي الْجَنَّةَ** " [(١)] .

قوله: (**حُطُّوهَا عَنْهُم، وَاجْعَلُوهَا عَلَى الْيَهُودِ والنَّصَارَى**) أَيْ أَنَّ اللَّهَ سبحانه وتعالى يَغْفِرُ لِلْمُسْلِمِ ذُنُوبَهُ، ويُضَاعِفُ لِلْكَافِرِ الْعَذَابَ مِنْهُ بِحَسَبِ جَرَائِمِهِ، فَيَكُونُ الْعَذَابُ بِقَدْرِ جُرْمِهِمْ وجُرْمِ الْمُسْلِمِينَ لَوْ أُخِذُوا بِذَلِكَ، ولَهُ سبحانه وتعالى أَنْ يُضَاعِفَ لِمَنْ يَشَاءُ الْعَذَابَ، ويُخَفِّفُ عَمَّنْ يَشَاءُ بِحُكْمِ إِرَادَتِهِ ومَشِيئَتِهِ، لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وهُمْ يُسْأَلُونَ؛ ولَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّ ذُنُوبَ الْمُسْلِمِينَ تُحَطُّ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى حَقِيقَةً، ويُؤَاخَذُونَ بِهَا، لأَنَّهُ سبحانه وتعالى لا يُؤَاخِذُ أَحَداً بِذَنْبِ أَحَدٍ، ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى [(٢)]. واللَّهُ أَعْلَمُ .

مَعْنَى الْحَدِيْثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ فَضْلَ اللَّهِ عزوجل عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ يَومَ الْقِيَامَةِ، بِأَنْ يُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ جَمِيعاً، لأَنَّهُم جَمِيعاً أُورِثُوا الْكِتَابَ الْعَظِيمَ الْمُصَدِّقَ لِمَا بَينَ يَدَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ، ويَكُونُونَ فِي ذَلِكَ عَلَى ثَلاثَةِ أَصْنَافٍ، كَمَا قَالَ سبحانه وتعالى : ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا** ﴾ **[فاطر:٣٢]**، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما :" **هُمْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَرَّثَهُمُ اللَّهُ سبحانه وتعالى كُلَّ كِتَابٍ**

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (١٩٣)، (٧٦٤٥)، (٨٧٩٤) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

(٢) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٨٣/١٠) .

www.saida-islam.weebly.com

أَنْزَلَهُ، فَظَالِمُهُم يُغْفَرُ لَهُ، ومُقْتَصِدُهُمْ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً، وسَابِقُهُمْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ "[١]. وقَدْ رُوِيَ عَنْ عَوفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ :" أُمَّتِي ثَلاثَةُ أَثْلاثٍ : فَثُلُثٌ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ، وَثُلُثٌ يُحَاسَبُونَ حِسَابًا يَسِيرًا، ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَثُلُثٌ يُمَحَّصُونَ وَيُكْشَفُونَ، ثُمَّ يَأْتِي الْمَلائِكَةُ، فَيَقُولُونَ: وَجَدْنَاهُمْ يَقُولُونَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ، وَيَقُولُ اللَّهُ : صَدَقُوا لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا، أَدْخِلُوهُمُ الْجَنَّةَ بِقَوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ، وَاحْمِلُوا خَطَايَاهُمْ عَلَى أَهْلِ التَّكْذِيبِ، فَهِيَ الَّتِي قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ [العنكبوت آية ١٣]، وتَصْدِيقُهَا فِي الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا الْمَلائِكَةَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ فَجَعَلَهُمْ ثَلاثَةَ أَفْوَاجٍ، وَهُمْ أَصْنَافٌ كُلُّهُمْ، ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾ فَهَذَا الَّذِي يُكْشَفُ وَيُمَحَّصُ، ﴿ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾، وَهُوَ الَّذِي يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [فاطر آية ٣٢]، فَهَذَا الَّذِي يَلِجُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ بِإِذْنِ اللَّهِ، يَدْخُلُونَهَا جَمِيعًا لَمْ يُفَرَّقْ بَيْنَهُمْ، ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [٢][فاطر: ٣٢ – ٣٦] . ورُوِيَ مَرفُوعاً عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ بِنَحْوِهِ [٣].

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٨٩٩٦) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢/٤٤) وانظر «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٥٩) .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٤٩) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢ / ٤٥) وقال الهيثمي في المجمع : وفيه سلامة بن روح وَثَّقَهُ ابن حبان وضعَّفه جماعة ، وبقية رجاله ثقات .

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢١٧٢٧) ، وقال الهيثمي في المجمع : رواه أحمد بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح وهي هذه إن كان علي بن عبد الله الأزدي سمع من أبي الدرداء، فإنه تابعي .

www.saida-islam.weebly.com

وقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ التِّرْمِذِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : جَمَعَهُمْ فِي الاِصْطِفَاءِ إِزَالَةً لِلْعِلَلِ عَنِ الْعَطَاءِ؛ لأَنَّ الاِصْطِفَاءَ أَوْجَبَ الإِرْثَ، لا الإِرْثَ أَوْجَبَ الاِصْطِفَاءَ، لِذَلِكَ قِيلَ : صَحِّحِ النِّسْبَةَ ثُمَّ اطْمَعْ فِي الْمِيرَاثِ [١] .

وقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ رَحِمَهُ اللَّهُ : إِنَّمَا رَتَّبَهُمْ هَذَا التَّرْتِيبَ عَلَى مَقَامَاتِ النَّاسِ، لأَنَّ أَحْوَالَ الْعَبْدِ ثَلاثَةٌ : مَعْصِيَةٌ وغَفْلَةٌ؛ ثُمَّ تَوبَةٌ وقُرْبَةٌ؛ فَإِذَا عَصَى دَخَلَ فِي حَيِّزِ الظَّالِمِينَ، وإِذَا تَابَ دَخَلَ فِي جُمْلَةِ الْمُقْتَصِدِينَ، وإِذَا صَحَّتِ التَّوْبَةُ وكَثُرَتِ الْعِبَادَةُ والْمُجَاهَدَةُ اتَّصَلَ بِاللهِ ودَخَلَ فِي عِدَادِ السَّابِقِينَ [٢] .

ومِمَّا يَشْهَدُ لِهَذَا مَا رُوِيَ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا عَشِيَّةَ عَرَفَةَ لأُمَّتِهِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، فَأَكْثَرَ الدُّعَاءَ، فَأَجَابَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ قَدْ فَعَلْتُ، وَغَفَرْتُ لأُمَّتِكَ إِلاَّ مِنْ ظُلْمِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنَّكَ قَادِرٌ أَنْ تَغْفِرَ لِلظَّالِمِ وَتُثِيبَ الْمَظْلُومَ خَيْرًا مِنْ مَظْلَمَتِهِ، فَلَمْ يَكُنْ فِي تِلْكَ الْعَشِيَّةِ إِلاَّ ذَا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ دَعَا غَدَاةَ الْمُزْدَلِفَةِ، فَعَادَ يَدْعُو لأُمَّتِهِ، فَلَمْ يَلْبَثِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تَبَسَّمَ، فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! ضَحِكْتَ فِي سَاعَةٍ لَمْ تَكُنْ تَضْحَكُ فِيهَا، فَمَا أَضْحَكَكَ ؟! أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ . قَالَ : تَبَسَّمْتُ مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ إِبْلِيسَ حِينَ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ اسْتَجَابَ لِي فِي أُمَّتِي، وَغَفَرَ لِلظَّالِمِ، أَهْوَى يَدْعُو بِالثُّبُورِ وَالْوَيْلِ، وَيَحْثُو التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ، فَتَبَسَّمْتُ مِمَّا يَصْنَعُ مِنْ جَزَعِهِ " [٣] .

*****

(١) «تفسير الكشف والبيان» للثعلبي (٨ / ١٠٧) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٦٢٠٧) وابن ماجه في سننه (٣٠١٣) والبيهقي في سننه (٩٢٦٤) وفي «شعب الإيمان» (٣٤٦) وأبو يعلى في مسنده (١٥٧٨)، وقال البيهقي في «شعب الإيمان»: وهذا الحديث له شواهد كثيرة، وقد ذكرناها في كتاب البعث، فإن صحَّ بشواهده ففيه الحجة، وإن لم يصحَّ فقد قال اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾، وظلم بعضهم بعضاً دون الشرك . وصحَّحه الضياء المقدسيُّ فذكره في المختارة .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الرَّابِعُ وَالعِشْرُونَ

تَمَيُّزُ هَذِهِ الأُمَّةِ عَنْ بَاقِي الأُمَمِ بِعَلَامَاتٍ يَومَ القِيَامَةِ

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ فِي السُّجُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَنْظُرُ بَينَ يَدَيَّ فَأَعْرِفُ أُمَّتِي مِنْ بَينِ الأُمَمِ، وأَنْظُرُ عَنْ يَمِينِي، فَأَعْرِفُ أُمَّتِي مِنْ بَينِ الأُمَمِ، وأَنْظُرُ عَنْ شِمَالِي، فَأَعْرِفُ أُمَّتِي مِنْ بَينِ الأُمَمِ** ". فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وكَيْفَ تَعْرِفُ أُمَّتَكَ مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ مَا بَيْنَ نُوحٍ إِلَى أُمَّتِكَ ؟ قَالَ :" **غُرٌّ مُحَجَّلُونَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، ولا يَكُونُ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ غيرِهُمْ، وَأَعْرِفُهُمْ أَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وأَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ، وأَعْرِفُهُم بِنُورِهِمُ الَّذِي بَينَ أَيْدِيهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ** " [(١)] .

قوله: (**غُرٌّ مُحَجَّلُونَ**) الْغُرُّ : جَمْعُ أَغَرَّ، وهُوَ الأَبْيَضُ الْوَجْهِ؛ وَالْمُحَجَّلُ مِنَ الدَّوَابِّ : مَا قَوَائِمُهُ بيضٌ، مَأْخُوذٌ مِنَ الْحِجْلِ، وهُوَ الْقَيْدُ، كَأَنَّهُ مُقَيَّدٌ بِالْبَيَاضِ، وأَصْلُهُ فِي الْخَيْلِ؛ وقَالَ الرَّاغِبُ : وأَصْلُ الْغُرَّةِ لُمْعَةٌ بَيضَاءُ بِجَبْهَةِ الْفَرَسِ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَتْ فِي الْجَمَالِ وَالشُّهْرَةِ وطِيبِ الذِّكْرِ، والْمُرَادُ بِهَا هُنَا النُّورُ الْكَائِنُ فِي وُجُوهِ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَالتَّحْجِيلُ بَيَاضٌ فِي ثَلاثٍ مِنْ قَوَائِمِ الْفَرَسِ، أَصْلُهُ الحِجْلُ، بِكَسْرِ الْحَاءِ، الخَلْخَالُ، وَالْمُرَادُ بِهِ أَيضًا هُنَا النُّورُ [(٢)] .

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢١٧٤٠) والحاكم في المستدرك (٣٧٨٤) واللفظ له، وقال : صحيح الإسناد، وأقره الذهبي في التلخيص فسكت عنه، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٧٤٥) وقال المنذري في الترغيب: وفي إسناده ابن لهيعة، وهو حديث حسن في المتابعات . ورواه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» برقم (٢٦١) من رواية ابن المبارك عن ابن لهيعة، وروايته عنه صحيحة، قال عبدالغني بن سعيد الأزدي: إذا روى العبادلة عن ابن لهيعة فهو صحيح، ابن المبارك، وابن وهب، والمقري، وذكر الساجي وغيره مثله . «تهذيب التهذيب لابن حجر» (٣٤٦/٢٠) .

(٢) «فيض القدير» (١٨٤/٢) .

www.saida-islam.weebly.com

قوله: (مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ) أَيْ مِنْ أَثَرِ وُضُوئِهِم فِي الدُّنْيَا، وجَاءَ فِي رِوَايَةٍ :" **أُمَّتِي يَومَ الْقِيَامَةِ غُرٌّ مِنَ السُّجُودِ، مُحَجَّلُونَ مِنَ الْوُضُوءِ** " [١]. ولا تَعَارُضَ بَينَهُمَا، لأَنَّ الْمُؤْمِنَ يُكْسَى يَومَ الْقِيَامَةِ نُوراً مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ، ونُوراً مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، نُورٌ عَلَى نُورٍ، فَمَنْ كَانَ أَكْثَرَ سُجُوداً أَوْ أَكْثَرَ وُضُوءًا فِي الدُّنْيَا، كَانَ وَجْهُهُ أَعْظَمَ ضِيَاءًا، وأَشَدَّ إِشْرَاقاً مِنْ غَيرِهِ، فَيَكُونُونَ فِيهِ عَلَى مَرَاتِبَ مِنْ عِظَمِ النُّورِ، وَالأَنْوَارُ لا تَتَزَاحَمُ، أَلا تَرَى أَنَّهُ لَوْ أُدْخِلَ سِرَاجٌ فِي بَيتٍ مَلأَهُ نُوراً، فَإِذَا أُدْخِلَ فِيهِ آخَرُ ثُمَّ آخَرُ امْتَلأَ بِالنُّورِ مِنْ غَيرِ أَنْ يُزَاحِمَ الثَّانِيْ الأَوَّلَ، وَالثَّالِثُ الثَّانِيْ، وهَكَذَا [٢]. وقَدْ سَجَدَتِ الأُمَمُ قَبلَ هَذِهِ الأُمَّةِ، فَلَمْ يَظْهَرْ عَلَى جِبَاهِهِمْ، وتَطَهَّرُوا فَلَمْ يَظْهَرْ عَلَى أَطْرَافِهِمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، فَتِلْكَ عَلامَةُ هَذِهِ الأُمَّةِ فِي الْمَوْقِفِ يُعْرَفُونَ بِهَا [٣]. وَالْحَدِيثُ نَصٌّ صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْغُرَّةَ والتَّحْجِيلَ مِنْ خُصُوصِيَّاتِ هَذِهِ الأُمَّةِ [٤].

قوله: (وأَعْرِفُهُم بِنُورِهِمُ الَّذِي بَينَ أَيْدِيهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ) هَذَا النُّورُ هُوَ نُورُ الإِيْمَانِ وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَيُعْطَى النَّاسُ النُّورَ عَلَى قَدْرِ إِيْمَانِهِم وأَعْمَالِهِم، وهَكَذَا يَكُونُونَ يَومَ الْقِيَامَةِ، قَالَ قَتَادَةُ : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ :" **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يُضِيءُ نُورُهُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلى عَدَنِ أَبْيَنَ، وَصَنْعَاءَ ودُونَ ذَلِكَ، حَتَّى إِنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لا يُضِيءُ نُورُهُ إِلاَّ مَوْضِعَ قَدَمَيهِ** " [٥].

وقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه فِي قَولِهِ سبحانه وتعالى : ﴿ **نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ** ﴾ [التحريم:٨] قَالَ:" **عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِم يَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ، مِنْهُم مَنْ نُورُهُ مِثْلُ الْجَبَلِ،**

---

(١) رواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن بسر المازني (١٧٦٩٣) والترمذي في سننه (٦٠٧) وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) «فيض القدير» (١٨٤/٢) .

(٣) «فيض القدير» (١٨٤/٢) .

(٤) «تحفة الاحوذي» (١٨٦/٣) .

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره عن قتادة مرسلاً (٣٣٦١٧) .

www.saida-islam.weebly.com

ومِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ مِثْلُ النَّخْلَةِ، وَأَدْنَاهُمْ نُوراً مَنْ نُورُهُ فِي إِبْهَامِهِ، يَتَّقِدُ مَرَّةً، ويُطْفَأُ أُخْرَى"(١) .

وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :" لَيسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ التَّوحِيدِ إِلاَّ يُعْطَى نُوراً يومَ الْقِيَامَةِ، فَأَمَّا الْمُنَافِقُ فَيُطْفَأُ نُورُهُ، والْمُؤْمِنُ مُشْفِقٌ مِمَّا يَرَى مِنْ إِطْفَاءِ نُورِ الْمُنَافِقِينَ، فَهُمْ يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا﴾ (٢) .

وقَالَ الضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ :" يُعْطَى كُلُّ مَنْ كَانَ يُظْهِرُ الإِيْمَانَ فِي الدُّنْيَا يومَ الْقِيَامَةِ نُورًا؛ فَإِذَا انْتَهَى إِلى الصِّرَاطِ، طُفِئَ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْمُؤْمِنُونَ أَشْفَقُوا، فَقَالُوا : ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا﴾ (٣) .

وقَالَ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الطَّوِيلِ :" يَجْمَعُ اللَّهُ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ لِمِيقَاتِ يَومٍ مَعْلُومٍ، ... وقَالَ فِيهِ :" فَيُعْطِيهِمْ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورًا مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورًا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى يَكُونَ رَجُلاً يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ، يُضِيءُ مَرَّةً، ويَفِيءُ مَرَّةً، فَإِذَا أَضَاءَ قَدَّمَ قَدَمَهُ فَمَشَى، وَإِذَا طُفِئَ قَامَ"، قَالَ :" وَالرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ أَمَامَهُمْ حَتَّى يَمُرَّ فِي النَّارِ فَيَبْقَى أَثَرُهُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضُ مَزِلَّةٍ"، قَالَ :" وَيَقُولُ: مُرُّوا، فَيَمُرُّونَ عَلَى قَدْرِ نُورِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالسَّحَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكَوْكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الْفَرَسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي أُعْطِيَ نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمَيْهِ يَحْبُو عَلَى وَجْهِهِ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ تَخِرُّ رِجْلٌ، وَتَعْلَقُ رِجْلٌ، وَيُصِيبُ جَوَانِبَهُ النَّارُ، فَلا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَخْلُصَ، فَإِذَا خَلَصَ

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٤٥٥٨) والحاكم في المستدرك (٣٧٨٥) وقال : صحيح على شرط الشيخين، وقال الذهبي: على شرط البخاري .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (١٩٢/١) وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٣) «تفسير ابن كثير» (١٩٢/١) .

www.saida-islam.weebly.com

وَقَفَ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا أَنْ نَجَّانِي مِنْهَا بَعْدَ إِذْ رَأَيْتُهَا " [١] .

مَعْنَى الْحَدِيْثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وأُمَّتَهُ بِهِ، مِنْ كَونِهِ أَوَّلَ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ فِي السُّجُودِ يَومَ الْقِيَامَةِ، وأَوَّلَ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ، وحِينَمَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ يَعْرِفُ أُمَّتَهُ بِعَلامَاتٍ لَيستْ لِغَيرِهَا مِنَ الأُمَمِ، مِنهَا : أَنَّهُم غُرٌّ مُحَجَّلُونَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، كَمَا قَالَ ﷺ:" **إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ**"[٢]. وفِي رِوَايَةٍ قَالَ :" **تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، سِيْمَاءُ أُمَّتِيْ** – أَيْ عَلامَةٌ لَهَا– **لَيسَ لأَحَدٍ غَيرِهَا** " [٣]. كَمَا أَنَّهُم يُؤْتَونَ كُتُبَهُم بَأَيْمَانِهِم، ويَظْهَرُ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ، ونُورُهُم يَسْعَى بَينَ أَيْدِيهِمْ وعَنْ أَيْمَانِهِم وعَنْ شَمَائِلِهِمْ .

قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ رَحِمَهُ اللَّهُ :" **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى نَبِيٍّ مِنْ أَنبِيَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ يُقَالُ لَهُ شِعْيَاءُ : أَنْ قُمْ فِي قَوْمِكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِنِّي مُنطِقٌ لِسَانَكَ بِوَحْيِي، فَقَامَ فَقَالَ : يَا سَمَاءُ اسْمَعِي، ويَا أَرْضُ أَنْصِتِي، فَإِنَّ اللَّهَ يُرِيدُ أَنْ يَقْضِيَ شَأْناً، ويُدَبِّرُ أَمْراً هُوَ مُنْفِذُهُ، إِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُحَوِّلَ الرِّيفَ إِلَى الْفَلاةِ، وَالآجَامَ فِي الْغِيطَانِ، والأَنْهَارَ فِي الصَّحَارِيْ، وَالنِّعْمَةَ فِي الْفُقَرَاءِ، والْمُلْكَ فِي الرُّعَاةِ، ويُرِيدُ أَنْ يَبْعَثَ أُمِّيّاً مِنَ الأُمِّيِّيْنَ، أَبْعَثُهُ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ وَلا سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، لَوْ يَمُرُّ إِلَى جَنْبِ سِرَاجٍ لَمْ يُطْفِئْهُ**

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» عن ابن مسعود مرفوعاً (٣١) والطبراني في الكبير (٩٧٦٣) وقال الهيثمي: رواه كله الطبراني من طرق، ورجال أحدها رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني وهو ثقة . وقال المنذري: وأحد طرق الطبراني صحيح . ورواه الحاكم في المستدرك عن ابن مسعود موقوفاً (٣٤٢٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . قلت: وهو مرفوع حكماً وأصله في صحيح مسلم مختصراً .

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة برقم (١٣٦) ومسلم (٦٠٣) .

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة برقم (٦٠٥) وعن حذيفة (٦٠٦) ورواه ابن ماجه بسند صحيح عن أبي هريرة برقم (٤٢٨٢) واللفظ له .

www.saida-islam.weebly.com

مِنْ سَكِينَتِهِ، وَلَوْ يَمْشِي عَلَى الْقَصَبِ لَمْ يُسْمَعْ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ، أَبْعَثُهُ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، لا يَقُولُ الْخَنَا، أَفْتَحُ بِهِ أَعْيُناً كُمْهاً وَآذَانَا صُمّاً وَقُلُوباً غُلْفاً، أُسَدِّدُهُ لِكُلِّ أَمْرٍ جَمِيلٍ، وَأَهَبُ لَهُ كُلَّ خُلُقٍ كَرِيمٍ، وَأَجْعَلُ السَّكِينَةَ لِبَاسَهُ، وَالْبِرَّ شِعَارَهُ، وَالتَّقْوَى ضَمِيرَهُ، وَالْحِكْمَةَ مَنطِقَهُ، وَالصِّدْقَ وَالْوَفَاءَ طَبِيعَتَهُ، وَالْعَفْوَ وَالْمَعْرُوفَ خُلُقَهُ، وَالْحَقَّ شَرِيعَتَهُ، وَالْعَدْلَ سِيرَتَهُ، وَالْهُدَى إِمَامَهُ، وَالإِسْلامَ مِلَّتَهُ، وَأَحْمَدَ اسْمَهُ، أَهْدِي بِهِ بَعْدَ الضَّلالَةِ، وَأُعَلِّمُ بِهِ بَعْدَ الْجَهَالَةِ، وَأَرْفَعُ بِهِ بَعْدَ الْخَمَالَةِ، وَأُعَرِّفُ بِهِ بَعْدَ النَّكِرَةِ، وَأُكَثِّرُ بِهِ بَعْدَ الْقِلَّةِ، وَأُغْنِي بِهِ بَعْدَ الْعَيْلَةِ، وَأَجْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْفُرْقَةِ، وَأُؤَلِّفُ بِهِ بَيْنَ أُمَمٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَقُلُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَهْوَاءٍ مُتَشَتِّتَةٍ، وَأَسْتَنقِذُ بِهِ فِئَاماً مِنَ النَّاسِ عَظِيمَةً مِنَ الْهَلَكَةِ، وَأَجْعَلُ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ، مُوَحِّدِينَ مُؤْمِنِينَ مُخْلِصِينَ مُصَدِّقِينَ لِمَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلِي، أُلْهِمهُمُ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ وَالثَّنَاءَ وَالتَّكْبِيرَ وَالتَّوْحِيدَ فِي مَسَاجِدِهِمْ وَمَجَالِسهِمْ وَمَضَاجِعهِمْ وَمُنقَلَبِهِمْ وَمَثوَاهُمْ، يُصَلُّونَ لِي قِيَاماً وَقُعُوداً، وَيُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صُفُوفاً وَزُحُوفاً، وَيَخْرُجُونَ مِنْ دِيَارِهِمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي أُلُوفاً، يُطَهِّرُونَ الْوُجُوهَ وَالأَطْرَافَ، وَيَشُدُّونَ الثِّيَابَ فِي الأَنصَافِ، قُرْبَانُهُمْ دِمَاؤُهُمْ، وَأَنَاجِيلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، رُهْبَانٌ بِاللَّيْلِ لُيُوثٌ بِالنَّهَارِ، وَأَجْعَلُ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَذُرِّيَّتِهِ السَّابِقِينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، أُمَّتُهُ مِنْ بَعْدِهِ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ، وَأُعِزُّ مَنْ نَصَرَهُمْ، وَأُؤَيِّدُ مَنْ دَعَا لَهُمْ، وَأَجْعَلُ دَائِرَةَ السَّوْءِ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ أَوْ بَغَى عَلَيْهِمْ أَوْ أَرَادَ أَنْ يَنتَزِعَ شَيْئاً مِمَّا فِي أَيْدِيهِمْ، أَجْعَلُهُمْ وَرَثَةً لِنَبِيِّهِمْ، وَالدَّاعِيَةَ إِلَى رَبِّهِمْ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ، أَخْتِمُ بِهِمُ الْخَيْرَ الَّذِي بَدَأْتُهُ بِأَوَّلِهِمْ، ذَلِكَ فَضْلِي أُؤْتِيهِ مَنْ أَشَاءُ، وَأَنَا ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ." هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِيْ حَاتِمٍ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ اليَمَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ [١] .

---

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (١٥٥٥٤) و«تفسير ابن كثير» (٥٠١/٣) . وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره عن ابن إسحاق (٢٢٠٦٠) .

www.saida-islam.weebly.com

وفي رِوَايَةٍ :" يَصُفُّونَ فِي مَسَاجِدِهِم كَمَا تَصُفُّ الْمَلائِكَةُ حَولَ عَرشِي، هُمْ أَوْلِيَائِي وأَنْصَارِي، أَنْتَقِمُ بِهِم مِنْ أَعْدَائِي عَبَدَةِ الأَوْثَانِ، يُصَلُّونَ لِي قِيَاماً وقُعُوداً ورُكَّعاً وسُجَّداً، ويَخْرُجُونَ مِنْ دِيَارِهِم وأَمْوَالِهِمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي أُلُوفاً، ويُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِي صُفُوفاً وزُحُوفاً، أَخْتِمُ بِكِتَابِهِمُ الْكُتُبَ، وبِشَرِيعَتِهِمُ الشَّرَائِعَ، وبِدِينِهِمُ الأَدْيَانَ، فَمَنْ أَدْرَكَهُم فَلَمْ يُؤْمِنْ بِكِتَابِهِم، ويَدْخُلْ فِي دِينِهِم وشَرِيعَتِهِم فَلَيسَ مِنِّي، وهُوَ مِنِّي بَرِيءٌ، وأَجْعَلُهُم أَفْضَلَ الأُمَمِ، وأَجْعَلُهُم أُمَّةً وَسَطاً، لِيَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، إِذَا غَضِبُوا هَلَّلُونِي، وإِذَا قَبَضُوا كَبَّرُونِي، وإِذَا تَنَازَعُوا سَبَّحُونِي، يُطَهِّرُونَ الْوُجُوهَ وَالأَطْرَافَ، ويَشُدُّونَ الثِّيَابَ إِلى الأَنْصَافِ، ويُكَبِّرُونَ ويُهَلِّلُونَ عَلَى التِّلالِ والأَشْرَافِ، قُرْبَانُهُم دِمَاؤُهُم، وأَنَاجِيلُهُم فِي صُدُورِهِم، رُهْبَاناً بِاللَّيلِ لُيُوثاً بِالنَّهَارِ، يُنَادِي مُنَادِيهِم فِي جَوِّ السَّمَاءِ، لَهُم دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، طُوبَى لِمَنْ كَانَ مِنْهُم، وعَلَى دِينِهِم ومِنْهَاجِهِم وشَرِيعَتِهِم، ذَلِكَ فَضْلِي أُوْتِيهِ مَنْ أَشَاءُ، وأَنَا ذُوْ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ " (١) .

وعَنْ عَبدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ لِكَعْبِ الأَحْبَارِ رَحِمَهُ اللَّهُ : أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وأُمَّتِهِ. قَالَ أَجِدُهُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالى :" أَنَّ أَحْمَدَ وأُمَّتَهُ حَمَّادُونَ، يَحْمَدُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى كُلِّ خَيرٍ وشَرٍّ، يُكَبِّرُونَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ، ويُسَبِّحُونَ اللَّهَ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ، نِدَاؤُهُمْ فِي جَوِّ السَّمَاءِ، لَهُمْ دَوِيٌّ فِي صَلاتِهِمْ كَدَوِيِّ النَّحْلِ عَلَى الصَّخْرِ، يَصُفُّونَ فِي الصَّلاةِ كَصُفُوفِ الْمَلائِكَةِ، ويَصُفُّونَ فِي الْقِتَالِ كَصُفُوفِهِمْ فِي الصَّلاةِ، إِذَا غَزَوْا فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَتِ الْمَلائِكَةُ بَينَ أَيْدِيهِمْ ومِنْ خَلْفِهِمْ بِرِمَاحٍ شِدَادٍ، إِذَا حَضَرُوا الصَّفَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ عَلَيهِمْ مُظِلاً - وأَشَارَ بِيَدِهِ - كَمَا تُظِلُّ النُّسُورُ عَلَى وُكُورِهَا، لا يَتَأَخَّرُونَ زَحْفاً أَبَداً حَتَّى يَحْضُرَهُمْ جِبْرِيلُ عَلَيهِ السَّلامُ " (٢) .

*****

(١) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٥٠٨/٣) وعزاه إلى ابن أبي حاتم وأبي نعيم في الدلائل . كما ذكر بعضه ابن عساكر في تاريخ دمشق عن أبي يوسف وكان يهودياً فأسلم من وحي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لموسى عَلَيهِ السَّلامُ (١٠٠/٦١) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٨٦/٥) .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُوْنَ

عِظَمُ نُورِ هَذِهِ الأُمَّةِ يَومَ الْقِيَامَةِ وَرَغْبَةُ الأَنْبِيَاءِ فِيهَا

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ :" **يَخْرُجُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُلَّةٌ غُرٌّ مُحَجَّلُونَ، تُسَدُّ الأُفُقَ، نُورُهُمْ مِثْلُ الشَّمْسِ، فَيُنَادِي مُنَادٍ : النَّبِيُّ الأُمِّيُّ ؟ فَيَتَحَسَّسُ لَهَا كُلُّ نَبِيٍّ أُمِّيٍّ، فَيُقَالُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ لَيْسَ عَلَيْهِمْ حِسَابٌ وَلا عَذَابٌ، ثُمَّ تَخْرُجُ ثُلَّةٌ أُخْرَى غُرٌّ مُحَجَّلُونَ، نُورُهُمْ مِثْلُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، يَسُدُّ الأُفُقَ نُورُهُمْ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: النَّبِيُّ الأُمِّيُّ؟ فَيَتَحَسَّسُ لَهَا كُلُّ نَبِيٍّ أُمِّيٍّ، فَيُقَالُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ، ثُمَّ تَخْرُجُ ثُلَّةٌ أُخْرَى غُرٌّ مُحَجَّلُونَ، نُورُهُمْ مِثْلُ أَعْظَمِ كَوْكَبٍ فِي السَّمَاءِ، يَسُدُّ الأُفُقَ نُورُهُمْ، فَيُنَادِي مُنَادٍ : النَّبِيُّ الأُمِّيُّ ؟ فَيَتَحَسَّسُ لَهَا كُلُّ نَبِيٍّ أُمِّيٍّ، فَيُقَالُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ، ثُمَّ يَجِيءُ رَبُّكَ عَزَّوَجَلَّ، ثُمَّ يُوضَعُ الْمِيزَانُ وَالْحِسَابُ** " [(١)] .

قوله: (**فَيَتَحَسَّسُ لَهَا كُلُّ نَبِيٍّ أُمِّيٍّ**) أَيْ يَسْتَمِعُ لَهَا كُلُّ نَبِيٍّ، رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَعْنِيَّ بِالنِّدَاءِ، وأَنْ تَكُونَ هَذِهِ الثُّلَّةُ هِيَ أُمَّتَهُ . وَالتَّحَسُّسُ : هُوَ الاِسْتِخْبَارُ وَالاِسْتِكْشَافُ وَالاِسْتِمَاعُ لِحَدِيثِ الْقَوْمِ [(٢)] . وَرُوِيَ بِلَفْظِ :" **يَتَخَشْخَشُ** ". وَالْخَشْخَشَةُ : حَرَكَةٌ لَهَا صَوتٌ كَصَوتِ السِّلاحِ [(٣)] .

قوله: (**ثُمَّ يَجِيءُ رَبُّكَ عَزَّوَجَلَّ**) يَعني لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَينَ خَلْقِهِ، وذَلِكَ بَعْدَمَا يَسْتَشْفِعُونَ إِلَيهِ بِسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ عَلَى الإِطْلاقِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بَعْدَمَا يَسْأَلُونَ أُوْلِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ، كُلُّهُم يَقُولُ : لَستُ بِصَاحِبِ ذَاكُمْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ النَّوْبَةُ إِلى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَقُولُ:

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٧٧٢٣) و«مسند الشاميين» (١١٨٥) وقال في «كنز العمال» : وسنده جيد، انتهى . وهذا في حكم المرفوع لأنه لا يقال من قبل الرأي، والله أعلم . وقال الهيثمي في المجمع : رجاله وُثِّقُوا .

(٢) «فتح الباري» (١٠٥/١) .

(٣) «النهاية لابن الأثير» (٨٧/٢) .

www.saida-islam.weebly.com

"أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا". فَيَذْهَبُ، فَيَشْفَعُ عِندَ اللَّهِ فِي أَنْ يَأْتِيَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، فَيُشَفِّعُهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ، وهِيَ أَوَّلُ الشَّفَاعَاتِ، وهِيَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ، فَيَجِيْءُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِفَصْلِ الْقَضَاءِ كَمَا يَشَاءُ، وَالْمَلائِكَةُ يَجِيئُونَ بَينَ يَدَيهِ صُفُوفاً صُفُوفاً [١] .

قوله: (ثُمَّ يُوضَعُ الْمِيزَانُ وَالْحِسَابُ) هَذَا مُوَافِقٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الآيَاتِ الَّتِي بَيَّنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهَا أَنَّ الْمَوَازِينَ تُوضَعُ يَومَ الْقِيَامَةِ، وأَنَّ النَّاسَ يُحَاسَبُونَ عَلَى أَعْمَالِهِم، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧]، وقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٢]، وقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ٨]، وقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ [القارعة : ٦-١١]، وقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف :١٠٣ -١٠٥]، قَالَ الإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : قَالَ الْعُلَمَاءُ : إِذَا انْقَضَى الْحِسَابُ كَانَ بَعدَهُ وَزْنُ الأَعْمَالِ، لأَنَّ الْوَزْنَ لِلْجَزَاءِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بَعْدَ الْمُحَاسَبَةِ، فَإِنَّ الْمُحَاسَبَةَ لِنَفْسِ الأَعْمَالِ، وَالْوَزْنَ لإِظْهَارِ مَقَادِيرِهَا، فَيَكُونُ الْجَزَاءُ بِحَسَبِهِمَا [٢] .

وجَاءَ فِي الآثَارِ أَنَّ هَذَا الْمِيزَانَ لَهُ كِفَّتَانِ حِسِّيَّتَانِ، مِنْهَا : عَنْ عَبدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" **إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاًّ، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ ! فَيَقُولُ : أَفَلَكَ عُذْرٌ ؟**

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/٦٢٠) .

(٢) «النهاية في الفتن والملاحم» (٢/٢٢٩) .

www.saida-islam.weebly.com

قَالَ: لا يَا رَبِّ ! فَيَقُولُ: بَلَى؛ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، وَإِنَّهُ لا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ ! مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ ؟! فَيَقُولُ: إِنَّكَ لا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ؛ فَلا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ " [١] .

وعَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :" يُوْضَعُ الْمِيزَانُ يومَ الْقِيَامَةِ، فَلَوْ وُزِنَ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ لَوَسِعَتْ . فَتَقُولُ الْمَلائِكَةُ : يَا رَبِّ لِمَنْ يَزِنُ هَذَا ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ سبحانه وتعالى : لِمَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي . فَتَقُولُ الْمَلائِكَةُ : سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ مِثْلَ حَدِّ الْمُوسَى، فَتَقُولُ الْمَلائِكَةُ : مَنْ تُجِيزُ عَلَى هَذَا ؟ فَيَقُولُ : مَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي . فَتَقُولُ الْمَلائِكَةُ : سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ [٢] .

وقَدْ جَاءَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الصَّحِيفَةَ الَّتِي كُتِبَ عَلَيهَا الأَعْمَالُ هِيَ الَّتِي تُوزَنُ، وجَاءَ فِي بَعْضِ الأَحَادِيثِ أَنَّ الأَعْمَالَ نَفْسَهَا تُوزَنُ، كَقَولِهِ ﷺ :" مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ "[٣]. وقَالَ ﷺ :" وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ" [٤] .

وقَالَ ﷺ :" بَخٍ بَخٍ لِخَمْسٌ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ ! لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ وَالِدَاهُ ". وَقَالَ :" بَخٍ بَخٍ

---

(١) رواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو (٦٩٥٤) والترمذي في سننه (٢٦٣٩) وقال : حديث حسن غريب وابن ماجه في سننه (٤٣٠٠) .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٨٧٣٩) وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

(٣) رواه أحمد في مسنده عن أبي الدرداء (٢٧٥١٧) وأبو داوود في سننه (٤٨٠١) والترمذي في سننه (٢٠٠٣) وقال النووي في رياض الصالحين: رواه الترمذي وقال : حديث صحيح . وقال الهيثمي في المجمع: رواه البزار ورجاله ثقات .

(٤) رواه مسلم عن أبي مالك الأشعري (٥٥٦) .

www.saida-islam.weebly.com

لِخَمْسٍ ! مَنْ لَقِيَ اللَّهَ مُسْتَيْقِنًا بِهِنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ: يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَبِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْحِسَابِ " (١) .

ولَمَّا حَضَرَ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه الْمَوتُ، أَرْسَلَ إِلى عُمَرَ رضي الله عنه، فَقَالَ :" إِنَّمَا ثَقُلَتْ مَوَازِينُ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ يَومَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْحَقَّ فِي دَارِ الدُّنْيَا وثِقَلِهِ عَلَيهِمْ، حُقَّ لِمِيزَانٍ يُوضَعُ فِيهِ الْحَقُّ غَداً أَنْ يَكُونَ ثَقِيلاً، وإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَومَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ فِي الدُّنْيَا وخِفَّتِهِ عَلَيهِمْ، وحُقَّ لِمِيزَانٍ يُوضَعُ فِيهِ الْبَاطِلُ غَداً أَنْ يَكُونَ خَفِيفاً " (٢) .

كَمَا جَاءَ فِي أَحَادِيثَ أُخْرَى أَنَّ الْعَامِلَ نَفْسَهُ يُوزَنُ، كَمَا قَالَ ﷺ :" إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ". وقَالَ: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٥] (٣) . وعِنْدَمَا ضَحِكَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ مِنْ دِقَّةِ سَاقَي ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ ﷺ :" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ " (٤). وقَالَ ﷺ :" تُوضَعُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ، فَيُوضَعُ فِي كِفَّةٍ، فَيُوضَعُ مَا أُحْصِيَ عَلَيْهِ، فَتَمَايَلَ بِهِ الْمِيزَانُ ". قَالَ :" فَيُبْعَثُ بِهِ إِلَى النَّارِ". قَالَ : " فَإِذَا أُدْبِرَ بِهِ، إِذَا صَائِحٌ يَصِيحُ مِنْ عِنْدِ الرَّحْمَنِ يَقُولُ : لا تَعْجَلُوا ! لا تَعْجَلُوا ! فَإِنَّهُ قَدْ بَقِيَ لَهُ، فَيُؤْتَى بِبِطَاقَةٍ فِيهَا لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَتُوضَعُ مَعَ الرَّجُلِ فِي كِفَّةٍ حَتَّى يَمِيلَ بِهِ

---

(١) رواه أحمد في مسنده عن أبي سلام عن مولى رسول اللَّهِ ﷺ (١٥٦٦٢) والطبراني في الكبير عن أبي سلمى راعي رسول اللَّهِ ﷺ (٨٧٣) وقال الهيثمي : رجاله ثقات رجال الصحيح . ورواه البزار في مسنده عن ثوبان مولى رسول اللَّهِ ﷺ (٤١٨٦) .

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» برقم (٢٨) .

(٣) رواه البخاري عن أبي هريرة برقم (٤٧٢٩) ومسلم (٧٢٢٢)

(٤) رواه أحمد في مسنده عن ابن مسعود (٣٩٩١) والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٣٧) والحاكم في المستدرك (٥٣٨٥) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي: رواه البزار والطبراني ورجالهما رجال الصحيح .

www.saida-islam.weebly.com

الْمِيزَانُ "[١]. فَيَجْتَمِعُ مِنْ هَذِهِ الأَحَادِيثِ أَنَّ الأَعْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيهَا وَالْعَامِلَ نَفْسَهُ، كُلُّهُمْ يُوْضَعُ فِي الْمِيزَانِ يَومَ الْقِيَامَةِ .

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا ذَكَرَتِ النَّارَ فَبَكَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **مَا يُبْكِيكِ ؟**" قَالَتْ : ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "**أَمَّا فِي ثَلاَثَةِ مَوَاطِنَ فَلاَ يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا : عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَوْ يَثْقُلُ، وَعِنْدَ الْكِتَابِ حِينَ يُقَالُ : ﴿ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾ حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ، أَفِي يَمِينِهِ أَمْ فِي شِمَالِهِ أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ** "[٢] .

وعَنْ عَبدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْغَرَّارِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : **عِنْدَ الْمِيزَانِ مَلَكٌ، إِذَا وُزِنَ الْعَبْدُ نَادَى : أَلاَ إِنَّ فَلانَ بْنَ فُلانٍ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، وسَعِدَ سَعَادَةً لا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَداً، أَلاَ إِنَّ فُلانَ بْنَ فُلانٍ قَدْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، وشَقِيَ شَقَاوَةً لا يَسْعَدُ بَعْدَهَا أَبَدا** [٣]. وقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخْعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في قَولِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ** ﴾ قَالَ : **يُجَاءُ بِعَمَلِ الرَّجُلِ، فَيُوضَعُ فِي كِفَّةِ مِيزَانِهِ يَومَ الْقِيَامَةِ، فَتَخِفُّ، فَيُجَاءُ بِشَيْءٍ أَمْثَالِ الْغَمَامِ** – أَوْ قَالَ: **مِثْلِ السَّحَابِ** – **فَيُوضَعُ فِي كِفَّةِ مِيزَانِهِ، فَيَرْجِحُ، فَيُقَالُ: أَتَدْرِي مَا هَذا ؟ هَذَا الْعِلْمُ الَّذِيْ تَعَلَّمْتَهُ وعَلَّمْتَهُ النَّاسَ، فَعَلِمُوهُ وعَمِلُوا بِهِ بَعْدَكَ** [٤] .

وقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :" **يُحَاسَبُ النَّاسُ يَومَ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ كَانَتْ حَسَنَاتُهُ أَكْثَرَ مِنْ سَيِّئَاتِهِ بِوَاحِدَةٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ، ومَنْ كَانَتْ سَيِّئَاتُهُ أَكْثَرَ مِنْ حَسَنَاتِهِ بِوَاحِدَةٍ دَخَلَ النَّارَ** ".

---

(١) رواه أحمد في مسنده عن عبد اللَّهِ بن عمرو (٧٠٦٦) وقال الهيثمي: فيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٢) رواه أحمد في مسنده بمعناه (٢٤٦٩٦) وأبو داوود في سننه (٤٧٥٧) واللفظ له، والحاكم في المستدرك (٨٧٢٢) وقال : صحيح على شرط الشيخين لولا إرسالٌ فيه بين الحسن وعائشة على أنه صَحَّتِ الروايات أن الحسن كان يدخل وهو صبي منزل عائشة وأم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ووافقه الذهبي في الحكم .

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» برقم (٣٧٢) .

(٤) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٧١)، (١٧٢) .

www.saida-islam.weebly.com

ثُمَّ تَلا قَولَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون :١٠٢– ١٠٣]؛ ثُمَّ قَالَ :" إِنَّ الْمِيزَانَ يَخِفُّ بِمِثْقَالِ حَبَّةٍ وَيَرْجِحُ " (١) .

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :" لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ هَلَكَ". فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ عُذِّبَ " (٢) .

مَعْنَى الْحَدِيثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

في هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانٌ لِفَضْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأُمَّتِهِ، حَيثُ يَأْتُونَ يومَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرَ الأُمَمِ اتِّبَاعاً لِنَبِيِّهِمْ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" **أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ يَومَ الْقِيَامَةِ، وأَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعاً**"(٣). كَمَا أَنَّ لَهُمْ سِيمَاءَ وعَلامَةً لَيستْ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ غَيرِهِم، وهِيَ أَنَّهُم يَأْتُونَ غُراً مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، ويَجِيئُونَ ونُورُهُم مِثْلُ نُورِ الشَّمْسِ، وبَعْضُهُم مِثْلُ نُورِ الْقَمَرِ لَيلَةَ الْبَدْرِ، وبَعْضُهُم مِثْلُ أَعْظَمِ كَوكَبٍ في السَّمَاءِ، يَسُدُّ الأُفُقَ نُورُهُم، يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ ولا عَذَابٍ، حَتَّى إِنَّ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ حِينَمَا يَرَونَ هَذِهِ الأُمَّةَ يَتَمَنَّوْنَ أَنْ تَكُونَ أُمَّتَهُمْ، ولَكِنْ هَذِهِ الأُمَّةُ هِيَ حَظُّ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الأُمَمِ، وهُوَ حَظُّهَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" **أَنَا حَظُّكُم مِنَ الأَنْبِيَاءِ، وأَنْتُمْ حَظِّي مِنَ الأُمَمِ** " (٤) .

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٤٦٩٠) وابن المبارك في «الزهد» (٤١١) .

(٢) رواه البخاري برقم (٤٩٣٩) ومسلم (٧٤٠٨) .

(٣) رواه مسلم عن أنس بن مالك برقم (٥٠٤) .

(٤) رواه أحمد في مسنده عن عبد اللَّهِ بن ثابت (١٥٨٦٤)، (١٨٣٣٥) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٢٠١) وابن حبان في صحيحه عن أبي الدرداء (٧٢١٤) والبزار في مسنده (٤٠٩٢) واللفظ لهما، وقال الهيثمي في المجمع : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير أبي حبيبة الطائي، وقد صحَّحَ له الترمذي حديثاً، وذكره ابن حبان في الثقات .

www.saida-islam.weebly.com

وَالْكُلُّ ذُوْ حَظٍّ عَظِيمٍ، فَقَدْ مَنَّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ بِأَنْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران : ١٦٤]، وقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] .

كَمَا امْتَنَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ الْكَرِيْمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ أَيَّدَهُ بِنَصْرِهِ وبِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٦٢] .

قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي قِصَّةِ النَّبِيِّ دَاوُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وما أُوْحِيَ إِلَيهِ فِي الزَّبُورِ :" يَا دَاوُدُ ! إِنَّهُ سَيَأْتِي مِنْ بَعْدِكَ نَبِيٌّ يُسَمَّى أَحْمَدَ ومُحَمَّداً، صَادِقاً سَيِّداً، لا أَغْضَبُ عَلَيهِ أَبَداً، ولا يُغْضِبُنِي أَبَداً، وقَدْ غَفَرْتُ لَهُ قَبلَ أَنْ يَعْصِيَنِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ومَا تَأَخَّرَ، وأُمَّتُهُ مَرْحُومَةٌ، أَعْطَيْتُهُم مِنَ النَّوَافِلِ مِثْلَ مَا أَعْطَيْتُ الأَنْبِيَاءَ، وَافْتَرَضْتُ عَلَيهِمُ الْفَرَائِضَ الَّتِي افْتَرَضْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسِلِ، حَتَّى يَأْتُونِي يَومَ الْقِيَامَةِ نُورُهُم مِثْلُ نُورِ الأَنْبِيَاءِ، وذَلِكَ أَنِّي افْتَرَضْتُ عَلَيهِم أَنْ يَتَطَهَّرُوا لِيْ لِكُلِّ صَلاةٍ، كَمَا افْتَرَضْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُم، وأَمَرْتُهُم بِالْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ كَمَا أَمَرْتُ الأَنْبِيَاءَ قَبلَهُم، وأَمَرْتُهُم بِالْحَجِّ كَمَا أَمَرْتُ الأَنْبِيَاءَ مِنْ قَبْلِهِم، وأَمَرْتُهُم بِالْجِهَادِ كَمَا أَمَرْتُ الرُّسُلَ مِنْ قَبْلِهِمْ .

يَا دَاوُدُ! إِنِّي فَضَّلْتُ مُحَمَّداً وأُمَّتَهُ عَلَى الأُمَمِ كُلِّهَا : أَعْطَيْتُهُم سِتَّ خِصَالٍ لَمْ أُعْطِهَا غَيرَهُم مِنَ الأُمَمِ، لا أُؤَاخِذُهُم بِالْخَطَإِ وَالنِّسْيَانِ، وكُلُّ ذَنْبٍ رَكِبُوهُ عَلَى غَيرِ عَمْدٍ إِذَا اسْتَغْفَرُونِي مِنْهُ غَفَرْتُهُ لَهُم، ومَا قَدَّمُوا لآخِرَتِهِم مِنْ شَيْءٍ طَيِّبَةً بِهِ أَنْفُسُهُم عَجَّلْتُهُ لَهُم أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، ولَهُم فِي الْمَدْخُورِ عِنْدِي أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، وأَعْطَيْتُهُم عَلَى الْمَصَائِبِ إِذَا صَبَرُوا وقَالُوا : إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ،

www.saida-islam.weebly.com

الصَّلاةَ وَالرَّحْمَةَ وَالْهُدَى إلى جَنَّاتِ النَّعِيمِ، فَإِنْ دَعَوْنِي اسْتَجَبْتُ لَهُم، فَإِمَّا يَرَوْهُ عَاجِلاً، وإِمَّا أَنْ أَصْرِفَ عَنْهُمْ سُوءاً، وإِمَّا أَنْ أَدَّخِرَهُ لَهُم فِي الآخِرَةِ .

يَا دَاوُدُ ! مَنْ لَقِيَنِي مِنْ أَمَّةِ مُحَمَّدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وَحْدِي لا شَرِيكَ لِيْ، صَادِقاً بِهَا فَهُوَ مَعِيَ فِي جَنَّتِي وكَرَامَتِيْ، ومَنْ لَقِيَنِي وقَدْ كَذَّبَ مُحَمَّداً أَوْ كَذَّبَ بِمَا جَاءَ بِهِ واسْتَهْزَأَ بِكِتَابِيْ، صَبَبْتُ عَلَيهِ فِي قَبْرِهِ الْعَذَابَ صَبّاً، وضَرَبَتِ الْمَلائِكَةُ وَجْهَهُ ودُبُرَهُ عِنْدَ مَنْشَرِهِ مِنْ قَبرِهِ، ثُمَّ أُدْخِلُهُ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ " [١] .

*****

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/٣٨٠ – ٣٨١) .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ السَادِسُ وْالعِشْرُوْنَ

عِظَمُ نُورِ هَذِهِ الأُمَّةِ يَومَ الْقِيَامَةِ ومُشَابَهَتُهُ لِنُورِ الأَنْبِيَاءِ

عَنْ أَبِي نَضْرَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : خَطَبَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَى مِنْبَرِ الْبَصْرَةِ فَقَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلاَّ لَهُ دَعْوَةٌ قَدْ تَنَجَّزَهَا فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي قَدِ اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي، وَأَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلا فَخْرَ، آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي وَلا فَخْرَ، وَيَطُولُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَلَى النَّاسِ .. فَذَكَرَ الحَدِيثَ، وفِيهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَصْدَعَ بَيْنَ خَلْقِهِ، نَادَى مُنَادٍ أَيْنَ أَحْمَدُ وَأُمَّتُهُ، فَنَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ، نَحْنُ آخِرُ الأُمَمِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، فَتُفْرَجُ لَنَا الأُمَمُ عَنْ طَرِيقِنَا، فَنَمْضِي غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الطُّهُورِ، فَتَقُولُ الأُمَمُ : كَادَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ أَنْ تَكُونَ أَنْبِيَاءَ كُلُّهَا، فَنَأْتِي بَابَ الْجَنَّةِ، فَآخُذُ بِحَلْقَةِ الْبَابِ، فَأَقْرَعُ الْبَابَ، فَيُقَالُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَقُولُ : أَنَا مُحَمَّدٌ فَيُفْتَحُ لِي " [(١)]. وفي رِوَايَةٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : "فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي، فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لاَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ الآنَ يُلْهِمُنِيهِ اللَّهُ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ : رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي . فَيُقَالُ: انْطَلِقْ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا . فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ .فَأَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي . فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا ... وذَكَرَ الحَدِيثَ، إِلى أَنْ

---

(١) رواه أحمد في مسنده من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي نضرة (٢٥٤٦)، (٢٦٩٢) وأبو يعلى في مسنده (٢٣٢٨) وقال الهيثمي في المجمع : فيه علي بن زيد وقد وُثِّقَ على ضعف، وبقية رجالهما رجال الصحيح . وقال البوصيري في «إتحاف الخيرة»: ورواه ابن ماجه مختصراً، ورواته ثقات .

www.saida-islam.weebly.com

قَالَ :" ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فِي الرَّابِعَةِ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي : يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ . فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ . قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ لَكَ – أَوْ قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ إِلَيْكَ – وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي وَجِبْرِيَائِي لأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ "[١] .

قوله: (إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلاَّ لَهُ دَعْوَةٌ قَدْ تَنَجَّزَهَا فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي قَدِ اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي) مَعْنَاهُ أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ لَهُ دَعْوَةٌ مُتَيَقَّنَةُ الإِجَابَةِ، وهُوَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ إِجَابَتِهَا، أَمَّا بَاقِي دَعَوَاتِهِمْ فَهُمْ عَلَى طَمَعٍ مِنْ إِجَابَتِهَا، بَعْضُهَا يُجَابُ وبَعْضُهَا لا يُجَابُ، ويَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً لأُمَّتِهِ، كَمَا فِي رِوَايَةٍ :" **لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ، فَاسْتُجِيبَ لَهُ، وإِنِّي أُرِيدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ أُؤَخِّرَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ** "[٢].

وفي هَذَا بَيَانُ كَمَالِ شَفَقَةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ، ورَأْفَتِهِ بِهِمْ، وَاعْتِنَائِهِ بِالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِهِمُ الْمُهِمَّةِ، فَأَخَّرَ ﷺ دَعْوَتَهُ لأُمَّتِهِ إِلى أَهَمِّ أَوْقَاتِ حَاجَاتِهِمْ[٣] .

قوله: (فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَصْدَعَ بَيْنَ خَلْقِهِ، نَادَى مُنَادٍ أَيْنَ أَحْمَدُ وَأُمَّتُهُ، فَنَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ نَحْنُ آخِرُ الأُمَمِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ) أَيْ فَلَمَّا يُرِيدُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَ خَلْقِهِ ويَبْدَأَ فِي حِسَابِهِم، يُنَادِي مُنَادٍ : أَيْنَ أَحْمَدُ وأُمَّتُهُ، فَهُمْ أَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، وأَوَّلُ مَنْ يَجُوزُ الصِّرَاطَ، كَمَا فِي رِوَايَةٍ :" **ويُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وأُمَّتِي فِي أَوَّلِ مَنْ يَجُوزُ** "[٤]؛ وأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، كَمَا فِي رِوَايَةٍ: "**وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ** "[٥] .

---

(١) رواه البخاري عن أنس بن مالك (٧٥١٠) ومسلم (٥٠٠) .

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة برقم (٤٩٢) .

(٣) «شرح مسلم للنووي» بتصرف (٣ / ٧٠) .

(٤) رواه البخاري عن أبي هريرة برقم (٧٤٣٧) .

(٥) سيأتي تخريجه .

www.saida-islam.weebly.com

قوله: (**فَتَقُولُ الأُمَمُ: كَادَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ أَنْ تَكُونَ أَنْبِيَاءَ كُلُّهَا**) هَذَا لأَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تَأْتِي يَومَ الْقِيَامَةِ ونُورُهَا مِثْلُ نُورِ الأَنْبِيَاءِ، لأَنَّ اللَّهَ ﷻ شَرَعَ لَهَا مِثْلَ مَا شَرَعَ لأُوْلِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسِلِ، بِأَنْ يُقِيمُوا الدِّيْنَ فِي أَنْفُسِهِم وفِي غَيرِهِمْ، فَنُورُهُمُ الَّذِيْ يَكْتَسِبُونَهُ مِنْ دَعْوَتِهِمْ إِلى اللَّهِ يُشْبِهُ نُورَ الأَنْبِيَاءِ؛ وهَذَا أَمْرٌ اجْتَمَعَ عَلَيهِ الأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ عَلَى اخْتِلافِهِم فِي الشَّرَائِعِ، فَيَكُونُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ نُورٌ مِثْلُ نُورِ الأَنْبِيَاءِ، ويُجَازِيهِمُ اللَّهُ كَمَا يُجَازِي الأَنْبِيَاءَ، كَمَا رُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه مَرْفُوعاً قَالَ :" **أَوْحَى اللَّهُ إِلى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ أَنَّ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ لَرِجَالاً يَقُومُونَ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ ووَادٍ، يُنَادُونَ بِشَهَادَةِ أَنْ لا إِلَه إِلاَّ اللَّهُ، جَزَاؤُهُمْ عَلَيَّ جَزَاءُ الأَنْبِيَاءِ** " [(١)] .

مَعْنَى الْحَدِيْثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

فِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانٌ لِعَظِيمِ دَرَجَةِ نَبِيِّنَا ﷺ ورَفِيعِ مَنْزِلَتِهِ ومَكَانَتِهِ عِندَ رَبِّهِ، حَيثُ أَعْطَاهُ مَقَاماً مَحْمُوداً يَحْمَدُهُ عَلَيهِ أَهْلُ الْجَمْعِ كُلُّهُم، وهُوَ مَقَامُ الشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى، حَيثُ يَتَوَجَّهُ النَّاسُ فِي أَرْضِ الْمَحْشَرِ إِلى مَنْ لَهُ جَاهٌ عِندَ اللَّهِ ﷻ، فَيَبْدَؤُونَ بِآدَمَ، ثُمَّ نُوحٍ، ثُمَّ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ مُوسَى، ثُمَّ عِيسَى عليهم السلام، كُلٌّ يَقُولُ : لَستُ هَنَاكُمْ، نَفْسِي نَفْسِي، إِلى أَنْ يَأْتُوا نَبِيَّنَا مُحَمَّداً ﷺ، فَيَقُولُ : أَنَا لَهَا؛ وَالْحِكْمَةُ فِي أَنَّ اللَّهَ ﷻ أَلْهَمَهُمْ سُؤَالَ آدَمَ ومَنْ بَعْدَهُ عليهم السلام فِي الابْتِدَاءِ، ولَمْ يُلْهِمْهُمْ سُؤَالَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ هِيَ - واللَّهُ أَعْلَمُ - إِظْهَارُ فَضِيلَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فَإِنَّهُم لَوْ سَأَلُوهُ ابْتِدَاءً لَكَانَ يَحْتَمِلُ أَنَّ غَيرَهُ يَقْدِرُ عَلَى هَذَا ويُحَصِّلُهُ، أَمَّا إِذَا سَأَلُوا غَيرَهُ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ ﷻ وأَصْفِيَائِهِ فَامْتَنَعُوا، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَجَابَ وحَصَّلَ غَرَضَهُمْ، فَهُوَ النِّهَايَةُ فِي ارْتِفَاعِ الْمَنْزِلَةِ وكَمَالِ الْقُرْبِ وعَظِيمِ الإِدْلالِ والأُنْسِ؛ وفِيهِ تَفْضِيلُهُ ﷺ عَلَى جَمِيعِ الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الرُّسُلِ وَالآدَمِيِّينَ وَالْمَلائِكَةِ، فَإِنَّ هَذَا الأَمْرَ الْعَظِيمَ - وهُوَ الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى - لا يَقْدِرُ عَلَى الإِقْدَامِ عَلَيهِ غَيرُهُ ﷺ [(٢)] .

---

(١) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» عن أنس بن مالك (٥٠٦) وأبو نعيم في «أخبار أصفهان» (٢٠٤٥) .

(٢) «شرح مسلم للنووي» (١/٣٣٨) .

www.saida-islam.weebly.com

وهَذِهِ الشَّفَاعَةُ فِي الإِرَاحَةِ مِنْ هَولِ الْمَوْقِفِ، كَمَا يَشْفَعُ ﷺ فِي إِدْخَالِ قَومٍ الْجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ، كَمَا فِي قَولِهِ ﷻ فِي جَوَابِ قَولِهِ ﷺ :"**أُمَّتِي أُمَّتِي**". فَيَقُولُ :" **أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عَلَيهِمْ** " [١]؛ كَذَا سُؤَالُهُ ﷺ الزِّيَادَةَ عَلَى السَّبْعِينَ أَلْفاً الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ، فَأُجِيبَ [٢] .

كَمَا يَشْفَعُ ﷺ فِي إِدْخَالِ قَومٍ حُوسِبُوا فَاسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ، أَنْ لا يُعَذَّبُوا، كَمَا فِي حَدِيثِ حُذَيفَةَ رضي الله عنه مَرْفُوعاً :" **ونَبِيُّكُم عَلَى الصِّرَاطِ، يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ**" [٣]. وقَولِهِ ﷺ: "**شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي** "[٤]. وقَالَ ﷺ :" **خُيِّرْتُ بَينَ الشَّفَاعَةِ أَوْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، لأَنَّهَا أَعَمُّ وأَكْفَى، أَمَا إِنَّهَا لَيسَتْ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ، ولَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَّائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ** " [٥]. كَمَا يَشْفَعُ ﷺ فِي إِخْرَاجِ مَنْ أُدْخِلَ النَّارَ مِنْ عُصَاةِ أُمَّتِهِ، كَمَا فِي حَدِيثِ الْبَابِ وغَيرِهِ .

وكَذَلِكَ يَشْفَعُ ﷺ فِي إِدْخَالِ مَنْ قُضِيَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ بِأَنْ يَدْخُلُوهَا، كَمَا فِي حَدِيثِ الصُّورِ الطَّوِيلِ، وفِيهِ يَقُولُ ﷺ :" **فَأَقُولُ يَا رَبِّ ! وَعَدْتَنِي الشَّفَاعَةَ، فَشَفِّعْنِي فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ : وَقَدْ شَفَّعْتُكَ فِيهِمْ، وأَذِنْتُ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ**" [٦] .

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة برقم (٤٧١٢) .

(٢) سيأتي تخريجه قريباً .

(٣) رواه مسلم عن حذيفة (٥٠٣) .

(٤) رواه أحمد في مسنده عن أنس بن مالك (١٣٢٢٢) والترمذي في سننه (٢٤٣٥) وقال: حديث حسن صحيح. وأبو داوود في سننه (٤٧٤١) ورواه ابن ماجه في سننه عن جابر (٤٣١٠) والحاكم في المستدرك (٣٤٤٢) وقال : صحيح على شرط الشيخين، وقال الذهبي على شرط مسلم .

(٥) رواه أحمد في مسنده عن ابن عمر (٥٤٥٢) وابن ماجه في سننه (٤٣١١) وقال البوصيري في الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات .

(٦) رواه أبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة كما في «إتحاف الخيرة» برقم (٧٦٧٩) والطبراني في «الأحاديث الطوال» (٣٦) .

www.saida-islam.weebly.com

كَمَا يَشْفَعُ ﷺ فِي رَفْعِ دَرَجَاتِ قَومٍ فِي الْجَنَّةِ، وتَخْفِيفِ الْعَذَابِ عَنْ آخَرِينَ فِي النَّارِ، كَمَا فِي شَفَاعَتِهِ ﷺ لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وذَلِكَ بِوَضْعِهِ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ، ولَولا شَفَاعَتُهُ ﷺ لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ [١] .

كَمَا أَنَّهُ ﷺ أَوَّلُ شَافِعٍ فِي دُخُولِ أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ قَبْلَ النَّاسِ، كَمَا فِي حَدِيثِ الْبَابِ .

وهُنَاكَ شَفَاعَةٌ أُخْرَى لَهُ ﷺ فِيمَنِ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُ وسَيِّئَاتُهُ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، ومُسْتَنَدُهَا مَا رُوِيَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ :" **السَّابِقُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ، وَالْمُقْتَصِدُ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً، ويُحْبَسُ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ**"[٢]. كَمَا أَنَّ أَصْحَابَ الأَعْرَافِ يَدْخُلُونَهَا بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ . وأَرْجَحُ الأَقْوَالِ فِي أَصْحَابِ الأَعْرَافِ أَنَّهُمْ قَومٌ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُم وسَيِّئَاتُهُم .

وهُنَاكَ شَفَاعَةٌ أُخْرَى فِيمَنْ قَالَ لا إِلَه إِلاَّ **اللَّهُ**، ولَمْ يَعْمَلْ خَيرًا قَطُّ، كَمَا مَرَّ فِي حَدِيثِ الْبَابِ [٣] .

كَمَا فِي الْحَدِيثِ تَفْضِيلُ هَذِهِ الأُمَّةِ وتَقْدِيمُهَا عَلَى سَائِرِ الأُمَمِ، وإِقْرَارُ جَمِيعِ الأُمَمِ هَذَا الأَمْرَ وتَسْلِيمُهُمْ لَهُ، كَمَا فِيهِ أَنَّ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلاَّ **اللَّهُ**، ولَمْ يَأْتِ بِمَا يُنَاقِضُهَا، فَإِنَّهَا سَتَنْفَعُهُ يوماً مِنْ دَهْرِهِ، أَصَابَهُ قَبلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ، وتُنَجِّيهِ مِنَ النَّارِ، كَمَا صَحَّتْ بِذَلِكَ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا : مَا رَوَاهُ الشَّيخَانِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ **اللَّهِ** ﷺ قَالَ :" **مَا مِنْ عَبدٍ قَالَ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ** " [٤] .

---

(١) رواه البخاري عن العباس بن عبد المطلب برقم (٣٨٨٣)، (٦٢٠٨) ومسلم من (٥٣١) إلى (٥٣٥) .

(٢) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (٢٣٦٣) .

(٣) ذكر هذه الشفاعات الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» نقلاً لبعضها عن القاضي عياض والنووي (٥٢١/١١ – ٥٢٢) .

(٤) رواه البخاري عن أبي ذر برقم (٥٨٢٧) ومسلم (٢٨٣) .

www.saida-islam.weebly.com

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ : سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :" **مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَه إلاَّ اللَّهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، حَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَلَى النَّارِ**" (١). أَيْ حَرَّمَ عَلَيهِ الْخُلُودَ فِيهَا كَالْكُفَّارِ (٢) .

وعَنْ حُذَيفَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **يَدْرُسُ الإِسْلامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لا يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلا صَلاةٌ وَلا نُسُكٌ وَلا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ فَلا يَبْقَى فِي الأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ، الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ : أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَنَحْنُ نَقُولُهَا** ". فَقَالَ لَهُ صِلَةُ : مَا تُغْنِي عَنْهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَهُمْ لا يَدْرُونَ مَا صَلاةٌ وَلا صِيَامٌ وَلا نُسُكٌ وَلا صَدَقَةٌ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ : يَا صِلَةُ تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ؛ ثَلاثًا (٣) .

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :" **أَشْفَعُ لأُمَّتِي حَتَّى يُنَادِيَنِي رَبِّي تَبَارَكَ وتَعَالَى، فَيَقُولُ : أَقَدْ رَضِيتَ يَا مُحَمَّدُ ؟ فَأَقُولُ : أَيْ رَبِّ رَضِيتُ** " (٤) .

*****

(١) رواه مسلم برقم (١٥١) .

(٢) «مرقاة المفاتيح» (١٨٩/١) .

(٣) رواه ابن ماجه في سننه (٤٠٤٩) والحاكم في المستدرك (٨٤٦٠)، (٨٦٣٦) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي . وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات .

(٤) رواه الطبراني في الأوسط (٢٠٦٢) والبزار في مسنده (٦٣٨) وقال المنذري: إسناده حسن إن شاء اللَّهُ .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُوْنَ

هَذِهِ الأُمَّةُ تَكُونُ مَعَ نَبِيِّهَا ﷺ عَلَى تَلٍّ مِنْ مِسْكٍ يَومَ الْقِيَامَةِ

عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ :" **يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ، وَيَكْسُونِي رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى حُلَّةً خَضْرَاءَ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَقُولَ، فَذَاكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ** " [(١)] .

قوله: (**فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ**) رُوِيَ أَنَّ هَذَا التَّلَ هُوَ كَوْمٌ مِنْ مِسْكٍ، كَمَا جَاءَ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه مَرفُوعاً قَالَ :" **إِنِّيْ وأُمَّتِيْ لَمُشْرِفُونَ عَلَى كَومٍ مِنْ مِسْكٍ، مُشْرِفُونَ عَلَى الْخَلاَئِقِ، مَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلاَّ وَدَّ أَنَّهُ مِنَّا، ومَا مِنْ نَبِيٍّ كَذَّبَهُ قَومُهُ إِلاَّ وأُمَّةُ مُحَمَّدٍ شُهَدَاءُ لَهُ يَومَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ رِسَالاتِ رَبِّهِ، وَالرَّسُولُ شَهِيدٌ عَلَيهِم**"[(٢)].

قوله: (**فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَقُولَ**) الْمُرَادُ بِالْقَولِ هُنَا – واللهُ أَعْلَمُ – هُوَ الْمُرَاجَعَةُ فِي الشَّفَاعَةِ[(٣)]، والثَّنَاءُ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، كَمَا فِي رِوَايَةٍ :" **ثُمَّ يَأْذَنُ لِي، فَأُثْنِي عَلَيهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، فَذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ** " .

قوله: (**فَذَاكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ**) الْمُرَادُ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ هُوَ الشَّفَاعَةُ، كَمَا قَالَ ﷺ : "**الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الشَّفَاعَةُ** "[(٤)]. وَالشَّفَاعَةُ الَّتِيْ وَرَدَتْ فِي الأَحَادِيثِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ نَوعَانِ :

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٥٧٨٣) والطبراني في الكبير (١٤٢) وابن حبان في صحيحه (٦٤٧٩) والحاكم في المستدرك (٣٣٨٣) وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي في المجمع : رجاله رجال الصحيح .

(٢) أخرجه الديلمي عن جابر (٢٣١) .

(٣) «فتح الباري» (٤٢٧/١١) .

(٤) رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة (١٠٢٠٠) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٧٤١) .

www.saida-islam.weebly.com

الأَوَّلُ : الشَّفَاعَةُ الْعَامَّةُ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ، كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :" **فَيَشْفَعُ لِيَقْضِيَ بَيْنَ الْخَلْقِ، فَيَمْشِي حَتَّى يَأْخُذَ بِحَلْقَةِ الْبَابِ، فَيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُ اللَّهُ مَقَاماً مَحْمُوداً يَحْمَدُهُ أَهْلُ الْجَمْعِ كُلُّهُمْ** " [١]. وفي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَفَعَهُ :" **إِنِّي لأَقُومُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ**". فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، ومَا ذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **ذَاكَ إِذَا جِيْءَ بِكُمْ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ** عليه السلام، **فَيُؤْتَى بِرِيْطَتَيْنِ بَيْضَاوَيْنِ، فَيَلْبَسُهُمَا، ثُمَّ يَقْعُدُ مُسْتَقْبِلَ الْعَرْشِ، ثُمَّ أُوْتَى بِكِسْوَتِي فَأَلْبَسُهَا، فَأَقُومُ عَنْ يَمِينِهِ مَقَامًا لا يَقُومُهُ غَيْرِي، يَغْبِطُنِي فِيهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ، ثُمَّ يُفْتَحُ نَهَرٌ مِنَ الْكَوْثَرِ إِلَى الْحَوْضِ** " [٢] .

وَالثَّانِي : الشَّفَاعَةُ فِي إِخْرَاجِ الْمُذْنِبِينَ مِنَ النَّارِ، كَمَا فِي أَحَادِيثِ شَفَاعَتِهِ ﷺ لأُمَّتِهِ، مِنْهَا حَدِيثُ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :" **هُوَ الشَّفَاعَةُ، يُشَفِّعُهُ اللَّهُ فِي أُمَّتِهِ، فَهُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ**"[٣]. وفَاعِلُ الْحَمْدِ فِي قَوْلِهِ :" **مَقَاماً مَحْمُوداً** ". هُمْ أَهْلُ الْمَوْقِفِ، كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ :" **مَقَاماً مَحْمُوداً يَحْمَدُهُ أَهْلُ الْجَمْعِ كُلُّهُمْ** " [٤] .

مَعْنَى الْحَدِيثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ عَظِيمَ فَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيهِ بِأَنْ أَعْطَاهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ يَومَ الْقِيَامَةِ، وهُوَ مَقَامُ الشَّفَاعَةِ الْكُبْرَى فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ، حَيثُ يَقُومُ مَقَاماً لا يَقُومُهُ أَحَدٌ مِنَ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ، كَمَا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَفَضَّلَ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ بِأَنْ جَعَلَهُمْ شُرَكَاءَ لِنَبِيِّهِ ﷺ فِي كُلِّ خَيرٌ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَيَكُونُ ﷺ هُوَ وأُمَّتُهُ عَلَى تَلٍّ مِنْ مِسْكٍ، مُشْرِفِينَ عَلَى الْخَلائِقِ،

---

(١) رواه البخاري برقم (١٤٧٥) .

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٧٨٧) والطبراني في الكبير (١٠٠١٧) والحاكم في المستدرك (٣٣٨٥) وقال: صحيح الإسناد، واعترضه الذهبي فقال: لا واللَّهِ فعثمان ضَعَّفَهُ الدارقطني، والباقون ثقات . وقال الهيثمي في المجمع : في أسانيدهم كلهم عثمان بن عمير وهو ضعيف .

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره برقم (٢٢٦٣٠) .

(٤) «فتح الباري» بتصرف (١١/٤٢٧) .

www.saida-islam.weebly.com

فَيَغْبِطُهُمُ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ، ولا يَبْقَى أَحَدٌ مِنَ الأُمَمِ إِلاَّ وَدَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، لِمَا يَرَوْنَ مِنْ عَظِيمِ مَقَامِهَا عِنْدَ رَبِّهَا ﷻ .

*****

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ الثَامِنُ وَالْعِشْرُوْنَ

كَرَامَةُ فُقَرَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ يَومَ الْقِيَامَةِ وَقِصَرُهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

عَنْ عَبدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :" تَجْتَمِعُونَ يَومَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ : أَيْنَ فُقَرَاءُ هَذِهِ الأُمَّةِ ومَسَاكِينُهَا ؟ قَالَ : فَيَقُومُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ : مَاذَا عَمِلْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا ! ابْتُلِينَا فَصَبَرْنَا، وآتَيْتَ الأَمْوَالَ والسُّلْطَانَ غَيرَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَدَقْتُمْ ". قَالَ :" فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبلَ النَّاسِ، ويَبْقَى شِدَّةُ الْحِسَابِ عَلَى ذَوِيْ الأَمْوَالِ وَالسُّلْطَانِ". قَالُوا : فَأَيْنَ الْمُؤْمِنُونَ يَومَئِذٍ ؟ قَالَ :" يُوْضَعُ لَهُمْ كَرَاسِيُّ مِنْ نُورٍ، وتُظَلَّلُ عَلَيهِمُ الْغَمَامُ، يَكُونُ ذَلِكَ الْيَومُ أَقْصَرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ سَاعَةٍ مِنْ نَهَارٍ " [١] .

قوله: (فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبلَ النَّاسِ) يُبَيِّنُ هَذَا قَولُهُ ﷺ :" **يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ، خَمْسِمِائَةِ عَامٍ** " [٢]. وقَالَ ﷺ :" **اثْنَتَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ : الْمَوتُ، وَالْمَوتُ خَيرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ، ويَكْرَهُ قِلَّةَ الْمَالِ، وقِلَّةُ الْمَالِ أَقَلُّ لِلْحِسَابِ**"[٣]. وعَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لأَبِيْ الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَالَكَ لا تَطْلُبُ مَا يَطْلُبُ فُلانٌ وفُلانٌ ؟ قَالَ : إِنِّيْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :" **إِنَّ وَرَاءَكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً، لا يَجُوزُهَا الْمُثْقِلُونَ** ". فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَتَخَفَّفَ لِتِلْكَ الْعَقَبَةِ [٤] .

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٧٤١٩) وأبو نعيم في الحلية (٢٠٦/٧) وقال الهيثمي في المجمع : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أبي كثير الزبيدي وهو ثقة . وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه موقوفاً (٣٤٧١٥) .

(٢) رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة (٧٩٤٦) وابن ماجه في سننه (٤١٢٢) والترمذي في سننه (٢٣٥٤) وقال: هذا حديث صحيح .

(٣) رواه أحمد في مسنده عن محمود بن لبيد (٢٣٦٢٥) وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح .

(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٤٠٧) وقال المنذري في الترغيب: رواه الطبراني بإسناد صحيح . وقال الهيثمي: رجاله ثقات .

www.saida-islam.weebly.com

قوله: (يُوْضَعُ لَهُمْ كَرَاسِيٌّ مِنْ نُورٍ، وتُظَلَّلُ عَلَيهِمُ الْغَمَامُ) هَذَا يَكُونُ فِي الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ فِي يَومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةً، وَالْمُؤْمِنُونَ يَكُونُونَ فِي ظِلِّ عَرْشِ الرَّحْمَنِ، فِي كَرَامَةٍ ورَاحَةٍ مِنْ هَولِ الْمَوْقِفِ، فَلا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، ولا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنُوا.

قوله: (يَكُونُ ذَلِكَ الْيَومُ أَقْصَرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ سَاعَةٍ مِنْ نَهَارٍ) هَذَا مِنْ فَضْلِ اللهِ ﷻ عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، حَيثُ يُخَفِّفُ عَلَيهِم طُولَ يَومِ الْقِيَامَةِ، فَيَكُونُ عَلَيهِم أَقْصَرَ مِنْ سَاعَةٍ مِنْ نَهَارٍ؛ وجَاءَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ، ﴿ يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾، مَا أَطْوَلَ هَذَا الْيَومَ ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيهِ مِنْ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيهَا فِي الدُّنْيَا** "[(١)]. وعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :" **يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِقْدَارَ نِصْفِ يَوْمٍ، خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَيُهَوَّنُ ذَلِكَ الْيَوْمُ عَلَى الْمُؤْمِنِ كَتَدَلِّي الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ** " [(٢)]. وعَنهُ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ :" **يَوْمُ القِيامَةِ كَقَدْرِ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالعَصْرِ** " [(٣)] .

مَعْنَى الْحَدِيثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ فَضِيلَةً عَظِيمَةً لِهَذِهِ الأُمَّةِ، حَيثُ إِنَّ اللهَ ﷻ يُكْرِمُهُم يَومَ الْقِيَامَةِ إِكْرَاماً عَظِيماً، فَيَضَعُ لَهُمْ كَرَاسِيَّ مِنْ نُورٍ، فَيَجْلِسُونَ عَلَيهَا، وتُظَلَّلُ عَلَيهِمُ الْغَمَامُ إِكْرَاماً لَهُمْ وإِظْهَاراً لِشَرَفِهِم وقُرْبِهِم مِنْهُ ﷻ، ويُهَوَّنُ عَلَيهِم ذَلِكَ الْيَومُ الْعَصِيبُ الَّذِي وَصَفَهُ ﷻ بِقَولِهِ : ﴿ يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾، وقَالَ ﷻ : ﴿ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾، وقَالَ ﷻ : ﴿ يَوْمًا كَانَ

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١١٧١٧) وأبو يعلى في مسنده (١٣٩٠) وقال الهيثمي : إسناده حسن على ضعف في راويه . وحَسَّنَهُ الحافظ في الفتح .

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (٦٠٤٥) وابن حبان في صحيحه (٧٣٣٣) وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح غير إسماعيل بن عبد الله بن خالد وهو ثقة .

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٢٨٣) وقال : صحيح على شرط الشيخين إن كان سويد بن نصر حَفِظَهُ ، على أنه ثقة مأمون . وقال الذهبي في التلخيص : على شرطهما .

www.saida-islam.weebly.com

شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾، فَيُهَوَّنُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يَكُونَ أَقْصَرَ عَلَيهِم مِنْ سَاعَةٍ مِنْ نَهَارٍ، وأَخَفَّ عَلَيهِم مِنْ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ كَانُوا يُصَلُّونَهَا فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّهُم طَالَمَا أَجْهَدُوا أَنْفُسَهُم فِي طَاعَةِ اللَّهِ ﷻ فِي الدُّنْيَا، وسَعَوْا فِي إِقَامَةِ دِينِهِ وإِحْيَاءِهِ فِي أَنْفُسِهِم وفِي غَيرِهِمْ، وطَالَمَا قَامُوا اللَّيَالِيَ بَينَ يَدَيْهِ، حَذَرَ الآخِرَةِ ورَجَاءَ رَحْمَةِ اللَّهِ، وأَنْفَقُوا أَمْوَالَهُم فِي سَبِيلِهِ، فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَومِ وخَفَّفَهُ عَلَيهِم، وأَظْهَرَ شَرَفَهُم وفَضْلَهُم لِلْخَلائِقِ، حَتَّى يَغْبِطُوهُم عَلَى مَقَامِهِم هَذَا، ولَمْ يَجْمَعْ عَلَيهِم خَوفَينِ ولا جَهْدَينِ، كَمَا وَعَدَ ﷻ فِي الحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ، فَقَالَ :" **وَعِزَّتِي لا أَجْمَعُ عَلَى عَبدِيْ خَوفَيْنِ وأَمْنَيْنِ، فَإِنْ أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَومَ الْقِيَامَةِ، وإِنْ خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَومَ الْقِيَامَةِ** " (١) .

فَأَمَّنَهُم فِي الآخِرَةِ حَيثُ كَانُوا قَبلُ فِي أَهْلِهِم مُشْفِقِينَ، وأَرَاحَهُم مِنْ طُولِ الْمَوقِفِ وشِدَّتِهِ حَيثُ كَانُوا قَبلُ فِي طَاعَتِهِ مُجْتَهِدِينَ، وعَلَى رِضَاهُ حَرِيصِينَ؛ وهَذِهِ الْفَضِيلَةُ عَامَّةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وهُنَاكَ فَضِيلَةٌ خَاصَّةٌ لِفُقَرَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ ومَسَاكِينِهَا، وهِيَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ قَبلَ الأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَومٍ، خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وذَلِكَ جَزَاءً لَهُم بِصَبْرِهِم عَلَى مَا ابْتَلاهُمُ اللَّهُ ﷻ بِهِ مِنَ الْفَقْرِ، ورِضَاهُم عَنِ اللَّهِ ﷻ فِي هَذِهِ الْحَالِ، فَيُجْزِيهِمُ اللَّهُ ﷻ بِأَنْ يُرْضِيَهُم فِي ذَلِكَ الْيَومِ الشَّدِيدِ، فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ قَبلَ غَيرِهِم مِنَ الأَغْنِيَاءِ وأَهْلِ السُّلْطَانِ .

وقَدْ جَاءَ فِي وَصْفِ هَؤُلاءِ أَحَادِيثُ عَظِيمَةٌ، مِنْهَا : عَنْ عَبدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ : كُنْتُ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوماً، وطَلَعَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ :" **يَأْتِي اللَّهَ قَوْمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نُورُهُمْ كَنُورِ الشَّمْسِ**". فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه : أَنَحْنُ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ **قَالَ** :" **لا، وَلَكُمْ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّهُمُ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ، الَّذِينَ يُحْشَرُونَ مِنْ أَقْطَارِ الأَرْضِ** ".

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة (٦٤٠) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٧٧) والبزار في مسنده (٨٠٢٩) كما رواه عن الحسن مرسلاً (٨٠٢٨) وأبو نعيم في «الحلية» عن شداد بن أوس (١/٢٧٠) والطبراني في «مسند الشاميين» (٤٦٢) وذكر الهيثمي في المجمع الوجهين المرسل عن الحسن والموصول عن أبي هريرة وقال : رواهما البزار عن شيخه محمد بن يحيى بن ميمون و لم أعرفه، وبقية رجال المرسل رجال الصحيح، وكذلك رجال المسند غير محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث .

www.saida-islam.weebly.com

وَقَالَ ﷺ :"طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ! طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ! طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ!" فَقِيلَ : مَنِ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ :" نَاسٌ صَالِحُونَ فِي نَاسِ سَوْءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ " (١) .

وعَنهُ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :" هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عز وجل ؟" قَالُوا : اللَّهُ أَعْلَمُ وَرَسُولُهُ، قَالَ :" إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عز وجل الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ، الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَيُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ، لا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً، فَيَقُولُ اللَّهُ عز وجل لِمَنْ شَاءَ مِنْ مَلائِكَتِهِ : ائْتُوهُمْ فَحَيُّوهُمْ. فَتَقُولُ الْمَلائِكَةُ : رَبَّنَا نَحْنُ سُكَّانُ سَمَائِكَ، وَخِيرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ، أَفَتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلاءِ فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ ؟! قَالَ : إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا لِي، يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ، وَتُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً ". قَالَ : فَتَأْتِيهِمُ الْمَلائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ " (٢) .

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :" يَدْخُلُ فُقَرَاءُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا". فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ :" هُمُ الدَّنِسَةُ ثِيَابُهُمْ، الشَّعِثَةُ رُؤُوسُهُمْ، الَّذِينَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ عَلَى السُّدَّاتِ، وَلا يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِّمَاتِ، تُوَكَّلُ بِهِم مَشَارِقُ الأَرْضِ ومَغَارِبُهَا، يُعْطُونَ كُلَّ الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَلا يُعْطَوْنَ كُلَّ الَّذِي لَهُمْ " (٣) .

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٧٠٧٢) والطبراني في الأوسط (٨٩٨٥)، (٨٩٨٦) وفي الكبير (١٥٣٩) وقال الهيثمي: له في الكبير أسانيد رجال أحدها رجال الصحيح . وقال المنذري في الترغيب: أحد أسانيد الطبراني رواته رواة الصحيح .

(٢) رواه أحمد في مسنده (٦٥٧٠) والبزار في مسنده (٢٤٥٧) وقال الهيثمي : رجالهم ثقات ، ورواه ابن حبان في صحيحه (٧٤٢١) .

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٧٥٤٦) وفي الأوسط (٣٤٧٧) واللفظ له ، وقال المنذري : رواته ثقات . ورواه مسلم مختصراً .

www.saida-islam.weebly.com

وعَنْ عَبدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **أَتَعْلَمُ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي** ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ :" **فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ، يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ وَيَسْتَفْتِحُونَ، فَتَقُولُ لَهُمُ الْخَزَنَةُ : أَوَ قَدْ حُوسِبْتُمْ ؟ قَالُوا : بِأَيِّ شَيْءٍ تُحَاسِبُونَا ؟ وَإِنَّمَا كَانَتْ أَسْيَافُنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى مِتْنَا عَلَى ذَلِكَ، قَالَ : فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيَقِيلُونَ فِيهَا أَرْبَعِينَ عَامًا قَبْلَ أَنْ يَدْخلَهَا النَّاسُ** " (١) .

فَهَؤُلاءِ كَانُوا مُتَفَرِّغِينَ لِنُصرَةِ دِينِ اللَّهِ وَجَلَّ ونَشرِهِ والدِّفَاعِ عَنْهُ، وأَتْعَبُوا أَنْفُسَهُم، وبَذَلُوا مَا عِنْدَهُم فِي سَبِيلِ ذَلِكَ، عَلَى قِلَّةِ ذَاتِ أَيْدِيهِم، وصُعُوبَةِ مَا يُوَاجِهُهُمْ مِنَ الأَحْوَالِ، وقَدَّمُوا مُقْتَضَيَاتِ الدِّيْنِ عَلَى حَاجَاتِهِم وضَرُورِيَّاتِهِم، فَمَاتُوا وحَاجَاتُهُم فِي صُدُورِهِم، فَجَزَاهُمُ اللَّهُ وَجَلَّ مِنْ جِنْسِ مَا عَمِلُوا، فَقَدَّمَهُم عَلَى غَيرِهِمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ .

*****

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢٣٨٩) وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ التَاسِعُ وَالْعِشْرُوْنَ

غِبْطَةُ الأَنْبِيَاءِ وَالشُّهَدَاءِ لِنَاسٍ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ :" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لله عزوجل عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ** ". فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ، وَأَلْوَى بِيَدِهِ إِلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ، نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ! انْعَتْهُمْ لَنَا - يَعْنِي صِفْهُمْ لَنَا-، فَسُرَّ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِسُؤَالِ الأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **هُمْ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ، وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ، لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ، تَحَابُّوا فِي اللهِ وَتَصَافَوْا، يَضَعُ اللهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا، فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُورًا، وَثِيَابَهُمْ نُورًا، يَفْزَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يَفْزَعُونَ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ الَّذِينَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** " [١]. وفي رِوَايَةٍ قَالَ :" **هُمُ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ، مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى، وبِلادٍ شَتَّى، يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللهِ يَذْكُرُونَهُ** " [٢]. وفي رِوَايَةٍ أُخْرَى :" **هُمْ جُمَّاعٌ مِنْ نَوَازِعِ القَبَائِلِ، يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللهِ، يَنْتَقُونَ أَطَايِبَ الْكَلامِ كَمَا يَنْتَقِي آكِلُ التَّمْرِ أَطَايِبَهُ** " [٣].

---

(١) رواه أحمد في مسنده واللفظ له (٢٢٩٠٦) وأبو يعلى في مسنده (٦٨٤٢) والطبراني في الكبير (٣٤٣٣) وقال المنذري في الترغيب : إسناد حسن . وقال الهيثمي : رجاله وثقوا، ورواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس (١٢٦٨٦) وعن معاذ بن جبل (٣٥٨) ورواه ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة (٥٧٣) والحاكم في المستدرك عن ابن عمر، وقال : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي .

(٢) رواه الطبراني عن أبي الدرداء بإسناد حسن ، كذا في الترغيب للمنذري (٢٣٢٧) ومجمع الزوائد للهيثمي (١٦٧٧٠) .

(٣) رواه الطبراني عن عمرو بن عبسه ورجاله موثوقون ، كذا في «مجمع الزوائد» (١٦٧٧١) .

www.saida-islam.weebly.com

قوله: (**يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ**) الْغِبْطَةُ هِيَ تَمَنِّي نِعْمَةً عَلَى أَنْ لا تَتَحَوَّلَ عَنْ صَاحِبِهَا، بِخِلافِ الْحَسَدِ، فَإِنَّهُ تَمَنِّي زَوَالِهَا عَنْ صَاحِبِهَا، فَالْغِبْطَةُ فِي الْحَقِيقَةِ عِبَارَةٌ عَنْ حُسْنِ الْحَالِ، كَذَا قِيلَ؛ وفِي الْقَامُوسِ: الْغِبْطَةُ حُسْنُ الْحَالِ وَالْمَسَرَّةُ. فَمَعْنَاهَا الْحَقِيقِيُّ مُطَابِقٌ لِلْمَعْنَى اللُّغَوِيِّ، فَمَعْنَى الْحَدِيثِ : يَسْتَحْسِنُ أَحْوَالَهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ؛ وقَالَ الْقَاضِي الْبَيْضَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : كُلُّ مَا يَتَحَلَّى بِهِ الإِنْسَانُ أَوْ يَتَعَاطَاهُ مِنْ عِلْمٍ وعَمَلٍ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً لا يُشَارِكُهُ فِيهَا مَنْ لَمْ يَتَّصِفْ بِهَا، وإِنْ كَانَ لَهُ نَوعٌ آخَرُ مَا هُوَ أَرْفَعُ قَدْراً وأَعَزُّ ذُخْراً، فَيَغْبِطُهُ بِأَنْ يَتَمَنَّى ويُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مِثْلُ ذَلِكَ مَضْمُوماً إِلى مَا لَهُ مِنَ الْمَرَاتِبِ الرَّفِيعَةِ وَالْمَنَازِلِ الشَّرِيفَةِ، وذَلِكَ مَعْنَى قَولِهِ :" **يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّوْنَ وَالشُّهَدَاءُ** ". فَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ اسْتَغْرَقُوا فِيمَا هُوَ أَعْلَى مِنْ ذَلِكَ، مِنْ دَعْوَةِ الْخَلْقِ وإِظْهَارِ الْحَقِّ وإِعْلاءِ الدِّيْنِ وإِرْشَادِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، إِلى غَيرِ ذَلِكَ مِنْ كُلِّيَاتٍ أَشْغَلَتْهُم عَنِ الْعُكُوفِ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْجُزْئِيَّاتِ وَالْقِيَامِ بِحُقُوقِهَا، وَالشُّهَدَاءُ وإِنْ نَالُوا رُتْبَةَ الشَّهَادَةِ وفَازُوا بِالْفَوزِ الأَكْبَرِ، فَلَعَلَّهُم لَمْ يُعَامِلُوا مَعَ اللَّهِ مُعَامَلَةَ هَؤُلاءِ، فَإِذَا رَأَوْهُم يَومَ الْقِيَامَةِ فِي مَنَازِلِهِم، وشَاهَدُوا قُرْبَهُم وكَرَامَتَهُم عِندَ اللَّهِ، وَدُّوا لَوْ كَانُوا ضَامِّينَ خِصَالَهُم، فَيَكُونُونَ جَامِعِينَ بَينَ الْحَسَنَتَينِ، فَائِزِينَ بِالْمَرْتَبَتَينِ . وقَالَ الطِّيْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : ويُمْكِنُ أَنْ تُحْمَلَ الْغِبْطَةُ هُنَا عَلَى اسْتِحْسَانِ الأَمْرِ الْمَرْضِيِّ الْمَحْمُودِ فِعْلُهُ، لأَنَّهُ لا يُغْبَطُ إِلاَّ فِي الأَمْرِ الْمَحْبُوبِ الْمَرْضِيِّ، كَأَنَّ الأَنْبِيَاءَ وَالشُّهَدَاءَ يَحْمَدُونَ إِلَيهِم فِعْلَهُم، ويَرْضَونَ عَنْهُم فِيمَا أَنْجَزُوا مِنَ الْمَحَبَّةِ فِي اللَّهِ [(١)] .

قوله: (**مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ**) جَمْعُ فِنْوٍ، يُقَال : فُلانٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاس إِذَا لَمْ تُعَيَّنْ قَبِيْلَتُهُ [(٢)] .

قوله: (**ونَوَازِعِ القَبَائِلِ**) هُمُ الَّذِينَ نَزَعُوا مِنْ أَهْلِيهِم وعَشِيرَتِهِم، وبَعُدُوا عَنْهُم لإِقَامَةِ سُنَنِ الإِسْلامِ .

---

(١) «مرقاة المفاتيح» (٩/٢١٧) .

(٢) «فتح الباري» (٦/٢٦٤) .

www.saida-islam.weebly.com

قوله: (هُمْ جُمَّاعٌ مِنْ نَوَازِعِ القَبَائِلِ) أَيْ جَمَاعَاتٌ مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى [١] .

مَعْنَى الْحَدِيْثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ فَضِيلَةً عَظِيمَةً، ومَنْزِلَةً رَفِيعَةً لأَقْوَامٍ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، قَدْ تَحَصَّلُوا عَلَى صِفَاتٍ يُحِبُّهَا اللهُ وَعَزَّ وَجَلَّ، ويُكْرِمُ أَصْحَابَهَا أَعْلَى دَرَجَاتِ الإِكْرَامِ، فَيَضَعُ لَهُم يومَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، فَيُجْلِسُهُم عَلَيهَا، فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُم نُوراً، وثِيَابَهُم نُوراً، ويُؤَمِّنُهُم مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ، فَيَفْزَعُ النَّاسُ حَولَهُم ويَخَافُونَ، وهُمْ فِي أَمْنٍ وطُمَأْنِينَةٍ بِقُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ وَعَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى إِنَّ الأَنْبِيَاءَ وَالشُّهَدَاءَ – وهُمْ أَصْحَابُ الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ – يَغْبِطُونَهُم عَلَى مَجْلِسَهُم هَذَا، وعَلَى قُرْبِهِم مِنَ اللهِ وَعَزَّ وَجَلَّ، فَهُمْ أَقْوامٌ مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى، وبِلادٍ شَتَّى، لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُم أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ، ولا أَنْسَابٌ مُتَرَابِطَةٌ، ولا مَصَالِحُ دُنْيَوِيَّةٌ، وإِنَّمَا جَمَعَهُمُ الْحُبُّ فِي اللهِ وَعَزَّ وَجَلَّ، وإِرَادَةُ إِحْيَاءِ ذِكْرِ اللهِ وَعَزَّ وَجَلَّ فِي أَرْضِهِ، فَنَزَعُوا عَنْ قَبَائِلِهِمْ وبِلادِهِمْ، وَاجْتَهَدُوا لِتَكْوِينِ الْبِيْئَاتِ الَّتِي يُذْكَرُ اللهُ وَعَزَّ وَجَلَّ فِيهَا، وبَذَلُوا فِي سَبِيلِ ذَلِكَ كُلَّ غَالٍ وَنَفِيسٍ، وفَارَقُوا لأَجْلِ ذَلِكَ كُلَّ مَحْبُوبٍ لَهُمْ، لِمَا تَغَلْغَلَ فِي قُلُوبِهِم مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ وَعَزَّ وَجَلَّ ومَحَبَّةِ مَا يُحِبُّهُ، ولا شَكَّ أَنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِهَذَا الْمَقَامِ هُمُ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا عَلَى ذِكْرِ اللهِ يَذْكُرُونَهُ، وَاجْتَهَدُوا لإِقَامَةِ النَّاسِ عَلَى الإِجْتِمَاعِيَّةِ عَلَى ذِكْرِ اللهِ وَعَزَّ وَجَلَّ، فَهُمْ يُحَقِّقُونَ مَحَبَّةَ اللهِ وَعَزَّ وَجَلَّ فِي أَنْفُسِهِم ويُقَدِّمُونَهَا عَلَى كُلِّ مَحَبَّةٍ، ويَبْحَثُونَ عَنْ كُلِّ قَولٍ وعَمَلٍ يُحِبُّهُ اللهُ وَعَزَّ وَجَلَّ، فَيَأْخُذُونَهُ ويَذَرُونَ مَا سِوَاهُ، كَمَا يَجْتَهِدُونَ لإِقَامَةِ غَيرِهِم عَلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ [٢] .

---

(١) «فيض القدير» (٣٦٤/٤) .

(٢) أخرج ابن عدي في «الكامل» (٩٢/٧) والعقيلي في «الضعفاء» (٣٣١/٤) بسند ضعيف عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول اللهِ ﷺ قال :" **لَيُؤْتَيَنَّ بِرِجَالٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ بِمَنَازِلِهِمْ مِنَ اللهِ، يَكُونُونَ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ** ". قَالُوا : وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ :" **هُمُ الَّذِينَ يُحَبِّبُونَ اللهَ إِلَى النَّاسِ، وَيُحَبِّبُونَ النَّاسَ إِلَى اللهِ، وَيَمْشُونَ لِلَّهِ فِي الأَرْضِ نُصَحًا** ". قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا يُحَبِّبُونَ اللهَ إِلَى النَّاسِ، فَكَيْفَ يُحَبِّبُونَ النَّاسَ إِلَى اللهِ ؟ قَالَ :" **يَأْمُرُونَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِذَا أَطَاعُوهُ أَحَبَّهُمُ اللهُ وَعَزَّ وَجَلَّ** " .

www.saida-islam.weebly.com

وقَدْ جَاءَ فِي فَضْلِ الْمُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ وَجَلَّ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا : عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :" **ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيْمَانِ : مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ** "(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي ؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي** "(٢).

وعَنْهُ رضي الله عنه أَيْضاً، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ :" **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ : الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ** "(٣).

وعَنْهُ رضي الله عنه أَيْضاً، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ :" **أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ؟ قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ؟ قَالَ : لاَ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ وَجَلَّ. قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ** "(٤). وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :" **قَالَ اللَّهُ وَجَلَّ : وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ** "(٥).

---

(١) رواه البخاري (١٦، ٢١، ٦٩٤١) ومسلم (١٧٤، ١٧٥) .

(٢) رواه مسلم (٦٧١٣) .

(٣) رواه البخاري (٦٦٠)، (١٤٢٣) ومسلم (٢٤٢٧) .

(٤) رواه مسلم (٦٧١٤) .

(٥) رواه مالك في الموطأ (٣٥٠٧) وأحمد في مسنده (٢٢٠٣٠) والطبراني في الكبير (١٥٠) والحاكم في المستدرك (٧٣١٤) وقال : صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي . وقال المنذري في الترغيب: بإسناد صحيح .

www.saida-islam.weebly.com

وفي رِوَايَةٍ قَالَ ﷺ :" **حَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وهُمْ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، يَغْبِطُهُمْ بِمَكَانِهِمُ النَّبِيُّونَ وَالصِّدِّيقُونَ** " (١) .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ ﷺ :" **إِنَّ لِلَّهِ جُلَسَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ، وَكِلْتَا يَدَيِ اللَّهِ يَمِينٌ، عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، وُجُوهُهُمْ مِنْ نُورٍ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ وَلا صِدِّيقِينَ** ". قِيلَ : يَا رَسُولَ **اللَّهِ**، مَنْ هُمْ ؟ قَالَ :" **هُمُ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلالِ اللَّهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى، الْمُتَحَابُّونَ بِجَلالِ اللَّهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى** " (٢) .

ورُوِيَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ **اللَّهِ** ﷺ يَقُولُ :" **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، الَّذِينَ يَعْمُرُونَ مَسَاجِدِيْ بِذِكْرِيْ، ويُعَلِّمُونَ النَّاسَ الْخَيْرَ، ويَدْعُونَهُم إِلى طَاعَتِيْ، أَوْلَئِكَ أَوْلِيَائِيَ الَّذِينَ أُظِلُّهُم فِي ظِلِّ عَرْشِي، وأُسْكِنُهُم فِي جِوَارِيْ، وآمَنُهُم مِنْ عَذَابِي، وأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ قَبلَ النَّاسِ بِخَمْسمِائَةِ عَامٍ، يَتَنَعَّمُونَ فِيهَا، وهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**". ثُمَّ قَرَأَ نَبِيُّ **اللَّهِ** ﷺ : ﴿ **أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [يونس:٦٢] (٣) .

*****

(١) رواه أحمد في مسنده عن عبادة بن الصامت (٢٢٧٨٢) وابن حبان في صحيحه واللفظ له (٥٧٧) .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٢٦٨٦) وقال الهيثمي : ورجاله وثقوا. وقال المنذري : رواه أحمد بإسناد لا بأس به .

(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» وعزاه إلى ابن مردويه .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ الثَّلاثُوْنَ

شِدَّةُ ازْدِحَامِ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى حَوْضِ نَبِيِّهَا ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

عَن الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ :" **لَتَزْدَحِمُنَّ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى الْحَوْضِ ازْدِحَامَ الإِبِلِ وَرَدَتْ لِخَمْسٍ** " (١) .

قوله: (**لَتَزْدَحِمُنَّ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى الْحَوْضِ**) الْمُرَادُ بِهِ حَوضُ نَبِيِّنَا ﷺ الخَاصُّ بِأَتْبَاعِهِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، لِمَا ثَبَتَ أَنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ يَومَ الْقِيَامَةِ حَوضاً يَشْرَبُ مِنْهُ أَتْبَاعُهُ، ولا يَشْرَبُ مِنْهُ غَيرُهُم، كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :" **إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً** " (٢) .

وعَنِ الْحَسَنِ رحمه الله قَالَ : قَالَ رَسُولُ **اللَّهِ** ﷺ :" **إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى حَوْضِهِ، بِيَدِهِ عَصًا، يَدْعُو مَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّته، أَلا إِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ تَبَعًا، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَبَعًا** " (٣) .

وعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ **اللَّهِ** ﷺ قَالَ :" **إِنَّ الأَنْبِيَاءَ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَصْحَابًا مِنْ أُمَّتِهِ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ يَوْمَئِذٍ أَكْثَرَهُمْ كُلِّهِمْ وَارِدَةً، فَإِنَّهُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ قَائِمٌ عَلَى حَوْضٍ مَلآنَ، مَعَهُ عَصًا، يَدْعُو مَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّتِهِ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ سِمَا يَعْرِفُهُمْ بِهَا نَبِيُّهُمْ** " (٤) .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٦٣٢) و«مسند الشاميين» (١٨٤٩) وابن حبان في صحيحه (٧٤٣٩) وقال الهيثمي في المجمع : رواه الطبراني بإسنادين أحدهما حسن .

(٢) رواه الترمذي عن سمرة (٢٤٤٣) والطبراني في الكبير (٦٨٨١) وأشار إلى أنه اختلف في وصله وإرساله وأن المرسل أصح «فتح الباري» .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن الحسن مرسلاً . قاله ابن حجر في «فتح الباري» .

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٧٠٥٣) وقال الهيثمي : فيه مروان بن جعفر السمري وثّقه ابن أبي حاتم. وقال الأزدي: يتكلمون فيه، وبقية رجاله ثقات .

www.saida-islam.weebly.com

قوله: (ازْدِحَامَ الإِبِلِ وَرَدَتْ لِخَمْسٍ) أَي ازْدِحَامَ الإِبِلِ الْعَطْشَى الَّتِيْ تُوْرَدُ الْمَاءَ بَعْدَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ مِنَ الْعَطَشِ، وهَذَا يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ ازْدِحَامِهِم وكَثْرَتِهِم، كَمَا قَالَ ﷺ :" **مَا أَنْتُمْ بِجُزْءٍ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ جُزْءٍ مِمَّنْ يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** " (١) .

مَعْنَى الْحَدِيْثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ عِظَمَ حَوضِهِ، وكَثْرَةَ مَنْ يَرِدُهُ مِنْ أَتْبَاعِهِ، وشَدَّةَ ازْدِحَامِهِم عَلَيهِ، وشَبَّهَ شِدَّةَ ازْدِحَامِهِم بِازْدِحَامِ الإِبِلِ الْعِطَاشِ مُنْذُ خَمْسَةِ أَيَّامٍ، فَكَيفَ يَكُونُ وُرُودُهَا ؟! وفي هَذَا إِشَارَةٌ إِلى كَثْرَةِ مَنْ يَرِدُ حَوضَهُ مِنْ أُمَّتِهِ؛ ولِكُلِّ نَبِيٍّ يومَ الْقِيَامَةِ حَوضٌ يَدْعُو إِلَيهِ مَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّتِهِ، ولِكُلِّ أُمَّةٍ سِيمَاءُ يَعْرِفُهُم بِهَا نَبِيُّهُم، كَمَا قَالَ ﷺ :" **وَكُلُّ نَبِيٍّ يَدْعُو أُمَّتَهُ، وَلِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضٌ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الْفِئَامُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الْعُصْبَةُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الْوَاحِدُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الاِثْنَانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لا يَأْتِيهِ أَحَدٌ، وَإِنِّي لأَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ** " (٢). وقَالَ ﷺ :" **إِنَّ حَوْضِي لأَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ، وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَذُودُ عَنْهُ الرِّجَالَ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ الإِبِلَ الْغَرِيبَةَ عَنْ حَوْضِهِ** ". قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَتَعْرِفُنَا ؟ قَالَ :" **نَعَمْ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، لَيْسَتْ لأَحَدٍ غَيْرِكُمْ**"(٣).

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ :" **أَنَا فَرَطُكُمْ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ، فَإِذَا لَمْ تَرَوْنِي فَأَنَا عَلَى الْحَوْضِ قَدْرَ مَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ، وَسَيَأْتِي رِجَالٌ وَنِسَاءٌ بِقِرَبٍ وَآنِيَةٍ فَلا**

---

(١) رواه أحمد في مسنده عن زيد بن أرقم (١٩٢٦٨) وأبو داوود (٤٧٤٨) والحاكم في المستدرك (٢٥٦)، (٢٥٧) وقال : صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ولكنهما تركاه للخلاف الذي في متنه من العدد، ووافقه الذهبي .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد فيه لين . قاله ابن حجر في «فتح الباري» .

(٣) رواه مسلم عن حذيفة (٦٠٦) .

www.saida-islam.weebly.com

يَطْعَمُونَ مِنْهُ شَيْئًا " [١]. قَالَ أَبُو حَاتِمٍ ابْنُ حِبَّانَ رَحِمَهُ اللهُ فِي صَحِيحِهِ : قَولُهُ ﷺ : "**وَسَيَأْتِي رِجَالٌ** ... الحديث ". أُرِيدَ بِهِ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ الَّذِينَ قَدْ غُفِرَ لَهُمْ، يَجِيئُونَ بِأَوَانِي لِيَسْتَقُوا بِهَا مِنَ الْحَوْضِ، فَلا يُسْقَونَ مِنْهُ، لأَنَّ الْحَوضَ - أَيْ حَوضَ النَّبِيِّ ﷺ - لِهَذِهِ الأُمَّةِ خَاصٌّ دُونَ سَائِرِ الأُمَمِ، إِذْ مُحَالٌ أَنْ يَقْدِرَ الْكَافِرُ والْمُنَافِقُ عَلَى حَمْلِ الأَوَانِي وَالْقِرَبِ فِي الْقِيَامَةِ، لأَنَّهُم يُسَاقُونَ إِلى النار، نَعُوذُ باللهِ مِنْ ذَلِكَ [٢] .

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي هَذَا الْحَوْضِ، هَلْ هُوَ فِي أَرْضِ الْمَوقِفِ قَبلَ الصِّرَاطِ أَمْ بَعْدَهُ، وَالَّذِي رَجَّحَهُ الْقَاضِيْ عِيَاضٍ، وتَبِعَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ أَنَّهُ بَعْدَ الصِّرَاطِ وَالحِسَابِ والنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ، لِقَولِهِ ﷺ :" **مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَداً** " [٣]. لأَنَّ ظَاهِرَ حَالِ مَنْ لا يَظْمَأُ أَنْ لا يُعَذَّبَ بِالنَّارِ؛ كَمَا أَنَّ الصِّرَاطَ جِسْرُ جَهَنَّمَ، وهُوَ بَينَ الْمَوْقِفِ وَالْجَنَّةِ، وَالْمُؤْمِنُونَ يَمُرُّونَ عَلَيهِ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَلَوْ كَانَ الْحَوضُ دُونَهُ لَحَالَتِ النَّارُ بَينَهُ وبَينَ الْمَاءِ الَّذِيْ يَصُبُّ مِنَ الْكَوثَرِ فِي الْحَوضِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْحَوضَ بِجَانِبِ الْجَنَّةِ، لِيَنْصَبَّ فِيهِ الْمَاءُ مِنَ النَّهْرِ الَّذِيْ دَاخِلَهَا، وفِي الْحَدِيثِ :" **ويُفْتَحُ نَهْرُ الْكَوثَرِ إِلى الْحَوضِ** " [٤] .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ **اللهِ** ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي، فَقَالَ :" **أَنَا فَاعِلٌ** ". فَقُلْتُ : أَيْنَ أَطْلُبُكَ ؟ قَالَ :" **اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ**". قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ ؟ قَالَ :" **أَنَا عِنْد الْمِيزَانِ** ". قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ ؟ قَالَ :" **أَنَا عِنْد الْحَوْضِ**"[٥].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٤٧١٩) وقال الهيثمي في المجمع : رواه أحمد موفوعاً وموقوفاً، وفي إسناد المرفوع ابن لهيعة، ورجال الموقوف رجال الصحيح .

(٢) «صحيح ابن حبان» (٣٥٩/١٤) .

(٣) سيأتي تخريجه قريباً .

(٤) رواه أحمد في مسنده عن ابن مسعود (٣٧٨٧) والطبراني في الكبير (١٠٠١٧) والبزار في مسنده (١٥٣٤) وقال الهيثمي في المجمع : رواه أحمد والبزار والطبراني، وفي أسانيدهم كلهم عثمان بن عمير وهو ضعيف .

(٥) رواه أحمد في مسنده (١٢٨٢٥) والترمذي في سننه (٢٤٣٣) وقال : حديث حسن غريب .

www.saida-islam.weebly.com

وأَمَّا مَا وَرَدَ مِنْ أَنَّ جَمَاعَةً يُدْفَعُونَ عَنِ الْحَوضِ بَعْدَ أَنْ يَكَادُوا يَرِدُوهُ، ويُذْهَبُ بِهِم إِلى النَّارِ، فَيُمْكِنُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى أَنَّهُم يُقَرَّبُونَ مِنَ الْحَوضِ، بِحَيثُ يَرَونَهُ ويَرَونَ النَّارَ، فَيُدْفَعُونَ إِلى النَّارِ قَبلَ أَنْ يَخْلُصُوا مِنْ بَقِيَّةِ الصِّرَاطِ [(١)]؛ واللَّهُ أَعْلَمُ .

*****

(١) «فتح الباري» (١١/٤٦٦) .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ الْحَادِيْ الثَّلاثُوْنَ

نَهْرُ الْكَوْثَرِ عَطَاءٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لِنَبِيِّ هَذِهِ الأُمَّةِ وَلَهَا

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : **أَغْفَى رَسُولُ اللهِ ﷺ إِغْفَاءَةً، فَرَفَعَ رَأْسه مُتَبَسِّمًا، إِمَّا قَالَ لَهُمْ، وَإِمَّا قَالُوا لَهُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! لِمَ ضَحِكْتَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :** " إِنَّهُ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ ". **فَقَرَأَ :** " بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ". **حَتَّى خَتَمَهَا، فَلَمَّا قَرَأَهَا، قَالَ :** " هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ ؟" **قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ :** " هُوَ نَهرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، عَلَيهِ حَوضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدَ الْكَوَاكِبِ " [(١)] .

قوله: (**أَغْفَى رَسُولُ اللهِ ﷺ إِغْفَاءَةً**) أَيْ أَخَذَتْهُ سِنَةٌ، وهِيَ النَّوْمُ الَّذِيْ فِي الْعَينِ، وهَذِهِ الْحَالَةُ الَّتِيْ كَانَ يُوحَى إِلَيهِ ﷺ فِيهَا غَالِباً [(٢)]. وقوله: (**آنِفًا**) أَيْ قَرِيباً .

قوله في الكوثر: (**هُوَ نَهرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ**) جَاءَ فِي وَصْفِ هَذَا النَّهْرِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ بَيَّنَ فِيهَا ﷺ وَصْفَهُ، فَقَالَ : " **هُوَ نَهرٌ يَجْرِي، وَلَمْ يُشَقَّ شَقًّا**[(٣)]، **يَجْرِيْ كَذَا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ لَيسَ مَشْقُوقاً**[(٤)]، **أَعْطَانِيهِ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ**[(٥)]، **عَلَيهِ خَيرٌ كَثِيرٌ**[(٦)]، **حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفاً**[(٧)]، **شَاطِئَاهُ عَلَيهِ دُرٌّ مُجَوَّفٌ**[(٨)]، **عَلَيهِ قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ**

---

(١) رواه مسلم برقم (٩٢١) وأحمد في مسنده (١١٩٩٦) وأبو داوود في سننه واللفظ له (٤٧٤٩) .

(٢) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٢ / ٩٥) .

(٣) رواه أحمد في مسنده عن أنس بإسناد صحيح (١٣٥٧٨) .

(٤) رواه أحمد في مسنده عن أنس بإسناد صحيح (١٢٥٤٢) .

(٥) رواه أحمد في مسنده عن أنس (١٣٤٧٥) والترمذي (٢٥٤٢) وقال : حديث حسن .

(٦) رواه مسلم عن أنس (٩٢١) .

(٧) رواه البخاري عن أنس (٤٩٦٤).

(٨) رواه البخاري عن عائشة (٤٩٦٥) .

www.saida-islam.weebly.com

وزَبَرْجَدٍ[١]، طِيْنُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ[٢]، حَصَاهُ اللُّؤْلُؤُ[٣]، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ[٤]، وريْحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ[٥]، فِيهِ أَبَارِيقُ الذَّهَبِ والْفِضَّةِ، كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ[٦]، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَضْمَأْ بَعْدَهَا أَبَداً[٧]، ولَمْ يَسْوَدَّ وَجْهُهُ أَبَداً[٨]، تَرِدُهُ طَيرٌ أَعْنَاقُهَا مِثْلُ أَعْنَاقِ الْجُزُرِ[٩] ". وهَذَا الْكَوثَرُ نَهْرٌ دَاخِلَ الْجَنَّةِ، ومَاؤُهُ تَصُبُّ فِي الْحَوْضِ، ويُطْلَقُ عَلَى الْحَوْضِ كَوثَرٌ لِكَونِهِ يُمَدُّ مِنْهُ [١٠] .

قوله: (عَلَيهِ حَوضٌ تَرِد عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ) جَاءَ فِي وَصْفِ هَذَا الْحَوضِ مَا قَالَهُ ﷺ:" إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ لأَهْلِ الْيَمَنِ، أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ[١١] عَلَيهِمْ[١٢]، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، والآخَرُ مِنْ وَرِقٍ[١٣]، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَداً، وأَوَّلُ النَّاسِ وُرُوداً عَلَيهِ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ، الشُّعْثُ رُؤُوساً، الدُّنْسُ ثِيَاباً، الَّذِينَ لا يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِّمَاتِ،

---

(١) رواه البخاري عن أنس (٧٥١٧) .

(٢) رواه البخاري عن أنس (٦٥٨١) .

(٣) رواه أحمد في مسنده عن أنس (١٢٥٤٢) .

(٤) رواه مسلم عن أبي ذر (٦١٢٩)، (٦١٣٠) .

(٥) رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو (٦٥٧٩) ومسلم (٦١١١) .

(٦) رواه مسلم عن أنس (٦١٤٠) .

(٧) رواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر (٦١٦٢) والترمذي في سننه (٢٤٤٤) وقال المنذري : رجاله محتج بهم في الصحيح .

(٨) رواه أحمد في مسنده عن أبي أمامة (٢٢١٥٦) وقال المنذري : رجاله محتج بهم في الصحيح .

(٩) رواه أحمد في مسنده عن أنس (١٣٤٧٥) وأَعْنَاقُ الْجُزُرِ : هي أعناق الإبل .

(١٠) «فتح الباري» (٤٦٦/١١) .

(١١) أي أَطْرُدُ النَّاسَ عنه غَيرَ أهل اليمن لِيَرفَضَّ على أهل اليمن ، وهذه كرامة لأهل اليمن في تقديمهم في الشرب مجازاةً لهم بحسن صنيعهم وتَقَدُّمِهم في الإسلام، والأنصارُ من اليمن، فَيُدْفَعُ غَيرُهُم حتى يشربوا، كَمَا دَفَعُوا عن النبي ﷺ أعداءه والمكروهات . «شرح مسلم للنووي» (٥/٨) ومعنى يَرْفَضُّ : يَسِيلُ ويَتَرَشَّشُ . قاله المنذري .

(١٢) رواه مسلم عن ثوبان (٦١٣٠) .

(١٣) رواه مسلم عن ثوبان (٦١٣٠) ومعنى يَغُتُّ : أَيْ يَتَدَفَّقُ فِيهِ دَفْقاً دَائِماً مُتَتَابِعاً .

www.saida-islam.weebly.com

ولا تُفْتَحُ لَهُمُ السُّدَدُ - يَعْنِيْ أَبْوَابَ السُّلْطَانِ -، **يُوَكَّلُ بِهِمْ مَشَارِقُ الأَرْضِ ومَغَارِبُهَا، يُعْطُونَ كُلَّ الَّذِي عَلَيهِم، ولا يُعْطَونَ كُلَّ الَّذِي لَهُمْ** " (١) .

قوله: (آنِيَتُهُ عَدَدَ الْكَوَاكِبِ) وفي رِوَايَةٍ :" **كِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ** "، وفي رِوَايَةٍ : "**فِيهِ أَبَارِيقُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ** "، وفي رِوَايَةٍ :" **وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وكَوَاكِبِهَا** "، وفي رِوَايَةٍ :" **تَرَى فِيهِ أَبَارِيقَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ** ". قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : الْمُخْتَارُ الصَّوَابُ أَنَّ هَذَا الْعَدَدَ لِلآنِيَةِ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَأَنَّهَا أَكْثَرُ عَدَدًا مِنْ نُجُومِ السَّمَاءِ، وَلا مَانِعَ عَقْلِيَّ وَلا شَرْعِيَّ يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ وَرَدَ الشَّرْعُ بِهِ مُؤَكَّدًا، كَمَا قَالَ ﷺ :" **وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ نُجُومِ السَّمَاءِ** " (٢) .

مَعْنَى الْحَدِيْثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ مَا تَفَضَّلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ عَلَيهِ مِنْ إِعْطَائِهِ نَهْرَ الْكَوْثَرِ فِي الْجَنَّةِ، وخَصَّهُ بِهِ مِنْ دُونِ الْعَالَمِينَ، وهَذَا النَّهْرُ عَلَيهِ مِنَ الْخَيرِ الَّذِي لَمْ تَرَهُ عَيْنٌ، ولَمْ تَسْمَعْ بِهِ أُذُنٌ، ولَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ولا يَعْلَمُ مَا هُوَ إِلاَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَهُوَ نَهْرٌ يَجْرِيْ ولَمْ يُشَقَّ شَقّاً، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال :" **إِنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ أُخْدُودٌ فِي الأَرْضِ، لا وَاللَّهِ إِنَّهَا لَسَائِحَةٌ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، إِحْدَى حَافَّتَيْهَا اللُّؤْلُؤُ، والآخَرُ الْيَاقُوتُ، وطِيْنُهُ الْمِسْكُ الأَذْفَرُ** " (٣) .

---

(١) رواه أحمد في مسنده عن ابن عمر بنحوه (٦١٦٢) و(٢٢٣٦٧) ورواه الترمذي في سننه مع اختلاف في بعض ألفاظه (٢٤٤٤) وقال المنذري : رواه أحمد بإسناد حسن .

(٢) «شرح مسلم للنووي» (٥٦/١٥) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «وصف الجنة» موقوفاً (٦٩) ورواه غيره مرفوعاً. قال المنذري: والموقوف أشبه بالصواب.

www.saida-islam.weebly.com

وعَنْ مَسْرُوقٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَولِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴾ [الواقعة :٣١]، قَالَ : "**أَنْهَارٌ تَجْرِيْ فِي غَيرِ أُخْدُودٍ** " (١). وسَبَقَ وَصْفُهُ ﷺ لِهَذَا النَّهْرِ .

وجَاءَ وَصْفُ عَرْضِ الْحَوضِ وطُولِهِ في رِوَايَاتٍ، مِنهَا أَنَّهُ ﷺ قَالَ :" **وَإِنَّ عَرْضَهُ مَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلى الْجُحْفَةِ** "، وفي رِوَايَةٍ :" **بَيْنَ نَاحِيَتَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ** "، وفي رِوَايَةٍ : "**عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلى أَيْلَةَ** ". وفي رِوَايَةٍ :" **مَا بَيْنَ مَقَامِي هَذَا إِلى عُمَانَ، مَا بَيْنَهُمَا شَهْرٌ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ** "، وفي رِوَايَةٍ :" **إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ** "، وفي رِوَايَةٍ :" **مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالْمَدِينَةِ** ". قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : قَالَ الْقَاضِي عِيَاض رَحِمَهُ اللَّهُ : وَهَذَا الاِخْتِلافُ فِي قَدْرِ عَرْضِ الْحَوْضِ لَيْسَ مُوجِبًا لِلاِضْطِرَابِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ، بَلْ فِي أَحَادِيثَ مُخْتَلِفَةِ الرُّوَاةِ، عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ سَمِعُوهَا فِي مَوَاطِنَ مُخْتَلِفَةٍ، ضَرَبَهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا مَثَلاً لِبُعْدِ أَقْطَارِ الْحَوْضِ وَسَعَتِهِ، وَقَرَّبَ ذَلِكَ مِنَ الأَفْهَامِ لِبُعْدِ مَا بَيْنَ الْبِلادِ الْمَذْكُورَةِ، لا عَلَى التَّقْدِيرِ الْمَوْضُوعِ لِلتَّحْدِيدِ، بَلْ لِلإِعْلامِ بِعِظَمِ هَذِهِ الْمَسَافَةِ، فَبِهَذَا تُجْمَعُ الرِّوَايَاتُ . هَذَا كَلام الْقَاضِي . قُلْت : وَلَيْسَ فِي الْقَلِيلِ مِنْ هَذِهِ مَنْعُ الْكَثِيرِ، وَالْكَثِيرُ ثَابِتٌ عَلَى ظَاهِرِ الْحَدِيثِ، وَلا مُعَارَضَةَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ (٢) .

ومِنَ الْخَيرِ الْكَثِيرِ الَّذِي وُعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى هَذَا النَّهْرِ، حَوْضُهُ الَّذِيْ تَرِدُ عَلَيهِ أُمَّتُهُ، وهَذَا النَّهْرُ هُوَ مَادَّةُ الْحَوْضِ .

وفي الْحَدِيثِ بَيَانُ فَضْلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ، حَيثُ جَعَلَهَا مِنْ أَتْبَاعِ خَيرِ الرُّسُلِ، وأَكْرَمِهِم عَلَى اللَّهِ، وأَرْفَعِهِم مَنْزِلَةً عِنْدَهُ، وأَقْرَبِهِم جَاهاً لَدَيهِ .

*****

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٧٢٤)، (٥٥٤٢) .

(٢) «شرح مسلم للنووي» (٥٨/١٥) .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ الثَّانِيْ وَالثَّلاثُوْنَ

كَثْرَةُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْيطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي : هَذَا مُوسَى ﷺ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فقِيلَ لي : انْظُرْ إِلَى هَذَا الأفق الآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي : هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ** ". ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلاَمِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ . وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ :" **مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ** ؟". فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ :" **هُمُ الَّذِينَ لاَ يَرْقُونَ، وَلاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ". فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ . فَقَالَ :" **أَنْتَ مِنْهُمْ** ". ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ . فَقَالَ :" **سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ** " [(١)]. وفي رِوَايَةٍ قَالَ : " **هُمُ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ، وَلا يَتَطَيَّرُونَ، وَلا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** " [(٢)] .

قوله: (**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ** ... الحديث) هَذَا كَانَ فِي وَاقِعَةِ الإِسْرَاءِ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :" **لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ جَعَلَ يَمُرُّ بِالنَّبِيِّ وَالنَّبِيَّيْنِ وَمَعَهُمُ الْقَوْمُ، وَالنَّبِيِّ وَالنَّبِيَّيْنِ وَمَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيِّ وَالنَّبِيَّيْنِ ولَيسَ مَعَهُمْ أَحَدٌ** " [(٣)] .

---

(١) رواه مسلم برقم (٥٤٩) .

(٢) رواه البخاري برقم (٥٧٠٥)، (٥٧٥٢)، (٦٥٤١) ومسلم عن عمران بن حصين (٥٤٦) .

(٣) رواه الترمذي في سننه برقم (٢٤٤٦) وقال : حديث حسن صحيح .

www.saida-islam.weebly.com

وَالرُّهَيْطُ : تَصْغِيرُ الرَّهْطِ، وهُمْ دُونَ عَشْرَةِ أَنْفُسٍ؛ وَالأُفُقُ : النَّاحِيَةُ وَالْجَانِبُ [١] .

وَالسَّوَادُ : يُعَبَّرُ بِهِ عَنِ الْجَمَاعَةِ الْمُجْتَمِعَةِ [٢] .

قوله: (**هُمُ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ**) أَيْ لا يَطْلُبُونَ مِنْ غَيرِهِمُ الرُّقْيَةَ الشَّرْعِيَّةَ لِكَمَالِ تَوَكُّلِهِمْ عَلَى اللهِ ﷻ، وتَمَامِ اعْتِمَادِهِمْ عَلَيهِ، وإِنْ كَانَتْ جَائِزَةً شَرْعاً .

قوله: (**وَلا يَتَطَيَّرُونَ**) أَيْ لا يَتَشَاءَمُونَ كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

قوله: (**وَلا يَكْتَوُونَ**) يَعْنِي إِذَا مَرِضُوا لا يَكْتَوُونَ، لأَنَّ تَرْكَ الْكَيِّ أَفْضَلُ، وفِعْلَهُ يُنَافِي كَمَالَ التَّوَكُّلِ، فَهَذَا مِنْ كَمَالِ إِيْمَانِهِم؛ مَعَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَخَّصَ فِي الْكَيِّ، فَهَذِهِ مِنْ صِفَاتِهِمُ الْعَظِيمَةِ، وهِيَ اتِّكَالُهُمُ التَّامُّ عَلَى اللهِ ﷻ .

قوله: (**وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**) يَحْصُلُ التَّوَكُّلُ بِأَنْ يَثِقَ الْعَبْدُ بِوَعْدِ اللهِ، وَيُوقِنَ بِأَنَّ قَضَاءَهُ وَاقِعٌ، وَلا يَتْرُكَ اتِّبَاعَ السُّنَّةِ فِي ابْتِغَاءِ الرِّزْقِ مِمَّا لا بُدَّ لَهُ مِنْهُ، مِنْ مَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ وَتَحَرُّزٍ مِنْ عَدُوٍّ بِإِعْدَادِ السِّلاحِ وَإِغْلاقِ الْبَابِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلا يَطْمَئِنُّ إِلى الأَسْبَابِ بِقَلْبِهِ، بَلْ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا لا تَجْلِبُ بِذَاتِهَا نَفْعًا وَلا تَدْفَعُ ضُرًّا، بَلِ السَّبَبُ وَالْمُسَبِّبُ فِعْلُ اللهِ ﷻ وَالْكُلُّ بِمَشِيئَتِهِ، فَإِذَا وَقَعَ مِنَ الْمَرْءِ رُكُونٌ إِلى السَّبَبِ قَدَحَ فِي تَوَكُّلِه؛ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ فِيهِ عَلَى قِسْمَيْنِ : وَاصِلٌ وَسَالِكٌ، فَالأَوَّلُ صِفَةُ الْوَاصِلِ، وَهُوَ الَّذِي لا يَلْتَفِتُ إِلى الأَسْبَابِ وَلَوْ تَعَاطَاهَا، وَأَمَّا السَّالِكُ فَيَقَعُ لَهُ الالْتِفَاتُ إِلى السَّبَبِ أَحْيَانًا، إِلاَّ أَنَّهُ قَدْ يَدْفَعُ ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ بِالطُّرُقِ الْعِلْمِيَّةِ وَالأَذْوَاقِ الْحَالِيَّةِ، إِلى أَنْ يَرْتَقِيَ إِلَى مَقَامِ الْوَاصِلِ.
وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ :" **التَّوَكُّلُ مَحَلُّهُ الْقَلْبُ، وَأَمَّا الْحَرَكَةُ الظَّاهِرَةُ فَلا تُنَافِيهِ إِذَا تَحَقَّقَ الْعَبْدُ أَنَّ الْكُلَّ مِنْ قِبَلِ اللهِ، فَإِنْ تَيَسَّرَ شَيْءٌ فَبِتَيْسِيرِهِ،**

---

(١) «رياض الصالحين» للنووي ص (٥٣) .

(٢) «إكمال المعلم شرح صحيح مسلم» للقاضي عياض (٦/٧٢) .

www.saida-islam.weebly.com

وَإِنْ تَعَسَّرَ فَبِتَقْدِيرِهِ " [١]. فَهَؤُلاءِ كَمُلَ تَفْوِيْضُهُم إِلى اللهِ وَجَلَّ، فَلَمْ يَتَسَبَّبُوا في دَفْعِ مَا أَوْقَعَهُ بِهِمْ، ولا شَكَّ في فَضِيلَةِ هَذِهِ الْحَالَةِ، ورُجْحَانِ صَاحِبِهَا [٢] .

قوله: (سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ) مَعْنَاهُ - وَاللهُ أَعْلَمُ - أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ بَلَغَتْ دَرَجَتُهُ في الْفَضلِ إِلى مَنْزِلَةِ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ وَلا يَتَطَيَّرُونَ وَلا يَكْتَوُونَ وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، فَكَرِهَ ﷺ أَنْ يُفْزِعَهُ، بِأَنَّهُ لَيسَ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ، فَيُحْزِنَهُ بِذَلِكَ، وكَانَ ﷺ رَحِيماً رَفِيقاً، فَأَجَابَهُ بِكَلامٍ مُشْتَرَكٍ يَتَأَلَّفُهُ بِهِ، وهُوَ قَولُهُ :" **سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ** ". أَيْ سَبَقَكَ بِهَذِهِ الحَالِ الرَّفِيعَةِ مِنَ الإِيْمَانِ، حِينَ كَانَ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ، فَبِذَلِكَ اسْتَحَقَّ أَنْ يَكُونَ مِنْهُم، وأَنْتَ لَمْ يَبْلُغْ بِكَ عَمَلُكَ إِلى تِلْكَ الدَّرَجَاتِ فَكَيْفَ تَكُونُ مِنْهُمْ، وهَذَا مِنْ مَعَارِيضِ الْكَلامِ والرِّفْقِ بِالْجَاهِلِ في الْخِطَابِ [٣]. وَاخْتَارَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلِمَ بِالْوَحْيِ أَنَّهُ يُجَابُ في عُكَّاشَةَ، وَلَمْ يَقَعْ ذَلِكَ في حَقِّ الآخَرِ [٤] .

*****

(١) «فتح الباري» (٤٠٩/١١) .

(٢) «شرح مسلم للنووي» (٣ / ٨٦) .

(٣) «شرح البخاري لابن بطال» (٤٠٨/٩) .

(٤) «شرح مسلم للنووي» (٣ / ٨٤) .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ الثَّالِثُ وَالثَّلاثُوْنَ

دُخُولُ أَقْوَامٍ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ الْجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ وَشَفَاعَتُهُمْ فِي آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :" **وَعَدَنِي رَبِّي عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ** " [(١)]. وفي رِوَايَةٍ : فَكَبَّرَ عُمَرُ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **إِنَّ السَّبْعِينَ أَلْفًا الأُوَلَ يُشَفِّعُهُمُ اللَّهُ فِي آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ، وَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَ أُمَّتِي أَدْنَى الْحَثَوَاتِ الأَوَاخِرِ** " [(٢)]. وفي رِوَايَةٍ أُخْرَى : قَالَ ﷺ :" **يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا**". قَالُوا : زِدْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ :" **لِكُلِّ رَجُلٍ سَبْعُونَ أَلْفًا** ". قَالُوا : زِدْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ - وَكَانَ عَلَى كَثِيبٍ - فَحَثَى بِيَدِهِ، قَالُوا: زِدْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ :" **هَذِهِ** ". فَحَثَى بِيَدَيْهِ، قَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَبْعَدَ اللَّهُ مَنْ دَخَلَ النَّارَ بَعْدَ هَذَا [(٣)] .

قوله: (**وَعَدَنِي رَبِّي عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ**) جَاءَ فِي الْحَدِيثِ وَصْفُ هَؤُلاءِ، وكَيفِيَّةِ دُخُولِهِمُ الجَنَّةَ، فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :" **لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا أَوْ سَبْعُ مِائَةِ أَلْفٍ** - شَكَّ فِي أَحَدِهِمَا - **مُتَمَاسِكِينَ، آخِذٌ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، حَتَّى يَدْخُلَ أَوَّلُهُمْ وَآخِرُهُمُ الْجَنَّةَ،**

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٢١٥٦) والترمذي في سننه (٢٤٣٧) وقال : حديث حسن غريب. ورواه الطبراني في الكبير (٧٦٦٥) و«مسند الشاميين» (٨٢٠) ورواه الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم في «كتاب السنة» (٥٨٩) وقال ابن كثير في تفسيره : هذا إسناد جيد .

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه عن عتبة بن عبد السلمي (٧٢٤٧) والطبراني في الكبير (٣١٢) وقال الحافظ في الفتح : بسند جيد .

(٣) رواه أبو يعلى في مسنده عن أنس بن مالك (٣٧٨٣) وحسنه الضياء المقدسي في المختارة (٢٠٢٨) وقال البوصيري في «إتحاف الخيرة» : رواته ثقات . وقال ابن كثير في تفسيره : هذا إسناد جيد ورجاله ثقات ما عدا عبد القاهر بن السري، وقد سئل عنه ابن معين فقال : صالح .

www.saida-islam.weebly.com

وَوُجُوهُهُمْ عَلَى ضَوْءِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ " [١]. ومَعْنَى مُتَمَاسِكِينَ : أَيْ مُمْسِكٌ بَعْضُهُم بِيَدِ بَعْضٍ، ويَدْخُلُونَ مُعْتَرِضِينَ صَفاً وَاحِداً، بَعْضُهُم بِجَنبِ بَعْضٍ [٢]. وهَؤُلاءِ السَّبْعُونَ أَلْفاً لَيسُوا مِنَ الصَّحَابَةِ فَحَسْبُ، بَلْ مِنْهُم ومِنْ غَيرِهِمْ، كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :" إِنَّ فِي أَصْلابِ أَصْلابِ أَصْلابِ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِي رِجَالاً ونِسَاءً يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ ". ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الجمعة : ٣] [٣] .

ولَكِنْ لا شَكَّ أَنَّ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم أَوْلى بِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ وأَسْبَقُ إِلى دُخُولِ الْجَنَّةِ مِنْ غَيرِهِمْ، كَمَا قَالَ ﷺ :" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ثُمَّ يُسَدِّدُ إِلاَّ سُلِكَ بِهِ فِي الْجَنَّةِ، وَلَقَدْ وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلا عَذَابَ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ لا يَدْخُلُوهَا حَتَّى تَتَبَوَّؤُوا أَنْتُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَذَرَارِيِّكُمْ مَسَاكِنَ فِي الْجَنَّةِ " [٤] .

مَعْنَى الْحَدِيثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

هَذِهِ الأَحَادِيثُ وحَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ الَّذِيْ قَبْلَهَا تُبَيِّنُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ هُوَ أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعاً، وأَنَّ أُمَّتَهُ ﷺ لَهَا النَّصِيبُ الأَكْبَرُ مِنَ الرَّحْمَةِ، بِشَفَاعَتِهِ ﷺ لَهَا يَومَ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ ﷺ :" أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلاَّ رَجُلٌ وَاحِدٌ " [٥] .

---

(١) رواه مسلم برقم (٥٤٨) .

(٢) «شرح مسلم للنووي» (٣٦٥/١) .

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٦٠٠٥) وقال الهيثمي في المجمع : إسناده جيد .

(٤) رواه الطبراني في الكبير عن رفاعة بن عرابة الجهني (٤٥٥٦)، (٤٥٥٧) وابن ماجه في سننه (٤٢٨٥) وابن حبان في صحيحه (٢١٢) ورواه البزار كما في «مجمع الزوائد» و«إتحاف الخيرة»، وقال الهيثمي والبوصيري: بإسناد صحيح .

(٥) رواه مسلم عن أنس بن مالك برقم (٥٠٦) .

www.saida-islam.weebly.com

وَالسِّرُّ في كَثْرَةِ مَنْ آمَنَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ أَنَّ مُعْجِزَةَ الرَّسُولِ ﷺ الْكُبْرَى كَانَتْ وَحْيًا يُخَاطِبُ الْعُقُولَ وَالْقُلُوبَ، وهِيَ مُعْجِزَةٌ بَاقِيَةٌ مَحْفُوظَةٌ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ، كَمَا قَالَ ﷺ : **"مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلاَّ أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ "** (١) .

كَمَا أَنَّ اللَّهَ وَجَلَّ رَبَّى هَذِهِ الأُمَّةَ في الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَرْبِيَةَ الدُّعَاةِ إِلَيهِ وإلى دِيْنِهِ، كَيْ يَتَحَمَّلُوا مَسْؤُولِيَّةَ التَّبْلِيغِ عَنْهُ وعَنْ رَسُولِهِ ﷺ، لأَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لا نَبِيَّ بَعْدَهُ، فَهُمْ نُوَّابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وخُلَفَاؤُهُ ورُسُلُهُ إلى الْبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ، وبَيَّنَ لَهُمْ سَبِيلَهُمْ وطَرِيقَهُمْ في الْحَيَاةِ، وهِيَ الدَّعْوَةُ إلى اللَّهِ وَجَلَّ، كَمَا قَالَ وَتَعَالَى : ﴿ **قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ** ﴾ **[يوسف:١٠٨]** . فَقَامَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم ومَنْ بَعْدَهُم بِالْخُرُوجِ في سَبِيلِ اللَّهِ وَالتَّضْحِيَةِ بِكُلِّ غَالٍ وَنَفِيسٍ في سَبِيلِ نَشْرِ الدِّيْنِ وإِعْلاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، فَبِهَذِهِ الْحَرَكَةِ وَالتَّضْحِيَةِ انْتَشَرَ الدِّيْنُ، ودَخَلَ النَّاسُ في دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا .

كَمَا بَيَّنَ ﷺ في هَذِهِ الأَحَادِيثِ أَنَّ كَمًّا كَبِيراً جِدًّا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ لا يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللَّهُ، يُدْخِلُهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِهِ بِغَيرِ حِسَابٍ ولا عَذَابٍ، وذَلِكَ بِسَبَبِ كَمَالِ يَقِينِهِمْ بِاللهِ، وثِقَتِهِمْ بِهِ، وتَسْلِيمِهِمْ لأَمْرِهِ، وعَدَمِ تَأَثُّرِهِمْ بِغَيرِهِ مِنَ الأَسْبَابِ والأَشْيَاءِ؛ فَذَكَرَ أَنَّ اللَّهَ وَجَلَّ يُدْخِلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا، وَثَلاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ الرَّبِّ وَجَلَّ .

نَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا ووَالِدِيْنَا ومَشَايِخَنَا وإِخْوَانَنَا وأَحْبَابَنَا والْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ مِنْهُمْ، بِكَرَمِهِ وفَضْلِهِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ .

*****

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة برقم (٤٩٨١)، (٧٢٧٤) ومسلم (٤٠٢) .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ الرَّابِعُ وَالثَّلاثُوْنَ

شَهَادَةُ هَذِهِ الأُمَّةِ لِلأَنْبِيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِتَبْلِيغِهِمْ أَقْوَامَهُمْ وَقَبُولُ شَهَادَتِهِمْ لِكَوْنِهِمْ عُدُوْلاً

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلانِ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلاثَةُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ، فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ : هَلْ بَلَّغَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : لا، فَيُقَالُ : مَنْ يَشْهَدُ لَكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتُدْعَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ، فَيُقَالُ : هَلْ بَلَّغَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ، فَيَقُولُ : وَمَا عِلْمُكُمْ بِذَلِكَ ؟ فَيَقُولُونَ : أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا بِذَلِكَ، أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا فَصَدَّقْنَاهُ، قَالَ : فَذَلِكُمْ قَوْلُهُ ﷻ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣](١). وفي رِوَايَةٍ :" يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ : هَلْ بَلَّغْتَ ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ . فَيُقَالُ لأُمَّتِهِ : هَلْ بَلَّغَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ. فَيَقُولُ : مَنْ يَشْهَدُ لَكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ . فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ . ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾، فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(٢) .

قوله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ أَيْ عُدُولاً خِيَاراً، وَالْمُرَادُ مِنَ الشَّهَادَةِ عَلَى النَّاس هُوَ الشَّهَادَةُ عَلَى الأُمَمِ يومَ الْقِيَامَةِ، أَنَّ رُسُلَهُم قَدْ بَلَّغُوهُم رِسَالاتِ اللهِ .

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِّيُ رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِ الآيَةِ : فَمَعْنَى ذَلِكَ : وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً عُدُولاً شُهُدَاءَ لأَنْبِيَائِي ورُسُلِي عَلَى أُمَمِهِمْ بِالْبَلاغِ، أَنَّهَا قَدْ بَلَّغَتْ مَا أُمِرَتْ بِبَلاغِهِ

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١١٥٥٨) وابن ماجه في سننه (٤٢٨٤) والنسائي في الكبرى (١١٠٠٧) وإسناده صحيح على شرط الشيخين وأصله في صحيح البخاري . وانظر ما بعده .

(٢) رواه البخاري (٣٣٣٩)، (٤٤٨٧)، (٧٣٤٩) .

www.saida-islam.weebly.com

مِنْ رِسَالاتِيْ إلى أُمَمِهَا، ويَكُونَ رَسُولي مُحَمَّدٌ ﷺ شَهِيداً عَلَيكُمْ بِإيْمَانِكُمْ، وبِمَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِيْ [١] .

وقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في ذَلِكَ : الْوَسَطُ هُنَا الْخِيَارُ والأَجْوَدُ، كَمَا يُقَالُ : قُرَيْشٌ أَوْسَطُ الْعَرَبِ نَسَباً ودَاراً، أَيْ خِيَارُهَا، وكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَطاً في قَومِهِ، أَيْ أَشْرَفَهُمْ نَسَباً، ومِنْهُ الصَّلاةُ الْوُسْطَى، الَّتِيْ هِيَ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ، وهِيَ صَلاةُ الْعَصْرِ، كَمَا ثَبَتَ في الصِّحَاحِ وغَيرِهَا، ولَمَّا جَعَلَ اللَّهُ هَذِهِ الأُمَّةَ وَسَطاً، خَصَّهَا بِأَكْمَلِ الشَّرَائِعِ، وأَقْوَمِ الْمَنَاهِجِ، وأَوْضَحِ الْمَذَاهِبِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج:٧٨] [٢] .

وقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : أَيْ إِنَّمَا جَعَلْنَاكُم هَكَذَا أُمَّةً وَسَطاً عُدُولاً خِيَاراً مَشْهُوداً بِعَدَالَتِكِمْ عِنْدَ جَمِيعِ الأُمَمِ، لِتَكُونُوا يَومَ الْقِيَامَةِ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، لأَنَّ جَمِيعَ الأُمَمِ مُعْتَرِفَةٌ يَومَئِذٍ بِسِيَادَتِهَا وفَضْلِهَا عَلَى كُلِّ أُمَّةٍ سِوَاهَا، فَلِهَذَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُم عَلَيهِمْ يَومَ الْقِيَامَةِ في أَنَّ الرُّسُلَ بَلَّغَتْهُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِمْ، وَالرَّسُولُ يَشْهَدُ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ أَنَّهُ بَلَّغَهَا ذَلِكَ [٣] .

وقَالَ الْعَلاَّمَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في تَفْسِيرِهَا : أَيْ عَدْلاً خِيَاراً، ومَا عَدَا الْوَسَطَ، فَالأَطْرَافُ دَاخِلَةٌ تَحْتَ الْخَطَرِ، فَجَعَلَ اللَّهُ هَذِهِ الأُمَّةَ وَسَطاً في كُلِّ أُمُورِ الدِّيْنِ، وَسَطاً في الأَنْبِيَاءِ، بَينَ مَنْ غَلا فِيهِم كَالنَّصَارَى، وبَينَ مَنْ جَفَاهُمْ كَالْيَهُودِ، بِأَنْ آمَنُوا بِهِمْ كُلِّهِم عَلَى الْوَجْهِ اللاَّئِقِ بِذَلِكَ، وَوَسَطاً في الشَّرِيعَةِ، لا تَشْدِيدَاتِ الْيَهُودِ وآصَارِهِم، ولا تَهَاوُنَ النَّصَارَى .

---

(١) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» لابن جرير الطبري (١٣/٢) .

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢٠٤/١) .

(٣) المصدر السابق (٢٤٢/٣) .

www.saida-islam.weebly.com

وفي بَابِ الطَّهَارَةِ والْمَطَاعِمِ، لا كَالْيَهُودِ الَّذِينَ لا تَصِحُّ لَهُمْ صَلاةٌ إلاَّ في بِيَعِهِمْ وكَنَائِسِهِم، ولا يُطَهِّرُهُمُ الْمَاءُ مِنَ النَّجَاسَاتِ، وقَدْ حُرِّمَتْ عَلَيهِمُ الطَّيِّبَاتُ عُقُوبَةً لَهُمْ، ولا كَالنَّصَارَى الَّذِينَ لا يُنَجِّسُونَ شَيئاً، ولا يُحَرِّمُونَ شَيئاً، بَلْ أَبَاحُوا مَا دَبَّ ودَرَجَ .

بَلْ طَهَارَتُهُم أَكْمَلُ طَهَارَةٍ وأَتَمُّهَا، وأَبَاحَ اللهُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الْمَطَاعِمِ والْمَشَارِبِ والْمَلابِسِ والْمَنَاكِحِ، وحَرَّمَ عَلَيهِمُ الْخَبَائِثَ مِنْ ذَلِكَ، فَلِهَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الدِّينِ أَكْمَلُهُ، ومِنَ الأَخْلاقِ أَجَلُّهَا، ومِنَ الأَعْمَالِ أَفْضَلُهَا .

وَوَهَبَهُمُ اللهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالْعَدْلِ والإِحْسَانِ، مَا لَمْ يَهَبْهُ لأُمَّةٍ سِوَاهُمْ، فَلِذَلِكَ كَانُوا ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ كَامِلِينَ، لِيَكُونُوا ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، بِسَبَبِ عَدَالَتِهِم وحُكْمِهِم بِالْقِسْطِ، يَحْكُمُونَ عَلَى النَّاسِ مِنْ سَائِرِ أَهْلِ الأَدْيَانِ، ولا يَحْكُمُ عَلَيهِمْ غَيرُهُم، فَمَا شَهِدَتْ لَهُ هَذِهِ الأُمَّةُ بِالْقَبُولِ فَهُوَ مَقْبُولٌ، ومَا شَهِدَتْ لَهُ بِالرَّدِّ فَهُوَ مَرْدُودٌ .

فَإِنْ قِيلَ : كَيفَ يُقْبَلُ حُكْمُهُم عَلَى غَيرِهِم، وَالْحَالُ أَنَّ كُلَّ مُخْتَصِمَيْنِ غَيرُ مَقْبُولٍ قَولُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ؟ قِيلَ : إِنَّمَا لَمْ يُقْبَلْ قَولُ أَحِدِ الْمُتَخَاصِمَينِ لِوُجُودِ التُّهْمَةِ، فَأَمَّا إِذَا انْتَفَتِ التُّهْمَةُ، وحَصَلَتِ الْعَدَالَةُ التَّامَّةُ كَمَا فِي هَذِهِ الأُمَّةِ، فَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ الْحُكْمُ بِالْعَدْلِ والْحَقِّ، وشَرْطُ ذَلِكَ الْعِلْمُ والْعَدْلُ، وهُمَا مَوْجُودَانِ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ، فَقُبِلَ قَولُهَا .

فَإِنْ شَكَّ شَاكٌّ فِي فَضْلِهَا، وطَلَبَ مُزَكِّياً لَهَا، فَهُوَ أَكْمَلُ الْخَلْقِ، نَبِيُّهُم ﷺ، فَلِهَذَا قَالَ ﷻ : ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ .

ومِنْ شَهَادَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى غَيرِهِم، أَنَّهُ إِذَا كَانَ يَومُ الْقِيَامَةِ، وسَأَلَ اللهُ الْمُرْسَلِينَ عَنْ تَبْلِيغِهِم، والأُمَمَ الْمُكَذِّبَةَ عَنْ ذَلِكَ، وأَنْكَرُوا أَنَّ الأَنْبِيَاءَ بَلَّغَتْهُم، اسْتَشْهَدَتِ الأَنْبِيَاءُ بِهَذِهِ الأُمَّةِ، وزَكَّاهَا نَبِيُّهَا ﷺ .

وفي الآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ إِجْمَاعَ هَذِهِ الأُمَّةِ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ، وأَنَّهُم مَعْصُومُونَ عَنِ الْخَطَإِ، لإِطْلاقِ قَولِهِ : ﴿وَسَطًا﴾، فَلَوْ قُدِّرَ اتِّفَاقُهُم عَلَى الْخَطَإِ، لَمْ يَكُونُوا وَسَطاً، إِلاَّ فِي

www.saida-islam.weebly.com

بَعْضِ الأُمُورِ، ولِقَولِهِ : ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾، يَقْتَضِي أَنَّهُم إِذَا شَهِدُوا عَلَى حُكْمٍ أَنَّ اللَّهَ أَحَلَّهُ أَوْ حَرَّمَهُ أَوْ أَوْجَبَهُ، فَإِنَّهَا مَعْصُومَةٌ في ذَلِكَ . وفِيهَا اشْتِرَاطُ الْعَدَالَةِ في الْحُكْمِ، وَالشَّهَادَةِ، وَالْفُتْيَا، ونَحْوِ ذَلِكَ [١] .

قَولُهُ ﷻ : ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ لا خِلافَ أَنَّ الرَّسُولَ هُنَا هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وفي شَهَادَتِهِ أَقْوَالٌ :

أَحَدُهَا : شَهَادَتُهُ عَلَيهِم أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَهُم رِسَالَةَ رَبِّهِ .

الثَّانِيْ : شَهَادَتُهُ عَلَيهِم بِإِيْمَانِهِمْ .

الثَّالِثُ : يَكُونُ حُجَّةً عَلَيهِمْ .

الرَّابِعُ : تَزْكِيَتُهُ لَهُم، وتَعْدِيلُهُ إِيَّاهُمْ، قَالَهُ عَطَاءُ . قَالَ : هَذِهِ الأُمَّةُ شُهَدَاءُ عَلَى مَنْ تَرَكَ الْحَقَّ مِنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَالرَّسُولُ شَهِيدٌ مُعَدِّلٌ مُزَكٍّ لَهُمْ [٢] .

مَعْنَى الْحَدِيْثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ رِفْعَةَ مَقَامِ هَذِهِ الأُمَّةِ بِقِيَامِهِم مَقَاماً لا يَقُومُهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، وهُوَ مَقَامُ الشَّهَادَةِ عَلَى الأُمَمِ السَّابِقَةِ يَومَ الْقِيَامَةِ، فَإِنَّهُم يَشْهَدُونَ لأَنْبِيَاءِ اللَّهِ ﷻ أَنَّهُمْ بَلَّغُوا أَقْوَامَهُم رِسَالَةَ اللَّهِ ﷻ، فَإِذَا جَحَدَتْ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ تَبْلِيغَ نَبِيِّهَا لَهَا أَوَامِرَ رَبِّهَا ﷻ، شَهِدَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ لِذَلِكَ النَّبِيِّ أَنَّهُ بَلَّغَ أُمَّتَهُ مَا أُنْزِلَ إِلَيهِ مِنْ رَبِّهِ بَلاغاً مُبِيناً، وهَذِهِ الْخَصِيصَةُ لَمْ تَثْبُتْ لأَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عليهم السلام [٣] .

---

(١) «تفسير السعدي» ص (٧٠ - ٧١) .

(٢) «تفسير البحر المحيط» لأبي حيان الأندلسي (١ / ٥٩٥) .

(٣) «بداية السول في تفضيل الرسول» للعز بن عبد السلام ص (٦٩) .

www.saida-islam.weebly.com

قَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ رضي الله عنه فِي قَولِهِ تعالى : ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ :" فَكَانُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ يَومَ الْقِيَامَةِ، كَانُوا شُهَدَاءَ عَلَى قَومِ نُوحٍ، وقَومِ هُودٍ، وقَومِ صَالِحٍ، وقَومِ شُعَيبٍ، وآلِ فِرْعَونَ، أَنَّ رُسُلَهُم بَلَّغَتْهُم، وأَنَّهُمْ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ " (١) .

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه عنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :" إِنِّي وأُمَّتِي لَعَلَى كَومٍ يَومَ الْقِيَامَةِ، مُشْرِفِينَ عَلَى الْخَلاَئِقِ، مَا أَحَدٌ مِنَ الأُمَمِ إِلاَّ وَدَّ أَنَّهُ مِنَّا أَيَّتُهَا الأُمَّةُ، ومَا مِنْ نَبِيٍّ كَذَّبَهُ قَومُهُ إِلاَّ نَحْنُ شُهَدَاؤُهُ يَومَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ رِسَالاتِ رَبِّهِ، ونَصَحَ لَهُمْ "(٢). وقَالَ عِكْرِمَةُ رحمه الله :" فَكُلَّمَا دُعِيَ نَبِيٌّ كَذَّبَهُ قَومُهُ، شَهِدَتْ لَهُ هَذِهِ الأُمَّةُ بِالْبَلاغِ، فَإِذَا سَأَلَ عَنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، لَمْ يَسْأَلْ عَنْهَا إِلاَّ نَبِيَّهَا " (٣) .

وعَنْ حِبَّانَ بْنِ أَبِي جَبَلَةَ رحمه الله يُسْنِدُهُ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ :" إِذَا جَمَعَ اللهُ عِبَادَهُ يَومَ الْقِيَامَةِ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ يُدْعَى إِسْرَافِيلُ عليه السلام، فَيَقُولُ لَهُ رَبُّهُ : مَا فَعَلْتَ فِي عَهْدِيْ ؟ هَلْ بَلَّغْتَ عَهْدِيْ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ رَبِّ، قَدْ بَلَّغْتُهُ جِبرِيْلَ عليه السلام؛ فَيُدْعَى جِبرِيْلُ، فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ بَلَّغَكَ إِسْرَافِيلُ عَهْدِيْ ! فَيَقُولُ : نَعَمْ رَبِّ، قَدْ بَلَّغَنِيْ . فَيُخَلَّى عَنْ إِسْرَافِيلَ، ويُقَالُ لِجِبْرِيلَ : هَلْ بَلَّغْتَ عَهْدِيْ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ، قَدْ بَلَّغْتُ الرُّسُلَ . فَتُدْعَى الرُّسُلُ، فَيُقَالُ لَهُمْ : هَلْ بَلَّغَكُمْ جِبْرِيلُ عَهْدِيْ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ رَبَّنَا. فَيُخَلَّى عَنْ جِبْرِيلَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلرُّسُلِ : مَا فَعَلْتُمْ بِعَهْدِيْ ؟ فَيَقُولُونَ : بَلَّغْنَا أُمَمَنَا. فَتُدْعَى الأُمَمُ، فَيُقَالُ : هَلْ بَلَّغَكُمُ الرُّسُلُ عَهْدِيْ ؟ فَمِنْهُمُ الْمُكَذِّبُ، ومِنْهُمُ الْمُصَدِّقُ، فَتَقُولُ الرُّسُلُ: إِنَّ لَنَا عَلَيهِم شُهُودًا يَشْهَدُونَ أَنْ قَدْ بلَّغْنَا مَعَ شَهَادَتِكَ . فَيَقُولُ : مَنْ يَشْهَدُ لَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : أُمَّةُ مُحَمَّدٍ. فَتُدْعَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَقُولُ : أَتَشْهَدُونَ أَنَّ رُسُلِيْ هَؤُلاءِ قَدْ بَلَّغُوا عَهْدِيَ إِلى مَنْ أُرْسِلُوا إِلَيهِ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ رَبَّنَا، شَهِدْنَا أَنْ قَدْ بَلَّغُوا . فَتَقُولُ تِلْكَ الأُمَمُ : كَيفَ يَشْهَدُ عَلَينَا مَنْ لَمْ يُدْرِكْنَا ؟ فَيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وتَعَالى :

---

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (١٣٣٥) .

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١٨٧) .

(٣) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣٥٢/١) وعزاه إلى عبد بن حميد .

www.saida-islam.weebly.com

كَيفَ تَشْهَدُونَ عَلَى مَنْ لَمْ تُدْرِكُوا ؟ فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا بَعَثْتَ لَنَا رَسُولاً، وأَنْزَلْتَ إِلَينَا عَهْدَكَ وكِتَابَكَ، وقَصَصْتَ عَلَينَا أَنَّهُم قَدْ بَلَّغُوا، فَشَهِدْنَا بِمَا عَهِدْتَ إِلَينَا، فَيَقُولُ الرَّبُّ: صَدَقُوا ". قَالَ ابْنُ أَنْعَمَ : فَبَلَغَنِيْ أَنَّهُ يَشْهَدُ يَومَئِذٍ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلاَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حِنَةٌ[١] عَلَى أَخِيْهِ [٢] .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِ قَولِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ الْحَوَارِيِّينَ : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٣] قَالَ :" مَعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ [٣]. يَعْنُونَ بِـ ﴿ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ مُحَمَّداً ﷺ وأُمَّتَهُ " [٤]. وفِي رِوَايَةٍ قَالَ: "مُحَمَّدٌ ﷺ وأُمَّتُهُ، إِنَّهُمْ شُهِدُوا أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغَتْ " [٥] .

*****

(١) الْحِنَةُ – بكسر الحاء – العداوة، وهي لغة قليلة في الإِحْنَةِ . .

(٢) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣٥٢/١) وعزاه إلى عبد بن حميد .

(٣) «تفسير الطبري» (٢٢٠٠) .

(٤) «تفسير ابن أبي حاتم» (٣٦٢٧) .

(٥) «تفسير الطبري» (١٢٣٣٣) وقال ابن كثير : هذا إسناد جيد .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ الْخَامِسُ وَالثَّلاثُوْنَ

كُلُّ هَذِهِ الأُمَّةِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَى وَشَرَدَ عَلَى اللهِ ﷻ شِرَادَ الْبَعِيرِ عَلَى أَهْلِهِ

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ :" **كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَى**". قالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ وَمَنْ يَأْبَى؟! قَالَ :" **مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**"(١). وفي رِوَايَةٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَدْخُلُنَّ الْجَنَّةَ كُلُّكُمْ إِلاَّ مَنْ أَبَى، وَشَرَدَ عَلَى اللهِ ﷻ شِرَادَ الْبَعِيرِ**". قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ أَبَى أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ ؟ فَقَالَ :" **مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي دَخَلَ النَّارَ** " (٢) .

قوله: (**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَى**) لَعَلَّ الْمُرَادَ بِالأُمَّةِ أُمَّةُ الدَّعْوَةِ، وَالْمُرَادُ بِمَنْ أَبَى مَنْ أَبَى الإِيْمَانَ بِهِ، وهُوَ الْمُرَادُ بِالْعِصْيَانِ، لا مُطْلَقَ الْعِصْيَانِ (٣). ويُؤَيِّدُ هَذَا مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ :" **كُلُّكُمْ فِي الْجَنَّةِ إِلاَّ مَنْ شَرَدَ عَلَى اللهِ ﷻ شِرَادَ الْبَعِيرِ عَلَى أَهْلِهِ** " (٤) .

ورَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ مَوقُوفاً عَلَى أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، قَالَ :" **لا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ شَرَدَ عَلَى اللهِ ﷻ كَشِرَادِ الْبَعِيرِ السُّوءِ عَلَى أَهْلِهِ، فَمَنْ لَمْ**

---

(١) رواه البخاري (٧٢٨٠) .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٨٠٨) وقال الهيثمي في المجمع : رجاله رجال الصحيح .

(٣) «حاشية السندي على صحيح البخاري» (١٢٣/٤) .

(٤) رواه أحمد في مسنده (٢٢٢٢٦) والطبراني في الأوسط (٣١٤٩) والحاكم في المستدرك (١٨٤) وسكت عنه الذهبي في التلخيص. ورواه الحاكم عن أبي هريرة (٧٦٢٦) وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي في المجمع : رجاله رجال الصحيح غير علي بن خالد ، وهو ثقة، وحَسَّنَ إسناده. وقال الحافظ في الفتح : سنده جيد .

www.saida-islam.weebly.com

يُصَدِّقْنِي فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [الليل: ١٥ – ١٦]. كَذَّبَ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ وتَوَلَّى عَنْهُ " [١] .

قوله: (مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي دَخَلَ النَّارَ) يُرِيدُ ﷺ أَنَّهُ مُبَلِّغٌ عَنِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَمَنْ أَطَاعَهُ فِيمَا بَلَّغَهُ فَقَدْ أَطَاعَ الآمِرَ الْحَقِيقِيَّ، ومِثْلُهُ الْمَعْصِيَةُ، وهَذَا مَضْمُونُ قَولِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء : ٨٠] . وقَولِهِ ﷺ :" مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ" [٢]. وَالْمَوْصُوفُ بِالإِبَاءِ – وهُوَ الامْتِنَاعُ – إِنْ كَانَ كَافِراً فَهُوَ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَصْلاً، وإِنْ كَانَ مُسْلِماً فَالْمُرَادُ مَنْعُهُ مِنْ دُخُولِهَا مَعَ أَوَّلِ دَاخِلٍ، إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[٣].

وقَدْ ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ مَثَلاً لِمَنْ صَدَّقَ بِمَا جَاءَ بِهِ ﷺ وَاتَّبَعَهُ فِيهِ، ولِمَنْ كَذَّبَ بِهِ؛ فَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :" إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ، فَقَالَ : يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ " [٤] .

مَعْنَى الْحَدِيثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ الْحَدِيثُ أَنَّ جَمِيعَ مَنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وفَضْلِهِ؛ وهُمْ إِمَّا مُحْسِنُونَ، يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ ولا عَذَابٍ كَمَا سَبَقَ، وإِمَّا أَنَّهُمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيهِم بِكَرَمِهِ، بَعْدَ أَنْ يُحَاسَبُوا حِسَاباً

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٧٣٣٢) وقال الهيثمي في المجمع : إسناده حسن .

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة (٢٩٥٧)، (٧١٣٧) ومسلم (٤٨٥٢)، (٤٨٥٤) .

(٣) «فتح الباري» (١٣/٢٥٤) .

(٤) رواه البخاري عن أبي موسى (٦٤٨٢)، (٧٢٨٣) ومسلم (٦٠٩٤) .

www.saida-islam.weebly.com

يَسيراً، بتَعْدَادِ ذُنُوبِهم عَلَيهِم، ثُمَّ يَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ كَمَا قَالَ ﷺ :" **إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ : أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ، أَيْ رَبِّ . حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ : سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ :** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ **[هود : ١٨]"** [(١)].

أَمَّا الْمُسيئُونَ، فَهُمْ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، إِمَّا أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُم بِفَضْلِهِ وكَرَمِهِ، كَمَا في حَدِيثِ الْبِطَاقَةِ[(٢)] وغَيرِهَا مِنَ الأَحَادِيثِ، وإِمَّا أَنْ تَنَالَهُم شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ مِنَ النَّبِيِّينَ أَوِ الصِّدِّيقِينَ أَوِ الشُّهَدَاءِ أَوِ الصَّالِحِينَ، أَوْ يُجَازِيَهمُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ، فَيُدْخِلَهُمُ النَّارَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ تَنَالُهُم رَحْمَتُهُ، فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، كَمَا قَالَ ﷺ :" **إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيَخْرُجُونَ، قَدْ امْتُحِشُوا[(٣)]، وَعَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ** " [(٤)] .

فَأَهْلُ التَّوحِيدِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ كُلُّهُم يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، وإِنْ عُذِّبُوا بِالنَّارِ بِذُنُوبِهِم، ولا يَخْلُدُونَ في النَّارِ. قَالَ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : مَن اعْتَقَدَ أَنَّ أَحَداً مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ يَخْلُدُ في النَّارِ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ، ونَسَبَهُ إِلى الْجَوْرِ [(٥)] .

---

(١) رواه البخاري عن ابن عمر برقم (٢٤٤١) ومسلم (٧١٩١) .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) أي احترقوا . والْمَحْشُ: احتراق الجلد، وظهور العظم .

(٤) رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري (٢٢)، (٦٥٦) ومسلم (٤٧٥) . **وحَمِيل السَّيْلِ** : هو ما جاء به السيل من طين أو غثاء، ومعناه : محمول السيل، والمراد التشبيه في سرعة النبات وحسنه وطراوته .

(٥) «التيسير بشرح الجامع الصغير» للمناوي (٤١٢/٢) .

www.saida-islam.weebly.com

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **مَا مِنْ أُمَّةٍ إلاَّ بَعْضُها فِي الْجَنَّةِ وَبَعْضُها فِي النَّار إلاَّ أُمَّتي، فَإنَّهَا كُلَّهَا فِي الجَّنَةِ** "(١). أَيْ أَنَّ جَمِيعَ الأُمَمِ بَعْضُهَا يَخْلُدُ فِي الجَنَّةِ، وبَعْضُهَا يَخْلُدُ فِي النَّارِ، إلاَّ هَذِهِ الأُمَّةَ، وهِيَ أُمَّةُ الإِجَابَةِ، فَإِنَّهَا كُلَّهَا تَخْلُدُ فِي الْجَنَّةِ، وإِنْ أَصَابَ بَعْضَهُم قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الْعَذَابِ مَا شَاءَ اللَّهُ .

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :" **إِذَا اجْتَمَعَ أَهْلُ النَّار فِي النَّارِ، ومعهُمْ مَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ القِبْلةِ، قَالَ الْكُفَّارُ لِمَنْ فِي النَّارِ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ : أَلَسْتُم مُسْلِمِينَ ؟ قَالُوا : بَلَى، قَالُوا : فَمَا أغْنَى عَنْكُم إِسْلامُكُم، وأَنْتُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ، قَالُوا : كَانَتْ لَنَا ذُنُوبٌ فَأُخِذْنَا بِهَا، فَسَمِعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا قَالُوا، فَأَمَرَ بِمَنْ كَانَ فِي النَّارِ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ فَأُخْرِجُوا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مَنْ بَقِيَ مِنَ الْكُفَّارِ، قَالُوا : يَا لَيْتَنَا كُنَّا مُسْلِمِينَ، فَنُخْرَجَ كَمَا أُخْرِجُوا** ". وقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ **الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ** ﴾ [الحجر : ١-٢] " (٢) .

وفي رِوَايَةٍ :" **فَإِذَا سَمِعَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْهُم أَذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ لَهُمْ، فَيَشْفَعُ الْمَلائِكَةُ والنَّبِيُّونَ وَيَشْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ** "(٣). وفي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنِ ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَوقُوفاً قَالَ :" **مَا زَالَ اللَّهُ يَشْفَعُ ويُدْخِلُ الْجَنَّةَ، ويَرْحَمُ ويَشْفَعُ، حَتَّى يَقُولَ : مَنْ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ، فَذَاكَ حِينَ يَقُولُ : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾**(٤).

---

(١) رواه الطبراني في الصغير (٦٤٨) والكبير (٤٧)، (١٢٣) والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٤٩٥٢)، (٧١١٣) وقال الهيثمي في المجمع : وفيه أحمد بن محمد بن الحجاج بن رشدين وهو ضعيف .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢٩٥٤) وقال حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، وقد روي مثله عن أبي سعيد وجابر وأبي هريرة وأبي أمامة وغيرهم .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري (٨١١٠) .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك موقوفاً على ابن عباس (٣٣٤٥) وقال : حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

www.saida-islam.weebly.com

ورُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :" يُوضَعُ لِلأَنْبِيَاءِ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَجْلِسُونَ عَلَيْهَا، وَيَبْقَى مِنْبَرِي لا أَجْلِسُ عَلَيهِ – أَوْ قَالَ : لا أَقْعُدُ عَلَيهِ – قَائِمًا بَينَ يَدَيْ رَبِّي مَخَافَةَ أَنْ يُبعَثَ بِي إِلى الجَنَّةِ وَتَبْقَى أُمَّتِي بَعْدِيْ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا مُحَمَّدُ مَا تُرِيدُ أَنْ أَصْنَعَ بِأُمَّتِكَ ؟ فَأَقُولُ : يَا رَبِّ عجِّلْ حِسَابَهُم، فَيُدْعَى بِهِم فَيُحَاسَبُونَ : فَمِنْهُم مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، ومِنْهُم مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ بِشَفَاعَتِي، فَمَا أَزَالُ أَشْفَعُ حَتَّى أُعْطَى صِكَاكًا بِرِجَالٍ قَدْ بُعِثَ بِهِم إِلى النَّارِ، حَتَّى إِنَّ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ لَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ مَا تَرَكْتَ لِغَضَبِ رَبِّكَ فِي أُمَّتِكَ مِنْ نِقْمَةٍ " (١).

*****

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٠٧٧١) والأوسط (٢٩٣٧) ، والبيهقي في «البعث» وقال المنذري في الترغيب : وليس في إسنادهما من ترك . وقال الهيثمي في المجمع : وفيه محمد بن ثابت البناني وهو ضعيف .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيثُ السَّادِسُ وَالثَّلاثُونَ

هَذِهِ الأُمَّةُ هِيَ أَقَلُّ الأُمَمِ عَدَداً وَأَكْثَرُهَا نَصِيباً فِي الْجَنَّةِ

عنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" يَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: يَا آدَمُ ! فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ : أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ . قَالَ : وَمَا بَعْثُ النَّارِ ؟ قَالَ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ : فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ". قَالَ : فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيهِمْ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ ؟ قَالَ : "أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلاً، وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا ". ثُمَّ قَالَ :" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ". فَحَمِدْنَا اللَّهَ وَكَبَّرْنَا . فَقَالَ :" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ". فَحَمِدْنَا كَبَّرْنَا. فَقَالَ :" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِنَّ مَثَلَكُم فِي الأُمَمِ كَمَثَلِ الشَعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ " [(١)] .

قوله: (لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ) هَذَانِ لَفْظَانِ مُثَنَّيَانِ، أُضِيفَا إِلى كَافِ الْخِطَابِ، فَحُذِفَتْ نُونُهُمَا؛ وهَذِهِ التَّثْنِيَةُ لَيسَتْ حَقِيقِيَّةً، بَلْ هِيَ لِلتَّكْثِيرِ، أَوِ الْمُبَالَغَةِ، كَمَا فِي قَولِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾[الملك: ٤]، أَيْ كَرَّةً بَعْدَ كَرَّةٍ، لا كَرَّتَينِ اثْنَتَينِ، وهَذَا مِنَ التَّثَانِي الَّتِي يُرَادُ بِهَا التَّكْرِيرِ. ومَعْنَى «لَبَّيْكَ»: أَيْ أُجِيبُكَ إِجَابَةً لَكَ بَعْدَ إِجَابَةٍ، ومَعْنَى «سَعْدَيْكَ»: سَاعَدْتُ طَاعَتَكَ مُسَاعَدَةً بَعْدَ مُسَاعَدَةٍ [(٢)] .

قوله: (أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ) الْبَعْثُ هُنَا بِمَعْنَى الْمَبْعُوثِ الْمُوَجَّهِ إِلَيهَا؛ ومَعْنَاهُ مَيِّزْ أَهْلَ النَّارِ مِنْ غَيرِهِمْ؛ وإِنَّمَا خُصَّ بِذَلِكَ آدَمُ، لِكَونِهِ وَالِدَ الْجَمِيعِ، ولِكَونِهِ كَانَ قَدْ عَرَفَ أَهْلَ السَّعَادَةِ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ، فَقَدْ رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ لَيلَةَ الإِسْرَاءِ، وعَنْ يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ، وعَنْ شِمَالِهِ

(١) رواه البخاري برقم (٣٣٤٨)، (٦٥٣٠) ومسلم برقم (٥٥٤) .

(٢) «شرح مسلم للنووي» (٢٣١/١) و«فتح الباري» (١٣٢/١) .

www.saida-islam.weebly.com

أَسْوِدَةٌ، فَقَالَ جِبْرِيلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ :" **هَذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُم أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ** " (١)(٢) .

ويَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى أَخْرِجْ، أَي احْضُرْ إِخْرَاجَهُمْ، فَكَأَنَّهُم يُعْرَضُونَ عَلَيهِ بِأَشْخَاصِهِم وأَسْمَائِهِم، كَمَا قَدْ عُرِضَتْ عَلَيهِ نَسَمُهُمْ (٣) .

قوله: (**قَالَ : وَمَا بَعْثُ النَّارِ ؟**) الْوَاوُ عَاطِفَةٌ عَلَى شَيْءٍ مَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ : سَمِعْتُ وأَطَعْتُ، ومَا بَعْثُ النَّارِ ؟ أَيْ ومَا مِقْدَارُ مَبْعُوثِ النَّارِ، وفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ :" **فَيَقُولُ : يَا رَبِّ كَمْ أُخْرِجُ ؟** " (٤) .

قوله: (**مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ**) لَمَّا سَمِعَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ أَلْفاً إِلاَّ وَاحِداً لِلنَّارِ، ووَاحِداً لِلْجَنَّةِ، اشْتَدَّ خَوفُهُم لِذَلِكَ، وَاسْتَقَلُّوا عَدَدَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَاسْتَبْعَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُم أَنْ يَكُونَ هُوَ ذَلِكَ الْوَاحِدَ، فَسَكَّنَ النَّبِيُّ ﷺ خَوفَهُم، وطَيَّبَ قُلُوبَهُمْ، فَقَالَ :" **أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلاً، وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا** ". ويَعْنِي بِالأَلْفِ هُنَا التِّسْعَمِائَةَ وَالتِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ الْمُتَقَدِّمَةَ الذِّكْرِ .

و«**يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ**» قَومٌ كُفَّارٌ وَرَاءَ سَدِّ ذِيْ الْقَرْنَين، وَالْمُرَادُ بِهِم فِي هَذَا الْحَدِيثِ هُمْ ومَنْ كَانَ عَلَى كُفْرِهِم، كَمَا أَنَّ الْمُرَادَ بِقَولِهِ (**مِنْكُمْ**) أَصْحَابُهُ ومَنْ كَانَ عَلَى إِيْمَانِهِم؛ لأَنَّ مَقْصُودَ هَذَا الْحَدِيثِ الإِخْبَارُ بِقِلَّةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ بِالنِّسْبَةِ إِلى كَثْرَةِ أَهْلِ النَّارِ مِنْ غَيرِهَا مِنَ الأُمَمِ؛ وأَمَّا نِسْبَةُ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلى مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الأُمَمِ، فَهَذِهِ الأُمَّةُ شَطْرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، كَمَا نَصَّ عَلَيهِ (٥) . وسَيَأْتِيْ أَنَّهُمُ الثُّلُثَانِ .

---

(١) رواه البخاري عن أبي ذر برقم (٣٤٩)، (٣٣٤٢) ومسلم برقم (٤٣٣) .

(٢) «فتح الباري» (٣٨٩/١١) .

(٣) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٤١٨/١) .

(٤) «فتح الباري» (٣٨٩/١١) .

(٥) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٤١٨/١) .

www.saida-islam.weebly.com

قوله: (فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى، وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) مَعْنَاهُ مُوَافَقَةُ قَولِهِ ﷻ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ [الحج : ١ -٢] . وقَولِهِ ﷻ : ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل : ١٧] .

وقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي وَقْتِ وَضْعِ كُلِّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وغَيرِهِ مِنَ الْمَذْكُورِ، فَقِيلَ: عِنْدَ زَلْزَلَةِ السَّاعَةِ قَبْلَ خُرُوجِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا؛ وقِيلَ : هُوَ فِي الْقِيَامَةِ؛ فَعَلَى الأَوَّلِ هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ؛ وعَلَى الثَّانِيْ يَكُونُ مَجَازاً؛ لأَنَّ الْقِيَامَةَ لَيسَ فِيهَا حَمْلٌ ولا وِلادَةٌ، وتَقْدِيرُهُ : يَنْتَهِي بِهِ الأَهْوَالُ والشَّدَائِدُ إِلى أَنَّهُ لَوْ تُصُوِّرَتِ الْحَوَامِلُ هُنَاكَ، لَوَضَعْنَ أَحْمَالَهُنَّ، كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ :" **أَصَابَنَا أَمْرٌ يَشِيبُ مِنْهُ الْوَلِيدُ** ". يُرِيْدُونَ شِدَّتَهُ؛ و**اللَّهُ** أَعْلَمُ [١] .

قوله: (إِنِّي لأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ) هَذِهِ الطَّمَاعِيَةُ قَدْ حُقِّقَتْ لَهُ بِقَولِهِ ﷺ : ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ [الضحى : ٥]، وبِقَولِهِ :" **إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ** "؛ لَكِنْ عَلَّقَ هَذِهِ الْبُشْرَى عَلَى الطَّمَعِ أَدَباً مَعَ الْحَضْرَةِ الإِلَهِيَّةِ، ووُقُوفاً مَعَ أَحْكَامِ الْعُبُودِيَّةِ [٢] .

قوله: (**فَكَبَّرْنَا**) أَيْ عَظَّمْنَا ذَلِكَ، وقُلْنَا : **اللَّهُ** أَكْبَرُ، لِلسُّرُورِ بِهَذِهِ الْبِشَارَةِ الْعَظِيمَةِ؛ وإِنَّمَا ذَكَرَ الرُّبُعَ أَوَّلاً، ثُمَّ النِّصْفَ، لأَنَّهُ أَوْقَعُ فِي النَّفْسِ، وأَبْلَغُ فِي الإِكْرَامِ، فَإِنَّ تَكْرَارَ الإِعْطَاءِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى دَالٌّ عَلَى الْمُلاحَظَةِ وَالاِعْتِنَاءِ بِهِ؛ وفِيهِ أَيْضاً حَمْلُهُم عَلَى تَجْدِيدِ شُكْرِ **اللَّهِ**، وتَكْبِيرِهِ، وحَمْدِهِ عَلَى كَثْرَةِ نِعَمِهِ [٣]؛ وجَاءَ فِي زِيَادَةٍ :" **فَحَمِدْنَا** "،

---

(١) «شرح مسلم للنووي» (٣/٩٢) .

(٢) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (١/٤١٩) .

(٣) «عمدة القاري» (٢٣/ ١٩٣) .

www.saida-islam.weebly.com

وَفِي أُخْرَى :" **ففرحُوا** "، وَفِي ذَلِكَ كُلِّهِ دَلالَةٌ عَلَى أَنَّهُمُ اسْتَبْشَرُوا بِمَا بَشَّرَهُمْ بِهِ، فَحَمِدُوا اللَّهَ عَلَى نِعْمَتِهِ الْعُظْمَى، وَكَبَّرُوهُ اسْتِعْظَامًا لِنِعْمَتِهِ بَعْدَ اسْتِعْظَامِهِمْ لِنِقْمَتِهِ [١] .

قوله: (**أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ**) قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : الرَّقْمَتَانِ فِي الْحِمَارِ : هُمَا الأَثَرَانِ فِي بَاطِنِ عَضُدَيهِ، وقِيلَ : هِيَ الدَّائِرَةُ فِي ذِرَاعَيهِ، وقِيلَ : هِيَ الْهَنَةُ النَّاتِئَةُ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ مِنَ الدَّاخِلِ؛ واللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ [٢] .

مَعْنَى الْحَدِيْثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ كَثْرَةَ أَهْلِ النَّارِ مِنْ بَنِيْ آدَمَ عليه السلام، وقِلَّةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيهِمْ، حَيثُ إِنَّ نِسْبَةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ تُمَثِّلُ وَاحِداً بِالأَلْفِ . كَمَا يُبَيِّنُ كَثْرَةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ بِالنِّسْبَةِ لِغَيرِهِمْ مِنَ الأُمَمِ، حَيثُ إِنَّ نِسْبَتَهُم تُمَثِّلُ النِّصْفَ لأَهْلِ الْجَنَّةِ؛ وسَيَأْتِي أَنَّ نِسْبَتَهُمْ هِيَ الثُّلُثَانِ؛ وفِي هَذَا بُشْرَى عَظِيمَةٌ لِهَذِهِ الأُمَّةِ، وأَنَّ أَحَداً مِنهَا لَنْ يَخْلُدَ فِي النَّارِ كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

*****

(١) «فتح الباري» (٢٨٧/١١) .

(٢) «شرح مسلم للنووي» (٩٣/٣) .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ السَّابِعُ وَالثَّلاثُوْنَ

بَيَانُ أَنَّ نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي قُبَّةٍ، نَحْواً مِنْ أَرْبَعِينَ، فَقَالَ :" **أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟** " قُلْنَا : نَعَمْ، قَالَ :" **أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟** " قُلْنَا : نَعَمْ، قَالَ :" **وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لا يَدْخُلُهَا إِلاَّ نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلاَّ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَحْمَرِ**" [(١)] .

قوله: (**أَتَرْضَوْنَ**) وفي رِوَايَةٍ: (**أَلا تَرْضَونَ**)، وفي رِوَايَةٍ: (**أَلَيسَ تَرْضَونَ**) وفي أُخْرَى: (**أَتُحِبُّونَ**)، قَالَ ابْنُ التِّيْنِ : ذَكَرَهُ بِلَفْظِ الاِسْتِفْهَامِ لإِرَادَةِ تَقْرِيرِ الْبِشَارَةِ بِذَلِكَ، وذَكَرَهُ بِالتَّدْرِيجِ لِيَكُونَ أَعْظَمَ لِسُرُورِهِمْ [(٢)] .

قوله: (**كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ ... الحديث**) أَطْلَقَ الشَّعْرَةَ، ولَيسَ الْمُرَادُ حَقِيقَةَ الْوِحْدَةِ، لأَنَّهُ لا يَكُونُ ثَورٌ لَيسَ فِي جِلْدِهِ غَيرُ شَعْرَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ غَيرِ لَونِهِ[(٣)]؛ وإِنَّمَا الْمُرَادُ بَيَانُ قِلَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْكُفَّارِ يَومَ الْقِيَامَةِ .

مَعْنَى الْحَدِيْثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ رِفْعَةَ مَقَامِ هَذِهِ الأُمَّةِ عِنْدَ رَبِّهَا وَعَزَّ وَجَلَّ، حَيثُ اخْتَارَهَا مِنْ بَينِ الأُمَمِ، وجَعَلَهَا أَكْثَرَ الأُمَمِ اسْتِجَابَةً للهِ ورَسُولِهِ، ويَظْهَرُ أَثَرُ هَذَا الاِخْتِيَارِ فِي أَعْمَالِهِم، وأَخْلاقِهِم، وتَوْحِيدِهِم، ومَنَازِلِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَهُمْ عَلَى قِلَّةِ عَدَدِهِم بِالنِّسْبَةِ لِلأُمَمِ السَّابِقَةِ،

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٥٢٨)، (٦٦٤٢) ومسلم برقم (٥٥٢) .

(٢) «فتح الباري» (٢٨٧/١١) .

(٣) المصدر السابق .

www.saida-islam.weebly.com

لَكِنَّهُم يُشَكِّلُونَ أَكْثَرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يُبَيِّنُ الْمُصْطَفَى ﷺ أَنَّهُ يَرْجُو أَنْ تَكُونَ أُمَّتُهُ نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وفِي الْحَدِيثِ الَّذِيْ بَعْدَهُ يُبَيِّنُ أَنَّهُم ثُلُثَا أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَاللهُ ﷻ أَعْطَاهُ رَجَاءَهُ، وَزَادَهُ مِنْ فَضْلِهِ سُدُساً آخَرَ، وذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، واللهُ ذُوْ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

*****

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ الثَّامِنُ وَالثَّلاثُوْنَ

بَيَانُ أَنَّ ثُلُثَيْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ

عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ :" **أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ، هَذِهِ الأُمَّةُ مِنْ ذَلِكَ ثَمَانُونَ صَفًّا** " (١). وفي رِوَايَةٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **كَيْفَ أَنْتُمْ وَرُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ لَكُمْ رُبُعُهَا، وَلِسَائِرِ النَّاسِ ثَلاثَةُ أَرْبَاعِهَا؟**" قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ :" **فَكَيْفَ أَنْتُمْ وَثُلُثَهَا ؟**" قَالُوا : فَذَاكَ أَكْثَرُ؛ قَالَ:" **فَكَيْفَ أَنْتُمْ وَالشَّطْرَ ؟**" قَالُوا : فَذَلِكَ أَكْثَرُ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **أَهْلُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ، أَنْتُمْ مِنْهَا ثَمَانُونَ صَفًّا** " (٢).

مَعْنَى الْحَدِيْثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ مِائَةٌ وعِشْرُونَ صَفًّا، وأَنَّ نَصِيبَ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ ذَلِكَ هُوَ الثُّلُثَانِ، وهُوَ ثَمَانُونَ صَفًّا، وفي هَذَا بِشَارَةٌ عَظِيمَةٌ لِهَذِهِ الأُمَّةِ، فَهِيَ عَلَى قِصَرِ أَعْمَارِهَا، وقِلَّةِ أَعْمَالِهَا بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ سَبَقَهَا مِنَ الأُمَمِ، تُشَكِّلُ ثُلُثَيْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . وعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ **ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ** ﴾ [الواقعة :٣٩ – ٤٠]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **أَنْتُم رُبُعُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَنْتُمْ ثُلُثُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَنْتُمْ نِصْفُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَنْتُمْ ثُلُثَا أَهْلِ الْجَنَّةِ** " (٣). وفي رِوَايَةٍ : فَقَالَ ﷺ :" **أَنْتُمْ ثُلُثُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، بَلْ أَنْتُمْ نِصْفُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَتُقَاسِمُونَهُمُ النِّصْفَ الْبَاقِيَ** " (٤).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٢٩٤٠)، (٢٣٠٠٢)، (٢٣٠٦١) والترمذي في سننه (٢٥٤٦) وقال : حديث حسن . ورواه الحاكم في المستدرك (٢٧٣) وقال : صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي .

(٢) رواه أحمد في مسنده (٤٣٢٨) وأبو يعلى في مسنده (٥٣٥٨) والبزار في مسنده (١٩٩٩) وقال البوصيري في «إتحاف الخيرة» : رواته كلهم ثقات، وهو في الصحيح باختصار . وقال الهيثمي في المجمع : رجالهم رجال الصحيح غير الحارث بن حصيرة، وقد وُثِّقَ .

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية من طريق الطبراني (١٠١/٧) ونقل عن الطبراني قوله: تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٩٠٨٠) وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٧٢/١٢) .

www.saida-islam.weebly.com

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **هُمَا جَمِيعاً مِنْ أُمَّتِي** " (١) .

ولا تَنَافِيَ بَينَ هَذِهِ الأَحَادِيثِ وأَحَادِيثِ الشَّطْرِ، لأَنَّهُ ﷺ رَجَا أَوَّلاً أَنْ يَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ رَجَاءَهُ، وزَادَ عَلَيهِ سُدُساً آخَرَ (٢) .

فَهَذِهِ الأُمَّةُ هِيَ أَكْثَرُ الأُمَمِ حَظّاً مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وجَنَّتِهِ، كَمَا قَالَ ﷺ :" **أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَيُبْعَثَنَّ مِنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْجَنَّةِ مِثْلُ اللَّيْلِ الأَسْوَدِ، زُمْرَةٌ جَمِيعُهَا يَخْبِطُونَ الأَرْضَ، تَقُولُ الْمَلائِكَةُ : لِمَ جَاءَ مَعَ مُحَمَّدٍ أَكْثَرُ مِمَّا جَاءَ مَعَ الأَنْبِيَاءِ؟** " (٣). فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَالْفَضْلُ كُلُّهُ بِيَدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، واللَّهُ ذُوْ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

وهَذِهِ الْكَثْرَةُ لِلأُمَّةِ بِسَبَبِ حِفْظِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِشَرِيعَتِهَا مِنَ التَّحْرِيفِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] . وقَالَ ﷺ :" **مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ** " (٤) .

وكَذَلِكَ بِسَبَبِ قِيَامِهَا بَعْدَ نَبِيِّهَا ﷺ بِتَبْلِيغِ النَّاسِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَجَلَّ إِلى رَسُولِهِ ﷺ، فَهُمْ يَنُوبُونَ عَنْ نَبِيِّهِمْ ﷺ فِي تَبْلِيغِ الدِّيْنِ، وبَيَانِهِ لِلنَّاسِ، فَيُخْرِجُونَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ، ومِنَ الضَّلالَةِ إِلى الْهُدَى .

*****

(١) «تفسير الطبري» (٣٣٤٨) .

(٢) «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» لابن القيم ص (٨٥) .

(٣) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» عن أبي مالك الأشعري برقم (١٦٧٧) وقال ابن كثير في تفسيره : هـذا إسناد حسن .

(٤) رواه البخاري عن أبي هريرة برقم (٤٩٨١)، (٧٢٧٤) ومسلم برقم (٤٠٢) .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيْثُ التَّاسِعُ وَالثَّلاثُوْنَ

عِظَمُ جَاهِ هَذِهِ الأُمَّةِ عِنْدَ رَبِّهَا وَجَلَّ بِقَبُولِ شَفَاعَتِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ الْعُقَيْلِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ : جَلَسْتُ إِلى رَهْطٍ أَنَا رَابِعُهُم، فَإِذَا رَجُلٌ يُحَدِّثُ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ :" **لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ** ". قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! سِوَاكَ ؟ قَالَ :" **سِوَايَ** ". قَالَ : فَسَأَلْتُ عَنْهُ بَعْدَمَا قَامَ : فَقَالُوا لِي : هَذَا ابْنُ أَبِي الْجَدْعَاءِ [(١)]. وفي رِوَايَةٍ :" **لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيْسَ بنَبِيٍّ مِثْلُ الْحَيَّيْنِ، رَبِيعَةَ وَمُضَرَ**" [(٢)]. وفي رِوَايَةٍ :" **إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَشْفَعُ لِلْفِئَامِ مِنَ النَّاسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْعَصَبَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلرَّجُلِ، حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ** " [(٣)].

قوله: (**بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي**) وفي الرِّوَايَةِ الأُخْرَى : (**بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيْسَ بنَبِيٍّ**) قَالَ الْقَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : قِيلَ : الرَّجُلُ هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقِيلَ : أُوَيْسٌ الْقَرْنِيُّ؛ وقِيلَ: غَيْرُهُ [(٤)]. قُلْتُ : حَدِيثُ تَحْدِيدِ الشَّفَاعَةِ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُرْسَلٌ [(٥)]، وكَذَلِكَ حَدِيثُ شَفَاعَةِ أُوَيْسٍ[(٦)]، وإِطْلاقُ الْحَدِيثِ يَقْتَضِي عَدَمَ التَّعْيِينِ إِلاَّ بِدَلِيلٍ، وقَدْ يَكُونُ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ :

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٥٨٥٧)، (١٥٨٥٨) والترمذي في سننه (٢٤٣٨) وقال : حديث حسن صحيح غريب .

(٢) رواه أحمد في مسنده عن أبي أمامة (٢٢٢١٥) والطبراني في الكبير (٨٠٥٨) وقال المنذري : بإسناد جيد .

(٣) رواه الترمذي في سننه عن أبي سعيد (٢٤٤٠) وقال : حديث حسن .

(٤) «مرقاة المفاتيح» (٢٧٢/١٠) .

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق عن الحسن مرسلاً (٧٩٢٠) كما أخرجه مرفوعاً عن ابن عباس (٧٩١٦) ولفظه :" **لَيَدْخُلَنَّ بِشَفَاعَةِ عُثْمَانَ سَبْعُونَ أَلْفاً، كُلُّهُم قَدِ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ، الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ**". ورَمَزَ السيوطي لضعفه في «الجامع الصغير» وقال ابن عساكر : غَرِيبٌ عن ابن عباس رَفْعُهُ، وهو منكر، وأَقَرَّهُ عليه الذهبي في اختصار لتاريخه « فيض القدير » .

(٦) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» عن ابن عباس وعمر بن الخطاب بأسانيد ضعيفة، والصحيح أنه من قول الحسن البصري . واللهُ أعلم .

www.saida-islam.weebly.com

"رَجُلٍ ". هُوَ الْجِنْسَ، وهُوَ يُطْلَقُ عَلَى الْقَلِيلِ والْكَثِيرِ، وتَكُونُ هَذِهِ الشَّفَاعَةُ لأَفْرَادٍ كَثِيرِينَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، كَمَا سَيَأْتِي فِي شَفَاعَةِ الْعُلَمَاءِ والشُّهَدَاءِ وغَيرِهِمْ، واللهُ أَعْلَمُ .

قوله: (أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ) هِيَ قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ، وهُمْ رَهْطُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيدِ اللهِ رضي الله عنه، ومِنْهُم أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه [١] .

قوله: (مَنْ يَشْفَعُ لِلْفِئَامِ) الْفِئَامُ هُمُ الْجَمَاعَةُ الْكَثِيرَةُ [٢] .

مَعْنَى الْحَدِيثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذِهِ الأَحَادِيثِ عَظِيمَ قَدْرِ أُمَّتِهِ عِنْدَ اللهِ وعَجَلَّ، حَيثُ إِنَّهُ يُشَفِّعُ بَعْضَهُمْ فِي بَعْضٍ، ويُدْخِلُهُمْ بِشَفَاعَتِهِمُ الْجَنَّةَ، وهَذَا هُوَ مَقَامُ الأَنْبِيَاءِ عليهم السلام . ومَا كَانَ هَذَا لَهُمْ إِلاَّ لِرِضَاهُ وعَجَلَّ عَنْ شَفَاعَتِهِم وإِذْنِهِ لَهُمْ فِيهَا، كَمَا قَالَ وتعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه : ١٠٩] .

وشَفَاعَةُ أَفْرَادِ هَذِهِ الأُمَّةِ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلافِ قُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ وعَجَلَّ، فَأَقْرَبُ الناس مِنْهُ، هُوَ أَكْثَرُهُم نَصِيباً مِنْ هَذَا الْمَقَامِ الرَّفِيعِ، كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :" **يُقَالُ لِلرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : قُمْ فَاشْفَعْ، فَيَشْفَعُ لِقَبِيلَتِهِ، فَيُقَالُ لِلآخَرِ : قُمْ فَاشْفَعْ، فَيَشْفَعُ لأَهْلِ بَيْتِهِ، فَيُقَالُ لِلآخَرِ : قُمْ فَاشْفَعْ، فَيَشْفَعُ لِلرَّجُلِ وَالرَّجُلَيْنِ، عَلَى قَدْرِ عَمَلِهِ** " [٣]. وفي رِوَايَةٍ : "**إِنَّ الرَّجُلَ يَشْفَعُ لِلرَّجُلَينِ والثَّلاثَةِ، وَالرَّجُلُ لِلرَّجُلِ** " [٤]. وفي حَدِيثٍ طَوِيلٍ قَالَ ﷺ : "**حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ : رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا، وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ . فَيُقَالُ لَهُمْ : أَخْرِجُوا مَنْ**

---

(١) «قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان» للقلقشندي (١/٤١) .

(٢) «النهاية لابن الأثير» (٣/٧٦٧) .

(٣) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» عن ابن عمر (٤٥٩) وأبو نعيم في الحلية (٧/١٠٥) واللفظ له .

(٤) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» عن أنس بن مالك (٤٧٤) وإسناده صحيح .

www.saida-islam.weebly.com

عَرَفْتُمْ . فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ . فَيَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ . فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا . ثُمَّ يَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ . فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا . ثُمَّ يَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ . فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا . فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ : شَفَعَتِ الْمَلاَئِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ نَهْرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ " [١]. كَمَا جَاءَ فِي الأَحَادِيثِ ذِكْرُ شَفَاعَةِ أُنَاسٍ بِأَعْيَانِهِمْ، لِصِفَاتٍ كَانَتْ فِيهِم[٢]، مِنْهُمُ الشُّهَدَاءُ، كَمَا قَالَ ﷺ :" يَشْفَعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ " [٣]، وفي حَدِيثٍ آخَرَ قَالَ ﷺ :" يُحْمَلُ النَّاسُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَتَقَادَعُ بِهِمْ جَنْبَتَا الصِّرَاطِ تَقَادُعَ الْفِرَاشِ فِي النَّارِ، فَيُنَجِّي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لِلْمَلاَئِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ أَنْ يَشْفَعُوا، فَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ، وَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ، وَيَشْفَعُونَ وَيُخْرِجُونَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً مِنْ إِيْمَانٍ " [٤] .

---

(١) رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري (٤٧٢) .

(٢) روى أحمد في مسنده عن علي مرفوعاً (١٢٦٨) واللفظ له، والترمذي في سننه (٢٩٠٥) وضَعَّفَهُ وابن ماجه في سننه (٢١٦) قال :" مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَاسْتَظْهَرَهُ، شُفِّعَ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، قَدْ وَجَبَتْ لَهُمُ النَّارُ". وروى ابن ماجه في سننه بإسناد ضعيف (٤٣١٣) عن عثمان بن عفان مرفوعاً قال :" يَشْفَعُ يَومَ الْقِيَامَةِ ثَلاَثَةٌ : الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْعُلَمَاءُ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ". وأخرج عبد الرزاق في مصنفه (٨٨٠٧) عن أبي موسى الأشعري أنه قال :" إِنَّ الْحَاجَّ يَشْفَعُ فِي أَرْبَعِ مِئَةِ بَيْتٍ مِنْ قَومِهِ". وأخرجه البزار في مسنده مرفوعاً (٣١٩٦) وقال الهيثمي: وفيه راوٍ لم يُسَمَّ .

(٣) رواه أبو داوود في سننه عن أبي الدرداء (٢٥٢٤) بإسناد صحيح .

(٤) رواه أحمد في مسنده عن أبي بكرة (٢٠٤٤٠) والطبراني في الصغير (٩٢٩) والبزار في مسنده (٣٦٧١) وقال الهيثمي في المجمع : رجاله رجال الصحيح .

www.saida-islam.weebly.com

ورُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :" **يَصُفُّ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُفُوفًا، فَيَمُرُّ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عَلَى الرَّجُلِ مِنْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ : يَا فُلانُ، أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ اسْتَسْقَيْتَ فَسَقَيْتُكَ شَرْبَةً ؟ فَيَشْفَعُ لَهُ، وَيَمُرُّ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ، فَيَقُولُ : أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ نَاوَلْتُكَ طَهُورًا ؟ فَيَشْفَعُ لَهُ . وَيَقُولُ : يَا فُلانُ، أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ بَعَثْتَنِي فِي حَاجَةِ كَذَا وَكَذَا، فَذَهَبْتُ لَكَ ؟ فَيَشْفَعُ لَهُ** " [١] .

كَمَا جَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّ الْوِلْدَانَ الَّذِينَ مَاتُوا دُونَ سِنِّ الْحِنْثِ، يَشْفَعُونَ فِي آبَاءِهِمْ، فَيُدْخِلُونَهُمُ الْجَنَّةَ، فَقَالَ ﷺ :" **يُقَالُ لِلْوِلْدَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُونَ : يَا رَبَّنا حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا** ". قَالَ :" **فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا لِي أَرَاهُمْ مُحْبَنْطِئِينَ** [٢]؟ **ادْخُلُوا الْجَنَّةَ** ". قَالَ :" **فَيَقُولُونَ : يَا رَبِّ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا** ؟" قَالَ : فَيَقُولُ :" **ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ** " [٣] .

كَمَا جَاءَ أَنَّ أَعْمَالَ هَذِهِ الأُمَّةِ تَشْفَعُ لأَصْحَابِهَا يَومَ الْقِيَامَةِ، كَالصِّيَامِ وَالْقُرْآنِ وغَيرِهَا، وفِي هَذَا يَقُولُ ﷺ :" **الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَةَ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ : مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ : فَيُشَفَّعَانِ** " [٤]. وقَالَ ﷺ :" **اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ** " [٥] .

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه عن أنس بن مالك (٣٦٨٥) وابن أبي الدنيا في «اصطناع المعروف» (١٧٧) و«قضاء الحوائج» (١١٧) وقال البوصيري في الزوائد : في إسناده يزيد بن أبان الرقاشي وهو ضعيف .

(٢) الْمُحْبَنْطِئُ : هو الممتنع امتناعَ طُلْبَةٍ، لا امتناعَ إِبَاءٍ . «النهاية» (١/٨٧٥) .

(٣) رواه أحمد في مسنده عن شرحبيل ابن شفعة عن بعض أصحاب النبي ﷺ (١٦٩٧١) وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح غير شرحبيل وهو ثقة .

(٤) رواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو (٦٦٢٦) والحاكم في المستدرك (٢٠٣٦) وقال : صحيح على شرط مسلم . وقال المنذري : رجاله محتج بهم في الصحيح .

(٥) رواه مسلم عن أبي أمامة (١٩١٠) .

www.saida-islam.weebly.com

الْحَدِيثُ الأَرْبَعُوْنَ

اللهُ وَلِيُّ هَذِهِ الأُمَّةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَشَفَاعَةُ بَعْضِهَا لِبَعْضٍ

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ : يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ؟ ". قَالُوا : لاَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ :" هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ؟". قَالُوا : لاَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ :" فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ. فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ[1]، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ. فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا. فَيَتَّبِعُونَهُ . وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ[2] مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ[3]، هَلْ رَأَيْتُمُ السَّعْدَانَ[4]؟". قَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ :" فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا[5]

---

(١) هُوَ جَمْع طَاغُوت، قَالَ اللَّيْث وَأَبُو عُبَيْدَة وَالْكِسَائِيُّ وَجَمَاهِير أَهْل اللُّغَة : الطَّاغُوت كُلُّ مَا عُبِدَ مِنْ دُون اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَقَالَ ابْن عَبَّاس وَمُقَاتِل وَالْكَلْبِيُّ وَغَيْرهمْ : الطَّاغُوت الشَّيْطَان، وَقِيلَ : هُوَ الأَصْنَام . «شرح مسلم للنووي» (١٨/٣) ويطلق أيضاً على رؤوساء الضلال . «حاشية السندي على البخاري» (٦٤/٤) .

(٢) جَمْع كَلُّوب بِفَتْحِ الْكَاف وَضَمِّ اللاَّم الْمُشَدَّدَة، وَهُوَ حَدِيدَة مَعْطُوفَة الرَّأْس يُعَلَّق فِيهَا اللَّحْم وَتُرْسَل فِي التَّنُّور، قَالَ صَاحِب الْمَطَالِع : هِيَ خَشَبَة فِي رَأْسهَا عُقَّافَة حَدِيد، وَقَدْ تَكُون حَدِيدًا كُلُّهَا وَيُقَال لَهَا أَيْضًا : كُلاَّب . «شرح مسلم للنووي» (٢١/٣) .

(٣) جَمْع سَعْدَانَة، وَهُوَ نَبَات ذُو شَوْك عَظِيمَ مِثْل الْحَسَك مِنْ كُلِّ الْجَوَانِب يُضْرَب بِهِ الْمِثْل فِي طِيب مَرْعَاهُ، قَالُوا : مَرْعًى وَلا كَالسَّعْدَانِ . «شرح مسلم للنووي» (٢١/٣) و«فتح الباري» (٤٥٣/١١) .

(٤) هُوَ اسْتِفْهَامُ تَقْرِيرٍ لاسْتِحْضَارِ الصُّورَةِ الْمَذْكُورَةِ .

(٥) أَيْ الشَّوْكَة ، وَالْهَاء ضَمِير الشَّأْن . «فتح الباري» (٤٥٣/١١) .

www.saida-islam.weebly.com

إِلاَّ اللَّهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمُ الْمُؤْمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُجَازَى حَتَّى يُنَجَّى[١]، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ، يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنِ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ . فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدِ امْتَحَشُوا[٢]، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ[٣] كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ[٤] فِي حَمِيلِ السَّيْلِ[٥]، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي[٦] رِيْحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا[٧]، فَيَدْعُو اللَّهَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُوَهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ. فَيَقُولُ : لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ. وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَآهَا، سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ : أَيْ رَبِّ قَدِّمْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ لاَ تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ ؟

---

(١) فِي حَدِيث أَبِي سَعِيد :" **فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي جَهَنَّم، حَتَّى يَمُرَّ أَحَدُهُمْ فَيُسْحَبُ سَحْبًا** ". قَالَ ابْن أَبِي جَمْرَة : يُؤْخَذ مِنْهُ أَنَّ الْمَارِّينَ عَلَى الصِّرَاط ثَلاَثَةُ أَصْنَاف : نَاجٍ بِلا خُدُوش، وَهَالِكٌ مِنْ أَوَّل وَهْلَة، وَمُتَوَسِّطٌ بَيْنَهُمَا يُصَاب ثُمَّ يَنْجُو . وَكُلُّ قِسْم مِنْهَا يَنْقَسِم أَقْسَامًا تُعْرَف بِقَوْلِهِ :"**بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ** ". وَعِنْد ابْن مَاجَهْ مِنْ وَجْه آخَر عَنْ أَبِي سَعِيد رَفَعَهُ :" **يُوضَع الصِّرَاطُ بَيْن ظَهْرَانَيْ جَهَنَّم عَلَى حَسَك كَحَسَكِ السَّعْدَان، ثُمَّ يَسْتَجِيزُ النَّاسَ: فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ بِهِ ثُمَّ نَاجٍ، وَمُحْتَبَسٌ بِهِ وَمَنْكُوسٌ فِيهَا** ". «فتح الباري» (١١/٤٥٤) .

(٢) أي احْتَرَقُوا .

(٣) أي يَنْبُتُونَ بِسَبَبِهِ .

(٤) بِكَسْرِ الْحَاء وَهِيَ بِزْر الْبُقُول وَالْعُشْب تَنْبُت فِي الْبَرَارِي وَجَوَانِب السُّيُول وَجَمْعهَا حِبَبٌ .

(٥) وَهُوَ مَا جَاءَ بِهِ السَّيْل مِنْ طِين أَوْ غُثَاء وَمَعْنَاهُ : مَحْمُول السَّيْل ، وَالْمُرَاد التَّشْبِيه فِي سُرْعَة النَّبَات وَحُسْنه وَطَرَاوَته .

(٦) أي سَمَّنِي وَآذَانِي وَأَهْلَكَنِي .

(٧) أي لَهَبُهَا وَاشْتِعَالُهَا وَشِدَّةُ وَهَجِهَا .

www.saida-islam.weebly.com

وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ. فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ وَيَدْعُو اللَّهُ حَتَّى يَقُولَ لَهُ : فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ. فَيَقُولُ : لاَ وَعِزَّتِكَ. فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ[1] لَهُ الْجَنَّةُ، فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ : أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ : أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ ؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ. فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ لاَ أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ. فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ اللَّهُ مِنْهُ قَالَ : ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَإِذَا دَخَلَهَا، قَالَ اللَّهُ لَهُ تَمَنَّهْ. فَيَسْأَلُ رَبَّهُ وَيَتَمَنَّى، حَتَّى إِنَّ اللَّهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ ". قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ : وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لاَ يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئًا. حَتَّى إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ وَمِثْلُهُ مَعَهُ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ :" **وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ** ". قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ :" **مَا حَفِظْتُ إِلاَّ قَوْلَهُ : ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ** ". قَالَ أَبُو سَعِيدٍ :" **أَشْهَدُ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْلَهُ : ذَلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ** ". قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ :" **وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ**"[2].

قَوْله: (**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ؟**) رُوِيَ (**تُضَارُّونَ**) بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ وَبِتَخْفِيفِهَا، وَالتَّاءُ مَضْمُومَةٌ فِيهِمَا، وَمَعْنَى الْمُشَدَّدِ : هَلْ تُضَارُّونَ غَيْرَكُمْ فِي حَالَةِ الرُّؤْيَةِ بِزَحْمَةٍ أَوْ مُخَالَفَةٍ فِي الرُّؤْيَةِ أَوْ غَيْرِهَا لِخَفَائِهِ، كَمَا تَفْعَلُونَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنَ الشَّهْرِ ؟ وَمَعْنَى الْمُخَفَّفِ : هَلْ يَلْحَقُكُمْ فِي رُؤْيَتِهِ ضَيْرٌ ؟ وَهُوَ الضَّرَرُ، وَرُوِيَ أَيْضًا (**تُضَامُّونَ**) بِتَشْدِيدِ الْمِيمِ وَتَخْفِيفِهَا، فَمَنْ شَدَّدَهَا فَتَحَ التَّاءَ، وَمَنْ خَفَّفَهَا ضَمَّ التَّاءَ، وَمَعْنَى الْمُشَدَّدِ : هَلْ تَتَضَامُّونَ وَتَتَلَطَّفُونَ فِي التَّوَصُّلِ إِلَى رُؤْيَتِهِ ؟ وَمَعْنَى الْمُخَفَّفِ : هَلْ يَلْحَقُكُمْ ضَيْمٌ - وَهُوَ

---

(١) أي انْفَتَحَتْ وَاتَّسَعَتْ .

(٢) رواه البخاري برقم (٧٤٣٧) ومسلم (٤٦٩) .

www.saida-islam.weebly.com

الْمَشَقَّةُ وَالتَّعَبُ - ؟ والْحِكْمَةُ فِي التَّمْثِيلِ بِالْقَمَرِ أَنَّهُ تَتَيَسَّرُ رُؤْيَتُهُ لِلرَّائِي بِغَيْرِ تَكَلُّفٍ وَلا تَحْدِيقٍ يَضُرُّ بِالْبَصَرِ [١] .

قَوْله: (**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ**) مَعْنَاهُ : تَشْبِيهُ الرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ فِي الْوُضُوحِ وَزَوَالِ الشَّكِّ وَالْمَشَقَّةِ وَالاِخْتِلافِ .

قَوْله: (**يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ**) وفي رِوَايَةٍ :" **يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ**". قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : الْمَعْنَى أَنَّهُمْ يُجْمَعُونَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، بِحَيْثُ لا يَخْفَى مِنْهُمْ أَحَدٌ، بِحَيْثُ لَوْ دَعَاهُمْ دَاعٍ لَسَمِعُوهُ، وَلَوْ نَظَرَ إِلَيْهِمْ نَاظِرٌ لأَدْرَكَهُمْ [٢] .

قَوْله: (**وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا**) قَالَ الْعُلَمَاء : إِنَّمَا بَقُوا فِي زُمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ، لأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا مُتَسَتِّرِينَ بِهِمْ، فَيَتَسَتَّرُونَ بِهِمْ أَيْضًا فِي الآخِرَةِ، وَسَلَكُوا مَسْلَكَهُمْ، وَدَخَلُوا فِي جُمْلَتِهِمْ، وَتَبِعُوهُمْ، وَمَشَوْا فِي نُورِهِمْ، حَتَّى ضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ، بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ، وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ، وَذَهَبَ عَنْهُمْ نُورُ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاء : هَؤُلاءِ هُمُ الْمَطْرُودُونَ عَنِ الْحَوْضِ، الَّذِينَ يُقَال لَهُمْ : سُحْقًا سُحْقًا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ [٣] .

قوله: (**فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ**) أَيْ لأَجْلِ أَنَّ مَعَهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ لا يَسْتَحِقُّونَ الرُّؤْيَةَ، وهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ مَحْجُوبُونَ؛ أَوْ أَنَّ ذَلِكَ ابْتِلاءٌ، وَالدُّنْيَا وإِنْ كَانَتْ هِيَ دَارَ الابْتِلاءِ، فَقَدْ تُوجَدُ آثَارُهُ فِي الآخِرَةِ، كَالَّذِي يَقَعُ فِي الْقَبْرِ والْمَوقِفِ[٤] . وَفِي رِوَايَةٍ :" **ثُمَّ يَتَبَدَّى لَنَا اللَّهُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَيْنَاهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ** ". وفي رِوَايَةٍ :" **فَيُقَالُ لَهُمْ : مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ ؟ فَيَقُولُونَ : فَارَقْنَاهُمْ**

---

(١) «شرح مسلم للنووي» (٣/١٨) .

(٢) «فتح الباري» (١١/٤٧٧) .

(٣) «شرح مسلم للنووي» (٣/١٨ - ١٩) .

(٤) «حاشية السندي على صحيح البخاري» (٤/٦٥) .

www.saida-islam.weebly.com

وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ الْيَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي : لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ وَإِنَّنَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا". وَفِي رِوَايَةٍ :" **فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ"**. والضَّمِير لِلَّهِ، وَالْمَعْنَى فَارَقْنَا النَّاسَ فِي مَعْبُودَاتِهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، وَنَحْنُ الْيَوْمَ أَحْوَجُ لِرَبِّنَا، أَيْ إِنَّا مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، وَقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : مَعْنَاهُ التَّضَرُّعُ إِلَى اللَّهِ فِي كَشْفِ الشِّدَّةِ عَنْهُمْ، بِأَنَّهُمْ لَزِمُوا طَاعَتَهُ، وَفَارَقُوا فِي الدُّنْيَا مَنْ زَاغَ عَنْ طَاعَتِهِ مِنْ أَقَارِبِهِمْ، مَعَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِمْ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَصَالِحِ دُنْيَاهُمْ، كَمَا جَرَى لِمُؤْمِنِي الصَّحَابَةِ حِينَ قَاطَعُوا مِنْ أَقَارِبِهِمْ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، مَعَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِمْ وَالِارْتِفَاقِ بِهِمْ، وَهَذَا ظَاهِرٌ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ لا شَكَّ فِي حُسْنِهِ [(١)] .

قَوْله: (**نَعُوذ بِاَللَّهِ مِنْك**) قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : هُوَ مَقَامٌ هَائِلٌ يَمْتَحِنُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ لِيَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّب، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا بَقِيَ الْمُنَافِقُونَ مُخْتَلِطِينَ بِالْمُؤْمِنِينَ، زَاعِمِينَ أَنَّهُمْ مِنْهُمْ، ظَانِّينَ أَنَّ ذَلِكَ يَجُوزُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَمَا جَازَ فِي الدُّنْيَا، امْتَحَنَهُمُ اللَّهُ بِأَنْ أَتَاهُمْ بِصُورَةٍ هَائِلَةٍ قَالَتْ لِلْجَمِيعِ : أَنَا رَبُّكُمْ، فَأَجَابَهُ الْمُؤْمِنُونَ بِإِنْكَارِ ذَلِكَ لِمَا سَبَقَ لَهُمْ مِنْ مَعْرِفَته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ صِفَاتِ هَذِهِ الصُّورَةِ، فَلِهَذَا قَالُوا : نَعُوذُ بِاَللَّهِ مِنْكَ، لا نُشْرِكُ بِاَللَّهِ شَيْئًا، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ يَنْقَلِبُ أَيْ يَزِلُّ فَيُوَافِقُ الْمُنَافِقِينَ . قَالَ : وَهَؤُلاءِ طَائِفَةٌ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ رُسُوخٌ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، وَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ اعْتَقَدُوا الْحَقَّ وَحَوَّمُوا عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ بَصِيرَةٍ، قَالَ : ثُمَّ يُقَالُ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْمُؤْمِنِينَ :" **هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ عَلامَةٌ** ؟ وفي رِوَايَةٍ :" **آيَةٌ تَعْرِفُونَهَا ؟ فَيَقُولُونَ : السَّاقُ؛ فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدُ، فَيَصِيرُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا"**. أَيْ يَسْتَوِي فَقَارُ ظَهْرِهِ، فَلا يَنْثَنِي لِلسُّجُودِ . وَفِي حَدِيث ابْن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَحْوُهُ، لَكِنْ قَالَ : "**فَيَقُولُونَ : إِنِ اعْتَرَفَ لَنَا عَرَفْنَاهُ، قَالَ : فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ، فَيَقَعُونَ سُجُودًا، وَتَبْقَى أَصْلابُ الْمُنَافِقِينَ كَأَنَّهَا صَيَاصِي الْبَقَرِ** ". وفي رِوَايَةٍ :" **ثُمَّ نَرْفَع رُؤُوسَنَا وَقَدْ عَادَ لَنَا فِي**

---

(١) «شرح مسلم للنووي» (٣/٢٧) و«فتح الباري» (١١/٤٥٠) .

www.saida-islam.weebly.com

صُورَتِهِ الَّتِي رَأَيْنَاهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّة، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ فَنَقُولُ : نَعَمْ، أَنْتَ رَبُّنَا ". وَهَذَا فِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّهُمْ رَأَوْهُ فِي أَوَّلَ مَا حُشِرُوا، وَالْعِلْمُ عِنْد اللَّهِ .

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : هَذِهِ الرُّؤْيَةُ غَيْرُ الَّتِي تَقَعُ فِي الْجَنَّةِ إِكْرَامًا لَهُمْ، فَإِنَّ هَذِهِ لِلامْتِحَانِ، وَتِلْكَ لِزِيَادَةِ الإِكْرَام، كَمَا فُسِّرَتْ بِهِ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾؛ قَالَ : وَلا إِشْكَالَ فِي حُصُولِ الامْتِحَانِ فِي الْمَوْقِفِ، لأَنَّ آثَارَ التَّكَالِيفِ لا تَنْقَطِعُ إِلاَّ بَعْدَ الاِسْتِقْرَارِ فِي الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ؛ قَالَ : وَيُشْبِهُ أَنْ يُقَالَ إِنَّمَا حَجَبَ عَنْهُمْ تَحَقُّقَ رُؤْيَتِهِ أَوَّلاً، لِمَا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ لا يَسْتَحِقُّونَ رُؤْيَتَهُ، فَلَمَّا تَمَيَّزُوا رَفَعَ الْحِجَابَ، فَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ حِينَئِذٍ : أَنْتَ رَبُّنَا .

وَقَالَ الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : لا يَلْزَمُ مِنْ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلاءٍ، وَالآخِرَةَ دَارُ جَزَاءٍ أَنْ لا يَقَعَ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَا يُخَصُّ بِالأُخْرَى، فَإِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، وَفِيهِ الاِبْتِلاءُ وَالْفِتْنَةُ بِالسُّؤَالِ وَغَيْرِهِ، وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ التَّكْلِيفَ خَاصٌّ بِالدُّنْيَا، وَمَا يَقَعُ فِي الْقَبْرِ وَفِي الْمَوْقِفِ هِيَ آثَارُ ذَلِكَ [١] .

قَوْله: (فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي صُورَته الَّتِي يَعْرِفُونَ) وَإِنَّمَا عَرَفُوهُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَقَدَّمَتْ لَهُمْ رُؤْيَةٌ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ لا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ لا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَبُّهُمْ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا [٢] .

قَوْله: (وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ) مَعْنَاهُ : يُمَدُّ الصِّرَاطُ عَلَيْهَا، وَهُوَ جِسْرٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، يَمُرُّ عَلَيْهِ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَالْمُؤْمِنُونَ يَنْجُونَ عَلَى حَسَبِ حَالِهِمْ، أَيْ : مَنَازِلِهِمْ، وَالآخَرُونَ يَسْقُطُونَ فِيهَا، أَعَاذَنَا اللَّهُ الْكَرِيمُ مِنْهَا؛ وَأَصْحَابُنَا الْمُتَكَلِّمُونَ

(١) «فتح الباري» (١١/٤٥٠ - ٤٥١) .

(٢) «شرح مسلم للنووي» بتصرف (٣/٢٠) .

www.saida-islam.weebly.com

وَغَيْرُهُمْ مِنَ السَّلَف يَقُولُونَ : إِنَّ الصِّرَاطَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ، كَمَا ذَكَرَهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رضي الله عنه هُنَا فِي رِوَايَتِهِ الأُخْرَى . وَاللَّهُ أَعْلَمُ [١] .

قَوْله: (**فَأَكُون أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ**) وفي رِوَايَةٍ :" **يَجُوزُ بِأُمَّتِهِ** ". وَفِي رِوَايَةٍ "**يُجِيزُهَا** ". وَالضَّمِيرُ لِجَهَنَّمَ . وَقَالَ النَّوَوِيُّ رحمه الله : الْمَعْنَى أَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يَمْضِي عَلَى الصِّرَاطِ وَيَقْطَعُهُ، يَقُولُ جَازَ الْوَادِيَ وَأَجَازَهُ إِذَا قَطَعَهُ وَخَلَّفَهُ .

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رحمه الله : يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْهَمْزَةُ هُنَا لِلتَّعَدِّيَةِ، لأَنَّهُ لَمَّا كَانَ هُوَ وَأُمَّتُهُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ عَلَى الصِّرَاط لَزِمَ تَأْخِيرُ غَيْرِهِمْ عَنْهُمْ حَتَّى يَجُوزَ، فَإِذَا جَازَ هُوَ وَأُمَّتُهُ فَكَأَنَّهُ أَجَازَ بَقِيَّةَ النَّاس . وَوَقَعَ فِي حَدِيث عَبْد اللَّهِ بْن سَلام عِنْد الْحَاكِم :" **ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ أَيْنَ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ ؟ فَيَقُومُ، فَتَتْبَعُهُ أُمَّتُهُ بَرُّهَا وَفَاجِرُهَا، فَيَأْخُذُونَ الْجِسْرَ، فَيَطْمِسُ اللَّهُ أَبْصَارَ أَعْدَائِهِ فَيَتَهَافَتُونَ مِنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ، وَيَنْجُو النَّبِيُّ وَالصَّالِحُونَ** ". وَفِي حَدِيث ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما يَرْفَعُهُ :" **نَحْنُ آخِرُ الأُمَمِ وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ** ". وَفِيهِ :" **فَتُفْرَجُ لَنَا الأُمَمُ عَنْ طَرِيقنَا، فَنَمُرُّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَار الطُّهُور، فَتَقُولُ الأُمَمُ : كَادَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ كُلُّهُمْ** " [٢] .

قَوْله: (**وَلا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ الرُّسُلُ**) مَعْنَاهُ لِشِدَّةِ الأَهْوَالِ؛ وَالْمُرَادُ لا يَتَكَلَّمُ فِي حَالِ الإِجَازَةِ، وَإِلاَّ فَفِي يَوْم الْقِيَامَةِ مَوَاطِنُ يَتَكَلَّمُ النَّاسُ فِيهَا، وَتُجَادِلُ كُلُّ نَفْسٍ عَنْ نَفْسهَا، وَيَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَتَلاوَمُونَ، وَيُخَاصِمُ التَّابِعُونَ الْمَتْبُوعِينَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ [٣] .

قَوْله: (**وَدَعْوَى الرُّسُل يَوْمَئِذٍ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**) هَذَا مِنْ كَمَالِ شَفَقَتِهِمْ وَرَحْمَتِهِمْ لِلْخَلْقِ؛ وَفِيهِ أَنَّ الدَّعَوَاتِ تَكُونُ بِحَسَبِ الْمَوَاطِنِ، فَيُدْعَى فِي كُلِّ مَوْطِنٍ بِمَا يَلِيقُ بِهِ [٤] .

---

(١) «شرح مسلم للنووي» (٣/٢٠) .

(٢) «فتح الباري» (١١/٤٥٢) .

(٣) «شرح مسلم للنووي» (٣/٢٠ - ٢١) .

(٤) المصدر السابق (٣/٢١) .

www.saida-islam.weebly.com

قَوْله: (**تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ**) يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : تَخْطَفهُمْ بِسَبَبِ أَعْمَالِهِمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : تَخْطَفهُمْ عَلَى قَدْر أَعْمَالِهِمْ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ [١] .

قَوْله: (**تَأْكُل النَّارُ مِن ابْنِ آدَمَ إِلاَّ أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّار أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ**) ظَاهِرُ هَذَا أَنَّ النَّارَ لا تَأْكُلُ جَمِيعَ أَعْضَاء السُّجُودِ السَّبْعَةِ الَّتِي يَسْجُدُ الإِنْسَانُ عَلَيْهَا، وَهِيَ : الْجَبْهَةُ وَالْيَدَانِ وَالرُّكْبَتَانِ وَالْقَدَمَانِ [٢] .

قَوْلُهُ فِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ: (**لَك ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ**) وَفِي رِوَايَة أَبِي سَعِيدٍ: (**وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ**) قَالَ الْعُلَمَاء : وَجْهُ الْجَمْع بَيْنَهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَعْلَمَ أَوَّلاً بِمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، ثُمَّ تَكَرَّمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَزَادَ مَا فِي رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ، فَأَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَلَمْ يَسْمَعْهُ أَبُو هُرَيْرَةَ [٣] .

مَعْنَى الْحَدِيثِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ

هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ يُبَيِّنُ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ هَوْلَ الْمَطْلَعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنْ تَوْلِيَةِ بَعْضِ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا يَكْسِبُونَ، فَيُؤْمَرُ كُلُّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ إِلَهاً بِاتِّبَاعِ إِلَهِهِ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَعُبَّادُ الصَّلِيبِ كَذَلِكَ، كَمَا جَاءَ فِي رِوَايَةٍ :" **فَيُمَثَّلُ لِصَاحِبِ الصَّلِيبِ صَلِيبُهُ، وَلِصَاحِبِ التَّصَاوِيرِ تَصَاوِيرُهُ، وَلِصَاحِبِ النَّارِ نَارُهُ، فَيَتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَيَبْقَى الْمُسْلِمُونَ** " [٤]. وفِي رِوَايَةٍ : "**ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ أَيُّهَا النَّاسُ : أَلَمْ تَرْضَوْا مِنْ رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ وَأَمَرَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَنْ يُوَلِّيَ كُلَّ نَاسٍ مِنْكُمْ مَا كَانُوا يَتَوَلَّوْنَ وَيَعْبُدُونَ فِي الدِّينِ، أَلَيْسَ ذَلِكَ عَدْلاً مِنْ رَبِّكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى"، قَالَ :" فَلْيَنْطَلِقْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا**

---

(١) «شرح مسلم للنووي» (٣/٢١) .

(٢) المصدر السابق (٣/٢٢) .

(٣) المصدر السابق (٣/٢٤) .

(٤) رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة (٨٨١٧) والترمذي في سننه (٢٥٥٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح .

www.saida-islam.weebly.com

كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الدُّنْيَا"، قَالَ :" فَيَنْطَلِقُونَ، وَيُمَثَّلُ لَهُمْ أَشْيَاءُ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَنْطَلِقُ إِلَى الشَّمْسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْطَلِقُ إِلَى الْقَمَرِ، وَإِلَى الأَوْثَانِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَأَشْبَاهِ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ"، قَالَ :" وَيُمَثَّلُ لِمَنْ كَانَ يَعْبُدُ عِيسَى شَيْطَانُ عِيسَى، وَيُمَثَّلُ لِمَنْ كَانَ يَعْبُدُ عُزَيْرًا شَيْطَانُ عُزَيْرٍ، وَيَبْقَى مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ " (١) .

كَمَا فِيهِ مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ لِهَذِهِ الأُمَّةِ، وهِيَ أَنَّهَا لَمْ تَتَوَلَّ غَيرَ **اللهِ** فِي الدُّنْيَا، ولَمْ تَرْضَ بِهِ بَدَلاً، فَكَذَلِكَ لا يُوَلِّيهَا **اللهُ** ﷻ غَيرَهُ فِي الآخِرَةِ، بَلْ يَتَوَلاَّهَا ﷻ بِنَفْسِهِ، كَمَا جَاءَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ :" **فَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا** ". وفِي رِوَايَةٍ :" **وَيَبْقَى أَهْلُ الإِسْلامِ جُثُوماً**"(٢). وفِي رِوَايَةٍ :" **وَتَبْقَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيُقَالُ لَهُمْ : مَا تَنْتَظِرُونَ ؟ قَالُوا : إِنَّ لَنَا رَبّاً لَمْ نَرَهُ بَعْدُ، فَيُقَالُ لَهُم : أَتَعْرِفُونَهُ إِنْ رَأَيْتُمُوهُ ؟ فَيَقُولُونَ : بَيْنَنَا وبَينَهُ عَلامَةٌ**". قَالَ :" **فَذَلِكَ حِينَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، قَالَ : فَيَخِرُّونَ لَهُ سُجُوداً طَوِيلاً** ". قَالَ :"**وَتَبْقَى قَومٌ ظُهُورُهُم كَصَيَاصِي الْبَقَرِ، يُرِيدُونَ السُّجُودَ فَلا يَسْتَطِيعُونَ** " (٣) .

فَكَمَا عَرَّفَهُمْ ﷻ عَلَى نَفْسِهِ فِي الدُّنْيَا، كَذَلِكَ يُعَرِّفُهُم عَلَى نَفْسِهِ فِي ذَلِكَ الْيَومِ، كَمَا جَاءَ فِي رِوَايَةٍ :" **ثُمَّ يَطَّلِعُ، فَيُعَرِّفُهُم نَفْسَهُ، أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمُ اتَّبِعُونِي، فَيَقُومُ الْمُسْلِمُونَ** " (٤) .

وبَعْدَ هَذَا يُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَينَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَيَكُونُ النَّبِيُّ ﷺ وأُمَّتُهُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ الصِّرَاطَ، وهَذِهِ مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ أُخْرَى لِهَذِهِ الأُمَّةِ، :" **فَيُعْطَونَ نُورَهُم عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ،**

---

(١) رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود (٩٧٦٣) والحاكم في المستدرك (٨٧٥١) وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . وقال المنذري : رواه ابن أبي الدنيا والطبراني من طرق أحدها صحيح .

(٢) المصدر السابق .

(٣) أخرجه الآجري في «الشريعة» عن أبي موسى (٢٥٣/١) وفي كتاب «التصديق بالنظر» له عن ابن مسعود (٤٢).

(٤) رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة (٨٨١٧) والترمذي في سننه (٢٥٥٧) وقال : حديث حسن صحيح .

www.saida-islam.weebly.com

فَمِنْهُم مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ بَينَ يَدَيْهِ، ومِنْهُم مَنْ يُعْطَى نُورَهُ فَوقَ ذَلِكَ، ومِنْهُم مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، ومِنْهُم مَنْ يُعْطَى دُونَ ذَلِكَ بِيَمِينِهِ" (١) .

"**فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَينِ، وكَالْبَرْقِ، وكَالرِّيحِ، وكَالطَّيرِ، وكَأَجَاوِيدِ الْخَيلِ والرِّكَابِ** " (٢). فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وهُمْ عِبَادُ اللهِ الْمُخْلِصُونَ، ومَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وهُمُ الَّذِينَ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً، ومَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وهُمْ غَيرُ هَؤُلاءِ .

ثُمَّ بَيَّنَ ﷺ مَنْقَبَةً أُخْرَى لِمُؤْمِنِي هَذِهِ الأُمَّةِ، وهِيَ أَنَّهُ يُؤْذَنُ لَهُم فِي الشَّفَاعَةِ لإِخْوَانِهِمْ مِنْ أَهْلِ التَّوحِيدِ، الَّذِينَ أُدْخِلُوا النَّارَ بِذُنُوبِهِمْ، فَقَالَ ﷺ :" **حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ : رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ . فَيُقَالُ : لَهُمْ أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ . فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ ... ثُمَّ يَقُولُ : ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ . فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا** " (٣) .

ثُمَّ ذَكَرَ ﷺ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ، وكَيْفِيَّةَ إِدْلالِهِ عَلَى رَبِّهِ ﷻ، ومَا يُعْطِيهِ اللهُ ﷻ مِنْ وَاسِعِ فَضْلِهِ، وجَزِيلِ كَرَمِهِ؛ نَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَحْظَى النَّاسِ بِكَرَمِهِ، وأَنْ لا يَحْرِمَنَا بِذُنُوبِنَا مِنْ فَضْلِهِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ .

*****

(١) رواه الحاكم في المستدرك عن ابن مسعود (٣٤٢٤) وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

(٢) رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري برقم (٤٧٢) .

(٣) المصدر السابق .

www.saida-islam.weebly.com

خاتمة

إِنَّ أُمَّةً أَعْطَاهَا اللهُ هَذِهِ الْفَضَائِلَ وَالْمَزَايَا، وفَضَّلَهَا عَلَى سَائِرِ الأُمَمِ، وقَدَّمَهَا عَلَى غَيرِهَا، وآثَرَهَا بِكُلِّ خَيرٍ يُرْجَى فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، إِنَّ أُمَّةً هَذَا شَأْنُهَا لَخَلِيقٌ بِهَا أَنْ تَقُومَ لِقِيَادَةِ الْعَالَمِ، والأَخْذِ بِيَدِ الإِنْسَانِيَّةِ الْحَائِرَةِ، والْخُرُوجِ بِهَا مِنَ الظُّلُمَاتِ الَّتِيْ تَتَخَبَّطُ فِيهَا إِلى النُّورِ الَّذِيْ تَبْحَثُ عَنْهُ، والَّذِيْ بِهِ تَسْعَدُ الْبَشَرِيَّةُ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وتَتَحَصَّلُ عَلَى بُغْيَتِهَا، فَتَتَحَرَّرُ مِنْ عُبُودِيَّتِهَا لِغَيرِ اللهِ، وتَتَخَلَّصُ مِنْ تَبَعِيَّتِهَا لِلأَنْظِمَةِ الْجَائِرَةِ الَّتِيْ تُوْصِلُ الإِنْسَانِيَّةَ إِلى الْهَاوِيَةِ؛ وتَنْطَلِقُ مِنْ قُيُودِ الْحَيَاةِ الْمَادِّيَّةِ، الَّتِيْ تَقُومُ عَلَى أَسَاسِ تَعْظِيمِ الْمَخْلُوقِ وَالاِنْصِيَاعِ لأَوَامِرِهِ، والأَنَانِيَّةِ والاِسْتِئْثَارِ بِالْمَصَالِحِ، إِلى الْحَيَاةِ الْحَقِيْقِيَّةِ الرَّوْحَانِيَّةِ، الَّتِيْ ارْتَضَاهَا الرَّبُّ الرَّحِيمُ لَهَا، والَّتِيْ تَقُومُ عَلَى أَسَاسِ تَعْظِيمِ الْخَالِقِ، وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وتَقْدِيْمِهَا عَلَى غَيرِهَا، والسَّعْيِ لإِصْلاحِ الآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ، والرَّحْمَةِ عَلَى خَلْقِ اللهِ، بِالْخُرُوجِ إِلَيهِمْ، وإِخْرَاجِهِمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ، ومِنْ عِبَادَةِ النَّاسِ إِلى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَمِنْ ضِيْقِ الدُّنْيَا إِلى سَعَةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمِنْ جَوْرِ الأَدْيَانِ إِلى عَدْلِ الإِسْلامِ .

فَبِهَذَا تَعُودُ الأُمَّةُ إِلى مَقَامِهَا السَّامِيْ بَينَ الأُمَمِ، وتَرْجِعُ مِنْ جَدِيدٍ إِلى مَنْصِبِهَا الرَّفِيعِ الَّذِيْ وَضَعَهَا اللهُ فِيهِ، واخْتَارَهُ لَهَا، والَّذِيْ لا يُمْكِنُ أَنْ تَقُومَ لِلأُمَّةِ قَائِمَةٌ إِلاَّ بِعَوْدَتِهَا إِلَيهِ، واتِّخَاذِهَا عَمَلَ الدَّعْوَةِ إِلى اللهِ مَقْصَداً لِحَيَاتِهَا، تَبْذُلُ فِي سَبِيلِهِ كُلَّ مَا خَوَّلَهَا اللهُ إِيَّاهُ مِنَ النِّعَمِ، وتَتَّخِذُ مَا سِوَاهُ مِنَ الأَعْمَالِ وَسِيلَةً مُعِينَةً عَلَيهِ .

واللهِ أَسْأَلُ أَنْ يُوَفِّقَنَا لِلْقِيَامِ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ الْمُبَارَكَةِ حَقَّ الْقِيَامِ، وأَنْ يَسْتَعْمِلَنَا لِنُصْرَتِهَا، وأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِهَا الَّذِينَ هُمْ صَفْوَةُ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ، وأَنْ يَتَوَفَّانَا ونَحْنُ قَائِمُونَ بِهَا، وأَنْ يُجَنِّبَنَا مُضِلاَّتِ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ومَا بَطَنَ، وأَنْ يَغْفِرَ لَنَا ولِوَالِدِيْنَا ومَشَايِخِنَا وعُلَمَائِنَا وأَحْبَابِنَا، ولإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيْمَانِ، وأَلاَّ يَجْعَلَ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا، إِنَّهُ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ .

www.saida-islam.weebly.com

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَمْداً كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ، مِلْءَ السَّمَاوَاتِ، ومِلْءَ الأَرْضِ، ومِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، ومِلْءَ مَا شَاءَ رَبُّنَا مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، عَدَدَ خَلْقِهِ، ورِضَا نَفْسِهِ، وزِنَةَ عَرْشِهِ، ومِدَادَ كَلِمَاتِهِ؛ وصَلَّى اللَّهُ وسَلَّمَ وبَارَكَ عَلَى سَيِّدِ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ، وإِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وخَاتَمِ النَّبِيِّيْنَ والْمُرْسَلِينَ، ومَنْ أُرْسِلَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِيْنَ الطَّاهِرِينَ، وعَلَى أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وعَلَى صَحَابَتِهِ أَجْمَعِينَ، وعَلَى التَّابِعِينَ، وتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلى يَومِ الدِّينِ، وَارْضَ عَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ :

يَا مَنْ يَــرَى مَا فِي الضَّمِيرِ ويَسْمَعُ ... أَنْتَ الْمُعَــدُّ لِكُــلِّ مَــا يُتَوَقَّــعُ
يَا مَــنْ يُرَجَّــى لِلشَّدَائِــدِ كُلِّهَــا ... يَا مَنْ إِلَيــهِ الْمُشْتَكَى والْمَفْــزَعُ
يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَــولِ كُــنْ ... امْنُنْ فَإِنَّ الْخَيــرَ عِنْــدَكَ أَجْمَــعُ
مَا لِيْ سِوَى فَقْرِيْ إِلَيــكَ وَسِيــلَةٌ ... فَبِالافْتِقَــارِ إِلَيــكَ فَقْرِي أَدْفَــعُ
مَا لِيْ سِوَى قَرْعِي لِبَــابِكَ حِيلَــةٌ ... فَلَئِــنْ رُدِدْتُ فَأَيَّ بَــابٍ أَقْــرَعُ
ومَنِ الَّذِيْ أَدْعُــو وأَهْتِفُ بِاسْمِــهِ ... إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيــرٍ يُمْنَــعُ
حَاشَــا لِمَجْدِكَ أَنْ تُقَنِّطَ عَاصِيــاً ... الْفَضْلُ أَجْزَلُ والْمَوَاهِبُ أَوْسَــعُ

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تم الكتاب بحمد الله

www.saida-islam.weebly.com

المصادر والمراجع

القرآن الكريم وعلومه وتفاسيره

(١) أحكام القرآن (ابن العربي) (٢) الدر المنثور (السيوطي) (٣) التفسير الكبير (الرازي) (٤) الجامع لأحكام القرآن (القرطبي) (٥) تفسير ابن أبي حاتم (٦) تفسير ابن كثير (٧) تفسير البغوي (٨) تفسير الخازن (٩) تفسير السعدي (١٠) تفسير الطبري (١١) تفسير الكشف والبيان (الثعلبي) (١٢) تفسير المنار (محمد رشيد رضا) (١٣) زاد المسير في علم التفسير (ابن الجوزي) (١٤) تفسير عبد الرزاق الصنعاني .

كتب الحديث الشريف

(١) الأحاديث الطوال (الطبراني) (٢) الأحاديث المختارة (الضياء المقدسي) (٣) الأدب المفرد (الإمام البخاري) (٤) التوحيد (ابن خزيمة) (٥) السنة (ابن أبي عاصم) (٦) الشريعة (الآجري) (٧) المستدرك على الصحيحين (الحاكم (٨) المعجم الأوسط (٩) المعجم الصغير (١٠) المعجم الكبير (الطبراني) (١١) الموطأ (الإمام مالك بن أنس) (١٢) حلية الأولياء (أبو نعيم الأصفهاني) (١٣) رياض الصالحين (النووي) (١٤) سنن ابن ماجه (١٥) سنن أبي داوود (١٦) سنن البيهقي الكبرى (١٧) سنن الترمذي (١٨) سنن الدارقطني (١٩) سنن الدارمي (٢٠) سنن النسائي (٢١) شرح معاني الآثار (الطحاوي) (٢٢) شعب الإيمان (البيهقي) (٢٣) صحيح ابن حبان (٢٤) صحيح ابن خزيمة (٢٥) صحيح البخاري (٢٦) صحيح مسلم (٢٧) مسند أبي يعلى الموصلي (٢٨) مسند أحمد بن حنبل (٢٩) مسند البزار (٣١) مسند الشاميين (الطبراني) (٣٢) مسند الفردوس (الديلمي) (٣٣) مسند عبد بن حميد (٣٤) مشكاة المصابيح (التبريزي) (٣٥) مصنف ابن أبي شيبة (٣٦) مصنف عبد الرزاق الصنعاني .

www.saida-islam.weebly.com

الأجزاء الحديثية

(١) أبواب السعادة في أسباب الشهادة (السيوطي) (٢) اصطناع المعروف (ابن أبي الدنيا) (٣) الأسماء والكنى (الدولابي) (٤) الأمثال (أبو الشيخ) (٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ابن أبي الدنيا) (٦) البعث (البيهقي) (٧) التصديق والنظر (الآجري) (٨) الزهد (ابن المبارك) (٩) الفقيه والمتفقه (الخطيب البغدادي) (١٠) المرض والكفارات (ابن أبي الدنيا) (١١) أمثال الحديث (الرامهرمزي) (١٢) تعزية المسلم (ابن عساكر) (١٣) تعظيم قدر الصلاة (محمد بن نصر المروزي) (١٤) جامع بيان العلم وفضله (ابن عبد البر) (١٥) خلق أفعال العباد (البخاري) (١٦) ذم الكلام وأهله (الهروي) (١٧) صفة الجنة (ابن أبي الدنيا) (١٨) عمل اليوم والليلة (ابن السني) (١٩) قضاء الحوائج (ابن أبي الدنيا).

شروحات الحديث

(١) إتحاف السادة المبلغين (سليمان العايدي) (٢) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم (القاضي عياض) (٣) الاستذكار (ابن عبد البر) (٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (ابن عبد البر) (٥) التيسير بشرح الجامع الصغير (المناوي) (٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (القرطبي) (٧) المنتقى شرح الموطأ (أبو الوليد الباجي) (٨) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (النووي) (٩) تأويل مختلف الحديث (ابن قتيبة الدينوري) (١٠) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي (المباركفوري) (١١) جامع الأصول (ابن الأثير) (١٢) جامع العلوم والحكم (ابن رجب الحنبلي) (١٣) حاشية السندي على سنن النسائي (١٤) حاشية السندي على صحيح البخاري (١٥) شرح الجامع الصغير (المناوي) (١٦) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١٧) شرح السنة (البغوي) (١٨) شرح سنن أبي داوود (العيني) (١٩) شرح صحيح البخاري (ابن بطال) (٢٠) طرح التثريب في شرح التقريب (زين الدين العراقي) (٢١) عارضة الأحوذي شرح سنن الترمذي (ابن العربي) (٢٢) عمدة القاري شرح

www.saida-islam.weebly.com

صحيح البخاري (العيني) (٢٣) عون المعبود شرح سنن أبي داوود (العظيم آبادي) (٢٤) فتح الباري (ابن حجر العسقلاني) (٢٥) فيض القدير (المناوي) (٢٦) مرقاة الصعود على سنن أبي داوود (السيوطي) (٢٧) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (مُلاً علي القاري) (٢٨) معالم السنن على سنن أبي داوود (الخطابي) .

كتب التخريج

(١) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (البوصيري) (٢) الأمالي المطلقة (ابن حجر) (٣) الترغيب والترهيب (المنذري) (٤) التلخيص الحبير (ابن حجر العسقلاني) (٥) الثقات (ابن حبان) (٦) الضعفاء (العقيلي) (٧) الفتاوى الحديثية (ابن حجر الهيتمي) (٨) الكامل (ابن عدي) (٩) المغني عن حمل الأسفار في الأسفار (زين الدين العراقي) (١٠) المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة (السخاوي) (١١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف (ابن القيم) (١٢) تلخيص المستدرك (الذهبي) (١٣) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة (الكناني) (١٤) زوائد ابن ماجه على باقي الكتب الخمسة (شهاب الدين البوصيري) (١٥) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (المتقي الهندي) (١٦) مجمع الزوائد (الهيثمي) (١٧) مصباح الزجاجة (البوصيري) .

كتب التاريخ والسير والتراجم

(١) أخبار أصفهان (أبو نعيم) (٢) النهاية في الفتن والملاحم (ابن كثير) (٣) تاريخ دمشق (ابن عساكر) (٤) تاريخ الطبري (٥) تهذيب التهذيب (ابن حجر) (٦) حياة الصحابة (محمد يوسف الكاندهلوي) (٧) دلائل النبوة (أبو نعيم الأصفهاني) (٨) دلائل النبوة (البيهقي) (٩) مشاهير علماء الأمصار (ابن حبان) (١٠) معرفة الصحابة (أبو نعيم)

www.saida-islam.weebly.com

كتب ابن القيم وغيره

(١) إحياء علوم الدين (أبو حامد الغزالي) (٢) أصول الدعوة (د. عبد الكريم زيدان) (٣) إلى الإسلام من جديد (أبو الحسن الندوي) (٤) التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي والدجال والمسيح (الشوكاني) (٥) الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح (ابن تيمية) (٦) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ابن القيم) (٧) الخصائص الكبرى (السيوطي) (٨) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية (ابن القيم) (٩) المهدي (أبو نعيم الأصفهاني) (١٠) الموافقات (الشاطبي) (١١) النهاية في غريب الحديث والأثر (ابن الأثير) (١٢) تهذيب الأسماء واللغات (النووي) (١٣) جلاء الأفهام (ابن القيم) (١٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ابن القيم) (١٥) زاد المعاد في هدي خير العباد (ابن القيم) (١٦) فضائل الدعوة إلى الله (محمد زكريا الكاندهلوي) (١٧) قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان (القلقشندي) (١٨) كشف الكربة في وصف أهل الغربة (ابن رجب) (١٩) لوامع الأنوار البهية (السفاريني) (٢٠) مجموع الفتاوى (ابن تيمية) (٢١) مدارج السالكين (ابن قيم الجوزية) (٢٢) مفتاح دار السعادة (ابن القيم) (٢٣) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (ابن القيم) .

*****

www.saida-islam.weebly.com

فهرس المحتويات

مقدمة ٥
باب فضل هذه الأمة في دينها ودنياها ١١
خيرية هذه الأمة على باقي الأمم بقيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٢
الحديث الأول ١٢
" إِنَّكُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ "
بيان سبب خيرية هذه الأمة ١٢
معنى الحديث وما يستفاد منه ١٥
عماد حياة الأمة والقطب الأعظم في حياتها هو الدعوة إلى الله ١٦
قول الإمام الغزالي في أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٨
وعد الله لهذه الأمة بالتمكين والاستخلاف في الأرض وحفظه لها من الهلاك العام ١٩
الحديث الثاني ١٩
"إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا "
معنى الحديث وما يستفاد منه ٢١
بيان وعد الله عز وجل لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض وتحقيق هذا الوعد ٢١
هذه الأمة مبعوثة بالتيسير كبعثة نبيها ٢٤
الحديث الثالث ٢٤
"دَعُوهُ، وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ"
معنى الحديث وما يستفاد منه ٢٧
بيان سعة رحمته ﷺ بالناس لإخراجهم من الظلمات إلى النور وتعليمه الأمة هذه الرحمة ٢٧
بيان رفعة مقام هذه الأمة عند ربها عز وجل حيث ابتعثم كما ابتعث الأنبياء ٢٩
إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك ٣٣
الحديث الرابع ٣٣
"اذْهَبْ يَا جِبْرِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ : إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلا نَسُوؤُكَ"
معنى الحديث وما يستفاد منه ٣٤
بيان حرص النبي ﷺ على هداية الناس جميعاً، وبيان مثله ومثل الأمة ٣٤
هذه الأمة هي أقل الأمم عملاً وأكثرها أجراً ٣٧

www.saida-islam.weebly.com

الحديث الخامس ٣٧

" إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَالْيَهُودَ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالاً ..."

معنى الحديث وما يستفاد منه ٣٨

هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة ٤٠

الحديث السادس ٤٠

"إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَجَارَ أُمَّتِي أَنْ تَجْتَمِعَ عَلَى ضَلالَةٍ "

بيان معنى قوله " **وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ**" ٤١

بيان أهمية اجتماعية الأمة على أمر الدعوة إلى الله وخطورة تفرقها فيه ٤٢

معنى الحديث وما يستفاد منه ٤٥

بيان عصمة الأمة من الخطأ واجتماع الأمم السابقة على الخطأ والضلال وتحريف كتبهم ٤٥

تجاوز الله عن هذه الأمة الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وما وسوست به صدورها ٤٧

الحديث السابع ٤٧

"إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ "

بيان معنى الخطأ والنسيان المعفو عنهما ٤٧

بيان رفع الحرج عن الأمة في ما وسوست به صدورها ما لم تعمل أو تكلم ٥٠

معنى الحديث وما يستفاد منه ٥١

ذكر خصائص هذه الأمة في التوراة وتمني موسى عليه السلام أن يكون من أمة محمد ﷺ ٥٢

بيان اختصاص هذه الأمة بتيسير شريعتها بالمقارنة مع الشرائع السابقة من عدة أوجهٍ ٥٣

خصائص عظيمة لهذه الأمة ٥٩

الحديث الثامن ٥٩

"فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ ... "

بيان اختصاص نبينا ﷺ وأمته بالنصر على الأعداء بالرعب ٦٠

بيان عموم رسالة نبينا ﷺ ونيابة الأمة له في حملها إلى العالمين ٦١

معنى الحديث وما يستفاد منه ٦٥

ذكر خصائص أخرى لهذه الأمة غير ما ذكر في الحديث ٦٥

قول الإمام الشاطبي في مشاركة الأمة لنبيها ﷺ في التكليفات والمزايا والمناقب من ثلاثين وجهاً ٦٧

قول قتادة في مشاركة هذه الأمة للأنبياء في الصفات ٧٤

تجديد الدين لهذه الأمة وحفظه من الضياع ٧٦

www.saida-islam.weebly.com

الحديث التاسع ٧٦

"إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا "

بيان معنى التجديد في الدين وتعدد مجالاته وصفات المجدد..... ٧٧

معنى الحديث وما يستفاد منه ٧٩

بيان أن التجديد في بني إسرائيل كان منوطاً بالأنبياء والتجديد في هذه الأمة منوط بالعلماء ٧٩

قول ابن القيم في فضائل المجددين في الدين ومن قام بعملهم ودعا إليه..... ٨١

لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمة بأمر الله ٨٤

الحديث العاشر ٨٤

"لا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ"

معنى الحديث وما يستفاد منه ٨٧

بيان صفات الطائفة المنصورة القائمة بأمر اللَّهِ وكيفية تمكين اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ لها في كل زمان..... ٨٨

صلاة المسيح عيسى ابن مريم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ خلف فرد من هذه الأمة ٩١

الحديث الحادي عشر ٩١

"لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، ... فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ : تَعَالَ صَلِّ بِنَا . فَيَقُولُ : لا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الأُمَّةَ"

ذكر نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَام آخر الزمان وحكمه بشريعة محمد ﷺ وكيفية رفعه إلى السماء أول الأمر ٩١

ذكر أمير المؤمنين وقت نزول المسيح عَلَيْهِ السَّلَام وهو المهدي وذكر صفاته وتجديده الدين لهذه الأمة ٩٣

معنى الحديث وما يستفاد منه ٩٦

رحمة الله هذه الأمة بقبض نبيها قبلها وجعله فرطاً لها..... ٩٩

الحديث الثاني عشر ٩٩

"إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا، فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا..."

معنى الحديث وما يستفاد منه ١٠٠

بيان أن عصيان الأمم السابقة لأنبيائهم سبب لهلاكهم وأن طاعة هذه الأمة لنبيها هو سبب رحمة اللَّهِ لها. ١٠١

هذه الأمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة..... ١٠٥

الحديث الثالث عشر ١٠٥

"أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الآخِرَةِ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتَنُ وَالزَّلازِلُ وَالْقَتْلُ "

بيان أن عذاب هذه الأمة إنما يكون في الدنيا وذلك بالفتن والزلازل والقتل وغيرها من الابتلاءات..... ١٠٦

معنى الحديث وما يستفاد منه ١٠٧

www.saida-islam.weebly.com

فداء كل مسلم من النار برجل من المشركين ١٠٩
الحديث الرابع عشر ١٠٩
"إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ مَرْحُومَةٌ، عَذَابُهَا بِأَيْدِيهَا، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دُفِعَ إِلى كُلِّ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَيُقَالُ : هَذَا فِدَاؤُكَ مِنَ النَّارِ"
معنى الحديث وما يستفاد منه ١٠٩
الطاعون عذاب لمن قبلنا جعله الله رحمة وشهادة لهذه الأمة ١١٢
الحديث الخامس عشر ١١٢
قوله ﷺ عن الطاعون:"أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ"
بيان أن الموت بالطاعون شهادة لهذه الأمة ١١٣
بيان النهي لمن سمع بالطاعون بأرض أن يقدم عليها ولمن وقع الطاعون بأرض هو فيها أن يخرج فراراً منه ... ١١٦
معنى الحديث وما يستفاد منه ١١٩
بيان أن الابتلاءات والأمراض التي تصيب هذه الأمة تكفر من سيئاتها وترفع في درجاتها ١٢١
كثرة أسباب الشهادة لهذه الأمة ١٢٤
الحديث السادس عشر ١٢٤
"الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ ... "
بيان أن نصيب هذه الأمة من درجة الشهادة أوفر نصيب بين الأمم وبيان تعدد أسباب الشهادة لهذه الأمة . ١٢٦
بيان أن الشهيد قسمان : شهيد الدنيا وشهيد الآخرة ١٢٨
معنى الحديث وما يستفاد منه ١٢٩
بيان أن هذه الأمة هي صاحبة السبق في جميع درجات القرب من الله "النبوة والصِّدِّيقيَّة والشهادة" ١٢٩
بيان أسباب أخرى للشهادة غير ما ذكر في الحديثين ١٣١
زيادة عمر هذه الأمة ١٣٤
الحديث السابع عشر ١٣٤
"إِنِّي لأَرْجُو أَنْ لا تَعْجِزَ أُمَّتِي عِنْدَ رَبِّهَا، أَنْ يُؤَخِّرَهُمْ نِصْفَ يَوْمٍ"
معنى الحديث وما يستفاد منه ١٣٤
بيان شرف هذه الأمة حيث بقيت محافظة على دينها من الضياع وعلى كتابها من التحريف طوال مدة حياتها على خلاف الأمم السابقة ١٣٥
الخير في هذه الأمة مستمر كالمطر ١٣٧
الحديث الثامن عشر ١٣٧

www.saida-islam.weebly.com

" مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ، لا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ "

معنى الحديث وما يستفاد منه ١٣٨
بيان مضاعفة أجور العاملين للدين في زمن الفتن والغربة ١٣٩
فضل الآخرين من هذه الأمة ١٤٢
الحديث التاسع عشر ١٤٢

"إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الأُمَّةِ قَوْمٌ لَهُمْ مِثْلُ أَجْرِ أَوَّلِهِمْ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيُقَاتِلُونَ أَهْلَ الْفِتَنِ"

بيان أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله وخطورة تركها ١٤٢
معنى الحديث وما يستفاد منه ١٤٦
فضيلة أخرى للمتأخرين من هذه الأمة ١٤٨
الحديث العشرون ١٤٨

" مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ "

معنى الحديث وما يستفاد منه ١٤٨
بيان فضل متأخري هذه الأمة على أصحاب الأنبياء السابقين ١٤٨
بيان جملة من الأحاديث في فضائل متأخري هذه الأمة ١٥٠
تنبيه : بيان فضيلة المتأخرين من هذه الأمة لا يدل على أفضليتهم على الصحابة مطلقاً بل الأفضلية المطلقة للصحابة من أكثر الوجوه ١٥٢
بيان أنَّ مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ ورآهُ، ولَوْ مَرَّةً مِنْ عُمُرِهِ، أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ مَنْ يَأْتِي بَعْدَهُ ١٥٤
هذه الأمة هم شهداء الله في الأرض ١٥٦
الحديث الحادي والعشرون ١٥٦

"مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : "وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ ". وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: "وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ "... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ"

بيان فضيلة هذه الأمة بقبول شهادتها عند الله عزوجل في الدنيا ١٥٦
معنى الحديث وما يستفاد منه ١٦٠
باب فضل هذه الأمة في آخرها وعاقبة أمرها ١٦١
هذه الأمة هم الآخرون زماناً السابقون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق وأول من يدخل الجنة ١٦٢

www.saida-islam.weebly.com

الحديث الثاني والعشرون ١٦٢

"نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللَّهُ ... "

بيان خطأ اجتهاد الأمم السابقة في إصابة يوم الجمعة ١٦٣

بيان هداية اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ هذه الأمة لإصابة يوم الجمعة ١٦٣

معنى الحديث وما يستفاد منه ١٦٤

قول ابن القيم أن ليوم الجمعة اثنين وثلاثين خصوصية ١٦٧

تحشر هذه الأمة على ثلاثة أصناف كلهم يدخلون الجنة..... ١٦٨

الحديث الثالث والعشرون..... ١٦٨

"تُحْشَرُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى ثَلاثَةِ أَصْنَافٍ: صِنْفٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ، وصِنْفٍ يُحَاسَبُونَ حِسَابًا يَسِيرًا ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وصِنْفٍ يَجِيئُونَ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَمْثَالُ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ ذُنُوبًا ..."

معنى الحديث وما يستفاد منه ١٦٨

تميز هذه الأمة بعلامات يوم القيامة ١٧١

الحديث الرابع والعشرون ١٧١

"أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ فِي السُّجُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ... فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَنْظُرُ بَينَ يَدَيَّ فَأَعْرِفُ أُمَّتِي مِنْ بَينِ الأُمَمِ، وأَنْظُرُ عَنْ يَمِينِي، فَأَعْرِفُ أُمَّتِي مِنْ بَينِ الأُمَمِ"..."غُرٌّ مُحَجَّلُونَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، ولا يَكُونُ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ غَيرَهُمْ ... "

بيان أن سيماء هذه الأمة وعلامتها يوم القيامة أنهم يدعون غراً محجلين من أثر الوضوء ١٧٢

معنى الحديث وما يستفاد منه ١٧٤

ذكر أثر وهب بن منبه في وحي اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لنبيه شعياء عَلَيْهِ السَّلَامُ بصفات النبي محمد ﷺ وأمته ١٧٤

عظم نور هذه الأمة يوم القيامة ورغبة الأنبياء فيها ١٧٧

الحديث الخامس والعشرون..... ١٧٧

"يَخْرُجُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُلَّةٌ غُرٌّ مُحَجَّلُونَ، تُسَدُّ الأُفُقَ، نُورُهُمْ مِثْلُ الشَّمْسِ، فَيُنَادِي مُنَادٍ : النَّبِيُّ الأُمِّيُّ؟ فَيَتَحَسَّسُ لَهَا كُلُّ نَبِيٍّ أُمِّيٍّ، فَيُقَالُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ ..."

بيان وضع الميزان والحساب يوم القيامة ١٧٨

معنى الحديث وما يستفاد منه ١٨٢

ذكر أثر وهب بن منبه في وحي اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لداوود عَلَيْهِ السَّلَامُ بفضل محمد ﷺ وأمته على الأمم كلها.....١٨٣

عظم نور هذه الأمة يوم القيامة ومشابهته لنور الأنبياء..... ١٨٥

www.saida-islam.weebly.com

الحديث السادس والعشرون ١٨٥

"إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلاَّ لَهُ دَعْوَةٌ قَدْ تَنَجَّزَهَا فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي قَدِ اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي، ... فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَصْدَعَ بَيْنَ خَلْقِهِ، نَادَى مُنَادٍ أَيْنَ أَحْمَدُ وَأُمَّتُهُ، فَتَقُولُ الأُمَمُ: كَادَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ أَنْ تَكُونَ أَنْبِيَاءَ كُلُّهَا .."

بيان سعة رحمة النبي ﷺ ووفور شفقته بأمته حيث ادخر دعوته شفاعةً لأمته يوم القيامة.....١٨٦

بيان أن نور هذه الأمة يكون يوم القيامة مثل نور الأنبياء ويظهر ذلك للأمم كلها ١٨٦

معنى الحديث وما يستفاد منه ١٨٧

بيان أنوا ع الشفاعات التي يكرم بها نبينا ﷺ يوم القيامة ١٨٧

هذه الأمة تكون مع نبيها ﷺ على تلٍّ من مسك يوم القيامة ١٩١

الحديث السابع والعشرون..... ١٩١

"يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ، وَيَكْسُونِي رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى حُلَّةً خَضْرَاءَ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ، فَذَاكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ"

بيان المقام المحمود الذي وعد به نبينا ﷺ يوم القيامة ١٩١

معنى الحديث وما يستفاد منه ١٩٢

كرامة فقراء هذه الأمة يوم القيامة وقصره على المؤمنين..... ١٩٤

الحديث الثامن والعشرون ١٩٤

تَجْتَمِعُونَ يَومَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: أَيْنَ فُقَرَاءُ هَذِهِ الأُمَّةِ ومَسَاكِينُهَا ؟ ... قَالُوا : فَأَيْنَ الْمُؤْمِنُونَ يَومَئِذٍ ؟ قَالَ :" يُوْضَعُ لَهُمْ كَرَاسِيٌّ مِنْ نُورٍ، وتُظَلَّلُ عَلَيهِمُ الْغَمَامُ، يَكُونُ ذَلِكَ الْيَومُ أَقْصَرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ سَاعَةٍ مِنْ نَهَارٍ "

معنى الحديث وما يستفاد منه ١٩٥

بيان أول من يدخل الجنة من هذه الأمة وذكر صفاتهم ١٩٦

غبطة الأنبياء والشهداء لناس من هذه الأمة..... ١٩٩

الحديث التاسع والعشرون..... ١٩٩

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ للهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ "

معنى الحديث وما يستفاد منه ٢٠١

بيان فضل المتحابين في اللهِ عَزَّوَجَلَّ.....٢٠٢

www.saida-islam.weebly.com

شدة ازدحام هذه الأمة على حوض نبيها يوم القيامة ٢٠٤
الحديث الثلاثون ٢٠٤
" لَتَزْدَحِمُنَّ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى الْحَوْضِ ازْدِحَامَ الإِبِلِ وَرَدَتْ لِخَمْسٍ "
بيان أن لكل نبي حوضاً يوم القيامة وأنهم يتباهن أيهم أكثر واردةً ٢٠٤
معنى الحديث وما يستفاد منه ٢٠٥
بيان مكان حوض النبي هل هو في أرض الموقف قبل الصراط أم بعده ٢٠٦
نهر الكوثر عطاءٌ من الله ﷻ لنبي هذه الأمة ﷺ ولها ٢٠٨
الحديث الحادي والثلاثون ٢٠٨
أَغْفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِغْفَاءَةً.. فَقَالَ:" إِنَّهُ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ " فَقَرَأَ :" بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ "... "هُوَ نَهَرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷻ فِي الْجَنَّةِ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، عَلَيْهِ حَوضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدَ الْكَوَاكِبِ "
بيان صفات نهر الكوثر الذي أعطيه رسولنا ﷺ ٢٠٨
بيان صفات حوض النبي الذي يُمَدُّ من نهر الكوثر ٢٠٩
معنى الحديث وما يستفاد منه ٢١٠
كثرة من يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب ولا عذاب ٢١٢
الحديث الثاني والثلاثون ٢١٢
"عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْيطُ، ... فقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى هَذَا الأفق الآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ "
بيان معنى التوكل على اللَّهِ ﷻ ٢١٣
دخول أقوام من هذه الأمة الجنة بغير حساب ولا عذاب وشفاعتهم في آبائهم وأمهاتهم وعشائرهم..... ٢١٥
الحديث الثالث والثلاثون ٢١٥
"وَعَدَنِي رَبِّي ﷻ أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي ﷻ "
معنى الحديث وما يستفاد منه ٢١٦
شهادة هذه الأمة للأنبياء بتبليغهم أقوامهم وقبول شهادتهم لكونهم عدولاً ٢١٨
الحديث الرابع والثلاثون ٢١٨

www.saida-islam.weebly.com

" يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، ... فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ : هَلْ بَلَّغَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : لا، فَيُقَالُ : مَنْ يَشْهَدُ لَكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتُدْعَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ، فَيُقَالُ : هَلْ بَلَّغَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ، ... قَالَ : فَذَلِكُمْ قَوْلُهُ ﷻ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾"

تفسير قوله ﷻ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ وبيان كون هذه الأمة وسطاً في الشريعة بين تشديدات اليهود وتهاون النصارى..... ٢١٨

بيان المراد من قوله ﷻ : ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ٢٢١

معنى الحديث وما يستفاد منه ٢٢١

كل هذه الأمة يدخل الجنة إلاَّ من أبى وشرد على الله شراد البعير على أهله ٢٢٤

الحديث الخامس والثلاثون ٢٢٤

" كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إلاَّ مَنْ أَبَى". قالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى؟! قَالَ :" مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى "

معنى الحديث وما يستفاد منه ٢٢٥

بيان أن هذه الأمة كلها سيخلد في الجنة وأن أحداً منها لن يخلد في النار ٢٢٦

هذه الأمة هي أقل الأمم عدداً وأكثرها نصيباً في الجنة ٢٢٩

الحديث السادس والثلاثون ٢٢٩

"يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: يَا آدَمُ ! ... أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ . قَالَ : وَمَا بَعْثُ النَّارِ ؟ قَالَ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ ".. قَالَ ﷺ:" أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلاً، وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا "

معنى الحديث وما يستفاد منه ٢٣٢

بيان أن نصف أهل الجنة من هذه الأمة ٢٣٣

الحديث السابع والثلاثون ٢٣٣

"أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ " ... قَالَ :" وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ..."

معنى الحديث وما يستفاد منه ٢٣٣

بيان أن ثلثي أهل الجنة من هذه الأمة ٢٣٥

الحديث الثامن والثلاثون ٢٣٥

" أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ، هَذِهِ الأُمَّةُ مِنْ ذَلِكَ ثَمَانُونَ صَفًّا "

www.saida-islam.weebly.com

معنى الحديث وما يستفاد منه ٢٣٥
عظم جاه هذه الأمة عند ربها بقبول شفاعتها يوم القيامة ٢٣٧
الحديث التاسع والثلاثون ٢٣٧
" لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ "
معنى الحديث وما يستفاد منه ٢٣٨
بيان مشاركة أفراد هذه الأمة نبيها ﷺ والأنبياء في الشفاعة بإخراج أقوام من النار وذلك بحسب قربهم من الله ٢٣٨
بيان شفاعة أناس معينين من هذه الأمة لصفات فيهم..... ٢٣٩
الله ولي هذه الأمة في الدنيا والآخرة، وشفاعة بعضه هذه الأمة لبعض ٢٤١
الحديث الأربعون ٢٤١
"يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ. فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، ... وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا "
بيان معنى قوله ﷺ :" فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ "..... ٢٤٤
بيان معنى قوله ﷺ على لسان المؤمنين :" نَعُوذ بِاَللَّهِ مِنْك" ٢٤٥
بيان أن هذه الأمة أول من يجيز الصراط بعد نبيها ﷺ ٢٤٧
معنى الحديث وما يستفاد منه ٢٤٨
بيان منقبة عظيمة لمؤمني هذه الأمة وهي أنهم يؤذن لهم في الشفاعة لإخوانهم من أهل التوحيد الذين أدخلوا النار بذنوبهم فيخرجونهم منها ٢٥٠
خاتمة ٢٥١
المصادر والمراجع ٢٥٣
فهرس المحتويات ٢٥٧

www.saida-islam.weebly.com